

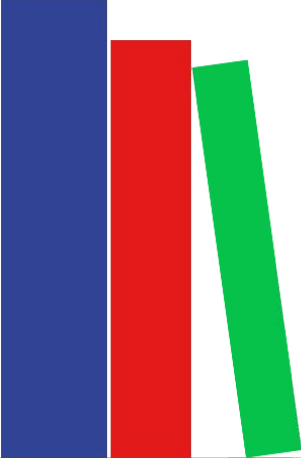
نَفْسِ النَّوَى

مِنْ سُورَةِ الْحَجِّ إِلَى سُورَةِ النَّعْلِ

تَأليف
الشيخ محسن قرآني

المجلد السادس

دار المؤرخ العربي
بيروت



مكتبة مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه.
(الإمام الصادق (ع))

moamenquraish.blogspot.com

نَفْسِ النَّوَى

نَفْسِ النَّوَى

مِنْ سُورَةِ الْحَجِّ إِلَى سُورَةِ النَّمْلِ

تَأْلِيْفُ
السَّيِّحِ مُحَمَّدِ بْنِ قِرَاعِيٍّ

مُطَبَّعَةُ الْمَدِينَةِ
مُحَمَّدُ حَسَنُ زُرَّاقِطٌ

مُطَبَّعَةُ
أَحْمَدُ حَسَنِ بْنِ عَطِيَّةٍ بَكْرٍ

الْمَجْلَدُ السَّادِسُ

دَارُ الْمَوْزَجِ الْعَرَبِيِّ
بِهَرَمِ - لَبْنَانَ

حُقوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م



طبع هذا الكتاب بالتعاون مع
المركز الثقافي للدروس القرآنية

دار المَوْزَجِ العَرَبِيّ



بيروت - حارة حريت - قهبة جامع المحسنين - فوق صيدلية ديكاب - ط ٢

تلفاكس: (٥٤) ٤٣١ - ٠١ - هاتف: ٥٤٤٨٠٥ - ٠١ - صرّب: ١٢٤ / ٢٤

البريد الإلكتروني: al_mouarekh@hotmail.com

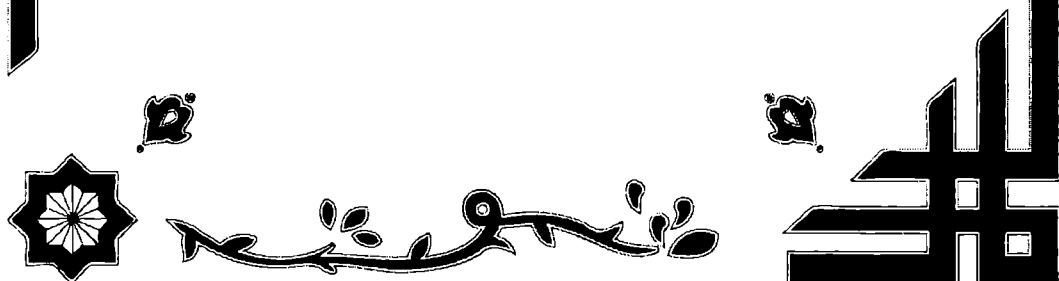
www.al-mouarekh.com



سُورَةُ الْحَجِّ

السورة: ٢٢ الجزء: ١٧

عدد الآيات: ٧٨



ملامح سورة الحج

تشتمل هذه السورة على ثمانٍ وسبعين آية، وقد نزلت في المدينة. و«الحج» في اللغة القصد والعزم على القيام بعمل من الأعمال؛ ولكنها تُطلق في الشريعة الإسلامية على الشعائر الخاصة التي تُؤدَّى كل عام في مكة المكرمة. وقد سُميت هذه السورة سورة «الحج»، لأن ما يقرب من ثلاث عشرة آية (من الآية ٢٥ إلى الآية ٣٧) منها تتحدث عن الكعبة وتاريخها والآثار السياسية والاجتماعية للحج.

وقد استعرضت هذه السورة دعوة رسل الله لأمم وأقوام كثيرة، وبيّنت مصير القوم المنحرفين. وقد ورد في الروايات أنّ رسول الإسلام الأكرم ﷺ قد قال: «من قرأ سورة الحج أُعطي من الأجر كحَبَّةِ حَبِّهَا وعمره اعتمرها، بعدد من حج واعتمر، في ما مضى وفي ما بقي»^(١).

(١) تفسير مجمع البيان، ج ٤، ص ٦٨.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ﴾

إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾

إشارات:

□ ورد في روايات أسباب النزول أن الآيتين الأولى والثانية من سورة الحج قد نزلتا عندما كان المسلمون في طريقهم إلى محاربة «بني المُصطلق» في شهر شعبان من العام السادس للهجرة، وعندها أمر الرسول الأكرم ﷺ بالتوقف، فتوقف المسلمون، وتلا النبي ﷺ هاتين الآيتين عليهم، ف قضى بعض أصحاب النبي تلك الليلة يبكون، ونفرت أنفسهم من الدنيا؛ ولكن رسول الله طمأنهم بما حدثهم عنه من بشارات^(١).

التعاليم:

- ١ - يُخاطب القرآن جميع الناس، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾.
- ٢ - يجب التحدث مع الغافلين بصراحة، وتحذيرهم، ﴿آتِفُوا... إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾.
- ٣ - التقوى هي سبيل النجاة من أخطار يوم القيامة، ﴿آتِفُوا... زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾.
- ٤ - تذكر يوم القيامة يحث على الاتصاف بالتقوى، ﴿آتِفُوا... زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾.
- ٥ - الحياة الدنيا متاع قليل، أما زلزلة القيامة فهي شيء عظيم، ﴿زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾.
- ٦ - علينا أن نتقي الله الذي هو رب العالم ومالكه، ﴿آتِفُوا رَبِّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ...﴾.

٧ - ينهار نظام الكون الموجود ويتهاوى بزلزال القيامة، ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَقٌّ عَظِيمٌ﴾.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ
وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ
وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾

إشارات:

□ في القرآن أوصاف مروعة في وصف ملامح يوم القيامة وصفاته، منها قوله تعالى:

- ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾^(١)، يشيب فيه الولدان الصغار.

- ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا﴾^(٢)، تغبس فيه الوجوه لشدة هوله.

- ﴿يَوْمًا كَانَ سُرُهُ مُسْتَظِيرًا﴾^(٣)، يتفشى فيه الشر والبلاء.

□ ضرب الله المثل في بيان هول يوم القيامة بقطع العلاقة بين الأم المُرْضِعة ورضيعها، والأم الحامل وما حملته، وذلك على الرغم من أنه لا توجد أبداً أم تحمل في أحشائها جنيناً أو ترضع رضيعاً يوم القيامة؛ وهذا دليل شدة الذهول.

التعاليم:

١ - تسلب أهوال يوم القيامة العاطفة من الإنسان، ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾؛ وتعطل العقل، ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ﴾.

٢ - علينا أن نستفيد من الأمثلة الحسنة والعاطفية في بيان القضايا التربوية وتوضيحها، ﴿مُرْضِعَةٌ... ذَاتِ حَمْلٍ﴾.

(١) سورة المزمل: الآية ١٧.

(٢) سورة الإنسان: الآية ٧.

(٣) سورة الإنسان: الآية ١٠.

٣ - لا يلزم أن يكون المثل مطابقاً للواقع، ﴿كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ... وَزَيَّ النَّاسِ سُكْرَى﴾.

٤ - مرور الزمن لا يؤثر على الأمثال القرآنية ولا يجعلها قديمة، ﴿كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ...﴾.

٥ - ليست الخمر وحدها هي السبب في السكر (أحياناً يكون الغرور والغفلة والثروة والجاه وسيلة أيضاً من وسائل فقد الاعتدال والتوازن)، ﴿...وَزَيَّ النَّاسِ سُكْرَى... عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

٦ - الرسول الأكرم ﷺ آمن من أخطار يوم القيامة، ﴿...وَزَيَّ النَّاسِ سُكْرَى﴾ حيث يخاطبه الله تعالى كشاهد على ما يجري.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ
عِلْمٍ وَتَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾

إشارات:

□ تعني كلمة «مرید» عديم الخير، ويُقال للصحراء القاحلة المُجدبة «صحراء مرید»، وللغلام الذي لا ينمو الشعر في وجهه «غلام أمرد».

□ تنهانا هذه الآية عن النقاش والجدال بدون امتلاك المعارف اللازمة، بينما الجدال مع المعارضين والمخالفين يكون مطلوباً وفي محلّه، إذا كان مصحوباً بالمنطق الصحيح أو بمنطقهم هم أنفسهم، وهو ما ورد في آية أخرى قال فيها تعالى: ﴿وَحَدِّثْهُمْ بِأَلْقَى هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١).

التعاليم:

١ - يصيبُ عذاب يوم القيامة أولئك الذين يصدّمون الناس في عقائدهم الدينيّة

باختلاق الشبهات وبث الشكوك، ﴿عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ... وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ﴾.

٢ - ينبغي أن يكون الحوار على أساس من المنطق والعلم، وليس على أساس الجدل والتعصب، ﴿يُجَادِلُ... يَغْيِرْ عَلَيْهِ﴾.

٣ - النقاش والجدال بدون علم اتباع للشيطان، ﴿يُجَادِلُ... يَنْبِغُ﴾.

٤ - يحول الجهل والتعصب دون قبول الحق، ﴿يَغْيِرْ عَلَيْهِ﴾.

٥ - من يترك الله ويحيد عن طريقه يقع أسيراً في شرك الشيطان في كل لحظة وكل حين، ﴿...وَيَنْبِغُ كُلَّ شَيْطَانٍ﴾.

٦ - تتعدّد الشياطين وتتنوع، وكل واحد منها هو وسيلة من وسائل انحراف الناس عن الجادة بشكل من الأشكال، ﴿كُلَّ شَيْطَانٍ﴾.

٧ - لا خير في اتباع الشيطان، ﴿مَرِيدٍ﴾ حيث لا خير لديه؛ وإنما هو شر مطلق.

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ

فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾

إشارات:

□ لا توجد جبرية مفروضة على الشيطان في كلمة «كُتِبَ»؛ لأننا نقرأ في الآيات الأخرى أن الشيطان رفض السجود لآدم بإرادته هو نفسه وعناداً للحق، وأنه اعترض على أمر الله، وأقسم أن يضل الناس ويغويهم^(١). وبناءً على هذا، فإن قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ يعني أن إضلال الشيطان لاتباعه صار أمراً حتمياً بالنسبة له استناداً إلى ما أراده هو نفسه وعزم عليه.

التعاليم:

١ - لا توجد أي نتيجة من اختيار طريق الشيطان واتباعه غير العذاب الإلهي

الأكيد، ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ (إن الإرادة الحتمية لله القائمة على عقاب المجرمين تكون بعد اقترافهم هم أنفسهم للجرم بأيديهم).

٢ - يُعتبر اتباع الشيطان بمثابة قبول لولايته، ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ... مَنْ تَوَلَّاهُ﴾.

٣ - يُضل الشيطان من يتبعونه فقط، وليس من يريد هو نفسه إضلالهم، ﴿مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾.

٤ - الشياطين كلهم يسوقون الناس إلى طريق الجحيم، ﴿...وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ... وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿يَتْلَاهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّرٍ
ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَ لَكُمْ
وَنَقُرُّ فِي الْآرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا
أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤْوَىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّرَدُّ إِلَىٰ أَزْدِلِ الْعُمُرِ
لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَرَأَىٰ الْأَرْضَ هَايِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا
الْمَاءَ أَهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَلْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾

إشارات:

□ تعني كلمة «يُتَوَقَّى» التي هي من جذر كلمة «وفاة» أخذ الروح كاملة من جسم الإنسان، وتدل على بقاء روحه بعد الموت.

□ اشتقت كلمة «بهيج» من جذر كلمة «بهجة»، وتعني النضارة والسرور؛ وذلك لأن النظر إلى الخضرة والعشب يولد الابتهاج والنضارة في نفس الإنسان.

□ إن مرحلة الشيخوخة والكبر عُدَّتْ أزدل مراحل عمر الإنسان في هذه الآية، إلا أن السبب الذي من أجله كان هذا الحكم لا يختص بالشيخوخة والعجائز، وإنما إذا ضعفت القوى العقلانية في الإنسان وعجزت، فإنه يكون عندها في أزدل العمر حتى لو كان يعيش في مرحلة الشباب، ﴿أَزْدِلِ الْعُمُرِ... لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾.

التعاليم:

- ١ - مصدر الشك هو الغفلة عن قدرة الله تعالى في خلقه، ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ... فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾.
- ٢ - وجهت هذه الآية للكفار حديثاً استدلالياً منطقياً يُمكن فهمه، ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ... فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾.
- ٣ - كما يُمكن التعرف على المعقولات عن طريق المحسوسات، ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ... فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾.
- ٤ - المعاد جسماني وكذلك روحاني سواء بسواء، ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾.
- ٥ - منشأ الإنسان ومادته الأولية من التراب، ﴿خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾.
- ٦ - يقطع الإنسان مراحل سبعة قبل موته: (التراب، النطفة، العلقة، المضغة، الطفولة، البلوغ، الشيخوخة)، ﴿خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ...﴾.
- ٧ - مرحلة المضغة (حينما يكون الإنسان على شكل قطعة لحم في رحم الأم) هي مرحلة تشكيل الإنسان، ﴿مُضْغَةً مُّخْلَقَةً﴾.
- ٨ - من يخلق الإنسان في الدنيا من تراب لا روح فيه، يستطيع أن يبعثه بعد ذلك يوم القيامة، ﴿لَنُبَيِّنَنَّ لَكُمْ﴾.
- ٩ - للحياة منحنيان، أولهما للصعود، والآخر للنزول. ويكون منحني الصعود من التراب حتى الوصول إلى مرحلة ﴿أَشَدَّكُمْ﴾، ومنحني النزول ينتهي بالوصول إلى مرحلة ﴿أَزَلَّيَ الْعُمُرِ﴾.
- ١٠ - مراحل الخلق جميعها بيد الله تعالى، من استقرار النطفة حتى ميلاد الطفل، ﴿خَلَقْنَاكُمْ... وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ... نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾.
- ١١ - تحتاج التحولات الطبيعية إلى زمن. (تكررت في الآية كلمة «ثم» التي تأتي للدلالة على الفاصل الزمني عدة مرات).

١٢ - استقرار النطفة أو إسقاطها وانعدام أثرها بإرادة الله تعالى، ﴿...وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾.

١٣ - قُدِّرَت مدة الحمل وحُدِّدَت مراحلها من جانب الله سبحانه، ﴿إِلَّا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾.

١٤ - يتعلَّق مولدُ الإنسان بإرادة الله تعالى، ﴿فَنُخْرِجُكُمْ﴾.

١٥ - الموت ليس أمراً يختص به الشيوخ والعجائز، ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤَوِّفُ﴾ وإنما قد يطل اليافعين.

١٦ - لا يُمَحَى أثر الإنسان بالموت، ﴿يُؤَوِّفُ﴾.

١٧ - تُحْتَسَب قيمة الإنسان وحياته بمقدار علمه ووعيه وعقله (جعل القرآن نسيان المعارف والمكتسبات العلمية السبب في الوصول إلى أرذل مراحل العمر)، ﴿أَرَذَلِ الْأَعْمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾.

١٨ - التزاوج ووجود الذكر والأنثى يشمل النباتات أيضاً، ﴿مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِجٍ﴾ مضافاً إلى باقي المخلوقات.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦)

وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٧)

التعاليم:

١ - خلق الإنسان والنبات علامة على أن الله هو الحق، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾.

٢ - لا يتخلَّى الله سبحانه عن الخلق بالموت والوفاة، ولا يُقدِّم على عمل من أعمال اللغو والباطل أبداً، فيجب إذن أن يصل بمخلوقاته إلى الغاية والهدف النهائيين، ثم تكون هناك مرحلة أخرى بعد الموت، ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتِ﴾.

٣ - من يخلِّق مرة يستطيع أن يخلق مرة أخرى، ﴿يُخَيِّ الْمَوْتِ﴾ كما فعل أول مرة بالخلق من العدم.

- ٤ - من يخلق الخلق ابتداءً ويستطيع أن يتصرف أيضاً في مخلوقاته على النحو الذي يريده، هو وحده القادر المطلق القدرة، ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.
- ٥ - المعاد معاداً جسماني، ﴿يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾؛ في الأجساد والرفات البالية.

﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ
وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾

التعاليم:

- ١ - علينا أن نميز بين الناس عند الانتقاد فلا نوجه التأنيب إلى الجميع، ﴿وَمِنْ النَّاسِ﴾.
- ٢ - ليس هناك ما يمنع الجدل إذا كان على أساس من العلم، ﴿يُجَادِلُ... بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.
- ٣ - طرق المعرفة عند الإنسان متعددة، فهي تتوفر له عن طريق الفكر والعقل والدراسة حيناً، وربما كانت عبارة: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ إشارة إلى ذلك. وتُتاح له في حين آخر بلإهام يُلقى في القلب، وربما كانت كلمة «هُدًى» إشارة إلى ذلك الأمر. وتكون في وقت من الأوقات عن طريق الكتب السماوية والوحي والنبوة، ﴿وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾.

﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ
وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾

إشارات:

□ كلمة «ثاني» بمعنى لاوي، و«عطف» بمعنى جانب، ولَّى العنق جانباً كناية عن التكبر والغرور.

التعاليم:

- ١ - مصدر الجدال عند الجهلاء هو الغرور والتكبر، ﴿ثَانِي عَطْفِهِ﴾.
- ٢ - يتناسب الجزاء مع الذنب، وجزاء المتكبر هو الخزي في الدنيا، ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾.
- ٣ - كما له سوء العاقبة في الآخرة، ﴿وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(١٠)
 وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ
 أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ^(١١) ﴿

إشارات:

□ ربما جاءت كلمة «ظَلَامٌ» في الآية الشريفة بسبب أن الظلم القليل من الرب العادل يُعدُّ ظُلماً كبيراً؛ تعالى الله عن الظلم كبيره وصغيره.

التعاليم:

- ١ - الله سبحانه عادل، وما غضبه ومحبته إلا نتيجة لأعمالنا نحن، ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ﴾.
- ٢ - علينا ألا نجعل الآخرين سبباً لما نفتقره من ذنوب وما نبديه من مخالفات، فكل ما يصيبنا هو من صنع أيدينا، ﴿قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾.
- ٣ - يؤمن البعض إيماناً وقتياً وسطحياً، وتُغيره الحوادث، الحلو منها والمرير، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾.
- ٤ - يختلف حساب العقيدة والعمل اللذين يقومان على أساس المنطق عن حساب تقلبات الحياة المادية (نحن لا نريد الدين من أجل الخبز)، ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾.
- ٥ - الإنسان عُرضة لهجوم الأحداث الحلوة والمريرة، ﴿أَصَابَهُ... أَصَابَهُ﴾.

٦ - الفقر والابتلاءات وسائل للتجربة والاختبار، ﴿أَصَابَهُ فِتْنَةٌ﴾.

٧ - يستتبُّ الارتداد عن طريق الله وترك منهاجه الغضب الإلهي الشديد وعذاب الجحيم، ﴿أَنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.

﴿يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾﴾

يَدْعُوا لَمَن ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾

التعاليم:

١ - النفع كله والضرر بيد الله سبحانه، وليس لأحد غيره أي دور في ذلك، ﴿دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾.

٢ - الشرك وتعلق القلب بغير الله أعظم أنواع الضلال، ﴿دُونِ اللَّهِ... هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾.

٣ - ليس للشرك أساس عقلي أو قاعدة منطقية، ﴿دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾؛ لأن العبادة تكون من أجل الوصول إلى منفعة أو للحيلولة دون وقوع ضرر، والأصنام لا تفعل هذا ولا ذاك.

٤ - الشرك مُدانٌ بكل أنواعه (المعبودات العاقلة وغير العاقلة)، (جاءت كلمة «ما» إلى جوار كلمة «يدعو» مرة، وهذه الكلمة تأتي مع المخلوقات غير العاقلة. وجاءت كلمة «مَنْ» إلى جوار جملة «يدعو» في المرة الثانية، وهي للمعبودات العاقلة، من قبيل الإنسان والملائكة والجن).

٥ - علينا ألا نشترى ضرر الآخرة الدائم من أجل منافع الدنيا العابرة، ﴿ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ﴾.

٦ - الضرر الذي يلحقه الطواغيت بالناس أكبر مما يعطونهم من منافع، ﴿ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ﴾.

٧ - لا تُعاشر من يحول بينك وبين الله، ويدعوك إلى نفسه، ولا تجعله مولاك، ولا تتخذه مرشداً، ﴿لَيْسَ الْمَوْلَىٰ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ﴿١٤﴾

التعاليم:

١ - الإيمان بوعود الله الحق والأمل فيها أعظم وسيلة من أجل التحرر مما سواه،
﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ...﴾.

٢ - الإيمان المصحوب بالعمل هو مفتاح النجاة، ولا فائدة تُرجى من أحدهما
بمعزل عن الآخر، ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

٣ - تنوع النعم الإلهية من أجل تحقيق سعادة أكبر لأهل الجنة، ﴿جَنَّاتٍ،
الْأَنْهَارُ﴾.

٤ - يُجازي الله الإنسان على حسب ميوله ورغباته، (الإنسان يستمتع بالحدائق
والأنهار، وفي الجنة أيضاً حدائق وأنهار)، ﴿جَنَّاتٍ﴾ ﴿الْأَنْهَارُ﴾ تراعي تلك
الرغبات.

٥ - الله سبحانه هو القادر المطلق القدرة، ولا يعترضه مانع أو يصل إلى طريق
مسدود في إتمام الأعمال التي يريد لها أن تتحقق، ﴿يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (هذه
القدرة هي السبب في ضمان تنفيذ وعوده).

﴿مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ
إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ ﴿١٥﴾

إشارات:

□ رأى البعض أن هذه الآية ليست خاصة بالنبي الأكرم ﷺ، وقد ترجمها على
هذا النحو: كل من يظن أن الله لن يساعده... يعني (أي فرد من الناس).

□ ربما يكون معنى هذه الآية هو أن الإنسان المُلحد لن يُريحه ارتياد الفضاء أيضاً،
وربما المقصود بعبارة ﴿يَسْبَبُ إِلَى السَّمَاءِ﴾ هو غزو الفضاء، وكلمة ﴿لْيَقْطَعْ﴾

تعني قطع الطريق إليها. وفي هذه الحالة تكون هذه الآية من معجزات القرآن العلمية وتنبؤاته. وعلى كل حال فإن المشكلة الروحية للإنسان لن تُحل أيضاً حتى في وجود التقدم العلمي وارتداد الفضاء، ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾.

التعاليم:

- ١ - المدد الرباني والنصرة الإلهية أمران حتميَّان في الدنيا والآخرة، ﴿يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.
- ٢ - قد يتسلل اليأس من قدرة الله ونصرته فيفقد الإنسان توازنه، ﴿يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾.
- ٣ - الانتحار ليس طريق النجاة على الإطلاق، ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾.
- (الوسيلة الوحيدة التي تمنح الراحة هي الإيمان والتوكل على الله، وأي طرح أو برنامج آخر لا فائدة منه بدون الإرادة الإلهية والإيمان بالله).
- ٤ - حتى استخدام السماء والأرض، والصعود والسقوط، وكل خطوة تفتقد إلى الإيمان لا أثر لها، ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ أَلَّا اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ (١٦)

التعاليم:

- ١ - جرت سُنَّةُ الله تعالى على إنزال الآيات والإرشاد وتحويلها إلى وسائل الهداية، ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ﴾.
- ٢ - القرآن كتاب النور، وآياته واضحة جلية، ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ (على خلاف رأي البعض ممن يقولون إن القرآن قطعي الثبوت وظني الدلالة).
- ٣ - القرآن هو وسيلة الهداية، أمّا أصل الهداية فهو عمل الله وفضله، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي﴾.
- ٤ - يهدي الله كل من يشاء هدايته، ولكن إرادته تابعة لحكمته، ولهذا فهو يهدي من أوجد الأرضية اللازمة لهذه الهداية في نفسه، ﴿يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا
إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (١٧)

إشارات:

□ توجد أقوال كثيرة حول الصابئة، فمن هم هؤلاء الناس؟ قال البعض: هم عبّاد الكواكب والنجوم، ويقول البعض الآخر إنهم يعبدون الملائكة، في حين يرى آخرون أنهم مجموعة من أتباع نوح عليه السلام.

□ وقد سأل الأشعث بن قيس الإمام علياً عليه السلام فقال: كيف تؤخذ من المجوس الجزية (نوع من الضرائب) ولم ينزل إليهم كتاب ولم يُبعث إليهم نبي؟! (وهو يقصد أن الجزية أمر يختص به أهل الكتاب؟! فقال الإمام: «بلى يا أشعث قد أنزل الله إليهم كتاباً وبعث إليهم رسولا»^(١)).

□ تم التمييز في هذه الآية بين الفرق المختلفة عبر كلمة «الذين»، ويوم القيامة يختلف حساب المؤمنين بالحق عن حساب المشركين المنحرفين، ويكون حساب المؤمنين منفصلاً عن حساب أتباع الأديان السماوية الأخرى. وقد استخدمت كلمة «الذين» ثلاث مرات: مع المؤمنين وأصحاب الأديان الأخرى والمشركين.

التعاليم:

١ - حق المؤمنين الحقيقيين مُقدّم عند ذكر الفرق والأديان، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.
٢ - اليهودية والمسيحية والمجوسية والصابئة كلها من الأديان التوحيدية السماوية؛ لأن أسماء هذه الديانات ذُكرت في مقابل المشركين، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا... وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾.

٣ - يوم القيامة للجميع، وفي ذلك اليوم يُقضى بين كل هذه الفرق، وتنتهي الخصومات كلها، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾.

- ٤ - القاضي يوم القيامة هو الله تعالى، وهو الشاهد أيضاً، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ... إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.
- ٥ - الحكم المكتمل الأركان هو الذي يقضي به القاضي الذي يمتلك المعلومات الشاملة الكاملة، ﴿يَفْصِلُ... عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.
- ٦ - لا بد من الدعوة إلى الإسلام والمجادلة بالتي هي أحسن، من دون توقع انتهاء الاختلافات بين الأديان في الدنيا. ويتوجب التعايش السلمي في هذه الدنيا حتى يفصل الله بين الجميع يوم القيامة، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۝١٨﴾

التعاليم:

- ١ - في السماوات مخلوقات عاقلة، ﴿مَن فِي السَّمَوَاتِ﴾ تستخدم «مَن» للعقلين (أصحاب العقل والإدراك).
- ٢ - يسجد الكون كله من أجل الله ويخضع له، ﴿يَسْجُدُ﴾ والعقل ليس أمراً يختص به الإنسان وحده، ﴿مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ (إذا علمنا أن الكون كله يستسلم لله، فإننا عندئذ لن نكون بمعزل عن هذا الكون، فالشرك والتكبر يخالفان نظام الوجود).
- ٣ - الإنسان مُخَيَّر، ﴿يَسْجُدُ... وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾.
- ٤ - ينزل العذاب الإلهي على أساس الحق والعدل، ﴿حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾.
- ٥ - العزة والذلة بيد الله وحده، ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾.
- ٦ - لا يوجد أي مانع يقف في وجه الإرادة الإلهية، ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.

﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَبِّهِمَا فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ
مِنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾

التعاليم:

- ١ - النزاع حول الله تعالى موجودٌ طوال التاريخ، ﴿أَخَصَمُوا فِي رَبِّهِمَا﴾.
- ٢ - تختص ثياب كل واحد من أهل الجحيم بيدن صاحبها، ﴿قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ﴾.
- ٣ - لا تبرد ثياب أهل الجحيم النارية، وتُصب المواد المنصهرة دائماً من فوق رؤوسهم، ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾.

﴿ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴾
وَلَهُمْ مَقْلِعٌ مِنْ حَديدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ
أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾

التعاليم:

- ١ - تحرق نيران الجحيم ظاهر الجسد وباطنه، ﴿بُطُونُهُمْ... وَالْجُلُودُ﴾.
- ٢ - يسعى أهل النار من أجل إنقاذ أنفسهم، لكن لا فائدة تُرتجى من سعيهم، ﴿أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا... أُعِيدُوا فِيهَا﴾.
- ٣ - عذاب جهنم عذابٌ أبدي، ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾ ومتواصل.
- ٤ - يتعرض أهل الجحيم للتحقير والظلم والتوبيخ، ﴿ذُوقُوا﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُكَلِّفُ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ
وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾

التعاليم:

- ١ - الاستفادة من الطبيعة سبيل من سبل السعادة والسرور، ﴿جَنَّاتٍ... الْأَنْهَارُ﴾.

٢ - يجب أن يكون الأمل والبشارة متوازيين مع التهديد والوعيد، وقد قال الله تعالى في الآية السابقة: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، وقال تعالى في هذه الآية: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

٣ - التفاوت والمقارنة بين الخوف والرجاء والوعد والوعيد من مواطن الجمال في القرآن، ﴿قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ... وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

٤ - التستر له قيمة واحترام، فأهل الجنة لديهم ثياب أيضاً، ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

٥ - إن الله سبحانه يَجْبِرُ كسر المحرومين ويعوضهم عن حرمانهم. فالذهب والحرير حرام على الرجال في الدنيا؛ ولكنهما سيكونان زينة لهم في الآخرة، ﴿ذَهَبٌ... حَرِيرٌ﴾.

٦ - استعمال المحسنات في الجمل والتناسب بينها نوع من الفصاحة (كانت آخر جملة في الآية السابقة ﴿الْحَرِيقِ﴾ وآخر جملة في هذه الآية هي ﴿حَرِيرٌ﴾ وهي سمة لكلام الله.

﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ

وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ (٢٤)

التعاليم:

١ - ثمة نعم معنوية إلى جوار النعم المادية الموجودة في الجنة، ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ... وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾.

٢ - الأقوال المحببة هي هدية أهل الجنة، ﴿الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾.

٣ - السير في طريق الله فيه من زينة الباطن وزينة الظاهر، ﴿أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ... الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ... صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾.

٤ - أفضل التوفيق هو حسن العاقبة، ﴿وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفُ فِيهِ وَالْبَاءُ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ
بِالْحَكَامِ يُظْلَمِ نُذْقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ﴿٢٥﴾

إشارات:

□ عن الإمام الصادق عليه السلام في تعقيبه على هذه الآية: «من عبد فيه (المسجد الحرام) غير الله ﷻ، أو تولى فيه غير أولياء الله فهو ملحد بظلم، وعلى الله تبارك وتعالى أن يذيقه من عذاب أليم»^(١).

التعاليم:

- ١ - تدفع العقيدة الفاسدة الإنسان إلى الفعل الفاسد، ﴿كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ﴾.
- ٢ - تمهد صفائر الذنوب لارتكاب الكبائر، ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾.
- ٣ - المراكز الدينية شوكة في عين المنحرفين، ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ... وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾.
- ٤ - يجب أن تُحدّد قوانين مكة من جانب المالك الحقيقي لها، ﴿جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً...﴾.
- ٥ - المسجد الحرام منطقة دولية، وليس حقاً من حقوق أي فرد أو دولة أو حكومة، هو تماماً كالسماوات والمحيطات، ﴿سَوَاءً الْعَكْفُ فِيهِ وَالْبَاءُ﴾.
- ٦ - يعاقب الله المنحرفين حتماً، وليس هناك أي كافر أو ظالم في أمان من العذاب الإلهي، ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾.
- ٧ - ليست الأماكن سواء، ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ...﴾ (يجب أن يكون المسجد الحرام مركز أمن بالنسبة للجميع).

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٤٨٣؛ الكافي، ج ١، ص ٣٣٧.

- ٨ - يختلف حساب الانحراف المتعمد الذي يقع عن وعي من أجل الظلم، عن الانحراف العرضي الذي يقع عن غير وعي، يَصُدُّونَ... وَمَنْ يُرِدْ.
- ٩ - يترتب على إهانة المقدسات والمراكز الدينية العذاب الشديد، ﴿تَذِقُهُ مِنْ عَذَابٍ﴾.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا
وَلَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾

التعاليم:

- ١ - قصة الكعبة وما جرى من إبراهيم، حادثة لا ينبغي نسيانها، ﴿وَإِذْ﴾.
- ٢ - نحن جميعاً في حاجة إلى التوفيق الإلهي، ﴿بَوَّأْنَا﴾.
- ٣ - يجب أن توضع الأماكن المقدسة تحت سيطرة الأفراد المقدسين، ﴿بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ﴾.
- ٤ - كانت الكعبة معروفة للناس منذ أقدم العصور، ﴿الْبَيْتِ﴾.
- ٥ - لا يقبل الله أي شكل من أشكال الشرك، ﴿لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾.
- ٦ - طهارة الباطن مقدمة على طهارة الظاهر، ﴿لَا تُشْرِكْ... وَلَطَهَّرَ بَيْتِي﴾.
- ٧ - الخدمة في المسجد وبيت الله فخر لإبراهيم عليه السلام، ﴿وَلَطَهَّرَ بَيْتِي﴾.
- ٨ - بناء الذات وحده لا يكفي، وإنما لا بد من خدمة الناس أيضاً، ﴿وَلَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾.
- ٩ - كل مكان يُنسب إلى الله هو مكان مقدس، وعلى الجميع أن يحترموا ذلك المكان، ﴿وَلَطَهَّرَ بَيْتِي﴾.
- ١٠ - يجب أن يكون مكانُ العبادة طاهراً، ﴿وَلَطَهَّرَ بَيْتِي﴾.
- ١١ - إن الصلاة والمُصلي عزيزان بالقدر الذي ينبغي معه على إبراهيم أن يخدم مكانهما، ﴿وَلَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ... وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.
- ١٢ - حق المسجد الحرام هو الطواف والقيام والصلاة، وللطواف من بين تلك

المناسك ثوابٌ أكبر، ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ (ربما كان ذكر الطواف الذي ورد قبل الركوع إشارة إلى أن الطواف أهم من الصلاة في المسجد الحرام).

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا
وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾

إشارات:

□ تعني كلمة «ضامِر» الحيوان الذي ذاب شحم بدنه، واكتنزت العضلات في جسمه، فهو رشيق سريع، كالحيوان الذي تم تدريبه بدنياً واستعد من أجل السباق. ويقول الإمام علي عليه السلام في الخطبة ٢٨ من نهج البلاغة: «اليوم المضمار وغداً السباق»، أي عليكم أن تجعلوا أنفسكم أكثر خِفَّةً وسرعة حتى تستطيعوا أن تسبقوا يوم القيامة.

□ ونحن نقرأ في الروايات: «وَلَمَّا فَرَغَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يُؤْذِنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ - فَقَالَ: يَا رَبِّ وَمَا يَبْلُغُ صَوْتِي - فَقَالَ اللَّهُ أَدُنْ عَلَيْكَ الْأَذَانُ وَعَلَيَّ الْبَلَاغُ»^(١).

□ أول واجبات زوار الكعبة هو ارتداء ثياب الإحرام، وترداد «لييك اللهم لييك»، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «فجعل الله ﷻ تلك الإجابة شعار الحاج...»^(٢).

□ ورد في بعض الأخبار أَنَّ النَّبِيَّ الْأَكْرَمَ ﷺ أمر المؤذنين أن يؤذّنوا بأعلى أصواتهم، بأن رسول الله يحجّ في عامه هذا، فعلم به من حضر في المدينة وأهل العوالي والأعراب، واجتمعوا لحجّ رسول الله ﷺ، وإنّما كانوا تابعين ينظرون ما يؤمرون ويتبعونه أو يصنع شيئاً فيصنعونه...^(٣).

(١) تفسير القمي، ج ٢، ص ٨٣.

(٢) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ١٣١؛ علل الشرائع، ص ٤١٦.

(٣) تفسير نور الثقلين، ج ١، ص ١٤٦؛ الكافي، ج ٤، ص ٢٤٥.

التعاليم:

- ١ - سوف يؤثر نداء أولياء الله اليوم في من سيأتي في المستقبل، ﴿وَأَذِّنْ... يَأْتُونَكَ﴾.
- ٢ - الأنبياء من رواد الأمر بالمعروف، ﴿وَأَذِّنْ﴾.
- ٣ - الذهاب إلى الحج هو وصول إلى مكان حضور أولياء الله، ﴿يَأْتُونَكَ﴾ (لم يقل الله تعالى: «يأتوه»، نعم، فالمحور في مراسم الحج هو الزعيم الإلهي).
- ٤ - الله تعالى يُخبر عن الغيب وعما سيأتي في مستقبل التاريخ، ﴿يَأْتُونَكَ... يَأْتِينَ﴾.
- ٥ - على كل مُكَلَّف بالقيام بعمل من الأعمال أن يُجهز مقدماته، ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ...﴾.
- ٦ - يستحسن الذهاب إلى الحج سيراً على الأقدام أكثر من الركوب، (قد يُستفاد هذا المعنى من ورود كلمة ﴿رِجَالًا﴾ قبل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ...﴾).
- ٧ - إذا وُجدت الإرادة والعشق في العمل الذي نقوم به فإن الإمكانات تأتي في المرحلة التالية، ﴿رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾؛ أي أن القدوم تدعو إليه الرغبة ولو دون وسائل.
- ٨ - الحج وحده هو المقصد الذي يسافر من أجله المسافرون على الدوام ومن كل مناطق العالم، ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ
عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَاسَ الْفَقِيرِ﴾ (١٨)

إشارات:

- عن الإمام الصادق عليه السلام: «﴿أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ﴾ هي أيام التشريق، أي أيام ١١ و ١٢ و ١٣ من شهر ذي الحجة»^(١).

(١) تفسير نور الثقلين، ج ١، ص ١٩٨؛ ومعاني الأخبار، ص ٢٩٧.

- وعنه عليه السلام أيضاً: أن المراد من ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ «هو التكبير والجُمْل التي تليه مما يُقال عقيب خمس عشرة صلاة أولها صلاة ظهر يوم عيد الأضحى»^(١).
- وعن الإمام الكاظم عليه السلام في الرد على مَنْ سألَه عن الرجل يُعطي الأضحية مَنْ يسلخها بجلدها: «لا بأس به، إنما قال الله ﷻ: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا...﴾ والجلد لا يُؤكل ولا يُطعم»^(٢).

□ ملامح الحج:

- الحج تعبئة عامة ومناورة للموحدين، من شتى أنحاء الدنيا.
- الحج مظهر جميل للعشق والتعبد.
- الحج يبقى سيرة الأنبياء وخدماتهم حية في النفوس، ومنهم إبراهيم وإسماعيل ومحمد (سلام الله عليهم أجمعين).
- الحج مركز اجتماعات دولي للمسلمين الوافدين إليه.
- الحج مركز للعلاقات وتبادل الأخبار والمعلومات الخاصة بالعالم الإسلامي.
- الحج دعامة لاقتصاد المسلمين، ووسيلة لإيجاد عمل لعشرات الآلاف من المسلمين.
- الحج أفضل فرصة وأنسب وقت من أجل الدعوة الإسلامية، وفضح المؤامرات، وحماية المظلومين، والبراءة من الكفار، وبث الرعب والوحشة في قلوبهم.
- الحج أفضل فرصة وأنسب وقت للتوبة وذكر الموت والمعاد، والانقطاع عن كل شيء، ورؤية صحراء عرفات والمشاعر المقدسة، والجلوس انتظاراً للمهدي الموعود عليه السلام.

(٢) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٤٩٩.

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٤٩٠.

التعاليم:

- ١ - يجب على المسلمين أن يتواجدوا في الساحة من أجل الحصول على المنافع المادية والمعنوية للحج، ﴿لِيَشْهَدُوا﴾.
- ٢ - منافع الحج مهمة، حتى إن قدرها كامل لا يُنتقص ولو جاء الناس من أقصى بقاع الأرض، ﴿فَيَجَّ عَمِيقٍ... لِيَشْهَدُوا﴾.
- ٣ - تنفيذ أمر الله ونية التقرب إليه في الحج لا يتعارضان مع تحصيل المنافع الثانوية المختلفة، ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفَعٍ لَّهُمْ﴾.
- ٤ - الأوامر الإلهية تصب في مصلحة الناس، ﴿مَنَفَعٍ لَّهُمْ﴾.
- ٥ - في الحج منافع دنيوية وكذلك أخروية، (جاءت كلمة «مَنَفَعٍ» مطلقة، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: أن أحدهم سأله عن المنافع المذكورة في الآية هل منافع الدنيا أو الآخرة؟ فقال عليه السلام: «الكل»^(١)).
- ٦ - فلسفة العبادات هي ذكر الله، ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾؛ (ونحن نقرأ حول فلسفة الصلاة أيضاً: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرٍ﴾، أي أقم الصلاة من أجل ذكر الله).
- ٧ - عنصر الزمان عنصر مؤثر في التضرع والدعاء، ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ (العبادات الإسلامية مؤقتة بتوقيت مخصوص).
- ٨ - الأنعام واستسلامها في مواجهة الإنسان والتضحية بها والفوائد الأخرى التي تأتي من ورائها من النعم الإلهية التي أنعم الله بها على الإنسان، ﴿رَزَقَهُمْ﴾.
- ٩ - الاستفادة من لحوم الأضحية جائزة بالنسبة لزوار بيت الله، ﴿فَكُلُوا﴾ (على خلاف العادات في زمن الجاهلية التي كانت تُحرم على الحاج استهلاكها).
- ١٠ - يجب أن يصاحب الحضور إلى الحج والوصول إلى منفعه إزالة الفقر والقضاء عليه، ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ﴾.
- ١١ - يجب ألا يغفل الأغنياء عند اجتماعهم في الحج عن الفقراء، ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾.

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٤٨٨؛ الكافي، ج ٤، ص ٤٢٢.

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ
وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾

إشارات:

□ تعني كلمة «تَفَث» الوسخ المتراكم على الشعر والظفر والشارب، و«قضاء التفث» يعني الخروج من الإحرام بالأخذ من الأظافر وقص الشعر، ثم الطواف حول الكعبة من أجل مواصلة أعمال الحج.

□ كلمة «عَتِيق» تعني قديم، وتُقال كلمة عتيق للأشياء القديمة.

□ هناك ثلاثة أعمال واجبة على زوّار بيت الله في يوم عيد الأضحى على أرض منى بجوار مكة:

١ - رمي سبع حصوات على موضع الشيطان، وهو ما يُسمى «رمي الجمرات».

٢ - ذبح الأضحية، وهو ما وردت الإشارة إليه في الآية السابقة.

٣ - حلق شعر الرأس أو تقصيره والأخذ من الأظافر، وهو ما ورد في هذه الآية.

□ عن الإمام الباقر عليه السلام: «ليس من بيت وضعه الله على وجه الأرض إلا له رب وسكان يسكنونه غير هذا البيت، فإنه لا رب له إلا الله وهو الحر»^(١).

التعاليم:

١ - الصحة والنظافة شرطان للدخول في بعض العبادات من قبيل الصلاة، وهما جزء منها في بعضها الآخر كالحج، ويُعدّان شرطاً لكمالها في مواضع من قبيل قراءة القرآن والاعتكاف، ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾.

- ٢ - سُنَّةُ إِزَالَةِ الْأَوْسَاخِ الْمُتْرَاكِمَةِ عَلَى الْجَسَدِ وَالتَّخْلُصِ مِنْهَا أَمْرٌ حَتْمِيٌّ وَجَدِيٌّ، وَلَيْسَ عَلَى سَبِيلِ التَّوَصِيَةِ، ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا﴾.
- ٣ - الْأَوْسَاخُ مِنَ الْإِنْسَانِ نَفْسُهُ وَلَيْسَتْ مِنَ الْخَارِجِ، ﴿تَقْتَهُمْ﴾، أَمَّا الْمَنَافِعُ فَهِيَ فَضْلُ إِلَهِيٍّ، وَقَدْ جُعِلَتْ هَذِهِ الْمَنَافِعُ مِنْ أَجْلِ الْإِنْسَانِ، ﴿مَنْفَعٌ لَهُمْ﴾.
- ٤ - يَجِبُ التَّحَرُّرُ مِنَ الْأَوْسَاخِ وَالتَّعَهُدَاتِ مِنْ أَجْلِ الطَّوَافِ حَوْلَ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ الْحَرِّ، ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا... وَلِيُوفُوا... وَلِيَبْطُفُوا﴾.
- ٥ - الْوَفَاءُ بِالنَّذْرِ أَمْرٌ وَاجِبٌ، ﴿وَلِيُوفُوا﴾.
- ٦ - مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ تَكُونَ لِلْأَقْدَمِيَةِ قِيَمَةٌ، ﴿الْعَتِيقِ﴾.
- ٧ - بَيْتُ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ وَلَنْ يَكُونَ مُلْكًا لِأَيِّ إِنْسَانٍ، ﴿الْعَتِيقِ﴾.

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِ
وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَمُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ
مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾

إشارات:

- ذُكِرَتْ تَعْرِيفَاتٌ كَثِيرَةٌ لِعِبَارَةِ «قَوْلُ الزُّورِ»، مِنْ بَيْنِهَا: الْكُذْبُ، شَهَادَةُ الزُّورِ وَالْغِنَاءُ. كَمَا ذُكِرَتْ تَعْرِيفَاتٌ حَوْلَ «حُرْمَاتِ اللَّهِ»، مِنْ قِبَلِ قَانُونِ اللَّهِ وَكِتَابِ اللَّهِ وَأَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا بَدَّ مِنْ حِفْظِ حُرْمَةِ هَؤُلَاءِ جَمِيعاً^(١).
- وَرَدَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ فِي الرِّوَايَاتِ وَالْأَحَادِيثِ إِلَى جَانِبِ الشَّرْكِ بِاللَّهِ، كَمَا إِنَّ قَوْلَ الزُّورِ مِنَ الْكِبَائِرِ كَمَا وَرَدَ فِي عِدَّةٍ مِنَ الرِّوَايَاتِ^(٢).

التعاليم:

- ١ - عَلَيْنَا أَنْ نُعْظِمَ مَا أَحْتَرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتَ اللَّهِ﴾ (عَلَيْنَا أَنْ نَذْكُرَ الْأَوَامِرَ الْإِلَهِيَّةَ بِاحْتِرَامٍ وَتَعْظِيمٍ، وَأَنْ نَنْفِذَهَا بِسُرُورٍ وَاهْتِمَامٍ).

(١) تفسير كثر الدقائق.

(٢) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٤٩٦ - ٤٩٧؛ بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ٢١٦ - ٢١٧.

- ٢ - احترام القوانين والمقدسات الإلهية يعود علينا بالنفع، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، وثواب هذا الاحترام عند الله تعالى، ﴿عِنْدَ رَبِّهِ﴾.
- ٣ - الأصل في الأنعام والبهائم أنها حلال، إلا أن يكون لدينا دليل خاص من الوحي ذاته بتحريمها، ﴿أُحِلَّتْ... إِلَّا مَا يَنْتَى﴾.
- ٤ - عبادة الأوثان رجس، ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ (كانت مراسم الحج وذبح الأضحية مختلطة بالشرك والوثنية)، ﴿فَاجْتَنِبُوا﴾.

﴿حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ ﴿٣١﴾

إشارات:

- «حُفَاءَ» جمع حنيف، وتعني الشخص الذي يتبع الدين الحق.
- ال «خُطَفَ» الجذب السريع، وكلمة «سحيق» تعني بعيد.
- التوحيد يُعطي قيمة لكل شيء، والشرك يسلب القيمة من أفضل المخلوقات. فالهدهد - الذي آمن برب العالمين - وصل إلى حد أن صار وسيلة الهداية لمنطقة كاملة بسبب شفقتة على الناس واهتمامه بهدائهم؛ ولكن الإنسان يسقط بسبب الشرك كما يسقط الطعام الذي يتخطفه الطير ليأكله.
- تَصَلَحُ أمثال القرآن في أي زمان أو مكان، وهي أمثال طبيعية ويمكن فهمها كذلك، ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾.

التعاليم:

- ١ - التضحية والطواف والوفاء بالنذر والأعمال كلها من أجل الله وحده، ﴿حُفَاءَ لِلَّهِ﴾.
- ٢ - كل قوة نتصل بها غير قوة الله تكون نهايتها السقوط، حتى القوى العظمى، ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ... خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾.

- ٣ - الشرك كبيرة لا تُغتفر لأي شخص، ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ﴾.
- ٤ - التوحيد والإخلاص يعطيان الإنسان منزلة سماوية، والشرك يهوي بالإنسان من تلك المنزلة، والمشرِك كالطعام الذي تتخطفه الطير، ﴿خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ﴾.
- ٥ - لا توجد مهلة بين الانفصال عن الله والسقوط والتحول إلى فريسة للصيادين، ﴿فَتَخَطَّفَهُ﴾ (حرف الفاء وكلمة «خطف»).
- ٦ - إذا لم يكن أقدس الأعمال (الطواف) في أقدس الأماكن (المسجد الحرام) وفي أقدس الأيام (عيد الأضحى)، مصحوباً بالإخلاص؛ فإن العقوبة ستكون السقوط وليس الارتقاء، ﴿مَنْ يُشْرِكْ... خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ..﴾.
- ٧ - الإخلاص يحفظ الإنسان ويحميه في مواجهة الرياح والأعاصير، والجحود يُلقِي به في مسار الأعاصير، ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ﴾.
- ٨ - لا يُبْقِي الشرك على أي ثراء أو قوة ولو كان قليلاً، أو كان للحظة واحدة، ﴿خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ... فِي مَكَانٍ سَجِيٍّ﴾.

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْكِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (٣٢)

إشارات:

□ سمى القرآن الكريم في الآيات الأخرى، شعيرتين من شعائر الحج ومراسمه واعتبرهما جزءاً من الشعائر الإلهية صراحةً: إحداهما «الصفاء والمروة»، والأخرى «نحر إبل الأضحية»، ولكن الشعائر الإلهية لا تتلخص في هاتين الشعيرتين، والعبادات الجماعية كلها من شعائر الله تعالى، كصلاة الجمعة والجماعات ومراسم الحج جميعها.

□ التقوى من الحالات الروحية التي يمكن تتبع وجودها من آثارها وعلاماتها؛ لأن الأعمال الظاهرية ليس فيها فرق كبير بين الذنب والثواب، فالصلاة الخالصة لله على سبيل المثال، هي نفسها الصلاة الممزوجة بالرياء من حيث الظاهر، وما يجعل إحداهما ذات قيمة ويُفقد الأخرى قيمتها هو روح العمل وباطنه، وهو ما يرتبط بالقلوب، ﴿تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

التعاليم:

١ - يجب أن يكون للتقوى الداخلية آثار خارجية أيضاً، وكل من لا يعتني بالشعائر تكون تقواه القلبية قليلة في الحقيقة، ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

٢ - يجب أن يكون التعظيم على أساس التقوى، وليس على أساس التنافس، ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ... تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى
ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (٣٣)

إشارات:

□ يظن البعض أنه ليس لأحد الحق في ركوب الإبل أو الحيوانات الأخرى التي تم تحديدها من أجل الأضحية أو حلب ألبانها. وهذه الآية تردّ هذا التفكير وترفضه.

التعاليم:

١ - يضمن تعظيم الشعائر مصالحكم المادية أيضاً، ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾.

٢ - محور مراسم الحج وشعائره هو الكعبة، ﴿وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ... مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ
مِّنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَالْيَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ (٣٤)

إشارات:

□ كلمة «مُخْبِتِينَ» من «الخبث» التي تعني الأرض الواسعة المستوية التي تخلو من الوهاد والنجاد، والمُخْبِتِ صفة يوصف بها الإنسان الهادئ المطمئن الذي يبعد عن أي لون من ألوان التفكير في الشرك.

□ كلمة «مَنَسْكَ» إما هي مصدر وإما اسم زمان وإما اسم مكان، ولهذا فإن المعنى يكون على النحو التالي: لقد وضعنا لكل أمة منهجاً للعبادة، أو حددنا لها زمناً للأضحية، أو مكاناً من أجل ذلك الأمر.

التعاليم:

- ١ - كانت شَعيرة تقديم الأضاحي والقرايين أمراً معروفاً في الأديان السماوية جميعها، ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ...﴾.
- ٢ - يجب أن نذكر اسم الله تعالى عند ذبح الأضحية، ﴿يَذْكُرُوا﴾.
- ٣ - يجب أن يكون أسلوب عبادة الله عن طريق الوحي فقط، ﴿جَعَلْنَا مَنَسْكَ﴾.
- ٤ - آلهنا هو الإله الواحد، ﴿فَاللَّهُكُمُ إِلَهُ وَحْدٌ﴾، وهو نفسه الإله الذي يضمن لنا ديننا ﴿جَعَلْنَا مَنَسْكَ﴾، وديننا كذلك، ﴿رَزَقْنَاهُمْ مِنْ بَيْمَتِهِ الْأَنْفَاطِ﴾.
- ٥ - يملك اسم الله تعالى القدر والقيمة، لدرجة أن لحم الحيوان يكون لحماً حلالاً عندما يجري اسم الله على اللسان وقت ذبحه، وإلا فإنه سيكون حراماً، ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾.
- ٦ - يجب أن يُحاطَ طعام الإنسان الذي يعبد الله بالبركة الإلهية كذلك، ﴿يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ من خلال ذكر اسم الله.
- ٧ - عليكم ألا تستسلموا إلا لله تعالى، ﴿فَلَهُ اسْلِمُوا﴾.
- ٨ - بما أن ذكر اسم الله كان مطروحاً في الأديان كلها، فخالق الجميع واحد إذن؛ لأنه لو كان هناك إله آخر لطرحت هذه المراسم في صور أخرى، ﴿فَاللَّهُكُمُ إِلَهُ وَحْدٌ﴾ (حرف «الفاء» يأتي من أجل النتيجة، أي أن وحدة المدرسة علامة على وحدة المعبود).
- ٩ - البشارات الإلهية خاصة بأولئك المتواضعين الذين يسلمون لله، ﴿وَيَشِيرَ الْمُخْنِبِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ
وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿٣٥﴾

إشارات:

□ يمنح ذكرُ الله الطمأنينةَ لأهل الإيمان، كما أنه يصيبهم بالخوف أيضاً، وذلك كالطفل الذي يهدأ ويطمئن بذكر والديه، ويخشى منهما في الوقت نفسه ويرهبهما.

التعاليم:

- ١ - الخوف من الله والخشية الداخلية منه قيمة من القيم، ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.
- ٢ - التقوى مُقدَّمة على كل أشكال الكمال، ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ... وَالصَّابِرِينَ...﴾.
- ٣ - الثبات والصبر هما الأساس في أداء التكاليف بعد التقوى، ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾.
- ٤ - الصبر الذي له قيمة هو الذي يستمر عند مواجهة الصعاب والمشكلات، ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾.
- ٥ - لا تنفصل العلاقة بالله عن العلاقة بالمحرومين والفقراء، ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ... يُنفِقُونَ﴾.
- ٦ - العطاء لا ينحصر في المال فقط، وإنما يمكن الإنفاق من العلم والجاه والفضل أيضاً، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾.
- ٧ - للإنفاق قيمة حينما يكون إنفاقاً متصلاً، (كلمة ﴿يُنْفِقُونَ﴾ فعل مضارع يدل على الاستمرار).
- ٨ - لا بدّ من الاعتدال والوسطية في الإنفاق أيضاً، ﴿وَمِمَّا...﴾.
- ٩ - الأموال والثروات رِزْقُ إلهي للإنسان، ﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾.

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّنْ شَعْتِيرِ ۚ إِنَّكُمْ فِيهَا خَبِيرٌ فَادْكُرُوا ۚ
 اِسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٌ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ
 وَالْمَعْتَرَّ ۚ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

إشارات:

□ «بُدن» جمع «بُدنة»، وتعني الجمل السليم البدين، وكلمة «صواف» تعني الحيوان الذي قام على ثلاثة قوائم وقد عُقل القائم الرابع.

□ جملة «وَجَبَتْ جُنُوبَهَا» تعني استقرت على جنبها، وهي كناية عن إسلام الحيوان الروح. «والقانع» الذي يرضى بما أعطيته ولا يسخط ولا يكلح ولا يرتد شذقه غضباً؛ والمعتَر المار بك تطعمه^(١).

□ كلما طرح موضوع الأكل في الإسلام ذكر إلى جواره تكليف آخر:

- ﴿كُلُوا... وَلَا تُسْرِفُوا﴾^(٢) كلوا ولكن لا تسرفوا في الأكل.

- ﴿كُلُوا... وَأَطْعِمُوا﴾^(٣) كلوا وأطعموا الآخرين.

- ﴿كُلُوا... وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾^(٤) كلوا واعملوا عملاً صالحاً.

- ﴿كُلُوا... وَاشْكُرُوا﴾^(٥) كلوا واحمدوا الله.

التعاليم:

١ - عليكم أن تنفقوا بسخاء في تعظيم الشعائر الإلهية، ﴿وَالْبُدْنَ﴾ («البدن» تعني الجمل الضخم).

(١) تفسير نور الثقلين؛ الكافي، ج ٣، ص ٤٩٩.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٣١.

(٣) سورة الحج: الآية ٣٦.

(٤) سورة المؤمنون: الآية ٥١.

(٥) سورة سبأ: الآية ١٥.

- ٢ - كان العربي في الجاهلية يعتقد أن لحم الأضحية لا تجوز الاستفادة منه. فجاءت الآية بنفي الاعتقاد المذكور، ﴿فَكُلُوا﴾.
- ٣ - المهم في تعظيم الشعائر الدينية هو الاهتمام الرباني والغاية الإلهية، سواء أكان التعظيم للجماذ أم للحيوان، ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾، ﴿وَالْبُدْنَ... مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾.
- ٤ - يجب أن تُحدّد الأحكام الدينية عن طريق الوحي، ﴿جَعَلْنَا﴾.
- ٥ - تضمن الشعائر الإلهية مصالح الناس، ﴿لَكُمْ﴾ (على خلاف التضحية من أجل الأصنام أو الإنفاق بإسراف وتبذير).
- ٦ - ذكر الله موجود أيضاً في موضوع التغذية في مدرسة الإسلام التربوية، ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾.
- ٧ - أفضل أسلوب للتضحية بالجمال هو نحرها حال وقوفها، ﴿صَوَّافٌ﴾.
- ٨ - يُمنع أكل لحم الحيوان واستهلاكه ما دامت الروح في بدنه، ﴿فَإِذَا وَجِئْتَ جَوُفَهَا فَكُلُوا﴾.
- ٩ - يجب أن يُقسّم لحم الأضحية (بين صاحبها والآخرين)، ﴿كُلُوا... وَأَطْعِمُوا﴾.
- ١٠ - عليكم بتفقد الجماعات المُعدمة كلها والبحث عنها، ﴿الْقَانِغُ... وَالْمُعْتَرُّ﴾.
- ١١ - التضحية ينبغي أن تكون في المكان الذي يمرُّ به الفقراء، ﴿وَالْمُعْتَرُّ﴾.
- ١٢ - تطويع الحيوانات للإنسان وتسخيرها له، وأكل لحوم الأضحية وإطعام الآخرين منها، وذبح الحيوانات ونحرها في مناسك الحج، والإخلاص، واكتساب الصبغة الإلهية، من النعم التي يجب شكر الله عليها، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقَوِيُّ مِنْكُمْ
كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾

المتعاليم:

- ١ - لا يحتاج الله شيئاً من التكاليف والواجبات التي نقوم بها. ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا﴾.

٢ - توجد أهداف سامية وراء المسائل والقضايا الظاهرية للدين (لا ينبغي أن نكتفي بظاهر الأوامر الدينية، لأن باطن الأحكام الإلهية هو التحلي بالإخلاص وروح العبادة والتسليم في مواجهة أوامر الله). ﴿وَلَكِنْ بَيِّنْهُ﴾.

٣ - تنشأ علاقة الإنسان بالله عن طريق التقوى، ﴿بَيِّنْهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾.

٤ - ذكر الله بالتكبير نوع من أنواع الشكر الإلهي، ﴿إِشْكُرُوا لِلَّهِ عَلَىٰ مَا هَدَانَا﴾.

٥ - نعمة الهداية من النعم التي حظيت بتوصية خاصة من أجل شكرها، ﴿وَعَلَىٰ مَا هَدَيْنَاكُمْ﴾.

٦ - لولا فضل الله تعالى علينا لضللنا جميعاً، ﴿هَدَانَاكُمْ﴾.

٧ - الحج ومناسكه مظهر من المظاهر الواضحة للهداية، ﴿وَعَلَىٰ مَا هَدَيْنَاكُمْ﴾.

٨ - القيام بمناسك الحج يضع الإنسان في زمرة المحسنين، ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾

إشارات:

□ من الوعود والسنن الإلهية نصر المؤمنين والدفاع عنهم، وقد قال الله تعالى إن الدفاع عنهم وحمايتهم بمثابة حق يلتزم به: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، ومن المؤكد أن معنى الدفاع والنصرة الإلهية لا يعني دائماً الدفاع والنصر الفوري في فترة قصيرة، وإنما يشتمل كذلك على الدفاع طويل الأمد أيضاً؛ لأنه سبحانه يقول في الآيات الأخرى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾. نعم، من الممكن أن ينهزم المؤمنون هزيمة ظاهرية في الحرب والقتال، ولكن أهدافهم وأفكارهم تنتصر، وهو ما حدث في استشهاد الإمام علي عليه السلام على يد ابن ملجم. لقد قتله ابن ملجم، فهل حماه الله أم حمى علياً عليه السلام؟ إن الذي انتصر

في النهاية هو اسمُ علي، وأبناءُ علي، وكتابُ علي، ومناجاةُ علي، وعِزَّةُ علي، وشيعةُ علي، وتفكيرُ علي.

□ تعني كلمتا «خَوَّان» و«كُفُور» الشخص الذي ديدنه الكفر والخيانة.

التعاليم:

- ١ - تحقَّق الوعد الإلهي بالدفاع عن المؤمنين أمرٌ حتميٌّ، ﴿إِنَّ﴾.
- ٢ - المؤمنون ليسوا وحدهم أو عزَّل بلا دفاع، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.
- ٣ - حماية الله أبدية، ﴿يُدْفِعُ﴾.
- ٤ - يُدافع المؤمنون عن حرمة الله، والله سبحانه يدافع عن حرمة المؤمنين. فهو ﴿يُدْفِعُ﴾ وليس (يدفع).
- ٥ - المؤمنون هم أحباء الله. يهتم بأمورهم لذا يدافع عنهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ﴾.
- ٦ - الإيمان هو العنصر الذي يجلب نُصرة الله ودفاعه، ﴿عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، ﴿وَكَاكَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).
- ٧ - غضب الله يكون على أساس المعايير، ﴿يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا... لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾، (دين الله أمانة في أعناقنا، فلا ينبغي أن نخونه) ﴿لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ...﴾.
- ٨ - الناس كلهم سواسية كأسنان المشط أمام الله سبحانه، ﴿كُلَّ خَوَّانٍ﴾ والخيانة لا تُغتفر لأي شخص من الأشخاص.
- ٩ - اعتياد الخيانة أسوأ من الخيانة، ﴿خَوَّانٍ﴾ وإدمان الكفر أسوأ من الكفر، ﴿كُفُورٍ﴾ ولفظنا «خوان وكفور» تنطوي على صيغة المبالغة من الإمعان.
- ١٠ - الخيانة أرضية للكفر، (وردت كلمة ﴿خَوَّانٍ﴾ أولاً، وبعدها كلمة ﴿كُفُورٍ﴾).
- ١١ - الشخص الذي لا يؤمن خائن لنفسه ولله تعالى ولرسوله ﷺ، (وقعت كلمة ﴿خَوَّانٍ﴾ في مقابل كلمة ﴿ءَامَنُوا﴾).

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾
 ﴿وَلِإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ ﴿٣٩﴾

إشارات:

- قيل إن هذه الآية هي أول آية أذنت للرسول الأكرم ﷺ بالجهاد والحرب المسلحة؛ لأن النبي قطع عدة مراحل في مسيرة الدعوة:
- ١ - الدعوة والإصلاح القلبي وبناء القوة الذاتية.
 - ٢ - التكوين وتعبئة القوى.
 - ٣ - الدفاع أو الهجوم.

التعاليم:

- ١ - لا يجوز الجهاد بدون إذن من الله ورسوله، ﴿أُذِنَ﴾.
- ٢ - المظلومون مسموح لهم أن يجاهدوا بوجه أعداءهم، ﴿أُذِنَ... بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾.
- ٣ - تنزل النُصرة من الله بعد قيامنا نحن وتحركنا، ﴿أُذِنَ... وَلِإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.
- ٤ - عليكم بتقوية الروح المعنوية للمحاربين، ﴿وَلِإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.
- ٥ - الحق منتصر على الباطل، ﴿وَلِإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.
- ٦ - المدد الإلهي لا يقتصر على الجانب العسكري فقط، وإنما يشمل على أنواع عديدة من النُصرة والإمداد، ﴿نَصْرِهِمْ﴾، وقد ورد هنا في صورة مطلقة.
- ٧ - النُصرة الإلهية أمر حتمي، (كلمة «إِنَّ» وحرف اللام في كلمة ﴿لَقَدِيرٌ﴾، والجملة الاسمية).
- ٨ - دائرة المدد الإلهي والعون الرباني للمؤمنين دائرة واسعة، فقد قال تعالى: ﴿قَدِيرٌ﴾ ولم يقل: «قادر».

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ
وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوَامِعُ وَيَعٍ
وَصَلَوَاتٌ وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا
وَلِنَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

إشارات:

□ كلمة «صوامع» جمع «صومعة»، وتعني الدير ومحل عبادة الرهبان ورياضتهم في الصحاري والمغارات. وكلمة «بيع» جمع «بيعة»، وهي مكان عبادة النصارى. وكلمة «صلوات» جمع «صلاة»، وهي الكنيس ومكان عبادة اليهود.

□ خراب المسجد يعني القضاء على الاتحاد وهيبته، وقطع العلاقة مع الإمام العادل، ونسيان الفقراء، وعدم الاطلاع على الأوضاع، والغفلة عن الله. ولهذا لو استطاع العدو لاقتلع هذه المراكز من جذورها ودمرها أولاً، ﴿لَفُتَّتْ صَوَامِعُ وَيَعٍ...﴾.

□ عن الإمام الصادق: «تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام من الذكر الكثير الذي قال الله تعالى فيه: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾»^(١).

التعاليم:

١ - التشرد بعيداً عن الوطن من أجل عقيدة التوحيد أبرز نماذج الظلم وأوضحها، ﴿ظَلِمُوا... الَّذِينَ أُخْرِجُوا﴾.

٢ - التعلق بالوطن والارتباط به حق طبيعي للإنسان، وإخراجه من وطنه سلبٌ لهذا الحق وظلم، ﴿أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾.

٣ - إبعاد المفسدين في الأرض ونفيهم حقٌّ ورد في القرآن الكريم، وإبعاد المؤمنين ظلماً وجوراً، ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾.

- ٤ - يُبْتَلَى الْإِنْسَانُ الْمُتَدِينُ بِالشَّدَائِدِ وَالْمَكَارِهِ، ﴿أُخْرِجُوا... إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ﴾.
- ٥ - الْمُؤْمِنُونَ وَسِيلَةٌ مِنْ وَسَائِلِ تَحْقِيقِ الْإِرَادَةِ الْإِلَهِيَّةِ، ﴿دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾، (الدِّفَاعُ مِنَ اللَّهِ وَلَكِنْ بِيَدِ الْمُؤْمِنِينَ).
- ٦ - يَجِبُ بِذَلِكَ الدَّمُ أحياناً مِنْ أَجْلِ الْمَحَافِظَةِ عَلَى دَوْرِ الْعِبَادَةِ، ﴿دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ...﴾.
- ٧ - الشَّيْءُ الْمُهْمُ هُوَ الدِّفَاعُ عَنْ حُرْمَةِ الْمَسَاجِدِ، سِوَاهُ بِالْحَرْبِ أَوْ بِالْقَلَمِ وَالْبَيَانِ أَوْ بِأَيِّ اسْلُوبٍ آخَرَ، ﴿دَفَعُ اللَّهُ...﴾.
- ٨ - أَهْمُ خُطَّةٍ عِنْدَ الْعَدُوِّ هِيَ الْقَضَاءُ عَلَى الْمَرَكَزِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي تَنْشُرُ الْبِقِظَةَ، ﴿فَلَمَّ مَتَّ﴾، (دَوْرُ الْعِبَادَةِ عَلَامَةٌ عَلَى تَوَاجُدِ الدِّينِ فِي الْمَجْتَمَعِ).
- ٩ - لَيْسَ مَهْماً اسْمُ دَارِ الْعِبَادَةِ، فَالْكَفَّارُ وَالْمُعْتَدُونَ يِعَارِضُونَ ذِكْرَ اللَّهِ وَيَصْدُونَ عَنْ سَبِيلِهِ بِأَيِّ شَكْلِ وَفِي أَيِّ مَكَانٍ، ﴿صَوِّعُ... يَبِعُ... صَلَوَاتُ... وَمَسْجِدُ﴾.
- ١٠ - ذِكْرُ اللَّهِ هُوَ الْهَدَفُ الْأَصِيلُ وَرُوحُ الْأَعْمَالِ فِي الْأَمَاكِنِ الدِّينِيَّةِ، ﴿يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ﴾.
- ١١ - الْمَسَاجِدُ الَّتِي يَمْتَدِّحُهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هِيَ الَّتِي يُذَكِّرُ اللَّهُ فِيهَا كَثِيراً، وَلَا يُكْتَفَى فِيهَا بِالْحَدِّ الْأَدْنَى لَذِكْرِهِ، ﴿وَمَسْجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيراً﴾، (تَكُونُ أَكْثَرُ قَدَاسَةٍ فِي أَيِّ مَكَانٍ يَكْثُرُ فِيهِ ذِكْرُهُ).
- ١٢ - يَنْتَزِلُ الْمَدَدُ الْإِلَهِيُّ وَالتَّصَرُّعُ الرَّبَّانِي بَعْدَ التَّحَرُّكِ وَالسَّعْيِ، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾.

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ
وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٤١)

إشارات:

□ عندما تكون القوة والإمكانات في يد الصالحين فإنهم يُحسنون استثمارها،

وعندما تقع في يد المنافقين الجاحدين فإنهم سيثبون استخدامها. وبناءً على هذا فإن الدنيا والقوة يغدوان نعمة لفريق ونقمة لفريق آخر. وقد ذكر القرآن الكريم نموذجاً لكلا الفريقين: إذا وصل المؤمنون إلى السلطة فإنهم سوف يبحثون عن إقامة الصلاة وأداء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن المنحرفين الجاحدين إذا ما أصبحوا من ذوي السلطان فإن أمرهم لا يفارق الطغيان، ﴿إِذَا الْإِنْسَانُ لَقَفَ﴾^(١) ويسيرون في طريق القضاء على المصادر الاقتصادية وإفناء الجنس البشري، ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَهُنَالِكَ الْخَرْتُ وَالْكَسَلُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾^(٢) ويجرون الناس في النهاية إلى الجحيم، ﴿أَيُّمَّةً يَنْدُعُونَ إِلَى النَّكَارِ﴾^(٣).

التعاليم:

- ١ - يأتي عون الله عن طريق إحياء الدين، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَبْصُرُهُ﴾، ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ...﴾.
- ٢ - يحتاج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى القوة، ﴿مَكَّنَّاهُمْ﴾.
- ٣ - يُهييء انتصار المؤمنين الساحة من أجل العبادة والتعاون المالي والثقافي، ويقضي على الغفلة والغرور، ﴿إِنْ مَكَّنَّاهُمْ...﴾.
- ٤ - الأرض كلها واحدة بالنسبة للمؤمنين، وحيثما امتلك هؤلاء القوة فإنهم سوف يحققون هدفهم المقدس، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾.
- ٥ - علينا أن نعلم أن القوى كلها من الله، ﴿مَكَّنَّا﴾.
- ٦ - الثمرات الأولى لحكم الصالحين هي الصلاة والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ...﴾.
- ٧ - لا تنفصل العلاقة مع الله عن مساعدة المحرومين وتوعية المجتمع ومنع المفساد، ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ...﴾.

(٣) سورة القصص: الآية ٤١.

(١) سورة العلق: الآية ٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٠٥.

- ٨ - إقامة الصلاة وأداء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الواجبات والأعمال المؤكدة المنوطة بمسؤولي الدولة الإسلامية، ﴿أَقَامُوا﴾.
- ٩ - الحكام المؤمنون يفكرون في الارتقاء الروحي ونمو الأمور المعنوية، ويعملون على توفير الرفاهية وحل المشكلات الاقتصادية والقضاء على الفقر وإصلاح المجتمع، ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ...﴾.
- ١٠ - يتمتع المجتمع بحماية الله إذا ما امتلك هذه القيم المحورية الأربعة: الصلاة والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾، ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾.
- ١١ - يكون أمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر مؤثراً في المجتمع عندما تقومون بواجباتكم الفردية أولاً، ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ... وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ﴾.
- ١٢ - تحتاج إقامة الصلاة إلى قوة وإمكانات، ﴿إِنْ مَكَّنَّاهُمْ... أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾.
- ١٣ - الزكاة والصلاة قرينان لا ينفصل أحدهما عن الآخر، ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ (جاءت الزكاة جنباً إلى جنب مع الصلاة في ٢٨ آية من آيات القرآن).
- ١٤ - عليكم ألا تطمئنوا إلى حسن عاقبتكم والنتيجة النهائية لأعمالكم على الرغم من القيام بالتكاليف والواجبات كلها، ولكن ينبغي أن يكون لديكم أمل في الله وتوكل عليه، ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.
- ١٥ - لن تتوفر هذه الإمكانيات في أيديكم إلا زمناً قليلاً، ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.

﴿وَلَنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾
 وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى
 فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾

التعاليم:

- ١ - لا ينبغي أن يمنعنا تكذيب الأعداء من مواصلة الطريق، ﴿وَلَنْ يُكَذِّبُوكَ...﴾.

- ٢ - عليكم ألا تخافوا العدو، ﴿وَلَا يَكْذِبُوكَ﴾ (الله يواسي النبي ويشد من أزره) حتى لو تصدى لكم.
- ٣ - التاريخ يتكرر، ﴿فَقَدْ كَذَبْتَ قَبْلَهُمْ﴾ عبر أزمئة وأمم غابرة.
- ٤ - عليكم بالاستفادة من التاريخ في الترية وأخذ العبرة، ﴿قَبْلِهِمْ﴾.
- ٥ - كُذِّبَ نوح وإبراهيم ولوط من جانب أقوامهم، ﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ... وَقَوْمُ لُوطٍ... قَوْمٌ نَاجٍ﴾، ولكن موسى لم يُكذَّب من قومه، وإنما لقي التكذيب من جانب أقباط مصر؛ لذا قال تعالى: ﴿وَكَذَبَ مُوسَى﴾ ولم يقل سبحانه: «قوم موسى».
- ٦ - جرت سُنَّةُ الله على إرسال الأنبياء، (نوح، إبراهيم، موسى، شعيب، لوط).
- ٧ - يُمهِّل الله تعالى المفسدين، ﴿فَأَمَلَيْتُ﴾ ولكن لا يهملهم.
- ٨ - على المفسدين ألا يَعُدُّوا إمهال الله لهم علامة على محبته أو غفلته، ﴿ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ﴾.

﴿فَكَانَ مِنْ قَرِيبٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ
عَلَى عُرُوشِهَا وَيَثِرُ نَجَاسَتُهُمْ فِي الْقُفْرِ وَمَنْ أَمْلَكَ شَيْئًا﴾

إشارات:

□ كلمة «خاوية» من «خواء»، وتعني الانهيار والسقوط، وكلمة «مَشِيد» تأتي بمعنى القصر المرفوع البنيان، وبمعنى القصر المُزخرف أيضاً.

التعاليم:

- ١ - غضب الله على الظالمين ليس حادثاً جديداً، بل هو سيرة مستمرة عبر الزمن، ﴿فَكَانَ﴾.
- ٢ - عليكم أن تدرسوا التاريخ وتعلموه، ﴿فَكَانَ مِنْ قَرِيبٍ...﴾ لتستفيدوا وتعتبروا.
- ٣ - عاقبة الظلم هي الهلاك والفناء، ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ... أَهْلَكْنَاهَا﴾.
- ٤ - لا سقف يبقى في مواجهة غضب الله ولا أعمدة، ﴿خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا
فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۖ﴾

التعاليم:

- ١ - الرحلات العلمية والتجريبية عمل قيم، ووسيلة مطلوبة من أجل توسيع رقعة المعرفة، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾.
- ٢ - المكان والزمان محلّ للدرس، وأولئك الذين لا يعتبرون يستحقون اللوم والتوبيخ، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾.
- ٣ - ثمة فريق من الناس لا يعملون بنصيحة الرُّسل والأنبياء، ولا يتبعون العقل الذي هو رسول داخلي، ﴿يَعْقِلُونَ بِهَا﴾.
- ٤ - العقل والأذن والعين من أدوات المعرفة، ﴿يَعْقِلُونَ... آذَانٌ... أَبْصَارٌ﴾.
- ٥ - عمى القلب الذي لا يُبصر بالنصيحة أسوأ من عمى العين، ﴿تَعْمَى الْقُلُوبُ﴾ نعم، إن الإصرار على العناد ومعاداة الحق يمسخان الإنسان، ويصلان به إلى حيث لا يدرك الحقيقة بالعقل أو بالعين أو بالأذن.

﴿وَسَنَعْلُوكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ
وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ۖ﴾

إشارات:

□ كان الكفار يسألون الأنبياء مرات ومرات عندما يسمعون تحذيراتهم: متى سيحل بنا ذلك العذاب الإلهي الذي نتحدثون عنه؟ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١)، وهذه الآية تردُّ على سؤالهم، وتطالبهم بالألا يتعجلوا؛ لأنَّ وعد الله لا ريب في مجيئه.

(١) تكررت هذه الآية ست مرات في القرآن الكريم.

التعاليم:

- ١ - علينا ألا نَعُدَّ إمهال الله علامةً على غفلته وتخليه عنا، ﴿يَسْتَعِجِلُونَكَ﴾.
- ٢ - لا ينبغي أن تؤثر علينا اللجاجة والضجيج والأسئلة التي تأتي في غير محلها، ﴿يَسْتَعِجِلُونَكَ﴾.
- ٣ - يختلف الزمان عندنا عنه عند الله تعالى، ﴿وَلَيْتَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾.

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ أَتَيْتُهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ
ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَلِيَ الْمَصِيرُ﴾ (٤٨)

التعاليم:

- ١ - إمهال الظالمين سُنَّةً من السُنن الإلهية، ولهذا فإن عجلتنا لا فائدة منها، ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ أَتَيْتُ﴾.
- ٢ - ظلم الإنسان هو السبب في العذاب الإلهي، ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾.

﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٤٩)
فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾
وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾

التعاليم:

- ١ - لا يتحدث الرُّسل بشيء من عند أنفسهم، ﴿قُلْ﴾ بل هم يرددون الوحي.
- ٢ - إنذار الأنبياء لمصلحة الناس، ﴿لَكُمْ﴾ بمعزل عن أي فائدة تعود على المنذر.
- ٣ - ليس للنبي حق التحكم في الناس والسيطرة عليهم وإجبارهم، ﴿إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.
- ٤ - يحتاج الناس إلى الإنذار أكثر من التبشير، ﴿أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ﴾.
- ٥ - يتحدث النبي مع الناس بوضوح لا لبس فيه، ﴿مُبِينٌ﴾.

- ٦ - لا ينفصل الإيمان عن العمل الصالح، (الاثنان معاً هما شرط التمتع بالثواب الإلهي)، ﴿ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَمْ مَغْفِرَةٌ...﴾.
- ٧ - يتقدم الثواب المعنوي على الثواب المادي، ﴿مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.
- ٨ - يكون للرزق قيمة عندما يقترن بالكرامة والتكريم، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.
- ٩ - لا يستطيع أي إنسان أن يمنع تحقيق الأهداف الإلهية، حتى لو سعى الكفار في ذلك وعملوا من أجله، ﴿سَعَوْا﴾.
- ١٠ - ليس لدى الكفار كلام جديد ولا منطق سديد، وعملهم مجرد سعي من أجل إبطال طريق الحق، ﴿مُعْجِرِينَ﴾.
- ١١ - الجحيم مقر دائم لفريق من الناس، ﴿أَمْحَبَّ الْجَحِيمِ﴾ وهم طبعاً الضالون.
- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾

إشارات:

□ الناس مجموعات عدة في مواجعتهم لوساوس الشيطان:

- ١ - أفراد تعمل وسوسة الشيطان في أرواحهم عملها، ﴿يُؤْتِسُوسُ فِي سُدُورِ النَّاسِ﴾^(١).
- ٢ - البعض يمسهم طائف من الشيطان، ولكنهم سرعان ما ينتبهون لذلك، ويطردونه عنهم، ﴿مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾^(٢).
- ٣ - جماعة يصحبهم الشيطان دائماً، ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(٣).
- أنبياء الله ليسوا من بين أي مجموعة من هذه المجموعات الثلاث، فهم المعصومون، والشيطان ليس قريباً لهم، ولا يوسوس في أرواحهم، ولا يمسهم.

(٣) سورة الزخرف: الآية ٣٦.

(١) سورة الناس: الآية ٥.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٢٠١.

إن الشيطان يُلقى بوسوساته وشبهاته في تدبيرهم وأمنياتهم، وجديرٌ بالذكر أن حساب تدبير الأنبياء وتخطيطهم لأهدافهم ينفصل عن حسابهم الشخصي.

التعاليم:

- ١ - نبي الإسلام ﷺ هو آخر الأنبياء، ﴿قَبْلَكَ﴾ (لا توجد في القرآن كله كلمة «بعدك» عند الحديث عن نبي الإسلام).
- ٢ - كان التضاد بين الحق والباطل حدثاً دائماً، ﴿مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِنَّا نَنصُرُ أَلْفَى الشَّيْطَانُ...﴾.
- ٣ - ليس كل الرسل والأنبياء في مستوى واحد، ﴿رَسُولٍ... نَبِيٍّ﴾ (الرسول مسؤول عن الدعوة الشاملة الواسعة، أمّا النبي فليس على هذا المستوى).
- ٤ - للأنبياء تدبير وتخطيط من أجل أهدافهم، ﴿نَمُتُّ﴾.
- ٥ - لا يؤثر الشيطان في الأنبياء، ولكنه يوسوس في أهدافهم، ﴿أَمْنِيَّتِهِ﴾.
- ٦ - تهدد وساوس الشيطان أفضل الخطط والتدابير أيضاً، ﴿أَمْنِيَّتِهِ﴾.
- ٧ - يمحو الله الباطل في صراعه مع الحق، ويثبت الحق تثبيتاً، ﴿فَيَنْسُخُ اللَّهُ... ثُمَّ يُنَحِّكُمُ﴾.
- ٨ - عليكم ألا تتعجلوا انتصار الحق على الباطل، «كلمة ﴿ثُمَّ﴾ تدل على التراخي وطول المدة».
- ٩ - لا يثبت الحق ويصمد بدون حماية الله تعالى، ﴿يُنَحِّكُمُ اللَّهُ عَائِلَتِهِ﴾.
- ١٠ - التضاد بين الحق والباطل، وانتصار الحق على الباطل، خطة حكيمة من عند الله العليم، ﴿يُنَحِّكُمُ اللَّهُ... عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾.

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ
وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾

التعاليم:

- ١ - ما يُلقى الشيطان من وساوس وشبهات هو وسيلة من أجل اختبار ذوي

القلوب المريضة والقاسية، ﴿فِتْنَةً﴾ (المرض النفسي وقسوة القلب أرضية مناسبة للوقوع في شرك الفتن وفخ الشيطان).

٢ - على الرغم من أن قسوة القلب نوع من أنواع المرض النفسي فإنها وردت منفصلة حتى تبرز أهميتها، ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾.

٣ - قساة القلوب الذين يقعون تحت تأثير وساوس الشيطان يغدون ظالمين، ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ، فَتُخَفِّتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

إشارات:

□ لوساوس الشيطان أثران في تدابير الأنبياء، ونسخها يكون من قبل الله تعالى:

١ - هي وسيلة لاختبار أصحاب القلوب المريضة والقاسية قلوبهم.

٢ - إبطال شبهات الشيطان يسهم في تنوير القلب وإيمان أهل العلم.

التعاليم:

١ - العلم هو الذي يمنح الإنسان القدرة على تمييز الحق من الباطل (وليس المحفوظات التقليدية والسطحية)، ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ...﴾.

٢ - ترتبط العوائد والثمار المادية أو المعنوية في بعض الأحيان بالخلق الشخصي للفرد وطبعه. فهناك شبهة شيطانية تكون فتنة بالنسبة لأصحاب القلوب القاسية؛ ولكنها تصبح مفتاح معرفة بالنسبة لأهل العلم، ﴿لْيَعْلَمَ﴾.

٣ - العلم هبة إلهية توهب للأفراد، ﴿أُوتُوا﴾.

٤ - لا ينبغي لأهل العلم أن يكونوا قساة مرضى القلب؛ لأن عبارة ﴿أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ وقعت في مقابل قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ الذي جاء في الآية السابقة.

- ٥ - العلم من الله ﴿أَوْتُوا الْعِلْمَ﴾، والحق منه ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾، والهداية من عنده أيضاً، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.
- ٦ - يعدُّ العلم والإيمان والخضوع من مراحل تكامل الإنسان، ﴿أَوْتُوا الْعِلْمَ... فَيُؤْمِنُوا... فَتُخَيَّرَ﴾.
- ٧ - يهدي الله كلَّ من يخطو خطوة الإيمان الأولى إلى الخطوات التالية، ﴿فَيُؤْمِنُوا... وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ
السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾

التعاليم:

- ١ - إذا كان الشك مقدمة للبحث والإيمان فهو شكٌّ مهمٌّ ومطلوب، أما إذا كان شكّاً دائماً فإن نهايته هي الانحراف والعذاب، ﴿لَا يَزَالُ﴾.
- ٢ - يجب عدم توقع الإيمان من الناس كلهم؛ لأنه ليس هناك أي دليل واضح أو برهان مؤثر بالنسبة لفريق منهم، ﴿لَا يَزَالُ... فِي مِرْيَةٍ﴾.
- ٣ - يصطدم مَنْ قَبْلَ خط الكفر ورضي بمحاربة الحق بسوء الظن والشك عند مواجهة أي حقيقة، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ﴾.
- ٤ - علينا ألا نغفل أبداً لأن الموت يأتي بغتة والقيامة تقوم فجأة، ﴿بَغْتَةً﴾.
- ٥ - ليست هناك فرصة بعد يوم القيامة لتعويض ما فعلناه في الماضي، ﴿عَقِيمٍ﴾.

﴿الْمَلَأْتُ يَوْمَئِذٍ لَهَّ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾

التعاليم:

- ١ - ليس لأي إنسان أية قوة يوم القيامة إلا بإرادة الله، ﴿الْمَلَأْتُ يَوْمَئِذٍ لَهَّ﴾.
- ٢ - يكون قضاء الله وحكمه على أساس أعمالنا، ﴿يَحْكُمُ... فَالَّذِينَ ءَامَنُوا... جَنَّاتٍ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِيتٌ﴾ (٥٧)

التعاليم:

- ١ - إن معيار حُكم الله يوم القيامة هو كفر الناس وإيمانهم، ﴿يُخَكِّمُ... فَأَلَّذِينَ
ءَامَنُوا... وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾.
- ٢ - إن جزاء من لا يقبل الحق تكبراً هو العذاب المهين، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا
وَكَذَّبُوا... لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِيتٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ
رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (٥٨)
لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ (٥٩)

التعاليم:

- ١ - الهجرة الهادفة فعل ذو قيمة، ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾.
- ٢ - موت المهاجرين يعادل الشهادة، ﴿قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾ (ليس المُهم هو الموت
أو الشهادة، وإنما المُهم هو أن يكون ذلك في سبيل الله).
- ٣ - لا يأس في طريق الله أو قنوط، فإذا حُرِمَ عباد الله الصالحون من متع الدنيا
ولذاتها فإنهم سيصلون إلى نعم الآخرة العظيمة، ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ﴾.
- ٤ - تحقق وعود الله أمر يقيني، ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ﴾ (حرف اللام وحرف النون) للتوكيد.
- ٥ - يكون رزق الدنيا رزقاً حسناً حيناً ومراً حيناً آخر، ولكن أهل الجنة يتمتعون
بالرزق الحسن فقط، ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾.
- ٦ - الرزاق الحقيقي هو الله، والآخرون أسباب ووسائط للرزق فقط، ﴿خَيْرُ
الرَّازِقِينَ﴾.
- ٧ - المسكن الجميل والمكان المقبول من أبرز نماذج الرزق الحسن، ﴿رِزْقًا
حَسَنًا... مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾.

﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾

إشارات:

□ نُقِلَ في تفسير «نمونه» (الأمثل) أَنَّ المشركين قالوا في شهر محرم: سوف نهاجم المسلمين؛ لأنهم يُحرّمون الحرب والقتال في هذا الشهر، ولأنهم لن يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم. لكن هذه الآية تُصرّح بأن الدفاع عن النفس واجب في أي شهر يكون.

التعاليم:

- ١ - الدفاع حق طبيعي لكل إنسان، ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾.
- ٢ - العدل قيمة في كل مكان وأوان، ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ﴾.
- ٣ - الله هو معين المظلومين، ﴿لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾.
- ٤ - لا يقترب عون المظلوم دائماً بالقضاء على الظالم، فالله يُساعد المظلوم، ولكن من الممكن أن يحظى الظالم أيضاً بالعفو الإلهي لسبب من الأسباب، ﴿لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ... لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾

إشارات:

□ قال الله تعالى في الآية السابقة: ﴿لِيَنْصُرَهُ﴾، أي: نحن نُعين المظلوم وننصره. وقد أشار سبحانه في هذه الآية والآية التي تليها إلى أسباب النُصرة وخلفياتها، وهي عبارة عن:

- ١ - قدرة الله، ﴿يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ﴾.

- ٢ - علمه، ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.
- ٣ - كونه الحق سبحانه، ﴿ذَلِكَ يَأْنَّ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ﴾.
- ٤ - عظمته، ﴿الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

التعاليم:

- ١ - وكفيض من فيض فإنَّ قدرة الله وعلمه في تحول الليل والنهار إشارة إلى قدرته على نُصرة عباده، ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ﴾.
- ٢ - تحولات الليل والنهار ليست من قبيل الصدفة، وإنما هناك مُدبّر حكيم وعالم يدبر شؤون العالم، ﴿يُولِجُ...﴾.

﴿ذَلِكَ يَأْنَّ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ
هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (١٧)

التعاليم:

- ١ - يعدّ تحول الليل والنهار دليلاً ناطقاً على تدبير الله وربوبيته ووحدانيته، ﴿ذَلِكَ يَأْنَّ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ﴾.
- ٢ - كل معبود غير الله وهم، ﴿يَأْنَّ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ... مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾.
- ٣ - وحده الله المتعال هو معيار الحق وليس أي شيء آخر، ﴿ذَلِكَ يَأْنَّ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١٧)

التعاليم:

- ١ - التأمل في الكون من مناشئ الإيمان بالله، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

٢ - يعمل الله في عالم الوجود على أساس العوامل الطبيعية، ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ﴾.

٣ - آثار الطبيعة وبركاتها من الله سبحانه (إذا اخضرت الأرض الميتة وابتهجت الطبيعة بفعل الأمطار فإن ذلك من لطف الله)، ﴿فَتُصْبِحُ... إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾

إشارات:

□ وجود الإنسان مُحاط بالفقر من بدايته إلى نهايته، فهو يحتاج إلى الهواء والغذاء والسكن والملبس وأشياء أخرى، وإذا ظن أنه ليس بحاجة إلى أحد في جانب من أموره فإنه سيطغى، وهو الأمر الذي تتبعه أعراض وأخطار من قبيل: اللامبالاة والغفلة والاستغلال. ولكن الله تعالى هو ﴿الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾، فهو الغني المطلق، والمستحق لكل ألوان الحمد والثناء.

التعاليم:

١ - الكون فقير محتاج، والله وحده هو الغني، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ
تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ
إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

إشارات:

□ المقصود بتسخير المخلوقات هو أن تسير جميعها في مسار حاجات الإنسان ومصلحه، فالشمس على سبيل المثال مُسخرة لنا، أي أننا نستفيد منها بالنور والحرارة والدفء...

□ تذكّر السفن إلى جوار النعم الأرضية بسبب دورها المهم، فها هي عجلة الاقتصاد في العالم تتضرّر إذا توقفت السفن يوماً واحداً في زمننا هذا.

التعاليم:

- ١ - التأمل في الخلق يبعث على الإيمان، ويُفجّر العشق أيضاً، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.
 - ٢ - تسخير عالم الوجود مرهون بإرادة الله تعالى، ﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ﴾.
 - ٣ - يستطيع الإنسان أن يُسيطر على الأرض ويتغلب على ظواهرها ومخلوقاتهما، وهو حق مشروع له، ﴿سَخَّرَ لَكُمْ﴾ (الإنسان أشرف المخلوقات على الأرض).
 - ٤ - تسير الطبيعة في مسار الإرادة الإلهية، ﴿تَجْرِي... بِأَمْرِهِ﴾.
 - ٥ - السماء وأجرامها لا يمكن أن تسقط؛ لأن الله قد حفظها من السقوط، ﴿وَيُمْسِكُ﴾.
 - ٦ - يحتاج قيام نظام الخلق إلى حفظ دائم من الله لحمايته من الانهيار والتهوي، ﴿يُمْسِكُ﴾.
 - ٧ - القوانين الطبيعية لا تمنع الإرادة الإلهية، ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.
 - ٨ - يعود السبب في الفضل الإلهي إلى رافة الله ولطفه، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.
- وما تسخير الطبيعة من أجل الإنسان وحركة السفن في البحر وصيانة الأرض من اصطدام الكواكب السماوية بها إلّا مظاهر للرأفة الإلهية الواسعة والرحمة الربانية الشاملة، ﴿سَخَّرَ لَكُمْ... تَجْرِي فِي الْبَحْرِ... وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ... لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.
- ٩ - كل الناس مشمولون بلطف الله تعالى، ﴿بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ...﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾
 ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ (١٦)

التعاليم:

- ١ - على الرغم من أن موت الإنسان وحياته وماضيه وحاضره ومستقبله بيد الله

تعالى فإن الإنسان يُظهر العصيان والجحود، ﴿أَخْيَاكُمْ... إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُكَ فِي الْأَمْرِ
وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَمَلَكٌ هُدًى مُّسْتَقِيمٌ﴾ (٧)

إشارات:

□ يجب أن تصدر للإنسان أوامر جديدة في الظروف المختلفة بالإضافة إلى الأوامر العامة والثابتة؛ لأن الإنسان لديه احتياجات موسمية واجتماعية متغيرة. كالطبيب الذي يُغيّر ما يقرره من أنواع الدواء باختلاف حالة المريض وظروفه، والفقهاء في زماننا يحددون للمسلمين القضايا الجديدة في إطار القوانين العامة والثابتة.

□ قال بعضُ إنّ كلمة «مَنْسَكٌ» مصدر بمعنى «النَّسْكُ» وتقديم الأضحية، وبهذا يكون معنى هذه الآية هو: نحن قررنا لكل أمة نوع الأضحية والقرايين التي كانوا يقدمونها، وبناءً على هذا فإن المشركين لا يحق لهم أن يتملصوا من منسك التضحية عندك.

التعاليم:

- ١ - لا يترك الله أُمَّةً من الأمم بدون منهج، ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾.
- ٢ - يجب أن يكون الدين من عند الله تعالى، ﴿جَعَلْنَا﴾.
- ٣ - يجب على الناس أن يسيروا في طريق الله، ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾.
- ٤ - وظيفة الداعية هي هداية الأمة والاستقامة على هذا الطريق، ﴿وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾.
- ٥ - الطريق الصحيح هو طريق الأنبياء، ﴿إِنَّكَ لَمَلَكٌ هُدًى﴾.
- ٦ - تقوية قادة الحق ضرورة لازمة في مواجهة جدال المعارضين ومعاداتهم وتثبيطهم للعزيمة، ﴿فَلَا يُنْزِعُكَ فِي الْأَمْرِ... إِنَّكَ لَمَلَكٌ هُدًى مُّسْتَقِيمٌ﴾.

٧ - يجب على مَنْ يتصدى لمسؤولية إرشاد الآخرين أن يُحكِم سيطرته على طريق الحق والاستقامة، ﴿لَمَّا هَذَى مُسْتَقِيرٌ﴾، ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيرٍ﴾^(١) (كلمة «على» ترمز إلى السيطرة).

﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(١٨)
 اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾

التعاليم:

- ١ - يُواسي الله تعالى رسوله ويُعلمه، ﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ﴾.
- ٢ - كان الأنبياء يتعرضون لعناد المعاندين على الرغم من كل هذا المنطق وكل تلك المعجزات التي قدّموها، ﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ﴾.
- ٣ - ذكر الله وتفويض الأمر إليه أفضل وسيلة من أجل الراحة والسكينة، ﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ...﴾.
- ٤ - لا تصطدموا بالمعاندين وأهل الجدل، ﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ﴾.
- ٥ - الله تعالى هو نفسه القاضي والحكم يوم القيامة، وهو الشاهد والعالم، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ... اللَّهُ يَحْكُمُ﴾ (يكون القضاء الكامل في ظل العلم الكامل).
- ٦ - الإيمان بعلم الله وحُكمه يريح المؤمنين ويطمئنهم، ويهدد الكافرين ويزعجهم، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ... اللَّهُ يَحْكُمُ﴾.
- ٧ - الإيمان بالقيامة هو أفضل مؤشر من أجل كبح جماح الاختلافات والمجادلات، ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾.
- ٨ - للصدام بين جبهة الحق وجبهة الباطل تاريخ طويل، ﴿كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (كلمة «كُنْتُمْ» المصاحبة للفعل المضارع علامة على التاريخ الطويل).

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ
فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾

التعاليم:

- ١ - علم الله شمل الكون دون استثناء، ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾.
- ٢ - علم الله مثبت في كتاب، ﴿فِي كِتَابٍ﴾ (أو أن الأعمال التي ستقومون بها، مما وردت الإشارة إليه في الآيتين السابقتين، مثبتة في الكتاب).
- ٣ - إحاطة علم الله بالأمور كلها وإثباتها في كتاب مخصوص أمر يسير على الله، ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ
وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾

إشارات:

- كانت وجهة نظر المشركين هي أن العالم يخضع لتدبير الآلهة (الأرباب)، وتقول هذه الآية: إن الله لم يجعل لكم أي دليل أو مستند حول هذه العقيدة، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ﴾ ولم يحتكم عليها.
- ربما كان المراد من ذكر كلمة «سُلْطَان» في الآية هو سُلْطَان العلم، أي أن المشركين يعبدون الأوثان والأصنام التي لم يُرسل الله تعالى على الإطلاق دليلاً أو برهاناً من العلم والمنطق أو الوحي لتأييدها.

التعاليم:

- ١ - إما أن يكون الدافع للعبادة أمراً من الله: ﴿يَنْزِلُ بِهِ سُلْطَانٌ﴾، وإما إرشاداً من العقل والعلم: ﴿لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾، وإما أملاً في العون والمدد، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ والمشركون لا يملكون من هذا شيئاً.
- ٢ - كل عبادة ليس عليها دليل من الوحي والعلم هي ظلم، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ
يَكَادُوكَ يُسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ شَرٌّ
مِنْ ذَلِكَُمُ النَّارِ وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِي كَفَرُوا وَيَسَّ الْمَهِيرُ ﴿٧٢﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «يَسْطُونَ» من «سطو» التي تعني الحملة والهجوم.

□ تتركز هجمات الكافرين في الصراع الدائر بين الكفر والإيمان على المراكز والشخصيات المعنوية والثقافية، فهم يستهدفون مراكز العبادة حيناً، وهو ما نقرأه في الآية ٤٠ من هذه السورة: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ إِذْ أَنْشَأَ مِنْهُمْ نَبِيًّا، وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ﴾، وبهاجمون الدعاة وناشري الدين أو المستمعين لهم في حين آخر، ﴿يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ﴾.

التعاليم:

- ١ - يُقيم الله تعالى الحجة على الكافرين، ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾.
- ٢ - يجب أن تكون الحجة واضحة والاستدلال جلياً، ﴿يَبَيِّنَاتٍ﴾.
- ٣ - بغض الكافرين لا يخفى، ولا يستتر كرههم، ﴿تَعْرِفُ... يَسْطُونَ﴾.
- ٤ - الإنكار القلبي والروحي يؤثر في الجسم، ﴿فِي وُجُوهٍ﴾.
- ٥ - يتمسك مَنْ لا يملك البرهان بالهجوم والبطش، ﴿يَسْطُونَ﴾ (الاستعانة بالقوة دليل على العجز في المنطق).
- ٦ - على الدعاة أو المؤمنين أن يُعِدُّوا أنفسهم لهجوم المعارضين والمخالفين، ﴿يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ﴾.
- ٧ - الدعوة الدينية الواضحة نيران تحرق أرواح الكافرين، ﴿يَسَّرَ مِنْ ذَلِكَُمُ النَّارِ﴾.
- ٨ - عليكم بذكر الجحيم لإنذار المعاندين وتهديدهم، ﴿النَّارِ﴾.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ
شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾
مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾

التعاليم:

- ١ - يجب أن يتناسب أسلوب الخطاب مع المخاطبين، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ... تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، فالمشركون ليسوا في المرحلة التي يُقال لهم فيها أفضل من قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾.
- ٢ - علينا عند دعوة الناس وإرشادهم أن نهيئهم أولاً للاستماع، ثم نتحدث معهم بعد ذلك، ﴿ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ﴾.
- ٣ - فلنتنبه إلى الأمثال القرآنية ونهتم بها، ﴿فَاَسْتَمِعُوا لَهُ﴾.
- ٤ - لا يستطيع البشر أن يخلقوا مخلوقاً حياً ولو جمعوا قوتهم كلها لهذا الأمر، ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾.
- ٥ - علينا ألا نستصغر المخلوقات الصغيرة، ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ﴾ حتى الحشرات.
- ٦ - الإنسان الذي يقف عاجزاً أمام ذبابة لا يستحق أن يُعبد من دون الله، ﴿لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾.
- ٧ - لقد قبل المشركون الله، ولكنهم كانوا يعبدون غيره أيضاً (التقدير الصحيح لله هو التوحيد)، ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.
- ٨ - الدافع إلى الشرك هو الاستمداد من الشركاء، ولكن يجب تنحية ما دون الله جانباً، والسير في طريقه وحده، لأن القدرة والعزة لله، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٧٥)
 ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (٧٦)

إشارات:

□ كلمة «اصطفى» من «صفوة» التي تعني الصافي والخالص، والاصطفاء علامة على أن بعض الناس والملائكة لديهم الكفاءة والأهلية، وأنهم أصفياء خالصون.

□ ويروي أبو زر عن النبي الأكرم ﷺ أن عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاثمائة وثلاثة عشر^(١).

□ ملائكة الله ليسوا متساوين، ودرجاتهم تختلف، ومسؤولياتهم أيضاً، فمقام البعض من قبيل جبريل وميكائيل وعزرائيل أرفع من مقام الآخرين تبعاً لمهامهم.

التعاليم:

١ - اختيار النبي حقاً لله تعالى، فهو الخالق البصير، ﴿يَصْطَفِي...بَصِيرٌ﴾ (ربما كانت كلمتا «سميع» و«بصير» ترمزان إلى أننا عندما نختار إنساناً ونعهد إليه بمسؤولية علينا أن نراقب عمله ونُشرف عليه ونحميه).

٢ - ليس لكل شخص الكفاءة والاستعداد اللازمين لحمل الرسالة الإلهية، ﴿مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾.

٣ - العالم هو المكان الذي يتجلى فيه الله تعالى، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

٤ - والآن إذا كان الله يعلم، ونحن جميعاً نتجه إليه، فعلينا ألا نقترف الذنوب، ﴿يَعْلَمُ...تُرْجَعُ﴾.

(١) تفسير البرهان، ج ٣، ص ١٠٤؛ وج ٤، ص ٤٥٢.

- ٥ - خلق الله الخلق، وجعل الرجوع إليه في الأمور كلها، ﴿وَالَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.
- ٦ - حركة الكون في اتجاه الله لا تحتاج إلى إرادته أو انعدامها، ﴿تُرْجَعُ﴾.
- ٧ - قافلة الوجود تنطلق في اتجاه هدف مُحدد، ﴿تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ
وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

إشارات:

□ على الرغم من أن الركوع والسجود من مظاهر العبادة، فإن كليهما قد وردا في هذه الآية بجوار «واعبدوا»، وهي إشارة إلى أهمية الصلاة التي تقوم على هذين الركنين.

□ هناك خطتان طرحتا من أجل سعادة الإنسان، ونجاته مرهونة بهاتين الخطتين:

- أ - الخطة الثابتة، من قبيل الركوع والسجود والعبادات الأخرى.
- ب - الخطة المتغيرة والتابعة للزمان والمكان التي لها مظاهر خاصة من فعل الخير في كل وقت، ﴿ءَامَنُوا أَرْكَعُوا... وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾.

التعاليم:

١ - عمل الخير (والابتكارات والاختراعات والخدمات) يكون مؤثراً حينما يستظل بمظلة الإيمان والعبودية لله، ﴿ءَامَنُوا، أَرْكَعُوا... وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾.

٢ - لا تظنوا أن نجاتكم أمرٌ حتمي حتى مع الركوع والسجود والتعبد وعمل الخير؛ لأن آفة الغرور وإحباط العمل لها أثرها الأكيد في السقوط، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

٣ - الفلاح والنجاة هما آخر مراحل التكامل، ويجب أن يكون الأمل في ذلك بعد القيام بالعبادات وأعمال الخير، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ قُلَّةَ أَيْكُمْ لِزَاهِمٍ هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾

إشارات:

□ نحن نعلم أن الشهادة تحتاج إلى العلم والعدالة، وليس الناس كلهم عادلين ولا عالمين حتى يستطيعوا أن يشهدوا على الآخرين. وبناءً على هذا، فإن المقصود بشهادة المسلمين التي وردت في هذه الآية هو أن بعضاً منهم يعلمون أعمال الناس وتصرفاتهم، كما أنهم علماء أمناء وعادلون، وهؤلاء الأفراد كما نقرأ في الروايات هم أهل بيت النبي والأئمة المعصومون عليهم السلام الذين تُعرض أعمالنا وتصرفاتنا عليهم.

□ ذكر الله تعالى في بداية هذه السورة الزلزلة العظيمة ليوم القيامة والعذاب الإلهي الشديد، وتحدث في نهاية السورة عن الجهاد والصلاة والزكاة، وذكر أنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير لعباده أجمعين، وهذه النقطة تُعلمنا أن نكون عبيداً له وأن نلجأ إليه ونلوذ به من أجل النجاة من أخطار الزلزلة العظيمة يوم القيامة والخلاص من العذاب الإلهي الشديد، فالله هو ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾.

□ نفى «الخرج» لا يعني انعدام الصعوبات في الأحكام الإلهية؛ لأنه تعالى يقول في هذه الآية: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾. ولا يخفى أن الجهاد عمل شديد الصعوبة. والمقصود بانعدام الخرج في الدين إذن هو أن الإسلام ليس فيه طريق مسدود لبعض المعضلات. ففي أمر الجهاد - على سبيل المثال - يُعفى المريض والأعرج والأعمى والمُسن والنساء والأطفال والعاجزون من القتال، ولكن الدفاع واجب على الرغم من كل صعوباته.

التعاليم:

- ١ - ترتبط قيمة الأعمال بدافعها وأسلوبها ومقدارها (يكون للجهاد قيمة حينما يكون، بالكامل، في سبيل الله)، ﴿فِي اللَّهِ حَقٌّ جِهَادٌ﴾.
- ٢ - أنزلوا الناس منازلهم ﴿اجْتَنِبْكُمْ... أَيُّكُمْ... وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ ولا تُشددوا عليهم أيضاً، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.
- ٣ - علينا أن نراعي قدرة الناس عند وضع القواعد والقوانين، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.
- ٤ - الإسلام دين اليسر، وأحكامه مرنة طيعة، وحتى يُمكن تنفيذها في الأزمنة والأمكنة المختلفة، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.
- ٥ - الإسلام ملة إبراهيم، وله تاريخ مضيء جداً، ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ﴾.
- ٦ - الأنبياء هم آباء الأمم، ﴿أَيُّكُمْ﴾.
- ٧ - «المسلمون» هو الاسم المبارك الذي تم اختياره لنا من قبل، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾.
- ٨ - الرسول الأكرم ﷺ شاهد على أعمالنا، ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا﴾.
- ٩ - الصلاة والزكاة شكر الله تعالى (يجب أن نُقيم الصلاة شكراً لله على الاصطفاء والتاريخ واللياقة وشهادة لأمة الإسلام على الناس)، ﴿فَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ...﴾.
- ١٠ - علينا ألا نعتمد على الاجتهاد والتسمية والإسلام فقط، بل علينا أن نحرس هذه المفاهيم ونحافظ عليها بالصلاة والزكاة والاعتصام بالله، ﴿فَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾.
- ١١ - شرعية الولايات والحكومات البشرية مرهونة بالوصول في النهاية إلى الولاية الإلهية، ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾.

«الحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

السورة: ٢٣ الجزء: ١٨

عدد الآيات: ١١٨



ملاحح سورة المؤمنين

تشتمل هذه السورة على مائة وثمانين عشرة آية، وهي مكية. اختير لهذه السورة اسم «المؤمنون» بسبب ما ذكر فيها من سمات المؤمنين وآثار الإيمان وعلاماته في الآيات الأولى منها، ثم انتقلت السورة إلى استعراض سيرة أنبياء كَنُوح وهود وموسى وعيسى ﷺ، وردود الأمم المختلفة على دعواتهم.

يقول الإمام الصادق عليه السلام في فضل تلاوة هذه السورة: «من قرأ سورة المؤمنين ختم الله له بالسعادة، إذا كان يُدمن قراءتها في كل جمعة، وكان منزله في الفردوس الأعلى من النبيين والمرسلين»^(١).

(١) الشيخ الطبرسي، مجمع البيان، ج ٧، ص ١٧٥.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١)
 الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾

إشارات:

□ جاءت كلمة الفلاح مصحوبة بكلمة «العلَّ» في أحد عشر موضعاً في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿لَمَّا كُنْتُمْ تُفْلِحُونَ﴾. لكنها وردت في ثلاثة مواضع أخرى بدون هذه الكلمة للتأكيد على الحتمية، وأحد هذه المواضع في هذه السورة، والآخر في سورة الشمس: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ والموضع الثالث في سورة الأعلى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى﴾. وبمقارنة هذه المواضع الثلاثة أحدها مع الآخر يتضح أنَّ للإيمان والتزكية جوهرًا واحدًا.

□ أعظم أهداف الخطط والتدابير الإسلامية وغايتها هو الفوز والفلاح. وتحدث كثير من آيات القرآن الكريم عن التقوى، والهدف من أحكام الدين هو الوصول إلى هذه التقوى: ﴿لَمَّا كُنْتُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١)، وآخر أهداف التقوى هو الفلاح أيضاً: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢)، ومن العجيب هنا، أنَّ أهم هدف من أهداف الدين الإسلامي، وآخرها، قد ورد في أول شعار من شعارات الإسلام: (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)، أي آمنوا بوحداية الله، وقولوا «لا إله إلا الله» حتى تفوزوا بالفلاح.

□ نحن نذكر جملة «حي على الفلاح» عشرين مرة بلساننا في كل يوم وليلة في الأذان والإقامة للصلوات اليومية، ونُعلن عن هدفنا النهائي بصوت عالٍ حتى لا نضل الطريق.

□ يقول الإسلام ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى﴾^(٣)، فالمُفلحون هم الذين

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٣.

(٢) سورة الأعلى: الآية ١٤.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٣٠.

آمنوا وزكّوا أنفسهم. أمّا الكفر فيقول: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾^(١)، فقد قال فرعون: المفلح اليوم هو من يمتلك القوة والاستعلاء.

□ كلمة «فلاح» تعني الفوز بالنجاة، وربما كان السبب في تسميتهم للمزارع بالفلاح هو أنه وسيلة النجاة للحبة. فالحبة التي تستقر في بطن الأرض تُنجي نفسها وتصل إلى الفضاء الطلق مرة أخرى بثلاثة أعمال: الأول أنها تضرب بجذورها في أعماق الأرض، والثاني أنها تمتص المواد الغذائية من الأرض، والثالث أنها تدفع التراب الذي يزاحمها.

نعم، يجب على الإنسان أن يقوم بالأعمال الثلاثة التي تقوم بها الحبة من أجل إنقاذ نفسه والوصول إلى فضاء التوحيد والنجاة من ظلمات الماديّات والأهواء والشهوات والطواغيت: عليه أولاً أن يُثبت جذور عقائده من طريق الاستدلال، وأن يجتذب من الإمكانات التي وهبها الله له ما يساعده على التكامل والنمو المعنوي، وعليه ثانياً أن يُزيح الأعداء كلهم، وأن يتخلص من أي معبود غير الله بكلمة «لا إله» حتى يصل إلى فضاء التوحيد الطلق.

□ يُروى أنّ أحدهم كان يعث بلحيته في الصلاة، فقال النبي الأكرم ﷺ: «أما أنه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه»^(٢).

□ عن الإمام الصادق عليه السلام عن المراد من الخشوع في الصلاة: «الخشوع غص البصر في الصلاة»^(٣).

من هم المفلحون؟

ورد تصنيف فئات المفلحين في القرآن كما يلي:

- ١ - العابدون، ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمُ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٤).
- ٢ - أولئك الذين يقومون بالأعمال القيمة الثقيلة، ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٥).

(٤) سورة الحج: الآية ٧٧.

(٥) سورة الأعراف: الآية ٨.

(١) سورة طه: الآية ٦٤.

(٢) تفسير كنز الدقائق.

(٣) بحار الأنوار، ج ٨١، ص ٢٦٤.

- ٣ - الذين يتجنبون البخل، ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).
- ٤ - حزب الله، ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢).
- ٥ - الذاكرون الله كثيراً، ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٣).
- ٦ - المتقون من أولي الألباب، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَّوَلَّى الْآلِبَابَ لَكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٤).
- ٧ - المجاهدون في سبيل الله، ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَمَّا كُنْتُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٥).
- ٨ - التائبون من المؤمنين، ﴿وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٦).

التعاليم:

- ١ - فلاح المؤمنين أمرٌ حتمي، ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾.
- ٢ - للإيمان شروط وعلامات، ﴿الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ...﴾.
- ٣ - تقع الصلاة على رأس البرامج الإسلامية، ﴿فِي صَلَاتِهِمْ﴾.
- ٤ - الحالة والكيفية مهمتان في الصلاة، ﴿خَشِعُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾^(٢) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ^(٤)
 وَالَّذِينَ هُمْ لِأَعْيُنِنَا جَاهِدُونَ^(٥) إِلَّا عَلَىٰ أَرْجَائِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ
 فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ^(٦) فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ^(٧)

إشارات:

- يُطلق «اللغو» على ما لا فائدة منه من قول خصوصاً أو عمل عموماً.
- لا يختص المسلمون وحدهم بالابتعاد عن اللغو وتجنبه، وإنما يقول القرآن الكريم في وصفه للصالحين من أهل الكتاب: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا

(٤) سورة المائدة: الآية ١٠٠.

(٥) سورة المائدة: الآية ٣٥.

(٦) سورة النور: الآية ٣١.

(١) سورة الحشر: الآية ٩.

(٢) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

(٣) سورة الأنفال: ٤٥.

- عَنْهُ^(١)، فالمؤمنون من أهل الكتاب يَفْرُونَ من اللغو أيضاً.
- «الزكاة» في اللغة تعني الرشد والنمو والظهور، وهي اصطلاحاً نوع من الضرائب الشرعية، ومن أركان الدين وواجباته.
- المحافظة على الصلاة والعرض في المجتمع الإسلامي مهمة جداً، وقد ذكر قوله تعالى ﴿حَافِظُونَ﴾ في هذه الآيات عند الحديث عن العرض والشرف، وجملة ﴿عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ عند الحديث عن الصلاة.
- ثواب البُعد عن اللغو وتجنبه في الدنيا الحفظ من اللغو يوم القيامة، ﴿عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾، ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَيِّنَةَ^(٢)﴾.
- لا ينبغي أن يكون الإعراض عن اللغو مصحوباً بالبذاءة والجدّة والفظاظة؛ لأنّ الله تعالى يقول في آية أخرى: ﴿وَإِذَا مَرَأُوا بِاللَّغْوِ مَرُوءًا كِرَامًا^(٣)﴾.
- ورد في عددٍ من الروايات تفسير «اللغو» بمعانٍ عدّة، منها: الغناء، وما أسخط الله، وما لا يحل^(٤).
- ونحن نقرأ في الروايات: «لا تتزوج إلا عفيفة، إن الله ﷻ يقول: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوحِهِمْ حَافِظُونَ﴾ فلا تضع فرجك حيث لا تأمن على درهمك»^(٥).

أهمية الزكاة

- الزكاة ركن من الأركان الخمسة التي بُني عليها الإسلام.
- وردت كلمة «زكاة» في القرآن الكريم ٣٢ مرة، وكلمة «بَرَكَة» ٣٢ مرة، وكأن الزكاة تساوي البركة.
- ورد أن النبي الأكرم ﷺ أخرج الذين لم يؤدوا الزكاة من المسجد.

(١) سورة القصص: الآيات ٥٢ - ٥٥.

(٢) سورة الغاشية: الآية ١١.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٧٣.

(٤) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٤٢.

(٥) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٥٣١؛ والكافي، ج ٥، ص ٤٥٣.

- يُحارب الإمام المهدي ﷺ تاركي الزكاة في ثورته الكبرى.
- يُقال لمن لا يؤدي الزكاة عند موته: مُت يهودياً أو نصرانياً.
- يطلب تارك الزكاة من الله تعالى لحظة موته أن يُعيده إلى الحياة الدنيا حتى يعمل عملاً صالحاً، لكن لات ساعة مندم إذ حان الأجل.
- عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال: «لو أدى الناس زكاتهم لما بقي على وجه الأرض فقير».

التعاليم:

- ١ - علامة الإيمان هي تجنب اللغو، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾، (يجب على المؤمن أن يكون له هدف صحيح في كل أعماله وأقواله).
- ٢ - البُعد عن اللغو مهم إلى حد أنه ذُكر بين الصلاة والزكاة، ﴿خَشِعُونَ... مُعْرِضُونَ... لِلزَّكَاةِ فَفَعِلُونَ﴾.
- ٣ - أهمية الزكاة كأهمية الصلاة (جاءت الصلاة والزكاة إحداهما إلى جوار الأخرى في ٢٨ آية)، ﴿فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ... لِلزَّكَاةِ فَفَعِلُونَ﴾.
- ٤ - الاعتقاد وحده لا يكفي، بل لا بد من إثباته بالعمل، ﴿الْمُؤْمِنُونَ... فَفَعِلُونَ﴾.
- ٥ - الحياء شرط من شروط الإيمان، ﴿لِفُرُوجِهِمْ حِفْظُونَ﴾ (التلوث بالدنس الجنسي دليل على ضعف الإيمان).
- ٦ - الشهوة طاغية، يتوجب السيطرة عليها والحماية منها، ﴿حَافِظُونَ﴾.
- ٧ - لا بد من وجود قيود على إشباع الغريزة الجنسية، أمّا المنع الكامل والحرمان فإنهما يُخالفان الفطرة، ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾.
- ٨ - الحياء في غير موضعه ممنوع، ومادام الإسلام قد أجاز القيام بعمل فإن كل التقاليد والعادات والطبائع الشخصية والمخالفة للدين مرفوضة ومُدانة، ﴿غَيْرُ مَلُومِينَ... أَلْعَادُونَ﴾.
- ٩ - تحطيم القانون اعتداءً على الحدود التي وضعها الله تعالى، ﴿أَلْعَادُونَ﴾.
- ١٠ - البحث عن الذنب يعدّ ذنباً أيضاً، ﴿أَبْتَغَى... أَلْعَادُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفَرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «الفردوس» تعني البُستان، والفردوس ربوة في الجنة وأوسطها وأفضلها^(١). ولما كانت هذه الكلمة قد استُخدمت مكان كلمة الجنة فإن الضمير الذي جاء معها ورد مؤنثاً.

□ تلا الإمام الصادق عليه السلام الآية السابعة في رده على حكم الاستمناء^(٢).

أهمية الأمانة في الروايات

- عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده، فإن ذلك شيء اعتاده، فلو تركه استوحش لذلك؛ ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته»^(٣).

- عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال للإمام علي عليه السلام في آخر لحظات حياته: «أدّ الأمانة إلى البرّ والفاجر في ما قلّ وجلّ حتى الخيط والمخيطة»^(٤). أي: أدّ الأمانة إلى صاحبها، سواء أكان برّاً محسناً أم فاجراً مُسيئاً، وسواء كانت الأمانة شيئاً قيماً أو لا قيمة له، ولو كانت بمقدار خيط أو قطعة من قماش مخيط.

- كل النعم المادّية والمعنوية والسياسيّة أمانة إلهية، قال الإمام الخميني (قده): الجمهورية الإسلاميّة أمانة إلهية.

- امتدح القرآن الكريم بعض أهل الكتاب لأمانتهم، ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ

(١) جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج ٥، ص ٦.

(٢) وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ٥٧٥.

(٣) الكافي، ج ٢، ص ١٠٥؛ وللمزيد انظر مادة: «أمانة» في كل من: ميزان الحكمة؛ وسفينة البحار.

(٤) بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ٢٧٣.

تَأْتِيهِ بِقَطَارٍ يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ»^(١)، أي أنك إذا أودعت مالا كثيراً عند بعض أهل الكتاب فإنه يُعيده إليك.

التعاليم:

- ١ - المؤمن إنسانٌ ملتزم مسؤول، ﴿وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾، وإخلاف الوعد دليل على ضعف الإيمان.
- ٢ - مراعاة العهود والوعود أمر ضروري، حتى إذا لم نستطع الوفاء بها وتحقيقها. فقد قال تعالى: ﴿رِعُونَ﴾ ولم يقل: «موفون».
- ٣ - ذكرت الصلاة في البداية عند تعريف سمات المؤمنين وصفاتهم: ﴿فِي صَلَاتِهِمْ خُسُوعٌ﴾، وذكرت كذلك في النهاية ﴿عَلَى صَلَاتِهِمْ يَخْفَضُونَ﴾، وهذا التكرار والتأكيد دليل على أهمية الصلاة.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ (١٧) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾
ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا
فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾

إشارات:

- كلمة «سُلالة» تعني الخلاصة، وكلمة «علقة» تعني الدم الغليظ المتجمد، أمّا كلمة «مُضْغَة» فتعني قطعة اللحم الممضوغة الخالية من العظام.
- عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾: «فهو نفخ الروح فيه»^(٢).
- المراد من قوله تعالى «أحسن الخالقين» كما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام هو: «أن الله تبارك وتعالى قد أخبر أن في عباده خالقين وغير خالقين، منهم عيسى بن مريم عليه السلام، خلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله فنفخ فيه فصار طائراً

(١) سورة آل عمران: الآية ٧٥.

(٢) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٥٤١.

بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١)، والسامري أخرج لهم عجلاً جسداً له خواراً^(٢).

□ الأدلة كثيرة على كون الله تعالى هو أحسن الخالقين، ومنها:

- أ - أنه دائم الخلق.
- ب - ليست لديه قيود تجاه أشياء خاصة.
- ج - التنوع لديه غير محدود.
- د - يخلق من أبسط الأشياء أهمها.
- هـ - المواد الأولية من عنده.
- و - لا يقلد أحداً في خلقه.
- ز - لا يعرف الندم أو التردد إليه سبيلاً.
- ح - يخلق على أساس الرحمة، وله أهداف لكل مخلوقاته.
- ط - يتوافق ما يخلقه مع نظام الكون.

التعاليم:

- ١ - تذكّر السابقين وضعف الإنسان والاهتمام بقدرة الله وفضله وسيلة لتقوية الإيمان وزيادة العبادة، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا﴾.
- ٢ - خلق الإنسان متطور وينتقل بالتدرج من مرحلة إلى أخرى، ﴿تُطْفَئُ... عِلْقَةً﴾.
- ٣ - على الرغم من أن الأم تقوم بعدة حركات فإن رحمها مُسْتَقَرٌّ آمِنٌ بالنسبة لولدها، ﴿فَرَارٍ مَّكِينٍ﴾.
- ٤ - مراحل الخلق كلها تحت رعاية الله تعالى، ﴿خَلَقْنَا... فَكَسَوْنَا... أَنْشَأْنَاهُ﴾.

- ٥ - قيمة الإنسان بالروح التي تسري في بدنه، ﴿خَلَقْنَا آخَرًا﴾.
 ٦ - معرفة النفس مقدمة لمعرفة الله تعالى، ﴿تُطْفَئُ، عَلَقَةٌ، مُضْفَكَةٌ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ والمقارنة بين مراحل الخلق وأهمية الخالق.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمِتُونَ﴾
 ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ﴾

إشارات:

- وصف الله الموت في هذه الآيات بأنه أمرٌ مؤكد وحتمي الوقوع، ومن المناسب هنا أن نذكر كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي يقول فيه:
 «فلو أن أحداً يجد إلى البقاء سُلماً أو لدفع الموت سبيلاً، لكان ذلك سليمان بن داود عليه السلام الذي سُخِّرَ له مُلك الجن والإنس مع النبوة وعظيم الزلفة... رمته قسي الفناء بنبال الموت، وأصبحت الديار منه خالية»^(١).
 □ بيّنت الآية السابقة مسيرة تطوّر خلق الإنسان، وبارك الله سبحانه وتعالى نفسه. وتبين هاتان الآيتان أيضاً المراحل النهائية لهذا التطوّر بعد الموت.

التعاليم:

- ١ - الموت لا يعني الفناء، بل هو مرحلة من مراحل تطوّر الخلق وتكامله، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمِتُونَ﴾.
 ٢ - الموت مصيرٌ حتميٌّ للإنسان، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ... لَمِتُونَ﴾، («إنَّ» وحرف «اللام» والجملة الإسمية كلها علامة على للتأكيد).
 ٣ - خلق الإنسان له هدف، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ﴾.
 ٤ - بين الموت والبعث فاصل زمني طويل، ﴿ثُمَّ﴾ علامة على وجود فاصل زمني طويل).

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ
وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ (١٧)

إشارات:

- ربما يكون المقصود بكلمة «طرائق» هو طرق عبور الملائكة، أو طرق حركة الكواكب ومداراتها، ومن الممكن أن يكون الحديث عن السماوات السبع التي يوجد طريق بين كل سماء منها وأخرى.
- عرضت الآيات السابقة خلق الإنسان، وذكرت هذه الآية خلق السماوات.

التعاليم:

- ١ - الله سبحانه هو الخالق وهو الرقيب. (العالم هو المكان الذي يتجلى فيه الله تعالى)، ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾.
- ٢ - يحتاج خلق عالم الوجود وتدبير أمره إلى إدارة دائمة، ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ
وَلَنَا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقْدَرُونَ﴾ (١٨)

التعاليم:

- ١ - قدرة الله سبحانه متساوية في منح النعم وسلبيها، ﴿وَأَنْزَلْنَا... ذَهَابٍ﴾.
- ٢ - قطرات المطر لها نظام وتقدير ومعيار، ﴿بِقَدَرٍ﴾، (المطر ظاهرة طبيعية ليست بلا هدف أو عشوائية).
- ٣ - اختزان الماء من فضل الله، وهو دليل على عدم الغفلة عن الخلق، ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾، ﴿وَأَنْزَلْنَا... فَأَسْكَنَّاهُ﴾.
- ٤ - الله سبحانه متحكم في الظواهر ومسيطر عليها، ﴿وَلَنَا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ﴾.
- ٥ - علينا ألا نظن أن النعم دائمة لا تزول، ﴿عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقْدَرُونَ﴾.

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّجِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَكُّةٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾
وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورٍ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلَّذِينَ لَّا يَكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾

التعاليم:

- ١ - الماء هو مصدر أساس الحياة للأعشاب والنباتات، ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ﴾.
- ٢ - خلقت الأشجار والنباتات من أجل أن يستفيد منها الإنسان، (استخدمت كلمة «لَكُمْ» مرتين في الآية التاسعة عشرة).
- ٣ - تتميز بعض الفاكهة من قبيل البلح والعنب بين مثيلاتها من الفواكه، ﴿نَجِيلٍ وَأَعْنَبٍ﴾.
- ٤ - الله سبحانه حكيمٌ، ضَمِنَ الاحتياجات المادية للإنسان ووفرها، ﴿نَجِيلٍ وَأَعْنَبٍ﴾.
- ٥ - ما يخلقه الله أكثر مما يستهلكه الإنسان، ﴿فَوَكُّةٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.
- ٦ - ما خلقه الله مفيد ومبارك ﴿فَوَكُّةٌ كَثِيرَةٌ... تَأْكُلُونَ... وَصَبِغٍ﴾، (ولكن أينما وُجد الضرر والخراب فإن ذلك من صنع الإنسان، وهو ما نقرأه في الآية ٦٧ من سورة النحل: ﴿نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ أي تصنعون منه خمرًا مُسكرًا).
- ٧ - كل منطقة تناسب نوعاً خاصاً من الأشجار والنباتات، ﴿تَخْرُجُ مِن طُورٍ سَيْنَاءَ﴾.
- ٨ - بعض الأراضي مباركة من الناحيتين المعنوية والمادية (طور سيناء مكان نزول الوحي وموضع نمو أشجار الزيتون)، ﴿مِن طُورٍ سَيْنَاءَ﴾.
- ٩ - زيت الزيتون نعمة من النعم الإلهية، ﴿تَنبُتُ بِالذَّهْنِ﴾.

﴿وَلَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُذَكَّرُوا بِطُورِهَا
وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلَاكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

التعاليم:

- ١ - خلقت الحيوانات والبهائم من أجل الإنسان، (جاءت كلمة «لَكُمْ» مرتين في هذه الآية).

- ٢ - حتى الحيوانات لا يحسُن أن ننظر إليها ببساطة، ﴿لَعَبْرَةً﴾. إن استخراج الحديد من الأرض يحتاج إلى مئات من الخبراء والمتخصصين وكثير من الأدوات، ولكن الله سبحانه يُخرج اللبن من قلب العلف، وبقدرته هذه سوف يُخرج البشر من قلب التراب يوم القيامة، ﴿لَعَبْرَةً﴾.
- ٣ - اللبن نعمة من النعم التي يهتم القرآن بها، ﴿شَفِيكُرُ﴾.
- ٤ - الفواكه والزيتون النباتية مُقدمة على الأغذية الحيوانية، فقد ذكر سبحانه النخيل والأعنان والزيتون أولاً، ثم قال: ﴿شَفِيكُرُ... تَأْكُلُونَ﴾.
- ٥ - اللبن واللحم والركوب جزء من منافع الحيوانات، ﴿وَلَكُرْ فِيهَا مَنَفْعٌ كَثِيرٌ﴾، وتشغيل مصانع الألبان وصناعة الجلود ومعلبات الطعام والنسج والحياكة وخلق فرص العمل والإفادة من أجل ملايين البشر، منافع جانبية للحيوانات.
- ٦ - هناك دور هام للسفن في الحمل والنقل، ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ تَحْمَلُونُ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُورُوا عِبُدُوا اللَّهَ

مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾

إشارات:

□ تحدث الله تعالى في الآيات السابقة عن خلق الإنسان وما يحتاج إليه في مجال توفير منافعه المادية، ويوفر له سبحانه في هذه الآية الغذاء الفكري والعقائدي.

التعاليم:

- ١ - تحببوا إلى من تخاطبوه من الناس عند الدعوة إلى دين الله، ﴿يَنْقُورُ﴾.
- ٢ - الدعوة إلى التوحيد هي أول واجبات الأنبياء (اهتموا في الدعوة بالقضايا الأصلية)، ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾.
- ٣ - تكمن روح العبادة داخل الإنسان، والأنبياء هم الذين يُبينون المقصود بالعبادة، ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ... مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.
- ٤ - اتّباع غير الله تعالى انعدام للتقوى، ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

﴿نَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ
يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضِّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً
مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾

التعاليم:

- ١ - كان الوجهاء في الصف الأول من مخالفي الأنبياء ومعارضيههم، ﴿الْمَلَأُ﴾.
- ٢ - حُب الذات غريزة متأصلة في أعماق الإنسان. (يشعر الإنسان بالقلق من أن يعلو عليه أحد)، ﴿يَنْفَضِّلَ عَلَيْكُمْ﴾.
- ٣ - يتهم الكفار النبي بالتعالي، كوسيلة دعائية، ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضِّلَ عَلَيْكُمْ﴾.
- ٤ - يتجرأ الإنسان المتكبر ويحدد الله تكاليف معينة، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً﴾.
- ٥ - يعتقد الكفار أن الكمال نقصان، ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ... لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً﴾، (كون الأنبياء الذين يهدون الناس من بين البشر فهذا كمال، لكن الكفار يقولون: لا يجب أن يكون النبي إنساناً).
- ٦ - في مواجهة المنطق السليم لا تعتمدوا على التاريخ وتقليد الآباء والأجداد وما تملكون من ثقافة محلية، ولا تدافعوا عن الوضع القائم، ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ حِجَّةٌ فَرَيَصُّوهُ بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾
قَالَ رَبِّ أَنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٢٦﴾﴾

التعاليم:

- ١ - من عوامل المواساة تذكر الأنبياء السابقين ومعاناتهم واتهمهم بالجنون، ﴿رَجُلٌ بِهِ حِجَّةٌ﴾.
- ٢ - الغرور والعناد يتسببان في اتهام أعقل الناس بالجنون، ﴿رَجُلٌ بِهِ حِجَّةٌ﴾.
- ٣ - رؤوس الكفر يعتقدون أن دعوة الأنبياء حادث روحي أو أزمة نفسية، ويقولون لأتباعهم: اصبروا، سوف تنتهي ثوراتهم وادعاءاتهم، ﴿فَرَيَصُّوهُ﴾.

٤ - التوكل على الله والتوجه إليه بالدعاء من أعظم الوسائل في مواجهة التهم والإهانات، ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُون﴾.

٥ - طلب العون من الله يكون من أجل انتصار الإيمان على الكفر، وليس من أجل انتصار شخصي، فقد قال تعالى: ﴿انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُون﴾، ولم يقل: «انصُرني عليهم».

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوْحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُفْرَقُونَ﴾ (٢٧)

إشارات:

□ عن الإمام الباقر عليه السلام: كانت شريعة نوح عليه السلام أن يعبد الله بالتوحيد والإخلاص وخلع الأنداد وهي الفطرة التي فطر الناس عليها، وأخذ ميثاقه على نوح عليه السلام والنبیین أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وأمره بالصلاة والأمر والنهي والحرام والحلال، ولم يفرض عليه أحكام حدود، ولا فرض موارث، فهذه شريعته، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم سرّاً وعلانية، فلما أبوا وعتوا قال: رب إني مغلوب فانتصر، فأوحى الله إليه أنه ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ أَن تَوَجَّهْ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِرَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا يَتَّبِعُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ فلذلك قال نوح: ﴿وَلَا يَلْدَا إِلَّا فَاِجْرًا كَفَّارًا﴾ وأوحى الله إليه أن اصنع الفلك^(١).

التعاليم:

١ - دعاء الأنبياء سرعان ما يُستجاب، ﴿رَبِّ انصُرْنِي... فَأَوْحَيْنَا﴾.

٢ - صناعة السفن إلهام من عند الله، ﴿أَوْحَيْنَا... أَنْ اصْنَعْ﴾.

(١) بحار الأنوار، ج ١١، ص ٣٣١. (كتب هذا الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام بجوار قبره المطهر في المدينة).

- ٣ - طلب النصرة الإلهية لا يتعارض مع سعي الإنسان واجتهاده، ﴿أَصْنَعِ الْفُلْكَ﴾، (كان الأنبياء يعملون أخذاً بالأسباب إلى جوار الدعاء).
- ٤ - يؤكد الله حمايته لأنبيائه الذين يتعرضون للازدراء والتحقير (القوم يظنون أنك مجنون، ولكنك بأعيننا وتحت رعايتنا)، ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾.
- ٥ - يعدنا الله بأننا لو سرنا في أعمالنا كلها طبقاً لما جاء به الوحي لوفقنا، ﴿أَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾.
- ٦ - يفور الماء من تنور النيران بإرادة الله تعالى، ﴿وَفَارَ الْكُتُورُ﴾، (ربما كان فوران الماء من التنور إشارة زمنية للحادثة).
- ٧ - الحرص على الحفاظ على نسل الحيوانات لثلا تنقرض، ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ آتَيْنِ﴾.
- ٨ - لا مفر من غضب الله على المفسدين حتى لو كانوا من عوائل النبي، ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾.
- ٩ - لا تجدي شفاعة الأنبياء دائماً، وهي مرهونة بالإذن من الله تعالى، ﴿وَلَا تُخَاطَبُنِي﴾.
- ١٠ - المشرک ظالم دون شك، ﴿فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾.
- ١١ - عاقبة الظلم هي الهلاك بصورة جازمة، ﴿ظَلَمُوا... مُعْرِقُونَ﴾.
- ١٢ - على الرغم من أن الماء أصل الحياة فإنه يتسبب بالهلاك أحياناً، ﴿مُعْرِقُونَ﴾.

﴿فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ أَلْمُتْدُ لِلَّهِ

الَّذِي بَخَسَنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾

التعاليم:

- ١ - البُعد عن الظالمين والنجاة من سلطانهم نعمة من نعم الله، ﴿أَلْمُتْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَخَسَنَا﴾.

- ٢ - لا بد من شكر الله على نعمائه، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَحَّثْنَا﴾.
- ٣ - أفضل صيغة للشكر هي الكلمة المباركة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.
- ٤ - لا تشكروا الله على هلاك الآخرين وفنائهم، وإنما اشكروه على نجاتكم. فقد قال تعالى: ﴿بَحَّثْنَا﴾ ولم يقل «أهلكهم».
- ٥ - السفينة وسيلة للنجاة، ولكن النجاة نفسها من عند الله، ﴿بَحَّثْنَا﴾.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ (٢٩)
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾

إشارات:

□ جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام: «يا علي إذا نزلت منزلاً فقل: اللهم أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين، تُرْزَقَ خَيْرُهُ وَيُدْفَعَ عَنْكَ شَرُّهُ»^(١).

□ النبي نوح عليه السلام ذكر الله في كل حال:

- في الدعوة إلى التوحيد، ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾^(٢).
- في صناعة السفينة بوحى من الله، ﴿أَصْنَعِ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا﴾^(٣).
- في حمد الله عند الركوب، ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾^(٤).
- في الحركة باسم الله، ﴿بِسْمِ اللَّهِ بَحْرُنَهَا وَفَرَسَهَا﴾^(٥).
- في الدعاء لله ﷻ عند التوقف، ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي﴾^(٦).

(٤) سورة المؤمنون: الآية ٢٨.

(٥) سورة هود: الآية ٤١.

(٦) سورة المؤمنون: الآية ٢٩.

(١) تفسير كنز الدقائق.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٢٣.

(٣) سورة المؤمنون: الآية ٢٧.

التعاليم:

- ١ - يجب أن نشكر الله على نعمه السابقة أولاً، ثم نطلب منه المزيد من النعم الجديدة، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي... رَبِّي أَنزَلَنِي﴾.
- ٢ - علينا أن نذكر الله عند الدعاء والمناجاة وندعوه بالاسم الذي يتناسب مع حاجتنا، ﴿أَنزَلَنِي... خَيْرَ الْمُنْزِلِينَ﴾.
- ٣ - الموضوعات التاريخية في القرآن ليست للتسلية بل هي آية هداية وعامل من عوامل الرشد، ﴿لَا يَنْتِي﴾.
- ٤ - جرت سُنَّةُ الله على اختبار الناس في كل حال، وما حدث لنوح عليه السلام نموذج من نماذج الاختبار الإلهي، ﴿لَمَبْنَيْنِ﴾.

﴿قُرْآنًا مِّنْ بَعْدِهِمْ قُرْآنًا آخَرِينَ﴾ (٣١)
فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾

التعاليم:

- ١ - أرسل الله تعالى رسولا إلى كل أمة، ﴿قُرْآنًا آخَرِينَ فَأَرْسَلْنَا﴾.
- ٢ - يجب أن يكون الرسول إنساناً (حتى يكون للناس مثالاً عملياً يشعر بالأمهم، ويكون حُجَّةً عليهم جميعاً)، ﴿مِنْهُمْ﴾.
- ٣ - تكتسب عبادة الله قيمتها حينما تقترن بنفي الشرك، ﴿إِنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾.
- ٤ - الإيمان بالتوحيد يحتاج إلى التقوى، ﴿إِنِ اعْبُدُوا اللَّهَ... أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيمَانِ الْآخِرَةِ
وَأُتْرِفْتُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ
مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ (٣٣)

التعاليم:

- ١ - تقوم دعوة الأنبياء على أساس تحرير الناس من سلطة المستكبرين والظالمين،

ولهذا السبب فإن هؤلاء يُخالفون الأنبياء ويُعارضونهم أكثر من غيرهم، ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾.

٢ - يعيش الأنبياء حياة عادية، ﴿يَأْكُلُ... يَشْرَبُ﴾.

٣ - الأغنياء والمترفون في النعمة غافلون عن القضايا المعنوية والعلمية، ﴿يَأْكُلُ... يَشْرَبُ﴾.

(يقول أمير المؤمنين عليه السلام إن الذي دفعهم إلى قول هذه الكلمات هو الحسد)^(١).

﴿وَلَيْنَ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٤﴾
أَيَعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُمْ وَكُنْتُمْ تَرَابًا وَعِظْنَا أَلَّكُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٣٥﴾
﴿هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾

إشارات:

□ استخدمت كلمة «هَيَّاتَ» في القرآن الكريم مرتين، وتكررت في هذه الآية أيضاً، حيث يظنُّ رؤوس الكفر أن القيامة بعيدٌ وقوعها جداً.

□ رفع الكفار شعارات وحججاً وهي:

- إنَّ الرسول إنسان كسائر الناس، ﴿بَشَرًا﴾.

- إنَّه لا يتميز على الآخرين، ﴿مِثْلَكُمْ﴾.

- إنَّ اتباع الأنبياء والرسل خسارة، ﴿لَخَسِرُونَ﴾.

- إنَّ القيامة والحياة من جديد بعيدان عن الحقيقة، ﴿هَيَّاتَ هَيَّاتَ﴾، (ولأن الأنبياء يعدون مراراً وتكراراً بالقيامة ﴿تُوعَدُونَ﴾ فإن المعارضين والمخالفين كرروا كلمة ﴿هَيَّاتَ﴾ أيضاً).

وما ذُكر هو بعض شعارات العناد أو الخداع عند الكفار وأعداء الحق،

أولئك الذين يَعُدُّون اتِّباع الأنبياء خسارة بدعاياتهم الواسعة، أمَّا هدفهم فهو تسخير الناس لطاعتهم وجر الأمم إلى العبودية تحت شعار الحرية.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾
إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾

التعاليم:

- ١ - لا يتخیل المستكبرون وجود طريق آخر غير طريقهم، ﴿إِنْ هِيَ﴾.
- ٢ - الناظر إلى الشرى لا يرى الشربا...، ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا... وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾، (الدنيويون هم أصحاب الأفق الضيق في المجتمع).
- ٣ - لقد قبل الكفار بوجود الله، ولكنهم لم يكونوا يقبلون المَعَاد والنبوة، ﴿افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ﴾.
- ٤ - يرفض أهل الكفر أولياء الله والوعود الإلهية، رافعين شعار «المحافظة على حرمة الله وقداسته»، ﴿افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ﴾.
- ٥ - يسقط المجتمع أحياناً إلى حد أن يوصف حُماة الدين الحقيقيون فيه بالكذابين، ويُقدَّم الكافرون المغرورون على أنهم حُماة حرَمَاتِ الله، ﴿افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِينَ ﴿٤٠﴾
فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُصَاءً فَبَعْدًا لِلسَّعِيرِ ﴿٤١﴾
ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾﴾

التعاليم:

- ١ - لا شك في أن الملاذ هو الله وحده، ﴿رَبِّ﴾.
- ٢ - كلمة «رب» هي أفضل كلمة من أجل الدعاء، وأكثر كلمة في القرآن الكريم بعد كلمة «الله» هي كلمة «رب»، وتُستخدم عادة في كل الأدعية.

- ٣ - سيندم الكفار والمجرمون عاجلاً أم آجلاً (سرعان ما سيستيقظ الوجدان)،
﴿تَذِيرِينَ﴾.
- ٤ - يهدف استعراض التاريخ بما فيه من هلاك الأمم السابقة راحة لإدخال السكينة على النبي ﷺ، في حين يُمثل وسيلة تهديد لكفار مكة، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ...﴾.
- ٥ - دعاء الأنبياء مستجاب، ﴿رَبِّ... فَأَخَذَتْهُمُ﴾.
- ٦ - غضب الله ينشأ على أساس العدل، ﴿الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ﴾.
- ٧ - يتعرض خصوم الأنبياء للعذاب النفسي، ﴿تَذِيرِينَ﴾، كما أنهم يعانون من العذاب الجسماني، ﴿عُقُوبَةً﴾، وهم كذلك أسرى يوم القيامة.
- ٨ - عذاب الله مُهلك ومُدمر، ﴿عُقُوبَةً﴾.
- ٩ - يجوز لعن الظالمين، ﴿فَبَعْدًا﴾.
- ١٠ - جرت سُنَّة الله على إيجاد أمة أخرى بعد انقراض أمة من الأمم، ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا﴾، (تقع التحولات التاريخية تحت سيطرة الله تعالى).
﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾

التعاليم:

- ١ - لكل مجتمع كفرٍ أو أمة عاصية مُهلة خاصة محددة بحكمة، ﴿مَا تَسْبِقُ...﴾.
- ٢ - لا تغتروا بتأخر العذاب الإلهي، ﴿مَا تَسْبِقُ...﴾.
- ٣ - لا يُلغى الصخب والضجيج الخطط والتدابير الإلهية، والنظام الإلهي هو المُتحكم في التحولات التاريخية، ﴿مَا تَسْبِقُ...﴾.
- ٤ - للتاريخ سننه وقوانينه الثابتة، ﴿مَا تَسْبِقُ...﴾.
- ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رُسُلُهُمْ كَذَّبُوهُ
فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٤٤﴾

إشارات:

□ كلمة «أحاديث» جمع «أحدوثة»، وهي كلمة تُطلق على القصص المثيرة العجيبة التي تُروى بالتفصيل وتُسمع باهتمام.

التعاليم:

- ١ - جرت سُنَّة الله تعالى على إرسال الأنبياء إلى الأمم تبعاً، ﴿رُسُلَنَا تَتْرَ﴾، (يحتاج كل مجتمع إلى زعيم وقائد، فالفكر والعلم لا يكفيان وحدهما من أجل الإنسان، وإنما يتطلب جملة أمور من طريق الوحي).
- ٢ - تعرّض الأنبياء كلهم للتكذيب، ﴿كُلَّ مَا﴾.
- ٣ - كان لكل أمة رسولها، ﴿كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَّسُولُهَا﴾.
- ٤ - الهلاك هو النتيجة المترتبة على تكذيب الحق، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾، (لا يبقى تاريخ كبير للعصاة والطواغيت).
- ٥ - استعملت كلمة ﴿فَبَعْدًا﴾ كمصدر يُستخدم دائماً في مكان الفعل، وبناءً على هذا فإن هذه الكلمة تعني «بعدوا بعداً» للدلالة على النيل من الكفار.
- ٦ - تخضع التحولات التاريخية لإرادة الله، وهلاك الأمم العاصية أحد نماذج معاقبتها، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا﴾.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾
إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «سلطان» ترادف كلمة حُجَّة، لأن الإنسان يتسلط على قلوب الناس ويتغلب عليهم بامتلاكه المنطق والاستدلال والحُجَّة العلمية العقلية.

التعاليم:

- ١ - يجب أن تكون الدعوة في بعض الأحيان جماعية أو بإرسال وفد للتحاور، ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ﴾.
- ٢ - يجب أن يتمتع الداعية إلى الله بسندٍ علمي، ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾.
- ٣ - ينبغي أحياناً أن نبعث أولاً عن المؤثرين والبارزين في المجتمع من أجل إصلاح الناس وتقويم النظام الاجتماعي، ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾.
- ٤ - يقوم أعوان الطواغيت وحاشيتهم بدور مهم في سلطتهم، ﴿وَمَلَئِهِ﴾.

﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ ﴿٤٧﴾
فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾
وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾

التعاليم:

- ١ - كان موسى وهارون من بني إسرائيل، ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ﴾، (مع ملاحظة أن بني إسرائيل كانوا مُستعبدين من فرعون وقومه).
- ٢ - ينظر المتكبرون إلى المكانة الاجتماعية للأفراد بدلاً من مراعاة المنطق واحترام المعجزة، ﴿وَسُلْطَنٍ مُّبِينٍ... وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ﴾.
- ٣ - العنصرية سبب من أسباب الاستكبار، ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ﴾، (كان الفراعنة يظنون أن جنسهم أرفع من جنس بني إسرائيل).
- ٤ - منطق الأنبياء هو المعجزة والاستدلال، أما منطق الطواغيت فهو الاستضعاف والاستعباد، ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ﴾.
- ٥ - عاقبة تكذيب الحق هي الهلاك، ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا
إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾

إشارات:

- تُطلق كلمة «معين» على الماء الذي يجري على الأرض.
- ذكر الله تعالى عيسى ومريم عليهما السلام في هذه السورة بوصفهما معجزة واحدة، ولكنه يقول في الليل والنهار: ﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ وَالنَّهَارَ آيَاتِينَ﴾^(١)، أي أن الليل والنهار معجزتان، وذلك يعود إلى أن ميلاد عيسى بدون أب هو نفسه ولادة مريم له بدون زوج.

□ ثَمَّة آراء عدّة في المراد من الربوة المشار إليها في الآية، منها: أنها الكوفة، وأن قوله تعالى «ذات قرار» المقصود به مسجد الكوفة، وكلمة «مَعِين» تعني ماء «الفرات» الذي يجري في الكوفة على الدوام^(١)؛ ومنها أنها دمشق أو الغوطة منها وهي خير مدن الشام^(٢).

التعاليم:

١ - اعلّموا أنَّ الظواهر المهمة والحوادث العجيبة هي وسيلة لمعرفة الله وعلامة على قدرته الغيبية، ﴿ءَايَةً﴾.

٢ - الماء والأمن من العناصر الضرورية للسكن والحياة، ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾.

﴿يَتَأَيَّأُ الرُّسُلُ كُلُّهُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

إشارات:

□ تلازمت أوامر أخرى أيضاً مع كلمة ﴿كُلُوا﴾ في القرآن الكريم، لغايات لصالح المؤمنين، مثال:

- ﴿كُلُوا... وَأَشْكُرُوا﴾^(٣) كلوا واشكروا.

- ﴿كُلُوا... وَأَطِيعُوا﴾^(٤) كلوا وأطيعوا الآخرين.

- ﴿كُلُوا... وَلَا تُسْرِفُوا﴾^(٥) كلوا ولكن لا تسرفوا في الأكل.

□ يقول الإمام الصادق عليه السلام في تعقيبه على هذه الآية إن الطيبات في قوله: ﴿كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ﴾ هي «الرزق الحلال»^(٦).

(١) بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٢٣٩.

(٢) جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج ٥، ص ١٠.

(٣) سورة سبأ: الآية ١٥.

(٤) سورة الحج: الآية ٢٨.

(٥) سورة الأعراف: الآية ٣١.

(٦) بحار الأنوار، ج ١١، ص ٥٨.

□ ونقرأ في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ عِبَادَةَ مَنْ فِي جَوْفِهِ لُقْمَةٌ مِنْ حَرَامٍ»^(١).

□ وجاء في الحديث: «العبادة مع أكل الحرام كالبناء على الرمل، وقيل على الماء»^(٢).

التعاليم:

١ - الأنبياء أيضاً يستفيدون من المواد الغذائية والهبات الطبيعية (لا يجوز توقع غير ذلك كونهم بشراً)، ﴿كُلُوا﴾.

٢ - علينا أن نفكر في الحياة المادية للناس أولاً من أجل أن ندعوهم للحق، ﴿كُلُوا... وَاعْمَلُوا﴾.

٣ - تعارض جميع الأديان السماوية الرهبانية والعزلة، ﴿كُلُوا﴾، (ربما كان الأمر «كلوا» بعد اسم عيسى عليه السلام من أجل منع الرهبانية التي ابتدعت في النصرانية).

٤ - يجب عليكم مراعاة شرطين مهمين في ما تأكلون:

أ - أن يكون الطعام حلالاً.

ب - أن يكون طيباً طاهراً، ﴿كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ﴾.

٥ - يجب أن يكون أكلنا للطعام هادفاً أيضاً، وليس على أساس الشهوة والهوى، ﴿كُلُوا... وَاعْمَلُوا﴾.

٦ - عفة البطن قرينة التقوى في العمل، ﴿كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾.

٧ - التوفيق إلى العمل الصالح يكون في ظل الطعام الطيب الحلال، ﴿الطَّيِّبَاتِ... صَالِحًا﴾.

٨ - الطعام الطيب السليم والعمل الصالح من الأمور التي تهتم بها الأديان الإلهية كلها، ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ... الطَّيِّبَاتِ... صَالِحًا﴾.

﴿وَلَنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (٥٢)
 ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٥٣)

إشارات:

□ كلمة «زُبُر» جمع «زُبرة» (على وزن لقمة) التي تُطلق على الجزء من الشعر المجتمع خلف رأس الحيوان حينما يتلبد وينفصل عن بقية الشعر. ثم صارت هذه الكلمة تُطلق على كل شيء ينفصل عن غيره^(١).

التعاليم:

- ١ - الأمم كلها في الحقيقة أمة واحدة في الرؤية الدينية ومن وجهة النظر الإلهية ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، لأن:
 - تتحدّر دعوات الأنبياء جميعاً من أصول واحدة.
 - تتساوى احتياجات البشر الفطرية والنفسية والجسدية.
 - الله سبحانه وتعالى وحده الرب والخالق.
- ٢ - التقوى والمحافظة على الحرمات يليقان بمقام الربوبية، ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾.
- ٣ - إحداث الفرقة بلاء عظيم له سابقة طويلة، وبشها المؤذي للانقسام دليل عدم التقوى، ﴿فَاتَّقُونِ... فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾.
- ٤ - يعود سبب الانقسام إلى أنانية البشر، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

﴿فَذَرُّهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٥٤)
 ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُسَبِّهُ بِذِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ﴾ (٥٥)
 ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٥٦)

إشارات:

□ كلمة «غَمرة» تعني الماء العميق المُغرق، والمراد منها هنا هو غرق أهل مكة في الجمود والتعصب لعبادة الأوثان والأصنام.

التعاليم:

- ١ - من نتائج الضلال الويلة أن يترك الله الضالّين لحالهم، ﴿فَذَرَّهُمْ﴾.
- ٢ - الاختلاف والفرقة هادئة هلاك، وسبب لغضب الله ورسوله، ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ... فَذَرَّهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ﴾.
- ٣ - الإنسان هو الذي يحفر حفرة تعاسته بيده، ﴿غَمَرَتِهِمْ﴾.
- ٤ - لن يُمهّل الذين يثون الفرقة بين الناس كثيراً، فالعذاب الإلهي في انتظارهم، ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾.
- ٥ - يقدم أهل الرفاه والثراء الفاحش تحليلاً مغلوطاً، فالرفاهية والإمكانيات والأبناء تسببت في انخداعهم بأنفسهم، وإحساسهم بأن لهم محبة عند الله، ﴿يَحْسَبُونَ﴾.
- ٦ - التقييم القائم على أساس المال والولد فقط دليل على انعدام العقل، ﴿بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ٥٧ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ٥٨﴾
 ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ٥٩﴾

إشارات:

□ «الخشية» هي الخوف الذي ينشأ عن العلم والمعرفة، و«الإشفاق» هو الخوف الذي تخالطه المحبة والاحترام، والخشية لها في الغالب جانب قلبي، أما الإشفاق فله جانب عملي. وتقول الآية إن المؤمنين والسابقين في الخيرات هم أولئك الذين استقر في قلوبهم الخوف الممزوج بعظمة الله، ويحافظون في عملهم على حرمة الله ويستحيون منه.

التعاليم:

- ١ - إن الخوف من الله وعظمته من علامات أهل الخير والرشد، ﴿مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾.

٢ - علينا أن نؤمن بأي قانون يُرسله الله تعالى، والابتعاد عن أنواع الشرك، (الفعالان «يؤمنون» و«لا يشركون» في زمن المضارع، وهو ما يشير إلى المداومة والاستمرار).

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾

إشارات:

□ الوجل يعني الاضطراب والقلق.
□ يحدث التطور المعنوي للإنسان في مراحل عدة، وقد ذكرت هذه المراحل في هذه الآيات:

المرحلة الأولى، وهي العلم والمعرفة اللذان يتسببان في الخشية، ﴿يَنْ خَشْيَةَ رَبِّهِمْ﴾.

المرحلة الثانية، وهي الإيمان العميق والدائم بما أدركه، ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

المرحلة الثالثة، البعد عن أنواع الشرك، الظاهر منه والخفي، ﴿لَا يُشْرِكُونَ﴾.

المرحلة الرابعة، الإنفاق من رزق الله، ﴿يُؤْتُونَ﴾.

المرحلة الخامسة، التواضع، والشعور بالقلق مخافة أن يكون العمل ناقصاً أو مردوداً، أو يكون المطلوب شيئاً آخر ويعجز المكلف عن تبريره يوم القيامة، ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾.

التعاليم:

١ - الحث على الإنفاق مع الخشية من اليوم الآخر، ﴿يُؤْتُونَ... وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾.

٢ - يعود خوف المؤمن من الله إلى أنه راجع إلى ربه وسيقف بين يديه في يوم القيامة، ﴿وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾

إشارات:

□ ظهر جلياً في الآية ٥٦ أن بعض الناس يرون السعادة في امتلاك المال وإنجاب

الأبناء فقط، ويعدّون ذلك علامة على المُسارعة في الخيرات، لكن هذه الآية تقول إن المُسارعة في الخير والعلم والإيمان والإخلاص والإنفاق في سبيل الله كل ذلك مصحوب بالخوف والخشية، وليس الأمر بسيطاً كما يظن هؤلاء.

التعاليم:

- ١ - الخوف من الله والقيامة يؤدّيان إلى المُسارعة في أعمال الخير، ﴿مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُتْسِفُّونَ... أُولَئِكَ...﴾.
 - ٢ - علامة الإيمان الحقيقي هي السرعة الدائمة في أعمال الخير، ﴿يُسْرِعُونَ﴾ فعل مضارع، ويرمز إلى الاستمرار.
 - ٣ - السرعة والسبق في عمل الخير قيمة من القيم، ﴿يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾.
- ﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

إشارات:

□ ثمة قاعدة فقهية تُسمى قاعدة «نفي العسر والحرج»، وهذه الآية هي الأساس الذي قامت عليه هذه القاعدة. أي أنه حينما يتسبّب تكليف من التكاليف في مشقة لا يمكن تحملها فإن هذا التكليف يسقط.

التعاليم:

- ١ - على الرغم من أن السبق والمُسارعة في أعمال الخير لهما قيمة كبيرة فإن الإفراط فيهما لا يستحب، ﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾.
- ٢ - لا يتساوى تكليف الناس جميعاً، فكل إنسان مُكلّف على حسب مقدراته الجسمانية والفكرية والمالية، والله سبحانه لا يُطالب الفقير بما كلف به الغني، ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.
- ٣ - ليس لأي إنسان في الرؤية الإلهية أن يكون أسيراً لعقدة الاحتقار والشعور بالمهانة؛ لأنه لا يُكلف بما يفوق قدرته، ﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾، (نعم، لكل إنسان قدرة وواجب، فيجب عليه إذن أن يهدأ ويطمئن).

- ٤ - يتصف نظام الخلق بالدقة والترتيب، ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ﴾.
- ٥ - ذكرت مجموعة من شروط الإدارة في هذه الآية، ومن بينها ما يلي:
- أ - التعرف على قدرة الأفراد وتكليفهم على حسب قدراتهم، ﴿وَسَعْمَاءُ﴾.
- ب - المراقبة الدقيقة لعملهم وواجباتهم، ﴿كِتَابٌ يَطْلُقُ بِالْحَقِّ﴾.
- ج - العدالة في العقاب والثواب، ﴿وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ﴾.
- ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾

إشارات:

- تأتي كلمة «بَل» في بداية الكلام من أجل الانتقال من موضوع إلى موضوع آخر، فقد كان الحديث في الآية السابقة عن الأخيار، أمّا هذه الآية فالحديث فيها عن الكفار، وعمل هؤلاء غير عمل أولئك.
- كلمة «غَمَرَة» تعني الفيض المُغرق، والمقصود هنا الماء الذي يغمر الإنسان ويُغطيه تماماً، أي كأنَّ الغفلة قد غمرت كيانهم كله.

التعاليم:

- ١ - تنحرف الروح أولاً، ثم يتغير السلوك بعد ذلك، ﴿قُلُوبُهُمْ... وَلَهُمْ أَعْمَلٌ﴾.
- ٢ - الإصرار على المسلك القبيح وتكراره أسوأ من إتيانه، ﴿وَلَهُمْ أَعْمَلٌ... هُمْ لَهَا عَمِلُونَ﴾.
- ٣ - يُقدِّم الإنسان في البداية على المخالفة، ثم تصبح عادة يعتادها وينجذب إليها، أي أنه ينحرف في تيار العمل ويرتكبه، ويصبح أسيراً للذنب بعد ارتكابه، ﴿وَلَهُمْ أَعْمَلٌ... هُمْ لَهَا عَمِلُونَ﴾.

﴿حَقَّ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَخْرُوتَ ﴿٦٤﴾
لَا يَخْرُوتُوا الْيَوْمَ إِكْرَمًا لَا تُصْرُونَ ﴿٦٥﴾﴾

إشارات:

- «يَخْأَرُونَ» من «جوار» التي تعني عواء الكلاب والثعالب والذئاب عند تعرضها

للضرب، وتشبيه تضرع الضالين من أهل البذخ والفجور الغافلين بعواء الكلب إشارة إلى ما ينالهم من تحقير ومذلة في العذاب يوم القيامة جراء عريدتهم الدنيوية.

التعاليم:

- ١ - لا توجد وسيلة أخرى من أجل تنبيه الجماعة من المنحرفين المستكبرين غير العذاب الإلهي، ﴿حَتَّىٰ إِذَا...﴾.
- ٢ - نهاية الغافلين من المترفين في النعمة هي العجز المقترن بالأنين والتضرع، ﴿يَخْتَرُونَ﴾.
- يُقال في الشعر ما ترجمته: «بعد كل ضحكة بكاء»، والرجل الذي يُقدر العواقب عبدٌ من عباد الله المباركين.
- ٣ - يوم القيامة هو يوم الجزاء وليس يوم الطلب والدعاء، ﴿لَا تَجْتَرُوا أَيُّومَ﴾.
- ٤ - إِنَّ أولئك الذين لم يساعدوا الناس بما لديهم من مال وإمكانات لن يجدوا العون يوم القيامة، ﴿لَا تُصْرُوكَ﴾.

﴿فَقَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ نَنكِصُونَ﴾ (٦٦)

مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَلِيمًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾

إشارات:

□ كلمة «نكوص» تعني الرجوع إلى الوراء، وقوله تعالى «على أعقابكم» تأكيد للمعنى.

□ كلمة «سامر» من «سمر» التي تعني الحديث ليلاً.

□ كلمة «هجر» تعني البُعد والمفارقة، وتُطلق كلمة «هجر» على الفاحش من القول وما لا يليق منه، وهو ما يتسبب في الهجر والفراق.

التعاليم:

- ١ - التراجع عن الحق والإعراض عنه من أوصاف المسرفين المترفين والمستكبرين، ﴿فَكَثُرَ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ نَكِصُونَ﴾.
- ٢ - تجاهل الكفار للأنبياء ليس دليلاً على الرشد والرقى، وإنما هو سبب في السقوط والتراجع. والأوامر والقوانين الإلهية هي وسيلة الوصول إلى الكمال، والإعراض عنها هو سبب السقوط، ﴿أَعْقَابِكُمْ نَكِصُونَ﴾.
- ٣ - الأسوأ من النكوص والإعراض عن الحق هو أن يكون الهدف من هذا العمل هو الاستكبار، ﴿مُتَّكِرِينَ بِهِ﴾.
- ٤ - إن الذي لا يملك المنطق نهاراً يقضي الليل في التحدث بالهذر والهزل، ﴿سَمِرًا تَهْجُرُونَ﴾.
- ٥ - من لا يقيم حساباً لكلامه يفحش في القول، ﴿تَهْجُرُونَ﴾.

﴿أَفَلَمْ يَذَّبَرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُمْ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَكَذَّبُوهُمُ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾

التعاليم:

- ١ - السبب الأول في تعاسة الناس هو تعطيل الفكر، ﴿أَفَلَمْ يَذَّبَرُوا﴾.
- ٢ - القرآن هو كتاب التدبر والفكر (وليس كتاباً للتلاوة والتجويد...) فقط، وكل من يتدبر فيه يدرك أنه الحق، ﴿أَفَلَمْ يَذَّبَرُوا الْقَوْلَ﴾.
- ٣ - يوجه الله تعالى نداءه للناس في كل العهود والأزمان، وأساس الأديان السماوية واحد، ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ﴾.
- ٤ - لا سبيل للحجج والذرائع لدى مخالفتي الحق ومعارضيه عند الدعوة إلى دين الله وتبليغه، ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ﴾، ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا﴾.
- ٥ - ينبغي أن يكون الرسول معروفاً (بالخير) بين الناس، حتى لا تكون لهم حجة للإنكار، ﴿لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾.

- ٦ - على الرغم من أن الإنسان يُبدي رد فعل معارضاً في مواجهة الكلام الجديد فإن نزول الوحي لم يكن أمراً جديداً، ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ﴾.
- ٧ - ينتقص أعداء الدين من شخصية رجال الله ويشكون فيها من أجل المحافظة على عقيدتهم، ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾.
- ٨ - يجب أن يُعرض الحق ويُقدّم للناس ولو انزعجت الأغلبية وضاعت بذلك ذرعاً، ﴿بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾.
- ٩ - بعض الكفار لديهم فطرة سليمة، ويقبلون الحق، ﴿وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ أي ليس جميعهم.

﴿وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾
 بَلْ أَلَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾

إشارات:

□ يفسد نظام الكون ويتلف عندما يتبع الحق أهواء الناس لأن:

- ١ - أهواء الناس - حتى أهواء الفرد الواحد منهم - متباينة في الأزمان المختلفة.
- ٢ - أهواء الناس لها مفسدها وأضرارها.
- ٣ - رغبات الناس أحادية البعد، ولا تهتم بالأبعاد الأخرى وأثارها البعيدة والقرية.

التعاليم:

- ١ - لا يجب على الحق أن يتبع ميول الناس وأهواءهم أبداً، ﴿وَلَوْ أَتَبَعَ﴾.
- ٢ - الوجهاء الكافرون يُحبون أن يكون الدين حسب ميولهم، ﴿وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ﴾.
- ٣ - عبادة الحق تتعارض مع عبادة الهوى، ﴿لَفَسَدَتِ﴾.
- ٤ - الميول والأهواء البشرية تُفسد الدنيا، ﴿لَفَسَدَتِ﴾.

- ٥ - الدليل على حكمة الله الواحد وأنه الحق هو هذا النظام الموجود في الكون، ﴿وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ... لَفَسَدَتْ﴾.
- ٦ - توجد في السماء مخلوقات حيّة عاقلة، ﴿وَمَنْ فِيهِنَّ﴾.
- ٧ - القرآن هو وسيلة التذكر، ﴿يَذَكِّرُهُمْ﴾.

﴿أَمَرْتَنَّهُمْ خَيْرًا فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ (٧٦)
 وَلَئِكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٣)
 وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَوِّبُنَّ﴾ (٧٤)

إشارات:

- «الْخَرَج» هو الشيء الذي يُنفَق، أما «الخِراج» فهو الميزانية المستمرة التي يتم تحديدها. وكلمة «نكبة» تعني الميل والانحرف، و«النكبة» المصيبة...، ونكبته حوادث الدهر ونكوب كثيرة من الدهر...^(١).
- الرزق الإلهي خير ﴿فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ﴾ لأن له عدة مزايا، فهو بلا مِنة ودائم وزائد ومبارك.
- جاء في الحديث: «مَنْ عَدَلَ عَنْ وَلايَتِنَا أَوْ فَضَّلَ عَلَيْنَا غَيْرِنَا فَإِنَّهُمْ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ»^(٢).

التعاليم:

- ١ - علينا أن لا نطلب المال من الناس عند دعوتهم إلى الدين، أمّا إذا أعطوا من تلقاء أنفسهم فهذا له شأن آخر، ﴿أَمَرْتَنَّهُمْ﴾.
- ٢ - يشعر الناس بحساسية عندما يطلب الداعية منهم المال، ﴿أَمَرْتَنَّهُمْ خَيْرًا﴾.
- ٣ - يُنفق الناس مرة، أمّا الله تعالى فإنه يرزقهم دائماً (مع ملاحظة الاختلاف الواضح بين كلمتي «خَرَج» و«خِراج»)، ﴿خَيْرًا...﴾.

(١) حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن، ج ١٢، ص ٢٥٣ وما بعدها.

(٢) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٥٤٨.

- ٤ - الرزق الدائم شأن من شؤون الربوبية، ﴿فَخَرَّاجٌ رَيْكَ﴾.
- ٥ - الله تعالى هو الضامن لرزق دعاة دينه، ﴿فَخَرَّاجٌ رَيْكَ﴾.
- ٦ - عليكم ألا تنخدعوا بأسباب الرزق ووسائله، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ أي أنه تعالى هو أصل المصادر.
- ٧ - الرسول هو المنادي إلى الصراط المستقيم، ﴿وَلَا تَدْعُهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.
- ٨ - الإيمان بالمعاد هو الذي يدفع إلى الثبات على الطريق، في حين أن الكفر هو سبب الانحراف، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ... لَنَكُونَنَّ﴾.

﴿وَلَوْ رَحَّمْنَهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ
لَلْجُؤُا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٧٥)

إشارات:

- نقرأ في تفسير «كنز الدقائق» و«روح البيان» أن قحطاً قد أصاب مكة في وقت من الأوقات، فطلب أبوسفیان من النبي الأكرم ﷺ أن يدعو الله ليرفع عنهم القحط، قائلاً: «أنشدك الله والرحم، ألسنت تزعم إنك بعثت رحمة للعالمين... فادع أن يكشف عنا هذا القحط. فدعا فكشف عنهم فأنزل الله هذه الآية^(١).
- يختلف الطغيان باختلاف الأفراد:

- طغيان العلماء، يكون في العلم، ويظهر عن طريق التفاخر والمباهاة.
- طغيان الأغنياء، يكون في المال، ويظهر عن طريق بُخلهم.
- طغيان الصالحين، في عمل الخير، ويظهر عن طريق الرياء والسُّمعة.
- طغيان أهل الأهواء، ويتمثل في اتباعهم للشهوات.

التعاليم:

- ١ - الرفاهية والراحة من علامات الرحمة الإلهية، ﴿رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا﴾.
 - ٢ - لا فائدة تُرجى من خدمة الفاسدين ومحبتهم، ﴿رَحِمْنَاهُمْ... لَلْجُؤِ﴾.
 - ٣ - لا يُحْسِنُ الكافرون الاستفادة من الفرص والإمهالات، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ... لَلْجُؤِ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾.
 - ٤ - الطغيان يُصيب الإنسان بالحيرة والتخبط، ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.
- ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَاثُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾

إشارات:

□ جاء في الحديث أن «الاستكانة» هي الخضوع، وأن «التضرع» هو رفع اليدين بالدعاء^(١).

□ قال الله تعالى في الآية السابقة عن الكفار المعاندين: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُؤُ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، أي لو رحمناهم وكشفنا عنهم ما أصابهم من قحط وجوع لتمادوا في العناد، وما عادوا إلى الطريق القويم. ويقول في هذه الآية: لو نالهم غضبي وابتليتهم بالعذاب فإنهم لن يعودوا أيضاً إلى الصراط المستقيم. أي أن الأمر سيأت. يقول أحد الشعراء ما ترجمته:

ما فائدة التلاوة والوعظ للقلب الأسود، إن المسمار الحديدي لا يخترق الحجر.

التعاليم:

- ١ - غاية الغضب الإلهي في الدنيا هو إيقاظ الغافلين، ﴿أَخَذْنَاهُمْ... فَمَا اسْتَكَاثُوا﴾.
- ٢ - يُتلى الكافرون والضالون أحياناً بالعقوبات الإلهية في الدنيا أيضاً، ﴿أَخَذْنَاهُمْ﴾.

٣ - الكفار المعاندون لا يهتدون بالرحمة الإلهية، ولا بغضب الله وعذابه، ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا﴾.

٤ - أسوأ أنواع التكبر هو الاستكبار في مواجهة الله، ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ﴾.
(الإنسان القاسي القلب يصل إلى حد عدم الخضوع لله الكبير والتضرع له والشكوى إليه).

﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «مُبلس» من مادة «إبلاس» التي تعني الحزن الذي يصيب الإنسان بعد وقوع حادثة مريرة وشديدة، ويجزّه هذا الحزن في الغالب إلى السكوت والحيرة واليأس^(١).

التعاليم:

١ - أبواب العذاب مغلقة في الأساس، لكن العصيان والعناد في مواجهة الحق يتسببان في أن يفتح الله تعالى تلك الأبواب، ﴿فَتَحْنَا﴾.

٢ - هناك أصول ومبادئ مُتبعة عند الله تعالى في مراحل التربية والتعامل مع المعاندين وهي:

الأول: يسلك معهم مَسلك الرحمة والشفقة، ﴿وَلَوْ رَحَّمْنَهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُوا﴾.

الثاني: يأخذهم بالعذاب العقابي، ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ﴾.

الثالث: يُنزل بهم العذاب النهائي الذي يكون سبباً في العجز والضعف، ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

٣ - يُبتلى بالعذاب من يُريد بعناده أن يُصيب الأنبياء باليأس الذي يجره هو نفسه إلى هذا اليأس، ﴿مُبْلِسُونَ﴾.

(١) تفسير نمونه (الأمثل).

٤ - ليس هناك مجال للتوبة والنجاة عند حلول العذاب النهائي، ويأس عندئذ المعذبون، ﴿مُيْلُسُونَ﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨)
 ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٧٩)
 ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٨٠)

التعاليم:

- ١ - أدوات العلم والمعرفة من أعظم النعم الإلهية، ﴿أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ...﴾.
- ٢ - لا تنحصر وسائل المعرفة في المحسوسات، فالقلب مثلاً أداة من أدوات المعرفة أيضاً، ﴿السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾.
- ٣ - شكر المُنعم واجب، أما الذي لا يستفيد من هذه النعم استفادة صحيحة فهو جاحدٌ ويستحق التوبيخ والتأنيب، ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.
- ٤ - يبعث ذكر النعم الإلهية على المعرفة والشكر، ﴿تَشْكُرُونَ﴾.
- ٥ - هناك غاية وهدف من خلق الإنسان، ﴿ذَرَأَكُمْ... وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.
- ٦ - يؤدي الفكر والتعقل بالإنسان إلى التوحيد، ﴿وَهُوَ الَّذِي... أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ (٨١) ﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
 وَعِظْمًا إِنْآ لَمَبْعُوثُونَ﴾ (٨٢) ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ
 إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٨٣)

إشارات:

□ كلمة «أساطير» جمع «أسطورة»، وتعني الخرافات والأباطيل الكاذبة، وقد استخدمت هذه الكلمة في القرآن الكريم تسع مرات على لسان الكفار في حديثهم عن الأنبياء.

التعاليم:

- ١ - ليس هناك جديد في كلام الكفار في إنكارهم المَعَاد، ﴿مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ بل هو تكرار لأسلافهم.
- ٢ - ليس للكفار منطق أو استدلال، وسلاحهم الوحيد في مواجهة الحق هو التعجب المصحوب بالإنكار، ﴿أَيُّذَا﴾.
- ٣ - عدم التعقل هو أصل إنكار الحق (الاهتمام بالموت والحياة وتحول الليل والنهار يُمهّد الساحة للإيمان بالمعاد)، ﴿يُمَيِّتُ... أَفَلَا تَقِيلُونَ... قَالُوا أَيُّذَا مِتْنَا﴾.

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٤)
 سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ
 رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْفِوُكُمْ﴾ (٨٧)

إشارات:

- تُقال كلمة «رب» للمالك الذي يقوم على حفظ مُلكه وتدبير شؤونه.
- «العرش» هو مركز القيادة الإلهية، وهو غير السماوات السبعة.

التعاليم:

- ١ - الجهل والغفلة هما أصل الشرك، ﴿لِمَنِ الْأَرْضُ... إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.
- ٢ - طرح السؤال أسلوب من أساليب الدعوة، ﴿لِمَنِ الْأَرْضُ﴾.
- ٣ - العلم المفيد هو الذي يُعرّف الإنسان بالله، ﴿لِمَنِ الْأَرْضُ... إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.
- ٤ - كل إنسان عاقل يعرف أن الأرض ومن عليها ليست بلا صاحب أو حساب، ولو كان كافراً، ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾.
- ٥ - الوجدان هو أفضل حَكَم، ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾.

٦ - يؤخذ سند الموعظة والبرهان من قول الناس أنفسهم وإجاباتهم، ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

٧ - تخضع السماوات السبع، بل الكون كله يخضع لتدبير الله تعالى، ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ...﴾.

﴿قُلْ مَنْ يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾

إشارات:

□ يقول تعالى في سورة يس: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١﴾﴾، أي أن الله إذا أراد شيئاً فإنه يأمر به فيخلق، والله سبحانه هو المنزه الذي في يده ملكوت كل شيء، وبناء على هذا، فإن كلمة ملكوت تعني القدرة المطلقة في الكون.

□ كلمتا «يُجِيرُ» و«يُجَارُ» من الجذر «جوار»، والجوار في أصله قرب المسكن ثم جعلوا للجوار حقاً وهو حماية الجار لجاره، عمن يقصده بسوء لكرامة الجار على الجار بقرب الدار، واشتق منه الأفعال، يقال استجاره فأجاره، أي سأل الحماية فحماه، أي منع عنه من يقصده بسوء^(٢).

□ المقصود بالحق في قوله ﴿أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ في هذه الآية هو المعاد أو القرآن أو منطق التوحيد والاستدلال عليه.

التعاليم:

- ١ - فلتتعلم أسلوب الحوار مع المخالفين من القرآن الكريم، ﴿قُلْ﴾.
- ٢ - نستعين في منهج الدعوة بفطرة الناس السليمة ومعتقداتهم الصحيحة في سبيل رشدهم وهدايتهم، ﴿قُلْ مَنْ يَدِيهِ...﴾.

- ٣ - إِنَّ مُلْكَ اللَّهِ واسع وشامل، ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.
- ٤ - إجارة الله دائمة ومطلقة وحصرية، ﴿وَهُوَ يُحْيِي﴾.
- ٥ - لا ملاذ في مواجهة غضب الله، ﴿وَلَا يُجَاوِزُ عَلَيْهِ﴾.
- ٦ - العلماء فقط هم الذين يُدركون حاكمية الله المطلقة، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.
- ٧ - عليكم بأخذ موقف واضح في مواجهة العقائد الضالة، ﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾.
- ٨ - أفعال الله حق، وهي صادرة عن حكمة، ﴿بِالْحَقِّ﴾.

﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ
وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (٩١)

التعاليم:

- ١ - من غير الجائز الاعتقاد بوجود ولدٍ لله من أي نوع، سواء أن نعد عيسى ولداً له أو الملائكة أو غيرهم ﴿مِنْ وَلَدٍ﴾.
- ٢ - يخضع كل مخلوق لسلطة خالقه، ﴿لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾.
- ٣ - تعدد جهات الإدارة يحول دون النجاح، ﴿لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾.
- ٤ - النظام المتكالف والمنسجم علامة على وحدانية الله تعالى، ﴿إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ﴾.
- ٥ - وجود الذرية والشريك علامة على الاحتياج والنقص، والتعاليم ملازم للنقص، ﴿لَذَهَبَ... وَلَعَلَّا﴾.
- ٦ - يتسبب التضاد بين القوى والسلطات بالفساد والانحيار، ﴿وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾.
- ٧ - علينا أن نُسَبِّحَ الله تعالى كي نظهر أرواحنا وأرواح الآخرين كلما رددنا تصورات الآخرين الخاطئة والمنحرفة، ﴿سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ﴾.
- ٨ - علينا أن نعلم أن الله تعالى بعيدٌ عن الانحرافات والخرافات ومُنَزَّهٌ عنها، ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّنَا عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٩٣) قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٤﴾
رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾

إشارات:

□ رُوِيَ عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أَنَّهُ: «عالم الغيب: ما لم يكن، والشهادة: ما قد كان»^(١).

التعاليم:

- ١ - يشير علم الله بكل شئ إلى كونه الغني عن الشريك، ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ... عَلِيمُ الْغَيْبِ﴾.
- ٢ - يتساوى علم الله بالغيب مع علمه بعالم الشهود، ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾.
- ٣ - الرسول ﷺ أمينٌ على الوحي، حتى إنه ينقل لنا كلمة «قل»، ﴿قُلْ رَبِّ﴾.
- ٤ - يؤذي التواجد بين الظالمين إلى خطر التعرض للعذاب الإلهي، ﴿فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ تُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ﴾ (٩٥)

إشارات:

□ لقد طمأن الله تعالى رسوله في هذه الآية بأنه قادر على تعذيب الضالين والكافرين؛ لكنه يؤخر عذابهم لأسباب منها:

- أ - أنه يُمهّلهم حتى يتوبوا.
- ب - أنه يُقيم عليهم الحجة البالغة.

- ج - أنه يخلق من أصلابهم أفراداً مؤمنين.
د - وجود الرسول ﷺ، فوجوده سبب في الرحمة والبركة.

التعاليم:

- ١ - تأخير العذاب ليس علامة على عجز الله، ﴿لَقَدْ رِئُوسٌ﴾.
- ٢ - لا تشكوا في قدرة الله لمجرد أنكم لا ترون عاقبة الكفار بأعينكم، ﴿ثَرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدْ رِئُوسٌ﴾.

﴿أَدْفَعْ بِأَلْفِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (٩٦)
وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾

التعاليم:

- ١ - يتلقى الرسول الأكرم ﷺ تربيته من الله، وهو مأمورٌ بالتعامل مع إساءات الأعداء بأحسن السبل، ﴿أَدْفَعْ بِأَلْفِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.
- ٢ - يُمكن الرد على الإساءة بالإساءة، ولكن هذا لا يليق بقدوة وقائد، ﴿أَدْفَعْ بِأَلْفِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.
- ٣ - إيماننا بعلم الله هو الذي يخلق فينا الصبر والحلم، ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ﴾.
- ٤ - الإجارة شأن من شؤون الربوبية، ﴿رَبِّ أَعُوذُ بِكَ﴾.
- ٥ - يجب على الأنبياء أيضاً أن يلوذوا بالله ويستجيروا به، ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ﴾.
- ٦ - يجب أن تكون الاستجارة بالله مكررة وجدية، (تكرار كلمة «أَعُوذُ»).
- ٧ - الله سبحانه هو وحده الملاذ الآمن، ﴿بِكَ﴾.
- ٨ - تزيين لنا الشياطين ووساوسهم التعامل السيئ مع الآخرين وهذه طريق من الطرق التي تنفذ منها الشياطين، ﴿هَمَزَاتِ﴾.
- ٩ - الشياطين تتعدّد وتنوع حتى وساوسهم أيضاً، ﴿هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾.
- ١٠ - الشياطين قد تطمع في الأنبياء أيضاً، ﴿هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ﴾ (٩٩) ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (١٠٠)

التعاليم:

- ١ - الغرور والغفلة أمران دائمان عند فريق من الناس، ﴿حَتَّىٰ إِذَا﴾.
- ٢ - سينتبه الغافلون يوماً فيطلبون العودة إلى الدنيا مرة ثانية، لكن هذا الطلب يتحقق، ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾.
- ٣ - يتسبب ضياع العمر والفرصة بالحسرة عند الموت، ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾.
- ٤ - العمل الصالح هو زاد الإنسان بعد الموت، ﴿ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾.
- ٥ - يجب على أولئك الذين يمتلكون القدرة والإمكانات أن يُكثروا من عمل الصالحات، ﴿أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾.

يقول الشاعر الإيراني:

عليك بالعمل يا مَنْ تستطيع قبل أن تعجز عن العمل.
٦ - الدنيا مزرعة الآخرة، ﴿أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١٠١)
﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٢)
﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (١٠٣)

إشارات:

□ قد يُطرح سؤال: جاء في بعض الآيات أَنَّ الناس يوم القيامة يسأل الواحد منهم الآخر، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾^(١)، أو يسأل أهل الجنة سكان الجحيم قائلين: ما الذي دفعكم إلى دخول النار؟ ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾^(٢).

(١) سورة الصافات: الآية ٢٧؛ وسورة الطور: الآية ٢٥.

(٢) سورة المدثر: الآية ٤٢.

فلماذا إذن يقول تعالى في الآية التي نحن بصددتها إِنَّ النَّاسَ لَا يَسْأَلُ أَحَدَهُم الْآخَرَ ﴿وَلَا يَسْأَلُونَ﴾، وما هو السبب في هذا الاختلاف؟

الجواب: هذان الموضعان لا يتعارضان، فالله تعالى يقول في الموضع الأول إِنَّ النَّاسَ يَسْأَلُ أَحَدَهُم الْآخَرَ، وهذا يرتبط بما بعد مناقشة الحساب والاطلاع على الكتاب، ويدور بين أهل الجنة وأهل النار الذين يَسْأَلُ أَحَدَهُم الْآخَرَ عن حاله، أمَّا الآية التي نتحدث عنها فإنها تتناول بداية القيامة ووقت الحساب ومرحلة ما قبل دخول الناس إلى الجنة أو النار، ولهذا يقول تعالى إنهم لَا يَتَسَاءَلُونَ^(١). أي لا جدال حينها.

التعاليم:

- ١ - علامة يوم القيامة النفخ في الصور، ﴿فَإِذَا نُفِخَ... فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾.
- ٢ - نزول أسس الفخر الديني يوم القيامة، ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾.
- ٣ - الأعمال الدنيوية كلها لها معيار وتقدير، ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ... وَمَنْ خَفَّتْ﴾.
- ٤ - هناك ميزان لكل عمل من الأعمال، ﴿مَوَازِينُهُمْ﴾ أي تتعدد الموازين.
- ٥ - إن أعظم خسائر الإنسان هي إهدار عمره ومواهبه، ﴿خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾.
- ٦ - المفلحون هم أولئك الذين لديهم رصيد مُدَّخَر ليوم القيامة، ﴿هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾^(١٠٤)
 أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُلَىٰ عَلَيْهِمْ فَكَفَرُوا بِهَا تَكْذِبُونَ﴾^(١٠٥)

إشارات:

□ كلمة «لفح» تعني إحراق الوجه، و«كلح» تعني تقلص الشفاه وظهور الأسنان وبروزها.

التعاليم:

- ١ - تحرق النار وجوه أهل الجحيم في كل لحظة وباستمرار، (كلمة «تلفح» فعل مضارع يفيد الاستمرار).

- ٢ - يُعَذَّبُ الْكَافِرُ فِي الْجَحِيمِ عَذَاباً جَسَمانياً ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمْ﴾، كما يُوبَخُونَ وَيُعَذَّبُونَ عَذَاباً نَفْسِياً، ﴿أَلَمْ تَكُنْ...﴾.
- ٣ - يَتَسَبَّبُ تَغْيِيرُ الْوَجْهِ بِوَاسِطَةِ النَّارِ فِي تَحْقِيرِ الْمَجْرِمِينَ وَإِهَانَتِهِمْ، ﴿كَلِيلُخُوتٍ﴾.
- ٤ - يُنْزِلُ اللَّهُ عَذَابَهُ بَعْدَ إِتِمَامِ الْحُجَّةِ، ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمْ... أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُنْذِرُ﴾.
- ٥ - إِنْ أَوْضَحَ سَبَبُ يَوْدي إِلَى النَّارِ هُوَ الْإِصْرَارُ عَلَى التَّكْذِيبِ بِالْآيَاتِ، ﴿فَكَثُرَتْ بِهَا تَكْذِيبُوتُ﴾.

﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾^(١٠٦)
 رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾

إشارات:

- كلمة «خساً» تعني الزجر المصحوب بالإهانة والتحقير، وهي تُقال للكلب.
- ورد عن النبي الأكرم ﷺ قوله: «لَا تُجَالِسُوا شَارِبِي الْخَمْرِ، وَلَا تَعُودُوا مَرْضَاهُمْ، وَلَا تَشِيعُوا جَنَائِزَهُمْ، وَلَا تَصَلُّوا عَلَى أَمْوَاتِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كِلَابُ النَّارِ». ثم تلا هذه الآية^(١)، ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا...﴾.
- وقد ورد في الحديث في صفة النار أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قال: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا قَالَ لِأَهْلِ النَّارِ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ عَادَتْ وَجُوهُهُمْ قِطْعَةً لَحْمٍ لَيْسَ فِيهَا أَفْوَاهٌ وَلَا مَنَاقِيرُ تَرَدَّدَ النَّفْسُ فِي أَجْوَانِهِمْ»^(٢).
- وعن الإمام الصادق عليه السلام: «لَقَدْ شَقِيَ أَهْلُ النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ»^(٣).

التعاليم:

- ١ - يَسْتَبْقِظُ الْوُجْدَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَعْتَرَفُ الْمَجْرِمُونَ بِذُنُوبِهِمْ فِي ذَلَّةٍ وَمِهَانَةٍ، ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾.

(٣) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص ٣٥٦.

(١) بحار الأنوار، ج ٧٦، ص ١٤٧.

(٢) تفسير الدر المنثور، ج ٥، ص ١٧.

٢ - البُعد عن طريق الأنبياء يبعثُ على الشقاء والتعاسة، ﴿ءَايَتِي تُنْثَى... غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾.

٣ - يُخاطب الله تعالى الكفار يوم القيامة بأكثر الكلمات تقريعاً، ﴿أَخْشَوْا فِيهَا وَلَا تَكْمُؤْنَ﴾.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا

فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ﴾ (١١٠)

التعاليم:

١ - إنَّ الله تعالى يردُّ على طعن المنحرفين في المؤمنين بالسُّتْم، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا...﴾.

٢ - الابتهاال لله مفيد في الدنيا، ﴿كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا...﴾، أمَّا الدعاء والتضرع يوم القيامة فإنهما لا يجديان نفعاً، ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا... قَالَ أَخْشَوْا﴾.

٣ - يخشى عباد الله من تقصيرهم دائماً، ويستغفرون الله منه، ﴿كَانُوا... يَقُولُونَ رَبَّنَا﴾.

٤ - الإيمان يسبقُ المغفرة، والمغفرة هي المقدمة لنيل رحمة الله، ﴿آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾.

٥ - الله تعالى هو مصدر الرحمة، ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ﴾.

٦ - من آداب الدعاء تعظيم الله وتمجيده، ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ﴾.

﴿فَاتَّخِذْنَاهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَتَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ (١١١)

إشارات:

□ ثمة اختلاف كبير بين كلمتي «سُخْرِيًّا» و«سُخْرِيًّا». فإذا كانت علاقات البشر في المجتمع تقوم على أساس التعاطف والتعاون والخدمة، والناس يستفيد الواحد منهم من فن الآخر وابتكاراته، فإنَّ هذا المجتمع ينمو ويقوى، وتنظم الأمور كلها، وهذه هي الرسالة التي تحملها الآية الشريفة: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾^(١). أمَّا إذا كانت علاقات الأفراد قائمة على أساس التحقير

والاستضعاف والسب والإحباط، فإن مجتمعاً كهذا سينجرف إلى نسيان الله وما يتبعه من سقوط، والآية التي نحن بصددتها تعكس هذا المعنى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُ سِحْرِيًّا﴾.

□ أمّا القول إنّ المؤمنين هم سببُ غفلة الكفار ﴿أَسْوَأَكُمْ ذِكْرَى﴾ فربما لأنه لو لم يكن المؤمنون على الساحة لما اتضحت حقيقة معاداتهم للحق^(١).

التعاليم:

- ١ - عقاب تحقير المؤمنين هو الاستحقار (الله تعالى يحمي المؤمنين، ويرد الإهانة عنهم)، ﴿فَاتَّخَذْتُمُ سِحْرِيًّا... أَخْسَوْا فِيهَا﴾.
- ٢ - عدم اهتمام عباد الله بآداب الدعاء والتضرع لخالقهم يستلزم عدم اهتمام من الله، ﴿سِحْرِيًّا... وَلَا تُكَلِّمُون﴾.
- ٣ - يتعرض المؤمنون دائماً لسخرية الكفار، ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾.
- ٤ - جزاء السخرية من المؤمنين هو نسيان ذكر الله، ﴿أَسْوَأَكُمْ ذِكْرَى﴾.
- ٥ - ضحكة الاحتقار الدائمة من الكبائر^(٢)، ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾، (يختلف حساب الضحكات العادية عن ضحكات الاستكبار).

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ﴾ ﴿١١١﴾ قُلْ كَمْ لَيْسَتْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَتَنِلَ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ لَيْسَتْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾

إشارات:

□ كلمة «فوز» تعني الوصول إلى الهدف المراد.

(١) تفسير راهنما.

(٢) كل ذنب تبعه وعيدٌ بالعذاب هو كبيرة من الكبائر، ولما كان الجحيم هو العقاب المطروح في مقابل ضحكات الإهانة الموجهة للمؤمنين فإنها تكون كبيرة.

□ يسأل الناس يوم القيامة: كم من الوقت أقمتكم في الدنيا؟ ﴿كَمْ لَيْسَتْ﴾، كما ورد عدة مرات في القرآن الكريم، وكل إنسان يُجيب على هذا السؤال انطلاقاً من معتقداته، ومن هذه الإجابات ما يأتي:

- لقد بقينا في الدنيا مقدار ساعة من نهار، ﴿سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ﴾^(١).
- بقينا عشية يوم أو صباحه، ﴿عَشِيَّةً أَوْ صُبْحًا﴾^(٢).
- بقينا يوماً أو جزءاً من يوم، ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾^(٣).
- ومن الممكن أن يكون المُراد من قوله تعالى ﴿كَمْ لَيْسَتْ فِي الْأَرْضِ﴾ هو مدة البقاء في القبر وعالم البرزخ.

التعاليم:

- ١ - جزاء الصابرين يكون من عند الله تعالى، ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ﴾، (الصبر على الأذى والطعن والسخرية له جزاء عظيم).
- ٢ - تتلازم الاستقامة مع الفلاح، ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.
- ٣ - الفريق الرابع يوم القيامة هو فريق الصابرين فقط^(٤)، ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾. يقول المثل: الصبر والنصر كلاهما صديقان قديمان، فالنصر يأتي دوره بعد الصبر.
- ٤ - الحسرة الكبرى هي أن يشتري الإنسان الجحيم والعذاب الأبدي بملذات زائلة وراحة لا تدوم أكثر من أيام، ﴿لَيْسْنَا يَوْمًا﴾.
- ٥ - عليكم ألا تغتروا بمُهلة الزمان، فهي مدة قصيرة جداً، ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.
- ٦ - عمر الدنيا كله قصير بالنسبة إلى الأبدية، ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.
- ٧ - بعض الملائكة مأمور بإحصاء الأيام وعدّها، ﴿فَسَلِّ الْعَادِينَ﴾.

(١) سورة الأحقاف: الآية ٣٥.

(٢) سورة النازعات: الآية ٤٦.

(٣) سورة المؤمنون: الآية ١١٣.

(٤) الضمير (هم) بجوار كلمة ﴿أَنَّهُمْ﴾ فيه إشارة إلى انحصار الفلاح في هذه المجموعة.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥)

إشارات:

□ بين القرآن الكريم جملة من الأهداف لخلق الإنسان، منها:

١ - العباد، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١)، أي: أنا ما خلقت الإنسان والجنَّ إلّا من أجل عبادتي (لينالوا الكمال ويقتربوا مني بهذه الطريقة).

٢ - الابتلاء، ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٢)، فالله تعالى خلق الموت والحياة حتى يختبركم ويرى من منكم أحسن عملاً من غيره.

٣ - نبيل الرحمة الإلهية، ﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾^(٣)، أي: إلا من يرحمه ربك، ولهذه الرحمة خلق الله الناس.

□ رُوي عن الإمام عليّ عليه السلام: «رحم الله امرأ عرف قدره»^(٤)، أي: رحم الله من يعرف قدره وقيّمته. ويعرف من أين جاء، وأين هو الآن، وإلى أين سيذهب بعد ذلك.

□ قال الإمام الحسين عليه السلام: «أيها الناس! إن الله جلّ ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبده، فإذا عبده استغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه»^(٥)، أي أن الله تعالى لم يخلق عباده إلا من أجل أن يعرفوه، وعندما يعرفونه يعبدونه، فإذا ما عبدوا الله فإنهم يستغنون بعبادته عن عبادة غيره (من أرباب السلطة والشهرة والمال مثلاً).

□ عن الإمام عليّ عليه السلام: «الدنيا خلقت لغيرها ولم تُخلق لنفسها»^(٦). أي أن الدنيا

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) سورة الملك: الآية ٢.

(٣) سورة هود: الآية ١١٩.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم، الكلمة رقم: ١٠١٧٩.

(٥) بحار الأنوار، ج ٥، ص ٣١٢.

(٦) نهج البلاغة، الحكمة ٤٦٣.

لم تُخلق لتكون هدفاً لذاتها، وإنما هي مخلوقة لغيرها، (الدنيا وسيلة من أجل الوصول إلى الآخرة).

نعم، أولئك الذين يبحثون عن أهدافهم كلها في الدنيا يصبحون ممن يركنون إلى الدنيا، ويخلدون إلى الأرض، وهو ما أشارت إليه الآية ١٧٦ من سورة الأعراف: ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ يقول المثل: كل لحظة من العمر العزيز كنز لا مثيل له، وكنز كهذا تذهب به رياح الآهات والأنفاس في كل لحظة.

التعاليم:

- ١ - إِنَّ لَخَلْقِ الْإِنْسَانِ هِدْفًا، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾.
- ٢ - ليست حسابات الإنسان كلها واقعية، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ﴾.
- ٣ - لا سبيل للعبث واللغو في ما يفعله الله تعالى، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ... عَبَثًا﴾.
- ٤ - الحياة الدنيا بدون الآخرة عبث ولغو، ﴿عَبَثًا﴾.
- ٥ - تترتب على الإنسان مسؤولية والتزام (يجب أن نعد أنفسنا للإجابة يوم القيامة)، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ... لَا تُرْجَعُونَ﴾.
- ٦ - لا يقتصر الهدف من خلق الإنسان على هذه الدنيا، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ... لَا تُرْجَعُونَ﴾.

﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾
وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ
إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿١١٨﴾﴾

إشارات:

□ ذكرنا فريقاً من المفلحين في التعقيب على الآية الأولى من مطلع هذه السورة، ونذكر في نهاية السورة فريقاً من الخاسرين أيضاً، وذلك بملاحظة جملة «لا يُفْلِحُ»، ومن الخاسرين:

- الظالمون، ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾^(١).
- المجرمون، ﴿لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾^(٢).
- السحرة، ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾^(٣).
- الكافرون، ﴿لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾^(٤).
- أولئك الذين يفترون على الله الكذب، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾^(٥).

التعاليم:

- ١ - حاشا لله أن يفعل ما لا فائدة منه، ﴿فَنَعْلَى اللَّهِ﴾.
- ٢ - الحكم الحق لله سبحانه وتعالى، ﴿أَلَمَلِكُ الْحَقِّ﴾.
- ٣ - يخضع الكون لإدارة الله وعنايته، ﴿رَبُّ الْمَرْشَى﴾، ونحن نقرأ في مواضع أخرى: ﴿يَرْبِي النَّاسَ﴾، ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ﴿رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ﴾.
- ٤ - الشرك أمر مُدَانٍ كيفما كان، ﴿يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا﴾.
- ٥ - لا منطق وحجة للمشرك، ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُمْ﴾، (يجب أن تكون عقائد الإنسان وتصرفاته قائمة على دليل وبرهان).
- ٦ - يحتاج النبي المعصوم أيضاً إلى رحمة الله ومغفرته، ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾.
- ٧ - علينا ألا ننسى الشناء على الله في دعائنا، ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾.

«الحمد لله رب العالمين»

(٤) سورة المؤمنون: الآية ١١٧.

(٥) سورة يونس: الآية ٦٩.

(١) سورة الأنعام: الآية ١٣٥.

(٢) سورة يونس: الآية ١٧.

(٣) سورة يونس: الآية ٧٧.

سُورَةُ النَّوْثِ

السورة: ٢٤ الجزء: ١٨

عدد الآيات: ٦٤

ملامح سورة النور

نزلت هذه السورة في المدينة، وعدد آياتها أربع وستون. والسبب في تسميتها بسورة «النور» هو الآية الخامسة والثلاثون، وهي الآية التي تصف الله تعالى بأنه نور السماوات والأرض. ولما كانت هذه السورة قد وردت فيها وصايا كثيرة في مجال حفظ العِفة والشرف فإن هناك تأكيد ورد في روايات على تعليم النساء هذه السورة وحثهن على قراءتها. والموضوعات الأخرى التي تناولها هذه السورة هي أحكام معاقبة الزناة من الرجال والنساء وأولئك الذين يرمون النساء الطاهرات العفيفات بتهمة الزنا، وكذلك حادثة «الإفك» المعروفة، وحكم الحجاب، ورعاية الشرف والعِفة من أجل منع الانحرافات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ يَنْتَبِهُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «سورة» هي التسمية التي تُطلق من عند الله تعالى على مجموعة الآيات من القرآن الكريم، ﴿سُورَةٌ... وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ﴾.

التعاليم:

- ١ - فرض الله تعالى الأحكام على عباده، ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾.
- ٢ - القرآن هو القانون الإلزامي والتنفيذي للدين، ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾.
- ٣ - يمكن فهم آيات القرآن بوضوح، ﴿فِيهَا آيَاتٍ يَنْتَبِهُ﴾، (على الرغم من أن فهم جزء من الآيات يحتاج إلى بحث وتفسير).
- ٤ - يحتاج الإنسان إلى الوعظ والتذكير، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.
- ٥ - توجد في فطرة الإنسان جذور تعاليم القرآن، وينكشف حجاب الغفلة عنها بالتذكر، ﴿تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عَدَايُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾

إشارات:

□ تختلف أحكام الزنا باختلاف حالات مرتكبيه، وقد وردت الإشارة في هذه الآية إلى حالة واحدة، وهي أن يُجلد الزاني مائة جلدة إذا كان رجلاً عازياً أو امرأة عزباء، أمّا إذا ارتكب الرجل المُحصن أو المرأة المُحصنة جريمة الزنا فإنهما يُرجمان بالحجارة.

مفاسد الزنا في القرآن الكريم:

□ ورعاية يَعُدُّ القرآن الكريم الزنا عملاً قبيحاً، وينهى عن الاقتراب منه، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾^(١) ويرى أن ترك الزنا علامة من علامات عباد الله الصالحين، ﴿عِبْدُ الرَّحْمَنِ... وَلَا يَزْنُونَ﴾^(٢) وحتى يجعل البُعد عن هذه الجريمة شرطاً من شروط مُبايعة الرسول ﷺ، ﴿إِذَا جَاءَكَ... وَلَا يَزْنِينَ﴾^(٣).

□ وردت بعض المفاسد الاجتماعية للزنا في خطبة للإمام الرضا عليه السلام يقول فيها: «حُرِّمَ الزنا لما فيه من الفساد، من قتل الأنفس، وذهاب الأنساب، وترك التربية للأطفال، وفساد الموارث، وما أشبه ذلك من وجوه الفساد»^(٤). وهكذا توضع هذه المفاسد في الآثار الآتية:

- ١ - ارتكاب جريمة القتل عن طريق إسقاط الجنين.
 - ٢ - انهيار النظام الأسري وعلاقات القرابة والنسب.
 - ٣ - ترك تربية الأولاد.
 - ٤ - ضياع معايير الموارث.
- ويرى الإمام علي عليه السلام أن ترك الزنا يؤدي إلى تحصين النسب، وترك اللواط هو تكثير للنسل^(٥).
- وقال رسول الله ﷺ: «معشر المسلمين إياكم والزنا فإن فيه ست خصال: ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة: فأما التي في الدنيا: فإنه يذهب بالبهاء، ويورث الفقر، وينقص العمر، وأما التي في الآخرة: فإنه يوجب سخط الرب، وسوء الحساب، والخلود في النار»^(٦).
- وعن النبي الأكرم ﷺ: «إذا كثر الزنا كثر موت المفجأة»^(٧).

(١) سورة الإسراء: الآية ٣٢.

(٢) سورة الفرقان: ٦٣ - ٦٨.

(٣) سورة الممتحنة: الآية ١٢.

(٤) بحار الأنوار، ج ٧٩، ص ٢٤.

(٥) نهج البلاغة، حكمة ٢٥٢.

(٦) بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ٥٨.

(٧) بحار الأنوار، ج ٧٣، ص ٣٧٢.

□ «لا تزنا فتزني نساؤكم، ومن وطئ فراش امرئ مسلم وطئ فراشه، كما تدين تُدان»^(١).

يقول المثل: لا تكن غافلاً عن جزاء العمل، فالقمح ينبت من القمح، والشعير من الشعير.

□ أربع لا تدخل بيتاً واحدةً منهن إلا خرب ولم يعمر بالبركة: الخيانة، والسرقة، وشرب الخمر، والزنا^(٢).

□ الزنا كبيرة من أكبر الكبائر.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا فشت أربعة ظهرت أربعة: إذا فشا الزنا ظهرت الزلازل، وإذا أمسكت الزكاة هلكت الماشية، وإذا جار الحكام في القضاء أمسك القطر من السماء، وإذا خفرت الذمة نُصِرَ المشركون على المسلمين»^(٣).

التعاليم:

١ - الانفلات الجنسي والعلاقات المُحرمة ممنوعة في الإسلام، ﴿الزَّانِيَةُ... فَاجْلِدُوا...﴾.

٢ - النساء دور أكبر من دور الرجال في إنشاء العلاقات غير الشرعية وتمهيد مُقدماتها، ولهذا السبب جاءت كلمة زانية قبل كلمة زاني، ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾، وذلك على خلاف السرقة التي يزيد فيها دور الرجال، ولهذا قُدمت كلمة السارق على كلمة السارقة، ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾^(٤).

٣ - العقاب البدني للزاني ضروري من أجل تأديبه والمحافظة على العفاف العام، ﴿فَاجْلِدُوا﴾.

٤ - يُعاقب كلا الطرفين في العلاقات المُحرمة بمعيار واحد (إلا في المواضع التي تخضع لحكم خاص)، ﴿كُلٌّ وَجِلْدٌ﴾.

(٣) بحار الأنوار، ج ٧٦، ص ٢١.

(٤) سورة المائدة: الآية ٣٨.

(١) بحار الأنوار، ج ٧٦، ص ٢٧.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧٦، ص ١٩.

- ٥ - يجب أن تُحدّد حدودُ العقاب من قبل الله تعالى، ﴿مِائَةً جَلْدَةً﴾.
- ٦ - لا يجوز إظهار الشفقة أو الوقوع تحت تأثير العواطف عند مُعاقبة المجرمين، ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾.
- ٧ - يجب أن تدور المحبة والرأفة في مدار الشرع، ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾.
- ٨ - لا يقتصر الدين على الصلاة والصوم، بل تنفيذ حدود الله من الدين أيضاً، ﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾.
- ٩ - الصلابة والحزم في تنفيذ حدود الله يتجليان بالإيمان بالمبدأ والمعاد، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.
- ١٠ - يجب أن يكون عقاب المجرم عبرة للآخرين، ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا﴾.
- ١١ - يجب أن يُزجر الزاني بالعذاب النفسي بالإضافة إلى التعذيب الجسدي، ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ...﴾.
- ١٢ - ينبغي أن تحضر مجموعة من المؤمنين عند تنفيذ مراسم إقامة حدود الله، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾

إشارات:

- هذه الآية تُذكر بأجواء الآية التي يقول الله تعالى فيها: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِالشَّرْكِ كَمَا لَبَّسُوا لَكُمْ لَكُمْ مِنَ الشَّرْكِ فِي الْحَمَامَةِ وَالصُّقْرِ لِلصُّقْرِ﴾.
- يتوضح المبدأ القائل: الحماة للحمامة والصقر للصقر.
- يتلازم الزاني مع المشرك في هذه الآية، ﴿زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾.
- يجب أن تكون هناك قيود أخرى للزاني بالإضافة إلى العقاب الجسماني والاجتماعي.
- ورد في تفسير الآية من طرق أهل البيت عليه السلام أن الزاني إذا اشتهر منه الزنا،

وأقيم عليه الحدّ، ولم تتبيّن منه التوبة يحرم عليه نكاح غير الزانية والمشرقة. والزانية كذلك^(١).

□ وعن الإمام الباقر عليه السلام، في حديث طويل قوله: «... فلم يسم الله الزاني مؤمناً ولا الزانية مؤمنة، وقال رسول الله ﷺ... : لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن؛ فإنه إذا فعل ذلك خلع عنه الإيمان كخلع القميص»^(٢).

التعاليم:

- ١ - التكافؤ أصل في الزواج، أي وجود التناسب والتوافق بين الزوجين، فالنساء والرجال الأنجاس لا يليقون بالأزواج الطاهرين، ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾.
- ٢ - الفاسدون محرومون في المجتمع الإسلامي من بعض الحقوق، ﴿لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾.
- ٣ - يجب على المؤمنين والمؤمنات أن يختاروا الأزواج الطاهرين الشرفاء، ﴿وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُنَّ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَادَةٌ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

إشارات:

□ على الرغم من أن الحديث قد دار في الآيات السابقة عن جزاء الزناة فإن إثبات واقعة الزنا ليس أمراً سهلاً أو يسيراً، بل يجب أن يشهد أربعة أفراد عدول على وقوع هذه الجريمة، وإذا حضر في المحكمة أقل من أربعة أفراد فإن كل واحد منهم يُجلد ثمانين جلدة.

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ٨٠؛ وللإطلاع على نصوص الروايات، انظر: الكافي، ج ٥، ص ٣٥٤.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٣٢.

- سُئِلَ الإمام الصادق عليه السلام: أيهما أشد، الزنا أم القتل؟ قال: «القتل»، فقيل له: فما بال القتل جاز فيه شاهدان ولا يجوز في الزنا إلا أربعة؟ فقال: «الزنا فيه حدّان، ولا يجوز أن يشهد كل اثنين على واحد، لأن الرجل والمرأة جميعاً عليهما الحد، والقتل إنما يُقام الحد على القاتل، ويُدفع عن المقتول»^(١).
- الاتهام بالزنا له حدّ معروف وقانون مُعيّن، من بين التُّهم المختلفة، وقد أكد القرآن الكريم على ذلك صراحةً، ﴿ثَمَنَيْنِ جَلْدَةٍ﴾.
- الاتهام أمرٌ مُهم إلى حد أن الذي يفصل بين عقوبة الاتهام بالزنا - إذا عوقب المجرم... والزنا نفسه هو عشرون جلدة، ﴿مِائَةَ جَلْدَةٍ...﴾.
- الذي يرمي الآخرين بتهمة الزنا لا تُقبل شهادته ولا يكون لها اعتبار، ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً﴾.

التعاليم:

- ١ - الاتهام بمثابة إطلاق للسهم وهجوم على شرف الناس، ﴿يَرْمُونَ﴾.
- ٢ - اتهام النساء المُحصنات العفيفات له عقاب شديد، ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾.
- ٣ - الدفاع عن حرمة النساء العفيفات أمر واجب، ﴿يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ...﴾.
- ٤ - هناك أناس يُجلدون أحياناً من أجل المحافظة على شرف القوم وأعراضهم، ﴿فَأَجْلِدُوهُمْ﴾.
- ٥ - الاتهام له عقوبة بدنية، ﴿فَأَجْلِدُوهُمْ﴾ واجتماعية، ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ وأخروية أيضاً، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.
- ٦ - لا شك في فسق أولئك الذين يرمون النساء العفيفات بتهمة الزنا، ﴿هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.
- ٧ - يشترط في الشاهد العدالة، وشهادة الفاسق غير مقبولة، ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً... هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥)

إشارات:

□ ورد في الحديث: «إِنَّ تَوْبَةَ مَنْ انْتَهَمَ الْعَفِيفَاتِ فِي شَرْفِهِنَّ أَنْ يُكَذِّبَ نَفْسَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُضْرَبَ وَيَسْتَغْفِرَ رَبَّهُ، وَإِذَا فَعَلَ فَقَدْ ظَهَرَتْ تَوْبَتُهُ»^(١).

التعاليم:

- ١ - التوبة سبب تجديد الحياتين الدينية والاجتماعية، ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا...﴾.
- ٢ - حتى المجرمون لا يصلون إلى طريق مسدود في دين الله، ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾.
- ٣ - يجب أن تقترن التوبة بإصلاح الخطأ وعمل الصالحات، ﴿تَابُوا...﴾.
- ٤ - لا مُبرر لليأس والقنوط من مغفرة الله ورحمته، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.
- ٥ - اتاحة فرصة التوبة للجميع دليل على الرحمة الإلهية، ﴿رَحِيمٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدُوا أَحْدَهُمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ

بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٦) وَالْخَيْسَةَ أَنْ لَعَنْتَ اللَّهَ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٧﴾

وَيَذَرُوهَا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٨﴾

وَالْخَيْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

إشارات:

□ دخل رجل يسمى «هلال بن أمية» على رسول الله ﷺ، مضطرباً، وقال له: لقد رأيت امرأتي وهي تزني، وأنا أقسم على ذلك بالله. فاستاء النبي ﷺ من ذلك، وثار أصحاب النبي أيضاً، فقد رأى هذا الرجل شرفه يُنتهك بهذا الشكل وسوف يُجلد أيضاً لأنه لا شهود معه ليؤكدوا هذا الكلام. ونزلت هذه الآية

التي يقول فيها الله تعالى إن الرجل إذا اتهم زوجته بالزنا ولم يكن معه شاهد فعليه أن يقول أربع مرات (أشهد بالله إنني لمن الصادقين) بدلاً من إحضار الشهود الأربعة. أي أنا أتخذ الله شاهداً على أنني من الصادقين. وعليه أن يقول مرة واحدة ﴿لَعَنْتَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ من أجل أن يُثبت ادعاءه ويُقويه، أي فلتصنبي لعنة الله إن كنتُ كاذباً^(١).

ولا شك في أن المرأة أيضاً لها الحق كما للرجل في أن تُدافع عن نفسها؛ لأنه من الممكن أن يحكم الرجل على زوجته بالرجم إذا أقسم أربع مرات كاذباً، ويُدنس شرفها وشرف عشيرتها وأقاربها إلى الأبد. ولمنع وقوع مثل هذا الأمر فإن الإسلام الذي يحمي حقوق الجميع قد سمح للمرأة أيضاً أن تُقسم أربع مرات بالله من أجل إثبات عفتها ونجاتها من الرجم. فتقول: (أشهد بالله أنه لمن الكاذبين)، أي أشهد بالله أن زوجي كاذب. ومن أجل أن يكون الأمر أكثر حسماً تقول: (غضب الله عليّ إن كان من الصادقين)، أي أستحق غضب الله وعذابه إن كان زوجي صادقاً فيما اتهمني به.

وعلى كل حال، فإن هذه الجُمْل العشرة (خمس جُمْل يقولها الرجل، وخمس جُمْل تقولها المرأة) إذا قيلت في محضر القاضي والحاكم الإسلامي فإنها تُسمى اصطلاحاً باسم «اللِّعَان» (يلعن كل منهما الآخر). وتوجد تفاصيل فقهية وقانونية خاصة مطروحة في هذا الشأن. فالقاضي يجب أن يعظ الرجل والمرأة، وأن يسعى في منع وقوع اللِّعَان، وإذا اقتضت الضرورة وقوعه فعليه أن يصحبهما إلى مكان مقدس كالمسجد، ويُجلسهما في مواجهة القبلة، وتتم عندئذٍ مراسم اللِّعَان.

□ هناك قوانين وقواعد اهتم بها الإسلام عند وقوع اللِّعَان وقسم المرأة والرجل وقول الجُمْل المذكورة، ويجب أن يتم العمل بها:

١ - تفصل هذه المرأة عن الرجل بدون صيغة الطلاق وإلى الأبد، وليس لهما الحق في الرجوع عن الطلاق والزواج مرة ثانية.

٢ - يُرفع الحدُّ عن الاثنين معاً، أي أن الرجل لا يُجلد ثمانين جلدة ولا تُرجم المرأة.

□ يهدف وجود أربعة شهود أو القسم أربع مرات المصحوب باللعن وغضب الله لإثبات وقوع الزنا، إلّا أن الله تعالى منع بفضله ورحمته فضح الأفراد عن طريق هذا النوع من الأحكام، وإلا لفُضح أسرٌ وهلكت قبائل وعوائل كل يوم.

التعاليم:

١ - تحظى المحافظة على الشرف باهتمام بالغ في الإسلام، ﴿أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ﴾، (وقانون القسم أربع مرات ولعن النفس مرة واحدة إنما جعل للسيطرة على الناس ومنعهم من فضح أحدهم الآخر).

٢ - تُقبل أربع شهادات بالله ولعنة واحدة بدلاً من أربعة شهود في إثبات زنا الزوجة، ﴿وَلَوْ يَكُنْ لَّمَّ شَهَدَةٌ... فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ﴾.

٣ - الإسلام يحمي حقوق المرأة، فهي تستطيع أن تدفع عن نفسها الاتهام الذي يوجهه الرجل بقسمه أربع مرات بأن تُقسم هي الأخرى أربع مرات مثله، ﴿أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ... أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ﴾.

٤ - أوجب الإسلام قولَ الجملة الخامسة من كلا الطرفين بالإضافة إلى الشهادة بالله أربع مرات من أجل منع انهيار نظام الأسرة، ﴿وَالْحَيْسَةُ﴾.

٥ - لعنُ النفس جائزٌ من أجل رفع الاتهام، ﴿غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا﴾.

٦ - يتم تنفيذ قوانين الله وأوامره لمصلحة الناس أنفسهم، ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾.

٧ - يقترن قبول الله تعالى العذر بالمصلحة والحكمة، ﴿تَوَاتُبَ حَكِيمٍ﴾.

٨ - قوانين العقاب في الإسلام أحكام نابعة من الحكمة الإلهية، ﴿حَكِيمٍ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾

إشارات:

□ «الإفك» في اللغة الميل عن الحق إلى الباطل، والالتهام جزافاً، ونوع من إخفاء الحق وإظهار الباطل.

□ قال بعض المفسرين في سبب نزول هذه الآية إن النبي الأكرم ﷺ كان يصطحب واحدة من زوجاته في كل سفر من أسفاره على حسب القرعة، فاصطحب معه عائشة في غزوة «بني المصطلق»، فلما انتهى القتال وكان الناس في طريق عودتهم إلى المدينة تخلفت عائشة عن القافلة لحاجتها أو للعثور على حَبَّات عقدها المفقودة، وقام واحدٌ من الصحابة كان قد ابتعد هو الآخر عن القافلة بإيصال عائشة إلى جيش المسلمين. واتهم بعض الأفراد عائشة وذلك الصحابي بما لا يليق من اتهامات. ووصل هذا الاتهام إلى مسامع الناس، وحزن النبي ﷺ، وذهبت عائشة إلى بيت أبيها، وظلت فيه حتى نزلت هذه الآية^(١).

□ ويروي فريق آخر من المفسرين وخاصة مؤلف تفسير «أطيب البيان» بالرجوع إلى الروايات العديدة والموثقة أنَّ هذه الآية نزلت في «مارية القبطية» (زوجة أخرى من زوجات رسول الله)، وهي التي رزقها الله بولد سُمي «إبراهيم»؛ ولكنه غادر الدنيا بعد ثمانية عشر شهراً فحزن عليه النبي. ويقولون إن عائشة وحفصة قالتا: يا رسول الله! لماذا تبكي؟ إن إبراهيم لم يكن ولدك، بل هناك شخص آخر غيرك دخل على مارية فولدت له الغلام. وهنا نزلت هذه الآية. ويؤيد العلامة جعفر مرتضى في كتابه القيم (حديث الإفك) هذا التفسير أيضاً. وهناك أسئلة مطروحة حول هذين القولين في سبب نزول الآية، ولكن لما كان

(١) تفسير ابن كثير، ج ٦، ص ٢٣ فما بعدها.

الهدف من هذا التفسير هو استخلاص الرسالة من نص الآيات فإننا لن نوسع دائرة البحث في أسباب النزول.

□ ثمة ذنوب عدّة تتضمنها حادثة الإفك: الكذب، سوء الظن في المؤمن، إيذاء المؤمن، الاتهام، الإهانة، إيذاء النبي ﷺ، توهين بيت الرسالة، وبث الشائعات.

التعاليم:

١ - لا يتورع الفاسقون عن إلصاق جريمة الزنا حتى بزوجة النبي، ﴿جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾.

٢ - ينشر صناع الشائعات أحياناً شائعاتهم بإعدادٍ مُسبق بقصد التآمر، ﴿عُصْبَةٌ﴾، كلمة «عُصبة» تعني مجموعة متآلفة ومتعصبة تسعى لتحقيق هدف).

٣ - يجب الحذر من مروّجي الشائعات، ﴿مَنْكُ﴾.

٤ - توجد أحياناً منافع في الأحداث المريرة (كالكشف عن وجه المنافقين، وانتباه الناس، وتنزل المدد الإلهي على المظلومين)، ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ﴾.

٥ - لا بدّ من بث الأمل في نفوس المؤمنين في مواجهة مؤامرات الأشرار واتهاماتهم، ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ﴾.

٦ - تتناسب العقوبات الإلهية العادلة مع أعمال الناس، ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ﴾.

٧ - يُعاقب كل مجرم في العقوبات الجماعية على قدر مساهمته في الجريمة، ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِنْفِرِ﴾.

٨ - يكون الإنسان مجرماً ومقصراً حينما يُجرم عن علم وقصد، ﴿أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِنْفِرِ﴾.

٩ - تلقى تبعات كل إنسان على نفسه، ﴿لَكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِنْفِرِ﴾.

١٠ - جزاء الجاني الرئيس في ارتكاب الجريمة أكبر من غيره، ﴿وَالَّذِي قَوْلُكَ كِبَرُهُ... لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾
لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾

إشارات:

□ يوبّخ الله تعالى تعالى المسلمين في هذه الآية على سوء ظنهم في زوجة الرسول ﷺ، ونظراً لما عرضه لها من أذى بسبب الشائعات.

□ استخدم القرآن الكريم الضمير «أنتم» بدلاً من كلمة «الآخرين» كي يقول للمسلمين: كلكم واحد. فبدلاً من أن يقول على سبيل المثال: لا تلمزوا الآخرين وتطعنوا فيهم، نراه يقول: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(١)، أي لا تطعنوا في أنفسكم. وبدلاً من أن يقول: إذا دخلتم بيتاً فسلموا على الآخرين، نراه يقول: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾^(٢)، أي ألقوا السلام على أنفسكم. ويقول في هذه الآية أيضاً: ﴿ظَنَّ... بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾، أي ظن المؤمنون بأنفسهم خيراً، بدلاً من أن يقول: ظننتم بالآخرين خيراً.

□ استخدمت كلمة «لولا» في القرآن الكريم في مواضع عدّة من أجل الانتقاد واللوم، وسنذكر في ما يأتي بعض هذه المواضع:

- ١ - ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيْنُونَ﴾^(٣)، لماذا لا ينهاهم العلماء عن المنكر؟
- ٢ - ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾^(٤)، لماذا تقبلون كل ما تسمعون؟
- ٣ - ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾^(٥)، لماذا لا يأتون بأربعة شهداء على ما قالوه من أقوال غير جائزة؟

٤ - ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾^(٦)، لماذا لا تطلبون المغفرة من الله؟

٥ - ﴿لَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾^(٧)، لماذا لم يتضرعوا إلى الله عندما أصابهم العذاب؟

(٥) سورة النور: الآية ١٣.

(٦) سورة النمل: الآية ٤٦.

(٧) سورة الأنعام: الآية ٤٣.

(١) سورة الحجرات: الآية ١١.

(٢) سورة النور: الآية ٦١.

(٣) سورة المائدة: الآية ٦٣.

(٤) سورة النور: الآية ١٢.

- ٦ - ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾^(١)، لماذا لا تشكرون؟
- ٧ - ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾^(٢)، لماذا لا تُصدقون؟
- ٨ - ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٣)، لماذا لا تعتبرون؟
- ٩ - ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾^(٤)، لماذا لا تخرج جماعة من كل فرقة حتى تتفقه في أمور الدين؟

التعاليم:

- ١ - توسيع نطاق الشائعة ونشرها بين الناس ممنوع، (كلمة «لولا» تشير إلى اللوم لدرجة التقريع بسبب سوء الظن ونشر الشائعات).
- ٢ - يجب أن تسود روح حُسن الظن في المجتمع الإسلامي، ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾، (حُسن الظن من آثار الإيمان).
- ٣ - يتضافر المؤمنون في الذود عن شرف الفرد الواحد منهم، ﴿الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾.
- ٤ - بنو آدم أعضاء في جسد واحد، والالتهام لأي عضو من أعضاء المجتمع الإسلامي بمثابة اتهام لباقي أعضائه، ﴿بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾.
- ٥ - الأصل في الحكم على عمل المسلم هو الصحة، إلا أن يثبت الجرم عليه بدليل، ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾.
- ٦ - يجب على كل المؤمنين المحافظة على حرمة النبي ﷺ وأسرته، ﴿لَوْلَا... وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾.
- ٧ - يجب عدم السكوت حيال ما نسمعه من أقوال لا تليق بأحد من المؤمنين، ﴿لَوْلَا... وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾.

(٣) سورة الواقعة: الآية ٦٢.

(٤) سورة التوبة: الآية ١٢٢.

(١) سورة الواقعة: الآية ٧٠.

(٢) سورة الواقعة: الآية ٥٧.

٨ - يُؤَيِّخُ المَجْتَمِعَ وَيُلَامُ إِذَا كَانَ أَهْلَهَا وَسَاجِئاً وَثِرْتَاراً، ﴿وَلَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شَهَادَةٍ﴾.

٩ - إِذَا لَمْ تَتَبْتَ التَّهْمَةَ يُعَدُّ مَطْلَقُهَا كَاذِباً، ﴿هُمُ الْكَذِبُونَ﴾.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَسَكَّرْتُمْ

فِي مَا أَفْضَيْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٤)

إشارات:

□ «أفضتكم» من «الإفاضة»، وتستخدم حينما يتم التداول في قضية، وتشغل هذه القضية الجميع، وهذا يشير إلى أن اتهام زوج النبي هو قضية الساعة، وأن الجميع انشغلوا بها.

التعاليم:

- ١ - تتمتع الأمة الإسلامية بحماية الله ولطفه، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ...﴾.
- ٢ - يمن الله على الناس بمظاهر فضله، وليس استحقاقاً منهم، ﴿فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾.
- ٣ - الشائعات كالدوامة التي يفرق البعض فيها، ﴿أَفْضَيْتُمْ فِيهِ﴾.
- ٤ - يتعرض عموم الناس لقبول الشائعات والاتهامات ونزول البلاء، ﴿وَلَوْلَا... لَسَكَّرْتُمْ فِي مَا أَفْضَيْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ

وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (١٥)

إشارات:

□ اللسان هو العضو الوحيد الذي لا يكل من الكلام ولا يمل منه طوال حياة الإنسان. وشكله صغير وحجمه قليل، ولكن جرمه عظيم وذنبه كبير. وما أكثر الكافرين الذين يُسلمون ويطهرون بنطق جملة واحدة (أشهد أن لا إله إلا الله)، وما أكثر المسلمين الذين يكفرون وينجسون بقولهم كلمة الكفر بالله، أو

بإنكارهم أحكام الدين. ويستطيع اللسان أن يخلق حالة من الصفاء بالصدق والذكر والدعاء ونُصح الآخرين من ناحية، ويقدر على تكدير الصفو بالطعن في هذا وذاك من ناحية أخرى. واللسان هو مفتاح العقل ومصباح العلم وأبسط الوسائل وأرخصها لنقل العلوم والتجارب. وقد كتب علماء الأخلاق الكثير حول اللسان، فتراجع في مظانها.

التعاليم:

- ١ - يجب عدم قبول ما تلوكة الألسن بدون تحقيق، ﴿تَلْقَوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾.
 - ٢ - يجب أن يكون الكلام على أساس العلم، ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾.
 - ٣ - يجب عدم الاستهانة بالتشكيك في شرف الناس، ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾.
 - ٤ - إنَّ نقل الاتهامات ورواية الشائعات من الكبائر، ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾.
 - ٥ - وحده الله سبحانه الذي يُحدّد صغر الذنب أو كبره، ﴿عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾.
 - ٦ - ليس كل ما يظنه الإنسان حقيقياً، ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾.
- ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ (١٦)

إشارات:

□ وردت كلمة «عظيم» في ثلاث آيات متتاليات، مرة في قوله تعالى ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، ومرتين في قوله ﴿بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾، لتأكيد أنّ الذنب العظيم له عقاب عظيم.

التعاليم:

- ١ - النهي عن المنكر من الواجبات، ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ﴾، (قول الكلمة من أجل الدفاع عن شرف المسلم واجب).
- ٢ - الإنسان مسؤول في مقابل ما يسمعه، ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾.
- ٣ - الحثّ على التسبيح عند التعامل مع القضايا والمسائل المهمة، ﴿سُبْحَنَكَ﴾.
- ٤ - الدنيا صغيرة عند الله، أمّا بهتان المسلم فكبير، ﴿بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾
وَيُنِذِرُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

التعاليم:

- ١ - يحتاج الناس إلى الموعظة، والله تعالى هو أحسن الواعظين، ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ﴾.
- ٢ - الإيمان هو شرط التأثر بالموعظة، ﴿يَعِظُكُمُ... إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.
- ٣ - يجب أن نعظ الآخرين حتى نحافظ على شرف الناس، ونحول دون وقوع سوء الظن، ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ﴾.
- ٤ - التحريض على سوء الظن والافتراء سبب من أسباب محو الإيمان، ﴿يَعِظُكُمُ... إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.
- ٥ - من علامات الإيمان عدم تكرار الذنب، ﴿تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.
- ٦ - يجب عدم اتهام المسلمين، بل حملُ عملِ المسلم على محمل الصحة، ﴿أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ﴾.
- ٧ - يجب وعظ المُذنبين حتى يتوبوا ويرجعوا عن ذنبهم، ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ﴾.
- ٨ - تصدر الأوامر في الإسلام عن علم الله وحكمته الإلهية، ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.
- ٩ - تقوم الأحكام الإلهية على أساس العلم والحكمة الإلهيتين، ﴿وَيُنِذِرُ اللَّهُ... عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

إشارات:

- تشيع الفحشاء بالقلم واللسان حيناً، حينما يفضحان أعمال الناس القبيحة،
وبتشجيع الآخرين على اقتراف الذنب وتوفير إمكانيات الآثام لهم حيناً آخر.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام: «من قال في مؤمن ما رآه عيناه وسمعه أذناه فهو من الذين قال الله ﷻ فيهم: ﴿لَا الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ...﴾»^(١).

□ وفي الحديث أن «من أذاع فاحشة كان كمتبديها»^(٢).

التعاليم:

- ١ - نحن مسؤولون في مقابل رغباتنا ومطالبنا، ﴿يُحِبُّونَ... لَمْ عَذَابٌ﴾.
- ٢ - حب الذنب مقدمة لا قترافه. علينا أن نُزيل التعلق بالمنكر عند النهي عنه، ﴿يُحِبُّونَ...﴾.
- ٣ - إن محبة بعض الذنوب كبيرة من الكبائر، كالتشهير بالمؤمن، ﴿يُحِبُّونَ... عَذَابُ أَلِيمٌ﴾.
- ٤ - يجب على النظام الإسلامي أن يُعاقب أولئك الذين يسرون في طريق إشاعة الفحشاء، ﴿عَذَابُ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾.
- ٥ - كثيراً ما يكون التشهير بالآخرين سبباً لعذابنا في الدنيا، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

إشارات:

- ورد الحديث عن فضل الله ورحمته ثلاث مرات في الآيات ١٤ و ٢٠ و ٢١، وذلك للتأكيد للناس أنه «لولا فضل الله لما عرفتم كيف يكون وضعكم».
- «خطوات» جمع «خطوة»، أي الحركة بمقدار مسافة ما بين القدمين، وقد

(١) الكافي، ج ٣، ص ٣٥٧؛ وقد أوردها في تفسير كثر الدقائق، عند تفسير الآية.

(٢) وسائل الشيعة، ج ٨، ص ٥٩٦.

استخدم القرآن الكريم عبارة «خطوات الشيطان» في التعبير عن الانحراف مع الشيطان، وذلك للدلالة على أن الشيطان يسحب الإنسان خطوة خطوة في اتجاه الذنوب.

□ تحدث القرآن الكريم عن «خطوات الشيطان» عدة مرات:

يقول تعالى في إحداها: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾^(١)، أي ادخلوا جميعاً في الصلح والسلم ولا تتبعوا خطوات الشيطان. ويقول سبحانه في موضع آخر: ﴿كُلُوا مِنَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾^(٢)، أي كلوا من الأشياء الحلال الطيبة وانتبهوا لخطوات الشيطان ولا تتبعوها. ويقول تعالى أيضاً في هذه الآية التي تتحدث عن إشاعة الفحشاء بين المؤمنين: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾.

ومن نماذج خطوات الشيطان: حُب الفاسدين، ومجالستهم، وارتكاب صفائر الذنوب، ثم كبائرها بعد ذلك، وفي النهاية قسوة القلب وسوء العاقبة والنهاية المشؤومة.

التعاليم:

- ١ - لا تغتروا بإيمانكم، ويجب أن تهتموا بالتحذيرات المتتالية، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا﴾.
- ٢ - سياسة الشيطان هي التسلل التدريجي والاستدراج خطوة بخطوة، ﴿خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾، (فلنكن على حذر منذ الخطوة الأولى).
- ٣ - علينا أن نتحدث مع الناس بالاستدلال، فالله تعالى يقول: لا تتبعوا الشيطان ﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾، ويذكر السبب في ذلك، وهو أنه يأمر بالفحشاء، ﴿فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ...﴾.
- ٤ - يبدأ الشيطان بالوسوسة، ثم بعد ذلك يأمر كل من يتبع وسوسته، ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ... فَإِنَّهُ يَأْمُرُ...﴾.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٦٨.

٥ - عمل الشيطان يتعارض مع الصلاة، فالشيطان يأمر الإنسان بالفحشاء ﴿فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾، أمّا الصلاة فإنها تنهى الإنسان عنها، ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(١).

٦ - لا يمكن أن يزكو أحدٌ بدون التوفيق الإلهي، ﴿وَلَوْلَا... مَا زَكَّيْنَا...﴾.

٧ - يحتاج الإنسان إلى فضل الله دائماً، (تكرار جملة «لولا فضل الله» في هذه الآية والآيات السابقة).

٨ - الخداع والفحشاء يوجدان بامتداد مسيرة حياة الإنسان، ولكن باب التوبة والنجاة مفتوح أيضاً، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ﴾.

٩ - الجميع حتى أولياء الله يحتاجون أيضاً إلى التوفيق الإلهي، ﴿مَا زَكَّيْنَا مِنْكَ مِنْ لَدُنْكَ﴾.

١٠ - يُنزل الله الحكيم الخيرَ والسعادة على الناس حسب جدارتهم وطاقاتهم، ﴿يَزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾.

١١ - يجب إدراك أن الله يرى ويسمع كل شيء فهذا يساعد على منع الفحشاء والمنكر، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

إشارات:

□ «يأتلى» من الجذر «ألو» بمعنى التقصير، أو من كلمة «ألى» بمعنى القسم، كقولهم في الفقه «إيلاء».

□ وكلمة «عفو» تعني المَعذرة، وكلمة «صفح» تعني السماح وتجاوز الإساءة،

وهي مرحلة أعلى من العفو. وقال بعضُ إنّ كلمة «صفح» تعني العفو الذي لا لوم فيه.

□ تعرض الذين يرمون غيرهم بالاتهامات للانتقاد الشديد في الآيات السابقة، وقد أقسم بعض الصحابة ألا يُنفقوا على من خاض في الاتهامات أبداً، فنزلت هذه الآية التي تقول: لا تتركوا المحرومين بلا نصيب من أموالكم بسبب ما انزلقوا إليه من قبل، (سبب النزول).

التعاليم:

- ١ - الميسورون مسؤولون عن المحرومين، ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ...﴾.
- ٢ - الأهم من الإنفاق هو المداومة عليه وعدم الملل منه والبعد عن التقصير فيه، ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾.
- ٣ - استفيدوا في الإنفاق من السعة المالية للآخرين وما عندهم من إمكانيات، ﴿أُولُو الْفَضْلِ... وَالسَّعَةِ﴾.
- ٤ - الأقربون لهم الأولوية في المساعدة، ﴿أُولَى الْقَرَبَى﴾.
- ٥ - كونوا أصحاب همة عالية ولا تكتفوا بالحد الأدنى عند اجتيازكم مراحل الكمال، فقد جاءت كلمة «عفو» أولاً، ثم جاءت كلمة «صفح» في مرحلة أعلى، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾.
- ٦ - الذي يعفو عن الآخرين أكثر استفادة من العفو الإلهي (العفو والصفح وسيلة من وسائل جلب المغفرة الإلهية)، ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾.
- ٧ - الهدف من العفو عن الآخرين والصفح عنهم هو الوصول إلى مغفرة الله تعالى ولا شيء آخر، ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾.
- ٨ - يمكن الاعتماد على مشاعر الناس وعواطفهم في الدعوة إلى الله، ﴿أَلَا تُحِبُّونَ﴾.
- ٩ - يجب على الفعاليات الدينية أن تشجع الناس على الإنفاق والعفو والصفح، (الآية كلها).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ
لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

إشارات:

□ على الرغم من أن الكافرين وناقضي العهود والقتلة وأتباع الطاغوت والمنافقين والمفسدين والمشركين والمستكبرين والظالمين وكاتمي الحق والكذابين قد تعرضوا لللعن في القرآن الكريم، فإن اللعن المصحوب بالعذاب العظيم في الدنيا والآخرة يطالب أولئك الذين يُشهرون بالأطهار.

□ وقد رأى الإمام الصادق عليه السلام أن هذه الآية شهادة على أن قذف النساء الطهارات العفيفات كبيرة من الكبائر^(١).

التعاليم:

- ١ - التحذير من اتهام المرأة بالزنا خصوصاً، لما يتسببه ذلك من أذى فادح لها، ﴿يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾.
- ٢ - رمي المحصنات العفيفات أكثر خطراً من رمي سواهن، ﴿الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾.
- ٣ - القذف له عقاب في الدنيا أيضاً مضافاً إلى عذاب الآخرة، ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا﴾، (ربما كان مثال اللعن في الدنيا هو إقامة الحد على من يرمي المحصنات ورفض شهادته بوصفه فاسقاً).
- ٤ - اهتم القرآن بحماية حقوق النساء الطهارات العفيفات، ﴿يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ... لُعِنُوا﴾.

﴿يَوْمَ شَهِدُوا عَلَيْهِمْ أَلسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

إشارات:

□ طُرحت مسألة شهادة أعضاء البدن مرات عدة في القرآن الكريم، حيث نقرأ في

سورة فصلت: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١)، أي أن أذانهم وأعينهم وجلودهم سوف تشهد على ما كانوا يعملون عند وصولهم إلى جهنم. ونقرأ في سورة يس قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢).

□ يوم القيامة والحساب يشهد الفرد على نفسه، وذلك يكشف عن أن جوهر الإنسان وشخصيته ينفصلان عن أعضاء بدنه التي تشهد عليه؛ لأن الشاهد والمشهود عليه يجب أن يكونا منفصلين.

التعاليم:

- ١ - لا يتحكم الإنسان حتى بأعضائه وجوارحه في محكمة يوم القيامة، ﴿تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾.
- ٢ - تحتاج الشهادة إلى الإدراك والعقل، وبناءً على هذا فإن أعضاء البدن تُدرك بقدرة الله، ما تقوم به من أعمال، ولو كنا لا نفهم ذلك، ﴿تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾.
- ٣ - تشتمل الشهادة يوم القيامة على الأقوال والأفعال كلها، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَوْمَ يُؤْفِكُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾^(٣)

إشارات:

- ال «دين» في الآية هو الجزاء، والمعنى: يوم القيامة يؤتيهم الله جزاءهم الحق إتياء كاملاً ويعلمون أن الله هو الحق المبين^(٣).
- لا يُعاقب المذنب في الدنيا العقاب الكامل بسبب ما يوجد من قيود وحدود. فلو قصف طيارٌ على سبيل المثال مدينة من المدن، وقتل الآلاف من سكانها

(٣) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ٤٨.

(١) سورة فصلت: الآية ٢٠.

(٢) سورة يس: الآية ٦٥.

ظلماً، كيف نعاقبه في الدنيا؟ أما في يوم القيامة فلا توجد قيود أو حدود، إذ يُحرق المجرم في النار مرات عديدة، ثم يُبعث ليعذب من جديد.

التعاليم:

- ١ - توفى العقوبات كاملة يوم القيامة فقط، ﴿يَوْمَذِ يُوفِّيهِمْ﴾.
- ٢ - العقوبات الإلهية يوم القيامة تثبت على أساس الشهادة والحق، ﴿تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ... يَوْمَذِ يُوفِّيهِمْ اللَّهُ﴾.
- ٣ - في ذلك اليوم يكمل الله العقوبة والجزاء لأصحابها، ﴿يُوفِّيهِمْ﴾.
- ٤ - يفهم الناس الحقيقة عندما يسدل ستار الغفلة والغرور والجهل والدعايات الكاذبة والأهواء يوم القيامة، ﴿وَيَعْلَمُونَ... هُوَ الْحَقُّ﴾.

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾

إشارات:

□ هذه الآية تطرح مبدأ عاماً، قوامه تحري الدقة في اختيار الزوجة، وأن يكون الاختيار على أساس الإيمان والعفة، وليس على أساس الجمال والثروة. وبناءً على هذا، فإن هذه الآية تعني أنه ليس بالضرورة إذا كان هناك رجل طيب فإن امرأته تكون طيبة، وإذا كانت هناك امرأة طيبة فإن زوجها يكون طيباً أيضاً، وتشملهما المغفرة والرزق الكريم، وذلك لأن القرآن يجعل من الإيمان والتقوى والعمل الصالح معياراً لدخول الجنة، ولهذا فإن زوجتي نوح ولوط عليهما السلام من الخبيثات ومن أهل النار على الرغم من أن هذين النبيين من الطيبين.

□ كلمة «طيب» تعني المُحبب المرغوب، وجاءت في القرآن الكريم صفةً للمال والذرية والولد والكلام والمدينة والزوجة والطعام والرزق والمسكن والشجرة والتحية، وجاءت كلمة «خبيث» في المقابل كصفة أيضاً للمال والإنسان والزوجة والكلام والعمل والشجرة.

□ يمكن لهذه الآية أن تقدم أكثر من معنى:

أ - معنى هذه الآية هو أن الكلمات الخبيثة من قبيل القذف والافتراء تليق بالخبيثين، والأقوال الطاهرة تليق بالأطهار الطيبين، والخبيثون يصدر عنهم الكلام القبيح، ويصدر عن الأطهار الكلام الطاهر. وذلك استناداً إلى الآيات السابقة التي كانت تدور حول قذف النساء العفيفات وحادثة الإفك، واستناداً إلى الجملة التي يقول تعالى فيها: ﴿مُبْرَأُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾.

ب - من الممكن أن يكون المقصود بهذه الآية هو بيان حكم شرعي يمنع زواج الأطهار الطيبين من الخبيثات. وذلك يُماثل قول الله تعالى في الآية الأولى من هذه السورة: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾، أي أن الرجل الزاني لا يتزوج إلا زانية، وتؤيد هذا المعنى رواية تُروى عن الإمام الصادق عليه السلام^(١).

ج - من الممكن أن يكون المراد بهذه الآية هو التطابق الفكري والعقائدي والأخلاقي، أو وجود التكافؤ بين الأزواج كما هو معروف في الاصطلاح. أي أن كل إنسان يبحث عن ينسجم معه بشكل طبيعي. يقول الشاعر ما ترجمته: أهل النار يجذبون أهل النار، وأهل الجنة يطلبون أهل الجنة.

□ ذكرت صفات عديدة للرزق في القرآن الكريم، منها:

﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾^(٢)، أي: رزقاً طيباً وطاهراً.

﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(٣)، أي: رزق عظيم ذو قيمة.

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا﴾^(٤)، أي: استفيدوا من الخير الوفير الذي

وهبكم إياه الله حلالاً.

(١) الشيخ الطبرسي، تفسير مجمع البيان، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦، مج ٧ - ٨، ص ٢١٣.

(٢) سورة النحل: الآية ٦٧.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٤.

(٤) سورة المائدة: الآية ٨٨.

﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(١)، أي: يُيسرُ له الرزق من حيث لا يخطر له على بال.

﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢)، أي: يُرزقون في الجنة بلا حدود.

التعاليم:

- ١ - يسعى الخبيثون وراء أمثالهم من الزوجات في حين ينشد الطيبون الحرائر الطاهرات، ﴿الْفَاطِمَةُ لِلْخَبِيثِينَ... وَالطَّيِّبَةُ لِلطَّيِّبِينَ﴾.
- ٢ - الاستفادة من النعم والطيبات حق من حقوق أهل الإيمان، ﴿وَالطَّيِّبَةُ لِلطَّيِّبِينَ﴾.
- ٣ - سلامة الأجيال الطاهرة وصية من وصايا القرآن، ﴿وَالطَّيِّبَةُ لِلطَّيِّبِينَ﴾.
- ٤ - حماية العفيفات الطاهرات واجبة، ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾.
- ٥ - المعنويات مقدمة على الماديات (تسبق عبارة ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ عبارة «رِزْقٌ كَرِيمٌ» كلما وردت الأخيرة في القرآن).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا
وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

إشارات:

- «الاستئناس» هو طلب الإذن والإعلام بالدخول، ويمكن أن يكون بذكر الله أو السلام وأمثال ذلك طبقاً لما جاء في الروايات^(٣).
- سأل أحدهم رسول الله ﷺ: أستاذن على أمي؟ فقال: «نعم»، قال: إنها ليس لها خادم غيري، أفأستاذن عليها كلما دخلت؟ قال: «أتحب أن تراها عريانة؟» قال الرجل: لا، قال: «فأستاذن عليها».

(٣) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ٥٨٦.

(١) سورة الطلاق: الآية ٣.

(٢) سورة غافر: الآية ٤٠.

□ وورد في رواية أخرى أَنَّ رسول الله ﷺ نهى أن يدخل الرجل على النساء إلا بإذن أوليائهن^(١).

□ وفي الروايات أَنَّ أخذ الإذن من أجل دخول بيوت الآخرين يكون على ثلاث دفعات، حتى تُتاح لأهل البيت الفرصة من أجل إعداد أنفسهم. ولا يلزم الإذن بالدخول عند إنقاذ الغريق والمظلوم وعند اندلاع النيران في البيت^(٢).

□ لم يكن النبي الأكرم ﷺ يقف في مواجهة الباب إذا أراد الاستئذان قبل دخول بيت من البيوت حتى لا يقع نظره المبارك على داخل البيت^(٣).

التعاليم:

١ - يجب أن يستجيب المؤمنون في تنظيم شؤونهم لما قرّره الوحي عبر النبي، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

٢ - تجب المحافظة على أمن الناس وحرّيتهم في بيوتهم، ﴿لَا تَدْخُلُوا﴾، (الدخول المفاجئ على حريم الآخرين حرام).

٣ - يجب الحرص على تجنب مواضع الشبهة، ﴿لَا تَدْخُلُوا... ذَلِكَ خَيْرٌ﴾.

٤ - ترك باب البيت مفتوحاً لا يعني الإذن بالدخول، ﴿لَا تَدْخُلُوا﴾.

٥ - ملكية الأفراد لها احترامها، ﴿لَا تَدْخُلُوا﴾.

٦ - وجوب تعامل المؤمنين أحدهم مع الآخر مصحوباً بالمحبة، ﴿تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا﴾.

٧ - تجنبوا كل عمل يؤدي إلى هتك الحياء والخجل، ﴿تَسْتَأْذِنُوا﴾.

٨ - يجب على الداخل إلى البيت كائناً من كان أن يُسلم، ﴿وَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾، (لا يلزم أن يكون السلام من الأصغر إلى الأكبر).

(١) المصدر نفسه، ص ٥٨٧.

(٢) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ١١، ص ٢٩٩.

(٣) المصدر نفسه؛ وسيد قطب، في ظلال القرآن، عند تفسير الآية.

٩ - التزام الأدب واحترام حقوق الآخرين هما مصدر سعادة الإنسان، ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

١٠ - يجب تذكر الأوامر الإلهية دائماً، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

١١ - يجب الحرص على تذكر الفطرة التي تزكّيها الآداب والأخلاق الدينية وتلافي إغفالها، ﴿تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

التعاليم:

١ - يحرم دخول البيوت بدون إذن من أصحابها، ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾.

٢ - يحتاج الدخول إلى إذن صريح، ﴿حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾، وينبغي الرجوع بمجرد ظهور علامات عدم الرضا من أصحاب الدار، ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا﴾.

٣ - يحتاج دخول بيوت الناس إلى الإذن والسماح، سواء أكان الآذن بالدخول هو صاحب البيت أم مالكه، أو مسؤولاً آخر مأذوناً له من جانب الحاكم الإسلامي، (جاءت جملة «يؤذن» مبنية للمجهول ولم يرد ذكر للآذن حتى يثبت مبدأ الاستئذان).

٤ - ينبغي عدم المكث خلف أبواب البيوت، ﴿آرْجِعُوا﴾.

٥ - يجوز عدم استقبال الضيف غير المدعو، ﴿آرْجِعُوا﴾.

٦ - لا ينبغي أن نفرض أنفسنا على المضيف، ﴿آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا﴾.

٧ - من بركات الأخلاق الإسلامية الشفافية وقبول ما هو غير متوقع، ﴿آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا﴾.

٨ - أحياناً يكون خير الإنسان في عدم الإقدام على عمل، ﴿آرْجِعُوا... هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾، (ليس كل رجوع هزيمة).

٩ - المعيار في العلاقات الاجتماعية هو النقاء والطهارة، ﴿أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾، (أوامر الله ونواهيه هي طريق الوصول إلى الطهارة).

١٠ - علم الله بما نعمل هو عامل التشجيع والتحذير لنا، ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ عَلَيْهِ﴾.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ (٢٩)

إشارات:

□ يختلف التعامل مع الأماكن العامة التي ليس لها سكان محدّدون، كالمساجد والفنادق ومنازل القوافل والمعارض والإدارات، التي تكون أبوابها مفتوحة للجميع ويتردد الناس عليها، عن التعامل مع البيوت الشخصية، ولا يجب الاستئذان قبل الدخول إليها، وقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام في مثل هذه الأماكن: «هي الحمامات والخانات والأرجية تدخلها بغير إذن»^(١).

التعاليم:

١ - لا يجوز ارتياد الأماكن العامة بدون هدف مفيد ومن أجل التسكع، ﴿تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾.

٢ - علينا أن نراعي أمر الله عند الدخول إلى الأماكن العامة، وأن نعلم أن الله يطلع على أفكارنا وسلوكنا، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾.

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ
ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٠)

إشارات:

□ كلمة «يغضوا» من الجذر «غَضَّ» الذي يعني الإنقاص والتقليل والخفض.

وهكذا يقول لقمان لابنه ناصحاً: ﴿وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾، أي اخفض من صوتك ولا تتكلم بصوت مرتفع.

وليس المراد من «غض البصر» هنا هو إغماض العين، وإنما هو خفض البصر، بحيث لا يرى الإنسان ما لا يحل له من النساء.

□ والمقصود بكلمة «فروج» هو العورتان اللتان يجب سترهما عن نظر الآخرين. ولا شك أن المراد من حفظ الفروج في سائر الآيات القرآنية هو حفظها من الزنا، ولكن الحفاظ في هذه الآية هو الحفاظ من النظر، وذلك استناداً إلى الروايات.

روايات حول النظر:

□ عن الإمام علي عليه السلام: «لَكُمْ أَوَّلُ نَظْرَةٍ إِلَى الْمَرْأَةِ فَلَا تُتْبِعُوهَا بِنَظْرَةٍ أُخْرَى وَاحْذَرُوا الْفِتْنَةَ»^(١). أي أن النظرة الأولى غير المتعمدة لا مانع منها، ولكن الإشكال في الإمعان في النظرة، لأنها تتسبب في الفتنة.

□ ونحن نقرأ في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «كل عين باكية يوم القيامة إلا ثلاثة أعين: عينٌ بكت من خشية الله، وعينٌ غَضَّتْ من محارم الله، وعينٌ باتت ساهرة في سبيل الله»^(٢).

□ ونقرأ في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والجلوس في الطرقات» فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بُد، نتحدث فيها. فقال رسول الله ﷺ: «فإذا أبيتم إلا المجلس فاعطوا الطريق حقه»، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «غض البصر وكف الأذى، وردة السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

□ قال نبي الله عيسى عليه السلام: «تجنبوا النظر إلى الحرام، فهو يلقي ببذور الشهوة في القلب، وهذا يكفي لكي يقع الإنسان في الفتنة»^(٣).

(٣) تفسير روح البيان.

(١) تفسير كثر الدقائق، عند تفسير الآية.

(٢) المصدر نفسه.

□ وعن الإمام علي عليه السلام: «العين رائد القلب»^(١)، أي أن العين تسحب القلب وراءها. وقال: «العين مصائد الشيطان»، أي أن العين مصيدة يصيد بها الشيطان أتباعه، وغض البصر أفضل السبل من أجل تجنب الشهوات.

□ وعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «النظر سهم مسموم من سهام إبليس، فمن تركها خوفاً من الله تعالى أعطاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه»^(٢). أي أن النظرة السيئة سهم يُطلقه الشيطان من سهامه، وكل من يخاف الله ويغض بصره فإن الله سيعطيه إيماناً يشعر بحلاوته في نفسه.

□ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من ملأ عينيه من حرام ملأ الله عينيه يوم القيامة من النار، إلا أن يتوب ويرجع»^(٣).

التعاليم:

- ١ - من مبادئ الإيمان غَضُّ النظر عما يحرم، ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا...﴾.
- ٢ - يجب السيطرة على النزعات الغريزية والتحكم بأدواتها، ﴿يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ﴾.
- ٣ - علينا أن نمنع الذنب من مصدره، وأن نبدأ التقوى من النظر، ﴿مِنْ أَبْصَرِهِمْ﴾.
- ٤ - العين الطاهرة هي مقدمة العفة، ﴿يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾.
- ٥ - العفة لازمة للرجال أيضاً، ﴿...وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾.
- ٦ - امتداد وانفلات البصر وانعدام العفة يمنعون نمو المجتمع ورشده، ﴿يَغُضُّوا... وَيَحْفَظُوا... أَزْكَى﴾.
- ٧ - علينا أن نتذكر أننا في حضرة الله دائماً، وألا نعصى الله في حضوره، ﴿يَغُضُّوا... إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

(٣) بحار الأنوار، ج ٧٦، ص ٣٣٦.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٢) بحار الأنوار، ج ١٠٤، ص ٣٨.

﴿وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ إِسَاءِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوَاتِقِ النِّسَاءِ وَلَا يَضُرُّهُنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣١)

إشارات:

□ على الرغم من أن الله تعالى لم يُشر إلى تفاصيل أحكام الصلاة والزكاة في القرآن الكريم، وعهد إلى النبي الأكرم ﷺ بمسؤولية توضيحها وشرح كثير من المسائل الأخرى، فإنه تناول أدق القضايا في توضيح المسائل الأسرية والتربوية.

□ يجب على النساء أيضاً ألا ينظرن إلى الأجنبي من الرجال نظرة شهوة، مثلهن في ذلك مثل الرجال الذين يجب أن يتجنبوا النظرة المدنسة إلى النساء، بل يجب أن يضبطن نظرهن ويتحكمن فيه، وأن يسترن زينتهن وجمالهن عن غير المحرم من الرجال، باستثناء ما يظهر بشكل طبيعي من وجه أو يد، وتتسبب تغطيتهما في مشكلات عند القيام بالأعمال الحياتية.

□ كلمة «خُمُر» جمع «خِمَار»، وهو غطاء الرأس، و«جُيُوب» جمع «جَيْب»، وهو الرقبة والصدر.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ الْمُرَادَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ هُوَ أَلَّا تَنْظُرَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ إِلَى فَرْجِ غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ، وَأَنْ تَحْفَظَ فَرْجَهَا مِنْ أَنْ يُنْظَرَ إِلَيْهِ»^(١).

□ وورد عن النبي الأكرم ﷺ في تفسيره لجملة «إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ» أَنَّ اللَّهَ لَعَنَ السَّلَاءَ

من النساء والمرهءاء، فالسلطاء التي لا تخضب، والمرهءاء التي لا تكتحل. ولعن المسوفة والمفسلة، فالمسوفة التي إذا دعاها زوجها إلى المباشرة قالت: سوف أفعل، والمفسلة هي التي إذا دعاها قالت: أنا حائض وهي غير حائض^(١).

□ كلمة «إربة» بمعنى الحاجة والبغية، والمقصود بقوله تعالى ﴿أُولَىٰ الْأَرْبَةِ﴾ الخدم والتابعون الذين لا يميلون إلى النساء بسبب كبر السن أو الظروف الجسمية والنفسية^(٢).

□ التوبة تكون أحياناً من ذنب فردي، وأحياناً من أجل تغيير ثقافة عامة فاسدة، ويبدو أن الآية تدور حول النوع الثاني؛ لأن أعناق النساء وصدورهن كانت تُترك عارية أيام الجاهلية^(٣).

□ هناك ثمار كثيرة يمكن جنيها من المحافظة على الحجاب وترك التظاهر، ومنها على سبيل المثال ما يلي:

الراحة النفسية ومتانة الروابط الأسرية وحفظ النسل، والحيلولة دون إضمار الشر والاعتداء، والوقاية من الأمراض الجنسية والنفسية، وخفض معدلات الطلاق والانتحار والأبناء غير الشرعيين والإجهاض، والقضاء على المنافسات السلبية، والمحافظة على شخصية المرأة وإنسانيتها، والنجاة من العيون والقلوب الشهوانية، وكلها أمور غرق فيها الشرق والغرب جراء التبرج والسفور.

التعاليم:

- ١ - لا فرق بين الرجل والمرأة في وجوب العفة والطهارة وتجنب النظر الحرام، ﴿بَعْضُهُمْ... يَفْضُضَنَّ... وَيَحْفَظُوا... وَيَحْفَظْنَ﴾.
- ٢ - لا يجوز إبراز مفاتن النساء بشكل إباحي، ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾.
- ٣ - ليس هناك ما يمنع ظهور أجزاء من جسم المرأة التي تظهر بشكل طبيعي (الوجه واليد أو القدم)، ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾.

(١) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٥٩٣.

(٢) الكافي، ج ٥، ص ٥٢٣.

(٣) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ١١، ٣١٠.

٤ - ذكر الحجاب وغطاء الرأس في هذه الآية، وهذا دليل على أهمية تغطية الرأس والعنق والصدر وغيرها من المفاتن لدى المرأة، ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾.

٥ - عند وضع القوانين يجب أن نهتم بالضرورات والحقائق الواقعية والاحتياجات (لو كانت تغطية الوجه واليدين حتى المعصمين واجبة لصار ذلك مشكلة بالنسبة لعموم النساء)، ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾.

٦ - يتجاوب الإسلام مع الاحتياجات الغريزية المباحة للإنسان، ﴿إِلَّا لِيُعْلِنَهُنَّ﴾.

٧ - لا يجوز لبس أي نوع من الملابس أو الأحذية مما يتسبب في ظهور زينة المرأة وجمالها عند المشي، ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾.

٨ - للمرأة حق الملكية، ﴿مَلَكَتْ أَيْمَنَهُنَّ﴾.

٩ - تستطيع المرأة أن تُبدي زينتها للنساء المسلمات؛ ولكن عليها أن تغطي نفسها عن النساء الكافرات، ﴿نِسَائِهِنَّ﴾، (لأنه من الممكن أن تصف إحداهن ما رآته من النساء المسلمات عند زوجها أو أمام رجل غريب).

١٠ - جاء فرض الحجاب وتغطية المرأة بسبب ميول الرجال الجنسية، ولهذا ليس من اللازم التغطية أمام الرجال الذين لا حاجة لهم في النساء ولا يميلون إليهن، ﴿غَيْرِ أُولَىٰ إِلَارَبَةٍ مِنَ الرِّجَالِ﴾.

١١ - الحجاب والغطاء واجبان، ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾.

١٢ - يجب تجنب كل عمل يؤدي إلى إظهار زينة المرأة ويُطلع الآخرين عليها، ﴿لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾.

١٣ - ليس هناك ما يمنع من تواجد المرأة في المجتمع مع المحافظة على الحجاب، ﴿وَلَا يَبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ﴾، وهكذا لا مانع من مشاركة المرأة في صلاة الجماعة، ﴿وَأَزْكِي مَعَ الرِّكْبَةِ﴾^(١).

١٤ - التوبة إلى الله تعالى من مقتضيات الإيمان، ﴿...وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

١٥ - طريق الفلاح هو التوبة والعودة عن الطرق الضالة، ﴿تُوبُوا... تَقْلِحُوا﴾.

﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُمُ وَالصَّالِحِينَ مِن عِبَادِكُمُ وَإِمَائِكُمُ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٢)

إشارات:

□ «أيا مَيَّ» جمع «أَيِّم» على وزن «قَيِّم»، وتعني مَنْ لا زوج له، سواء أكان رجلاً أم امرأة، بكرةً أو أرملة.

□ أفضل الوساطات هي التوسط والشفاعة في أمر الزواج، وقد ورد في رواية أن: «ثلاثة يستظلون بظل عرش الله يوم القيامة، يوم لا ظل إلا ظله: رجل زوج أخاه المسلم أو أخدمه أو كتم له سرّاً»^(١).

□ ورد في الرواية عن رسول الله ﷺ: «من أدرك له ولد، وعنده ما يزوجه، فلم يزوجه فأحدث فالإثم بينهما»^(٢).

الزواج في الإسلام:

يَعُدُّ الإسلام الزواج أمراً مقدساً، وذلك على خلاف المسيحية التي تُعلي من قيمة العزوبة، ولهذا لا يجوز أن يتزوج البابا وبعض رجال الدين النصارى، وما كان الإذن للمسيحيين بالزواج إلا من أجل منع الفساد الأكبر، ومن باب دفع الأفسد بالفساد.

□ وردت روايات كثيرة حول الزواج، وسوف نكتفي بالإشارة إلى بعضها:

- عن الإمام الصادق عليه السلام: «جاء رجل إلى النبي ﷺ، وشكا إليه الحاجة، فقال: تزوج، فتزوج فوسع عليه».

(٢) تفسير مجمع البيان، مج ٧ - ٨، ص ٢٢٠.

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٥٩٩.

- من ترك الزواج مخافة العيلة فقد أساء ظنه بالله ﷻ، إن الله ﷻ يقول: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.
- ركعتان يصليهما المتزوج أفضل من سبعين ركعة يصليها الأعزب^(١).

فوائد الزواج:

١ - الأنس والألفة

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾^(٢)، أي: من الأدلة على وجود الله أنه خلق لكم من جنسكم أزواجاً حتى تطمئن نفوسكم إليها وتسكن، وجعل بينكم - من رجال ونساء - مودة ورحمة.

إن الأنس والألفة من احتياجات الإنسان، ولهذا فإن الوحدة صعبة وقاسية بالنسبة له، فهو يحتاج إلى مَنْ يكون أميناً ومتعاطفاً وشفيقاً وكاتماً لأسراره حتى يأنس به وينثر عليه عشقه خالصاً. وأفضل إنسان يستطيع أن يوفر هذه الاحتياجات هو الزوج، سواء المرأة أو الرجل. وقد ذكر القرآن الكريم هذه الفائدة فقط من بين فوائد الزواج الكثيرة ليؤكد أنها أهم فائدة.

٢ - حفظ العفة والحماية من الذنب

قال رسول الله ﷺ في حديث له: «من تزوج فقد أحرز نصف دينه»^(٣). وقال ﷺ في رواية أخرى: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ طَاهِراً مُطَهَّراً فَلْيَلْقِهِ بِزَوْجَةٍ»^(٤).

٣ - سلامة الجسم والنفس

يقول العلماء إن الإشباع الصحيح للغريزة الجنسية ضرورة من أجل سلامة الجسم والنفس، ويتسبب تركه في ظهور الأمراض النفسية، وأمراض من قبيل:

(١) انظر: تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٥٩٧. (٢) الكافي، ج ٥، ص ٣٢٨.

(٣) سورة الروم: الآية ٢١. (٤) الراوندي، النوادر، ص ١٢.

ضعف الأعصاب والاضطراب والخمول واليأس والتشنج وسوء الطبع والتشاؤم والانزواء والعزلة، ويتسبب أحياناً في سوء الهضم والصداع^(١).

٤ - بقاء النسل

إن بقاء النسل مرهون بالزواج واتخاذ الزوجة، وقد عُدَّت تربية الأجيال واجباً من واجبات الوالدين في الإسلام، وسوف يُحاسب كل منهما على ذلك يوم القيامة.

٥ - الاستقلال

يُعد الابن والابنة جزءاً من الأسرة ويتبعان الوالدين قبل الزواج، في حين أنهما يُقرران أمورهما بشكل مستقل، ويتحمل كل منهما المسؤولية بعد الزواج.

٦ - أمن المجتمع

إذا كان أساس الأسرة قوياً متيناً فإن معدلات الفساد والطغيان والقتل والسرقة والجريمة والاعتصاب والانتحار سوف تقل إلى حد كبير؛ وذلك لأن أكثر هذه الأمور إنما يصدر من أولئك الذين يُحرمون من دفء الأسرة^(٢).

الدقة في اختيار الزوجة:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنما المرأة قلادة فانظر ما تتقلد». فعليكم ألا تغلبوا المشاعر عند اختيار الزوجة، ولا تتعجلوا، وعليكم بالإقدام على الزواج بعد التفكير والمشورة والحوار، فجزء كبير من الاختلافات الأسرية سببه عدم تحري الدقة في اختيار الزوجة. والزوجة شريكة في الحياة، وتأثيرها باقٍ إلى نهاية العمر وحتى تقوم القيامة.

والزواج السطحي الذي يتم بقاءه وتعرّف في حافلة أو مُنْزَهِ لا تكون عاقبته في العادة جيدة.

(١) إبراهيم الأميني، انتخاب همسر (اختيار الزوج)، ص ٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٩.

سمات الزوجة الطيبة:

١ - الدين والإيمان

أ - يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾^(١). أي: لا تتزوجوا من النساء المشركات إلى أن يؤمنن، والأمة المؤمنة أفضل من المرأة الحرة المشركة، حتى لو أعجبتكم الأخيرة (بجمالها)، ولا تزوجوا المشركين إلا أن يؤمنوا، وكذلك العبد المؤمن أفضل من الحر المشرك، حتى لو أعجبكم (بماله وجماله).

ب - وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا تزوّج الرجل المرأة لجمالها أو مالها وُكِّلَ إلى ذلك، وإذا تزوّجها لدينها رزقه الله الجمال والمال»^(٢).

٢ - الأخلاق الطيبة الحسنة

رُوي عن الإمام الرضا عليه السلام في رده على رجل كتب إليه يقول: إن لي قرابة قد خطب إليّ وفي خلقه سوء، فقال عليه السلام: «لا تزوجوه إن كان سيء الخلق»^(٣).

تبعث الأخلاق في الحياة على حلاوة العيش ونمو الأسرة ورشدها، وهناك أمور أولها الإسلام أهميّة، وهي امتيازات للإنسان، من قبيل: الصدق والأمانة وحلاوة الحديث وحب الخير والصفح والإيثار والحلم وتقدير المسؤولية والنجابة والاستغناء ولين الجانب وغير ذلك.

٣ - الأصالة الأسرية

قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إياكم وخضراء الدمن». قيل يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: «المرأة الحسناء في منبت السوء»^(٤). أي تجنبوا النبتة

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢١.

(٣) الكافي، ج ٥، ص ٥٦٣.

(٢) الكافي، ج ٥، ص ٣٣٣.

(٤) الكافي، ج ٥، ص ٣٣٢.

الخضراء التي تنمو في المزبلة، فقالوا: ماذا تقصد يا رسول الله؟ فقال لهم: المرأة الجميلة التي نمت في أسرة مُدَنسة.

٤ - العلم والدراسة

العلم والمعرفة من مظاهر الكمال بالنسبة للإنسان، وهما يميزان الزوجة. فالوصول إلى التفاهم يصبح أسرع مع الفرد المُتعلّم، ويمكن التخطيط للمستقبل على نحو أفضل. ولا شك في أنه ليس كلّ متعلّم ذا تدبير، ومن المؤسف أن المدارس والجامعات لا تُدرس شيئاً عن الحياة.

٥ - سلامة البدن

سلامة الجسم نعمة من النعم الإلهية الكبرى، ومن المزايا المطلوبة في الزوجة. وقد ورد في رواية نهّي عن الزواج ممن يعانون من أمراض مُعدية. ولا شك في أن الزواج من المحارب المُضحّي يتطلب لياقة وجدارة وتضحية بالنفس.

٦ - التناسب في العمر

للإنسان حالات متفاوتة بتفاوت مراحل عمره، والميول الجنسيّة ليست متساوية في تلك المراحل، فيجب إذن ألا يتفاوت السن بين الذكر والأنثى تفاوتاً فاحشاً، حتى لا يُعرضا حياتهما للمشاكل.

المهر:

١ - يُقدّم الرجل المهر للمرأة من أجل أن يُثبت صدقه، ولهذا يُسمون المهر صداقاً، وهو رصيد المرأة المُدخر طوال حياتها أو بعد طلاقها أو موت زوجها.

٢ - لم يُحدد مقدار المهر في الإسلام، لكن ورد في الأحاديث ذمٌّ للمهور الثقيلة، وورد كذلك أن المهر الكبير يتسبّب في العداوة والكراهية^(١).

(١) الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ٢٣٧.

- ٣ - يجب على الرجل أن يسعى في أداء مهر امرأته في أول فرصة تسنح له.
 ٤ - المرأة هي مالكة المهر، وتستطيع أن تفعل به ما تشاء، فتهبه أو تُتاجر به.
 ٥ - وُصف الرجل الذي لا ينوي أداء المهر في الروايات بأنه سارق وزاني^(١).

الجهاز:

- ١ - ليس للعريس الحقّ شرعاً أو قانوناً في المطالبة بجهاز من العروس، حتى لو كان العُرف قد جرى على أن تشتري أسرة العروس شيئاً من لوازم الحياة ومتاع البيت.
 ٢ - جهاز البيت من أجل توفير الراحة للزوجين الشابين، وليس من أجل المفاخرة والمباهاة.
 ٣ - قائمة جهاز السيدة فاطمة الزهراء مثلاً اشتملت على ما يلي:
- قميص بسبعة دراهم، وخمار بأربعة دراهم، وقطيفة سوداء خيبرية، وسرير مزمل بشريط، وفراشين من خيش مصر حشو أحدهما ليف، وحشو الآخر من جزّ الغنم (الصوف)، وأربع مرافق من آدم الطائف حشوها أذخر (نبات طيب الرائحة)، وستر من صوف، وحصير، ورحى لليد، ومخضب من نحاس، وسقاء من آدم، وقعب للبن (وعاء)، وشنّ للماء، ومطهرة مزقّنة، وجرة خضراء، وكيزان خرف (أوعية).

مراسم العقد والزفاف

هناك توصية وردت في الإسلام بأن تُقام مراسم عقد الزواج والزفاف بحضور الناس وفي أجواء من الفرح والسعادة. وقد أجرى رسول الله ﷺ مراسم عقد السيدة فاطمة الزهراء ؑ في المسجد بحضور الأنصار والمهاجرين، وأمر بتوزيع التمر على الحاضرين.

(١) وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٢١.

وأمر الرسول ﷺ أزواجه أن يزينَ فاطمة الزهراء ﷺ ويطيننها ويفرشن لها بيتاً ليدخلنها على بعلها، ففعلن ذلك^(١).

كما أمر النبي ﷺ بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يَمْضِينَ في صحبة فاطمة، وأن يفرحن ويرجزن ويكبرن ويحمدن، ولا يقلن ما لا يرضي الله.

التعاليم:

- ١ - الأسرة والمجتمع مسؤولان عن تزويج من لا زوجة له، ﴿وَأَنْكِحُوا﴾.
- ٢ - الزواج أمر مقدس أكد عليه الإسلام، ﴿وَأَنْكِحُوا﴾.
- ٣ - ليست الخطبة خاصة بطرف واحد من طرفي الزواج، فكل من الطرفين يستطيع أن يُبادر إليها، ﴿وَأَنْكِحُوا﴾.
- ٤ - التوصية بترك النظر الحرام لا تكفي وحدها، وإنما يجب الإقدام على تزويج الشباب، ﴿يَفْضُوا... يَفْضُضْنَ... وَأَنْكِحُوا﴾.
- ٥ - يجب تزويج النساء الأرامل، ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَّتَى﴾، (فكلمة «أيامى» تشملهن أيضاً).
- ٦ - الكفاءة شرط الزواج، ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾، (أي يجب على الطرفين أن يكونا صالحين لإدارة الحياة المشتركة).
- ٧ - مبادرة المجتمع إلى تزويج أبنائه وبناته الصالحين هي تشجيع للشباب والشابات المحبطين كي يضعوا أنفسهم في مدار الصالحين، ﴿وَالصَّالِحِينَ...﴾، (وبناءً على هذا فإن المراد من الكفاءة هو الأهلية الأخلاقية والمنهجية).
- ٨ - لا يوجد فرق بين البشر في تأمين الاحتياجات الجنسية (المرأة، الرجل، الغلام، الجارية)، ﴿مَنْكُؤٌ، عِبَادُكُمْ، وَإِمَائِكُمْ﴾.
- ٩ - لا ينبغي أن يكون الفقر حائلاً دون الإقدام على أمر الزواج، ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ...﴾.

- ١٠ - أقدموا على الزواج حتى مع العسرة، وتوكلوا على الله، ﴿يَغْنِيهِمُ اللَّهُ﴾.
- ١١ - الفقر ليس عيباً يعيب الشاب أو الفتاة، ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ...﴾.
- ١٢ - وعد الله تعالى بضمان حياة العروسين، والزواج وسيلة من وسائل التوسعة والبركة، ﴿يَغْنِيهِمُ اللَّهُ﴾.
- ١٣ - تحقق الوعود الإلهية ينبع من معين فضل الله الذي لا ينضب، ﴿فَضْلُهُ... وَاسِعٌ﴾.
- ١٤ - النمو والسعة اللذان جعلهما الله من نصيب عباده يقومان على أساس علمه وحكمته، ﴿وَاسِعٌ عَلَيْهِ﴾.

﴿وَلِاسْتَعْفِ الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيْنَكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبَعُوا عَرْضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾

إشارات:

□ يجب في البداية توصية كل من كانت لديه القدرة أن يتزوج، ثم تكون التوصية بعد ذلك لغير المتزوجين بالبغاة والطهارة، (جاءت آية «وأنكحوا» قبل آية «وليستعفف»).

□ ورد في الروايات أنهم كانوا في الجاهلية يجبرون جواربهم على إتيان الفاحشة من أجل اكتساب المال، ولهذا أمرهم الله تعالى بعدم إجبارهن على البغاء، والعمل على تزويجهن إن أردن الزواج.

□ نستطيع عند تعاملنا مع أسرى الحرب أن نسلك أحد الطرق التالية:

أ - أن نطلق سراح الأسرى كلهم دفعة واحدة، وسيعودون في هذه الحالة لمحاربتنا من جديد.

ب - أن نقتلهم جميعاً، وهذا سلوك غير إنساني.

ج - أن نجمع الأسرى في منطقة، ونوفر لهم النفقات من أموال المسلمين، (يجب في هذه الحالة أن يدفع الأبرياء نفقات المجرمين).

د - أن نُوزع الأسرى بين المسلمين حتى يروا الإسلام ويشاهدوا سلوك مُعتنقيه، فيتأثروا بهم تدريجياً، ويعتنقوا الإسلام، ثم نقوم بتحريرهم بطرق مختلفة، وهذا الرأي هو الأفضل، وهذا هو ما يطرحه الإسلام.

ناهيك بأن نظام الحرب في ذلك الوقت كان يقوم على الاستفادة من الأسير كعبد، وكان المسلمون أيضاً يُقابلون هذا الأمر بالمثل. والأسرى في العالم يوضعون اليوم في المعسكرات، ويجب علينا أن نقبل نحن أيضاً قوانين الحرب الدولية مادامت لا تتعارض مع ديننا.

التعاليم:

١ - تعذر الحصول على زوجة لا يُجيز الإقدام على معصية، بل لا بد من الصبر والعفة، ﴿وَلْيَسْتَعْفِفْ﴾.

٢ - لا بد من توصية خاصة كلما زاد الشعور بالخطر، ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾، (لما كان غير المتزوجين أكثر تعرضاً من غيرهم لإتيان الفاحشة والمنكر فإن الله تعالى خصهم بالخطاب في أمره بالعفة).

٣ - على الشباب ألا يجمعوا المال من طريق حرام من أجل توفير إكاثيات الزواج، وأن يُظهروا من أنفسهم العفة والتقوى، ﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

٤ - يجب أن يحافظ الشباب على أنفسهم ضمن المحافظة العامة على العفة والطهارة ﴿وَلْيَسْتَعْفِفْ﴾، ويجب أن تقوم الأسرة والدولة بدوريهما ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَى﴾، وأن يهب الأثرياء للمساعدة، ﴿وَوَاتُوهُمْ مِنْ مَّالِ اللَّهِ﴾.

٥ - يجب تحرير وثيقة مكتوبة عند مكاتبة الرقيق على حريته، ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾.

٦ - كانت للإسلام طرق مختلفة لتحرير العبيد، ومنها المكاتبة على استرداد الحرية، ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾.

- ٧ - لا تظنوا أن الثروة والمال من عندكم، بل من عند الله الذي استودعكم إياها أمانة لفترة من الزمن، ﴿مَالِ اللَّهِ﴾.
- ٨ - الأثرياء مسؤولون عن تزويج أتباعهم، ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾.
- ٩ - لا يجوز استخدام الأتباع في القيام بأعمال محرمة، ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ﴾.
- ١٠ - حُب الدنيا من مصادر الجرائم والذنوب، ﴿وَلَا تُكْرِهُوا... لِنَبْتَعُوا عَرْضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾.
- ١١ - لا يجوز كثر الثروات من الطرق غير المشروعة، ﴿لِنَبْتَعُوا عَرْضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾.
- ١٢ - الدنيا فانية، ﴿عَرَضُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾، (كلمة «عَرَض» بمعنى طارئ يطرأ ثم يزول).
- ١٣ - لا يجب التضحية بالقيم من أجل المال والماديات، ﴿وَلَا تُكْرِهُوا... لِنَبْتَعُوا﴾.
- ١٤ - حُرمة الإماء والجواري كحُرمة الفتيات الحرائر، ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ﴾.
- ١٥ - الطهر والعفة هما أفضل قيمة للمرأة، ﴿إِنْ أَرَدَنْ تَحَصُّنًا﴾.
- ١٦ - الوجهاء مصدر كثير من الذنوب والجرائم، ﴿وَلَا تُكْرِهُوا... أَرَدَنْ تَحَصُّنًا﴾.
- ١٧ - الذين يُجَبِّرون على ارتكاب الذنب سوف يعفو عنهم الله ويغفر لهم، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾

التعاليم:

- ١ - يلقي الله تعالى حُجَّتَهُ على الناس أجمعين، ﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾.
- ٢ - آيات القرآن أنوارٌ تكشف الظلمات، ﴿آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾.
- ٣ - يساعد تاريخ السابقين في إنارة الطريق لمن يأتي بعدهم، ﴿وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾.

- ٤ - القرآن كتابٌ شامل، ﴿ءَابَتْ... وَمَثَلًا... وَمَوْعِظَةً﴾.
 ٥ - النصيح يحتاج إلى القلب المستعد، ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾.
 ٦ - يحتاج المُتقون كسواهم إلى الموعظة، ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «نور» تعني الشيء المُنير في ذاته، الذي يضيء ظلمات الأشياء الأخرى أيضاً. وقد وصفت أشياء عديدة في الثقافة الإسلامية بأنها «نور»، ومنها: القرآن والعلم والعقل والإيمان والهداية والإسلام والرسول ﷺ والأئمة المعصومون عليه السلام.

□ كلمة «مشكاة» تعني غطاء المصباح أو صندوقه الزجاجي. وكلمة «دُرِّي» تعني المتلألئ نوراً المشع بالضياء، وكلمة «زيت» تُطلق على زيت الزيتون الذي يُقال إنه كان وسيلة من وسائل الإضاءة.

□ إذا نبتت غرسة الزيتون وسط الحقل فإنها تتعرض للشمس طويلاً، ويَحْسُنُ زيتها، ولكن عندما تقع على أطراف البستان فإنها تتعرض للشمس وقت الصباح أو وقت العصر فقط فتضعف لذا يستحسن أن تكون، ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾.

□ ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: أن الله تعالى هو الهادي في السماوات والأرض. كما وردت هداية الخلق في آيات أخرى أيضاً، كقوله تعالى ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾^(١)، وجُملة ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ تعني الهدايات الدائمة

المتابعة، ويقول تعالى في نهاية الآية أيضاً: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ فالله مصدر الهداية المستمرة لمستحقيها.

□ شبه القرآن الكريم الله تعالى في هذه الآية بالنور، ويتضح بنظرة إجمالية أن للنور الخصائص والسمات الآتية:

- ١ - النور هو أطف المخلوقات في العالم، وهو مصدر الجمال والرقّة.
 - ٢ - للنور أعلى سرعة في عالم المادة، ويُمكنه أن يدور حول الكرة الأرضية سبع مرات في طرفة عين (أي في أقل من ثانية واحدة)، وبسرعة تصل إلى ثلاثمائة ألف كيلومتر في الثانية، ولهذا فإن العلماء يقيسون المسافات الفلكية الكبيرة جداً والمذهلة بسرعة الضوء فقط، والوحدة القياسية عندهم هي السنة الضوئية، أي المسافة التي يقطعها الضوء في عام.
 - ٣ - النور هو وسيلة إظهار الأجسام ومشاهدة المخلوقات، ولا يُمكن رؤية شيء بدونه، وبناءً على هذا فإنه واضح بذاته وموضحٌ لغيره في الوقت نفسه.
 - ٤ - نور الشمس الذي هو أهم أنوار دنيانا هو الذي يُنمي الورود والنباتات، بل هو رمز البقاء للمخلوقات الحيّة كلها.
 - ٥ - يصدر عن نور الشمس كل أنواع الطاقة الموجودة في البيئة (فيما عدا الطاقة النووية) فحركة الرياح ونزول الأمطار وجريان الأنهار وتساقط الشلالات، وأخيراً حركة جميع المخلوقات الحيّة تعود إلى الشمس.
 - ٦ - مصدر الدفء والحرارة وما يحافظ على بيئة المخلوقات دافئة هو نور الشمس، حتى حرارة النار التي نحصل عليها من خشب الأشجار أو الفحم الحجري أو النفط ومشتقاته تأتي من حرارة الشمس أيضاً.
 - ٧ - يقضي نور الشمس على أنواع من الجراثيم والكائنات الضّارة، ولولا وجود هذا النور المبارك لتحولت الكرة الأرضية إلى مستشفى كبير مملوء بالمرضى الذين يُمسك الموت بتلابيبهم.
- وخلاصة القول هي أنه كلما نظرنا إلى هذه الظاهرة العجيبة في العالم،

وهي النور، ودققنا النظر فيها أكثر، تتضح لنا آثارها القيمة وبركاتها العظيمة. لكن من العجيب أن الإنسان وقف عاجزاً عن معرفة حقيقة النور الذي هو أمرٌ ماديٌّ على الرغم من كل ما توصل إليه من تقدم علمي، ومع ذلك راح يبحث عن ذات الله وحقيقته، ويُمكن أن يكون هذا أيضاً وجهاً من وجوه تشبيه الله تعالى بالنور.

والآن هل يُمكن أن نستفيد من كلمة أخرى غير كلمة «نور» إذا أردنا أن نختار تشبيهاً ومثالاً من المخلوقات الحسيّة لذات الله الطاهرة؟ (على الرغم من أن مقامه العظيم يسمو على كل تشبيه أو تمثيل) إنه الله الذي خلق الكون كله، وهو الذي يهب الضياء للعالم، والكائنات كلها تحيي ببركته، والمخلوقات كلها تعيش على مائدة نعمته، ولو مُنِع فضله عنها لحظة واحدة لغرقت كلها في ظلمة الفناء والعدم.

ومن الطريف أن كل مخلوق يكتسب من النورانية على قدر ارتباطه بالله تعالى:

القرآن نور؛ لأنه كلام الله.

الإسلام نور؛ لأنه دين الله.

الأنبياء نور؛ لأنهم رُسل الله.

الأئمة أنوار إلهية؛ لأنهم حُرّاس دين الله بعد الأنبياء.

الإيمان نور؛ لأنه رمز الارتباط بالله.

العلم نور؛ لأنه وسيلة التعرف على الله.

التعاليم:

١ - عالم الوجود فيضٌ من الله وشعاعٌ من نوره، نشأته وبقاؤه من الله تعالى، ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ...﴾.

٢ - نور الله منتشر وثابت أيضاً، (النور داخل المشكاة منتشر ومحفوظ من الانطفاء أيضاً)، ﴿الْمَصَابِحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾.

٣ - شجرة الزيتون شجرة مباركة، ﴿شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾.

٤ - نور الله من ذاته، وليس مستمداً من مصادر خارجية، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾.

٥ - على الرغم من أن الله هو نور السماوات والأرض ومصدر الخلق والهداية للوجود كله فإن مكانه هو قلوب المؤمنين الطاهرة الصافية، التي تضيء بنور الإيمان، وكلما زاد نقاء الإيمان زاد معه التألؤ، ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ...﴾.

﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ
يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾

إشارات:

□ نقرأ في الزيارة الجامعة الخطاب الموجه إلى الأئمة المعصومين عليهم السلام: «جعلكم في بيوت أذن الله أن ترفع...»، وبناء على هذا فإن أضرحة الأئمة المعصومين عليهم السلام من الأماكن التي تصدق عليها هذه الآية.

□ كلمة «تُرفع» يمكن أن تكون في هذه الآية بمعنى الارتفاع المكاني أيضاً، وهو ما نجد نظيراً له في الآية ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾^(١) التي تعني أن إبراهيم عليه السلام رفع قواعد الكعبة.

□ وعن الإمام الباقر عليه السلام إن المراد من قوله تعالى ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ هو بيوتات الأنبياء وأئمة الهدى، و«بيت علي منها»^(٢). ويروي «الثعلبي» في تفسيره أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ فقام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ فقال: «بيوت الأنبياء»، فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها؟ وأشار إلى بيت علي وفاطمة عليهما السلام، قال: «نعم من أفاضلها»^(٣).

(٣) الآلوسي، روح المعاني، ج ١٣، ص ٤٤٩.

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٧.

(٢) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٦٠٧.

□ وعن الإمام الكاظم عليه السلام إِنَّ المراد من قوله تعالى «بِالْغَدُوِّ وَالْأَصَالِ» هو أوقات الصلاة^(١).

□ وقد وردت كلمة «تسبيح» في مواضع عديدة من المعجم القرآني بدلاً من كلمة «صلاة»، كقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾^(٣).

التعاليم:

- ١ - يتحقق الوصول إلى نور هداية الله بالتردد على المساجد، ﴿اللَّهُ نُورٌ... يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ... فِي بُيُوتِهِ...﴾.
- ٢ - الأماكن ليست جميعها متساوية، وبعضها يعلو فوق البعض الآخر، ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ﴾.
- ٣ - قيمة ومكانة المساجد أفضل وأرفع من البيوت الأخرى، ﴿أَنْ تَرْفَعَ﴾.
- ٤ - الكبرياء والعظمة لله تعالى، ويأذن بها في المواضع التي يريدها، ﴿أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ﴾.
- ٥ - الأصل في الاستفادة من المساجد هو الصلاة وذكر الله، وليس إحياء المراسم الأخرى، ﴿يُذَكَّرُ فِيهَا أَسْمُهُ﴾.
- ٦ - يجب أن تفتح أبواب المساجد في أوقات الصلاة، وليس لأحد الحق في أن يُغلق أبوابها، ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾.
- ٧ - يجب أن يتكرر تسبيح الله كل صباح ومساءً، ﴿يُسَبِّحُ... بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾، عنصر الزمان والمكان مؤثران في العبادة.

﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَابِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ
يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾

إشارات:

□ تشمل كلمة «رجال» في هذه الآية عباد الله جميعاً، من رجال ونساء.

(٣) سورة ق: الآية ٣٩.

(١) بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٣٢٦.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٤١.

□ الوجه في نفى البيع بعد نفى إلهاء التجارة، أنّ الربح في البيع ناجز بالفعل بخلاف التجارة التي هي الحرفة، فعدم إلهاء التجارة لا يستلزم عدم إلهاء البيع الرابع بالفعل؛ ولذلك نفى البيع ثانياً بعد نفى إلهاء التجارة؛ ولذلك كرّرت لفظة «لا» لتذكير النفي وتأكيده^(١).

□ وفي الحديث أنّ المراد من الرجال الذين ذُكروا في هذه الآية هو أولئك التجار الذين إذا حضرت الصلاة وسمعوا الأذان تركوا التجارة، وانطلقوا إلى صلاتهم^(٢).

□ التجارة عامل من العوامل التي تشغل الإنسان وتمنعه عن ذكر الله. وقد ذُكرت أسباب انشغال أخرى في القرآن الكريم أيضاً، ومنها: التكاثر والأمل والولد وحُب الشر.

التعاليم:

- ١ - وحدهم الناس العظام لا تشغلهم أو تلهيهم التجارة، (جاءت كلمة «رجال» منونة، وهذا علامة على الشرف والعظمة).
- ٢ - إذا كان الإيمان راسخاً والإرادة صلبة فلا تؤثر فيها أي عوامل، ﴿لَا تُلْهِيمُ بَحْرَةً﴾.
- ٣ - تتوقف أعمال التجارة ولا تصرف المؤمنين عن الصلاة، ﴿لَا تُلْهِيمُ بَحْرَةً﴾..
- ٤ - إذا كانت الأعمال الحلال المُباحة لا يُقبل أن تلهي الإنسان عن ذكر الله، فما بالناس بالأعمال المكروهة أو المحرمة، ﴿لَا تُلْهِيمُ بَحْرَةً﴾.
- ٥ - ترك التجارة ليس هدفاً في حد ذاته، فلا بأس بالتجارة المصحوبة بذكر الله والصلاة والزكاة، ﴿لَا تُلْهِيمُ بَحْرَةً... عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ...﴾ (رجال الله يسعون من أجل الحياة الدنيوية، ولكنهم لا يغفلون عن الآخرة).
- ٦ - الإيمان بالآخرة يُخفف حب الدنيا لدى المؤمن، ﴿لَا تُلْهِيمُ... يَخَافُونَ يَوْمًا﴾.
- ٧ - جاءت الصلاة مُنفصلة عن ذكر الله على الرغم من أن الصلاة من الذكر، وذلك لأهميتها، ﴿ذِكْرُ اللَّهِ وَقَائِرُ الصَّلَاةِ﴾.

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ١٢٧. (٢) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٦١٠.

- ٨ - الصلاة والزكاة تجاور إحداهما الأخرى، وأولئك الذين يستحقون المدح والثناء هم أهل الاثنين معاً، ﴿وَلِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾.
- ٩ - يجب عدم التلهي بالدنيا عن الآخرة (خوفاً وتعبداً)، ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾.
- ١٠ - تخشع العيون وتبلغ القلوب الحناجر من هول مشاهد يوم القيامة، ﴿تَنَقَّلُبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾
 وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

التعاليم:

- ١ - إنَّ الله تعالى يوفِّي أعمالَ عباده البارة، وأجورهم كاملة، ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾.
- ٢ - أجزلوا العطاء بما يزيد عن قيمة العمل، ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾، (وردت توصية في الإسلام تقول: حددوا الأجر، وزيدوا عليه عند الأداء).
- ٣ - إذا تركتم متاع الدنيا وصلتم إلى ثواب الآخرة بلا حساب، ﴿لَّا تُلْهِمُهُمْ يَحْرَهُ... وَاللَّهُ يَرْزُقُ... بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، (المُرَاد من الرزق الذي لا حساب له هو العطاء الوافر الذي لا يتوقعه الإنسان).

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ يَفِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ
 لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «قِيعَة» تعني الأرض المسطحة الشاسعة كالصحراء، وتُطلق كلمة «ظْمَان» على الشخص الذي يزيد عطشه، ومصدر كلمة «وَفَّى» تعني الأداء الكامل الذي لا ينقص منه شيء.

التعاليم:

- ١ - توقّر الإيمان هو شرط قبول العمل، وسعادة الإنسان مرهونة بالإيمان أيضاً، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَرَابٍ﴾، (الكفر سبب إحباط العمل وعدم جدواه).
 - ٢ - أعمال الكفار خادعة ﴿كَرَابٍ﴾، (انظروا إلى دوافع الأعمال وليس إلى مظاهرها وأشكالها الظاهرية).
 - ٣ - تساعد الاستفادة من المثل والتشبيه في التعليم والتربية، ﴿أَعْمَلُهُمْ كَرَابٍ﴾.
 - ٤ - يوم القيامة هو يوم ظهور الحقائق، ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾.
 - ٥ - الدافع إلى القيام بكل الأعمال هو الوصول إلى الخير، لكن بعض الخير واقعي وبعضه خيال، ﴿يَحْسَبُهُ الظَّالِمَانُ مَاءً﴾.
 - ٦ - ليس للكفار نصيب من شيء يوم القيامة، ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾.
 - ٧ - يؤثر في مصير الإنسان كل من عقيدته وأعماله، ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا... أَعْمَلُهُمْ كَرَابٍ...﴾.
 - ٨ - سيكون النظر في حساب البشر يوم القيامة كاملاً ودقيقاً، كما أنه سيكون سريعاً أيضاً، ﴿فَوَقْنُهُ حِسَابُهُ... سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، (على خلاف الحسابات الدنيوية التي إما ألا تكون دقيقة وكاملة وإما يتأخر النظر فيها).
- ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ بَدَلُهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَرَاهِنٌ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ ﴿١﴾﴾

إشارات:

□ الكافر البسيط قريب من الإسلام، وهناك أمل في عودته إلى الحق، كالقدر العرضي الذي ينشب بين اثنين من الناس، ويكون أمرهما قريباً من الصلح والوفاق. لكن الكافرين الذين يجتهدون في أعمال كثيرة مخالفة على طريق

الكفر تكون عودتهم صعبة جداً. والكافر الذي يُصر على عقيدته ويُحقر الحق ويخوض الحروب ويضع الميزانيات ويبذل الأموال ويجمع حوله الناس في سبيل كفره، ويُعرف بهذا الأمر، تكون عودته إلى دائرة الإسلام صعبة جداً ومستبعدة، لأن كل محاولة من محاولاته موجةً من الظلمة تُضاف إلى الأمواج السابقة، وتجعل سيئاته كفره أكثر قوة وإحكاماً، وتُضله بدلاً من أن تفتح له الطريق، وتُصبح حجاباً يُسدل فوق الحُجُب السابقة.

□ ورد الحديث في هذه الآية عن الظلمات التي تقع إحداها فوق الأخرى ﴿ظُلُمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ في مقابل النور الإلهي الذي ورد ذكره في الآية ٣٥ من السورة، ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾.

التعاليم:

١ - يجب التعريف بالنماذج الإيجابية والسلبية على السواء. النموذج الإيجابي هو: ﴿يَجَالُ لَا ثَلَمِهِمْ...﴾، والنموذج السلبي هو: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا... أَوْ كَفَلْتُمْ...﴾.

٢ - عملُ المؤمن نور، وعملُ الكافر ظلمة، ﴿أَعْمَلْتُمْ... كَفَلْتُمْ...﴾.

٣ - أعمال الكفار الصالحة كالسراب، وأعمالهم السيئة كالظلمات، ﴿كَرِهٍ... أَوْ كَفَلْتُمْ...﴾.

٤ - العلم وحده لا يُغني الإنسان عن نور الوحي، ولولا وجود النور الإلهي لما كان هناك أي نور ينجليه، ﴿فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ...﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْطَّيْرِ صَفَفَتْ كُلُّ قَدِّ عِلْمٍ صَلَاتُهُمْ وَسَبِّحُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾

إشارات:

□ ذكر القرآن مسألة تسبيح المخلوقات وسجودها وصلاتها عدة مرات صراحةً،

وقال إنكم لا تفهمون هذا التسبيح: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(١). ويتضح من هذه الآيات أن اليقين والفهم لا يقتصران على الإنسان. وذلك على الرغم من أن بعض المفسرين قالوا إن تسبيح مخلوقات الكون تسبيح تكويني ولسان حالٍ للخلقة، ولكن ظاهر الآيات على خلاف هذا القول.

□ حذر الله الإنسان عدة مرات في هذه الآية بشكل غير مباشر:

أ - لماذا تغفل أيها الإنسان طالما أن مخلوقات السماء والأرض والطيور في حالة تسبيح؟! حالة تسبيح؟!

ب - جميع المخلوقات تسبح على بصيرة، فلماذا لا يكون لقلب الإنسان خشوع في الصلاة؟! خشوع في الصلاة؟!

ج - الطير يُسبح الله ويُصلي أثناء تحليقه في الجو، أمّا بعض البشر فإنهم يقضون وقتهم في غفلة وسُكر أثناء التحليق في السماء!

□ وعن أبي ثابت قال كنت عند محمد بن جعفر الباقر (رضي الله عنه): فقال لي: «أتدري ما تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها؟ قلت: لا، قال: «فإنهنَّ يقدّسن ربّهنَّ ويسألنه قوت يومهنَّ»^(٢).

التعاليم:

١ - لا تفكروا في أنفسكم فقط، ولكن انظروا حولكم، وتفكروا في الكون ومخلوقاته، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

٢ - للطيور من بين مخلوقات الكون التفات خاص إلى الله أثناء تحليقها في الجو، ﴿وَالطَّيْرُ صَبَّحَتْ﴾.

٣ - للمخلوقات كلها فهم وإدراك، وصلاتها وتسبيحها عن وعي وبصيرة، ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ﴾.

(١) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

(٢) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ١١، ص ٣٥٠.

٤ - يزيد ثواب الصلاة وقيمتها حينما يعرف المُصلي ماذا يقول وماذا يفعل، ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ﴾.

٥ - لكل مخلوق صورته الخاصة في الصلاة والتسبيح، ﴿صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ﴾.

٦ - يلم الله تعالى بتفاصيل الأعمال كلها، ﴿عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

٧ - هناك حاكم يتحكم بنظام الكون وهو الله ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ...﴾، وله هدف كذلك، ﴿وَالِلَّهِ الْمَصِيرُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَاذِبُ سَنًا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «يُزْجِي» تعني الحركة البطيئة المصحوبة بالدفع.

□ كلمة «ركام» تعني التراكم، وكلمة «ودق» تعني الأمطار. أمّا كلمة «سنا» فإنها تعني اللمعان، والمقصود من «سنا برقه» هو لمعان البرق.

□ في أيامنا هذه عندما يُحَلَقُ إنسان بالطائرة أعلى من السحاب فإنه يرى أن كتل السحاب تشبه الجبال، وهذا من معجزات القرآن التي ذُكرت قبل أربعة عشر قرناً من الزمان: ﴿وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾، أي يُرسل البرد من جبال السحاب.

التعاليم:

١ - من أفضل السبل لمعرفة الله، التفكير في خلقه تعالى، وصولاً إلى محبته ﷻ، ﴿أَلَمْ تَرَ...﴾.

٢ - كلُّ حركةٍ في عالم الطبيعة تتمّ بقدرة إلهية وبمشيئة ربانية، ومن أجل هدف حكيم، ﴿يُزْجِي... يُؤَلِّفُ... يَجْعَلُهُ﴾.

- ٣ - يتحقق مسار العوامل الطبيعية بإرادة إلهية، ولا شيء يقوم بدونه، ﴿يُزَيِّجُ... يُؤَلِّفُ... يَجْعَلُهُمْ... يُزِيلُ﴾.
- ٤ - يتوزع سقوط المطر والبرد ونفعهما أو ضرهما بإرادة الله تعالى، ﴿فَيَصِيبُ بِرَحْمَةٍ مِنْ نَشَاءٍ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ﴾.

﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (٤٤)

التعاليم:

- ١ - ليس من قبيل الصدفة تعاقب الليل والنهار؛ ولكنه يستند إلى نظام دقيق، ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾.
- ٢ - يجب التفكير في ظواهر الكون والاعتبار منها، ﴿لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.
- ٣ - يستطيع كل متبصر أن يستخلص الدروس في الأزمنة كلها ومن الأماكن جميعها، ﴿الَّيْلَ وَالنَّهَارَ... لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.
- ٤ - يوصي القرآن دائماً ويشجع على التدبر وينهى عن النظر بسطحية إلى الأشياء، ﴿لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤٥)

إشارات:

- أشار الله تعالى في هذه الآية إلى أنواع من الحيوانات: الزواحف والمواشي والطيور.
- التفكير في التكوين الجسماني للحيوانات خطوة على طريق معرفة الله. وقد قال علي عليه السلام أقوالاً بليغة في نهج البلاغة حول بعض المخلوقات كالطاووس والنملة.
- هذه الآية تتبع الآية التي سبقتها، فكما أن تعاقب الليل والنهار يدفع المتبصرين إلى الاعتبار، فإن خلق الحيوانات كلها من الماء وسيلة من وسائل العبرة أيضاً.

□ من الممكن أن يكون التنوين في كلمة «ماء» هو تنوين «تنويع» كما يُعرف اصطلاحاً، أي أن الله خلق أنواع المخلوقات من أنواع الماء والسوائل المناسبة لها^(١).

التعاليم:

- ١ - خلقت الدواب كلها بإرادة الله ومشيته، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾
- ٢ - إذا لم يتحرك الإنسان وينمو معنوياً فإنه سيكون في حركته الظاهرية كالذباب، ﴿يَمْشِي، يَمْشِي، يَمْشِي﴾
- ٣ - الماء أصل تكوين الدواب جميعاً، ﴿كُلُّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾، والله قادر على أن يخلق هذه المخلوقات المختلفة من هذه المادة البسيطة، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ...﴾.

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا ءَايَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾

إشارات:

□ قيل في الفرق بين كلمتي: «سَبِيل» و«طريق» وكلمة «صراط»، إن الصراط هو الطريق السهل، والسبيل اسم يقع على ما يقع عليه الطريق وعلى ما لا يقع، تقول سبيل الله وطريق الله، وتقول سبيلك أن تفعل كذا ولا تقول طريقك أن تفعل...^(٢).

التعاليم:

- ١ - أتم الله الحجة بإرساله الآيات الواضحة المبينة، ﴿أَنْزَلْنَا ءَايَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾.
- ٢ - الآيات الإلهية وسيلة هداية؛ ولكن الهداية نفسها من الله، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ...﴾.

(١) تفسير راهنما.

(٢) الفروق اللغوية، ج ١، ٣١٣، الرقم: ١٢٦٠.

﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧)

إشارات:

□ هذه الآية والآيات التي جاءت بعدها تدور حول منافقي المدينة الذين ادعوا مبايعة النبي؛ ولكنهم كانوا يعصونه عملياً.

التعاليم:

١ - يجب عدم الركون إلى الادعاءات الخادعة، ولا بد من الإيمان والثبات،
﴿يَقُولُونَ... يَتَوَلَّى﴾.

٢ - لا إيمان لناقض العهد، ﴿يَقُولُونَ... يَتَوَلَّى... وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

٣ - يتلازم الإيمان مع العمل، ﴿يَتَوَلَّى... وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾، (يقول المنافقون كلمة «أطعنا» بجوار كلمة «آمنّا»، ولكنهم كانوا غافلين عملياً).

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (٤٨)
﴿وَإِنْ يَكُنْ لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِبِينَ﴾ (٤٩)

إشارات:

□ يستند قضاء رسول الله ﷺ وحُكمه إلى حُكم الله تعالى، وهو ما نقرأه في الآية ١٠٥ من سورة النساء: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ﴾، أي: حتى تحكم بين الناس بموجب ما علمك الله إياه.

التعاليم:

١ - قبول حكم الرسول دليل على الإيمان الحقيقي، والإعراض عنه علامة على النفاق، ﴿إِذَا دُعُوا... فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾.

٢ - الحُكم والقضاء من مهام الأنبياء وشؤونهم، ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾.

٣ - حُكِمَ النبي هو نفسه حُكَمَ الله تعالى، (جاءت كلمة «ليحكم» على الأفراد ولم تأت على الشئ).

٤ - يجب معاملة الناس بإنصاف، فلا ينبغي تعميم الأحكام، ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾.

٥ - القضاء العادل قد لا يُعجب فريقاً من الناس، ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

٦ - لا تستندوا إلى أي ميل أو إظهار للاهتمام بكم، ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَكُمْ لُحُوقٌ بِأَنْبِيَائِهِمْ...﴾، (يأتون إلى النبي، لكن فقط، عندما يكون كلام النبي لمصلحتهم).

٧ - المنافق انتهازي، ويرتدي القناع المناسب لكل حدث، ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَكُمْ... مُدْعَيْنٌ﴾.

٨ - يقضي النبي الأكرم ﷺ للجميع، حتى للمنافقين (حينما يكون الحق معهم)، ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ... وَإِنْ يَكُنْ لَكُمْ لُحُوقٌ﴾.

﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أَرْأَوْا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ
بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

إشارات:

□ «الحيف» هو الخروج عن الاعتدال ظلماً وجوراً.

التعاليم:

١ - انعدام الإيمان مرض نفسي، ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ... أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾.

٢ - دوافع الإعراض عن حُكَمِ النبي ثلاثة: الأمراض النفسية والشك وسوء

الظن، ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أَرْأَوْا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.

٣ - الشك وسوء الظن في الله ظلم ﴿أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، (ظلم للنفس وللأنبياء).

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ
أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

إشارات:

□ رسمت الآيات الأربع السابقة صورة لموقف المنافقين من حُكَمِ نبي

الإسلام ﷺ، وتُقدم هذه الآية موقف المؤمنين الحقيقيين كي يعرف الناس في أي الفريقين هم عند التعامل مع حكم الله تعالى.

التعاليم:

- ١ - للمؤمن الصادق أسلوب واحد ثابت في تعامله مع حكم الله ورسوله، ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.
- ٢ - التسليم للحق هو أسلوب المؤمنين الدائم، ﴿كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ... سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾.
- ٣ - ينبغي أن يكون اهتمام المؤمن بالسبيل الذي يُدعى إليه وليس بشخصية الداعي، ﴿دَعَوْا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.
- ٤ - المهم بالنسبة للمؤمن هو العمل بالتكليف الإلهي وقبول حكم الله ورسوله (سواء أكان فيه مصلحته أو ضرره)، ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَكُمْ﴾.
- ٥ - الحكم من شؤون الأنبياء، ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾.
- ٦ - المهم هو السماع والعمل، وليس القبول دون تنفيذ، ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾.
- ٧ - تقوم طاعة المؤمنين للنبي على أساس تنفيذ أقوال الله تعالى وأوامره، (تقدمت «كلمة» سمعنا على كلمة «أطعنا»).
- ٨ - الوصول إلى الفلاح يكون في ظل التسليم لأوامر الله وطاعته، ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.
- ٩ - يتميز المتدين عن سواء عند وجود الاختلافات وقبول أحكام الله تعالى أو رفضها، ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾.

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَّقِ اللَّهَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٥٢)

التعاليم:

- ١ - لا علاقة للسعادة بالعرق أو السن أو الجنس أو القبيلة، فكل من يُسلم لله يكن من المفلحين، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ... هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

- ٢ - وجوب إطاعة النبي ﷺ بلا قيد أو شرط من منطلق كونه معصوماً، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.
- ٣ - الأهمية تتجلى في الخشية الداخلية والتقوى الخارجية، ﴿وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقَهُ﴾.
- ٤ - يجب ألا تؤدي الطاعة إلى الغرور، بل لا بد من وجود روح الخشية والتقوى، ﴿يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ﴾.
- ٥ - التقى الذي يخشى الله يُطيع الله ورسوله، وهو لا محالة من المُفلحين، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُفْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾

التعاليم:

- ١ - لا تطمئنوا إلى كل قَسَم تسمعونه؛ لأن المنافقين يُسيئون استخدام المقدسات، ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ...﴾.
- ٢ - يزداد التظاهر ويكثر التباهي لدى المرء كلما كان داخله أجوفاً، ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾.
- ٣ - ليس الإسلام بالأقوال فقط، وإنما بالأفعال أيضاً، ﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾.
- ٤ - يجب ردع المنافقين عن إساءة استخدام القَسَم بعدم قبول قَسَمهم، ﴿قُلْ لَا تُفْسِمُوا﴾.
- ٥ - يعلم المنافقون أن الله يعلم قولهم ويطلع على تصرفاتهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾

إشارات:

□ تنقسم أوامر الرسول إلى نوعين: الأول أوامر إلهية ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾، والثاني أوامر حكومية، ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾.

- وردت في القرآن مواضع ذكر فيها أمران متلازمان بحيث يجب تنفيذ الأمرين معاً، ولا يكفي العمل بواحد منهما فقط، ومثال ذلك:
- الإيمان والعمل، ﴿ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(١).
 - الصلاة والزكاة، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^(٢).
 - شكر الله والوالدين، ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾^(٣).
 - طاعة الله ورسوله، كقوله تعالى في هذه الآية: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾.
- استخدمت جملة ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ كثيراً في القرآن الكريم، في المواضع كلها لتشجيع الرسول والشدة من أزره حتى لا يتسرب اليأس إليه بسبب تجاهل الناس لدعوته.

التعاليم:

- ١ - أمر الله الرسول بأن يدعو المنافقين أيضاً إلى الطاعة، ﴿قُلْ أَطِيعُوا...﴾.
- ٢ - إطاعة النبي ﷺ في ما أمر أو نهى واجبة كطاعة أوامر الله، ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾.
- ٣ - تتوافق إرشادات النبي وتوجيهاته مع الأوامر الإلهية، ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾.
- ٤ - لا أثر لطاعة الناس أو عصيانهم في أداء الأنبياء لمهمتهم، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾.
- ٥ - يتعلّق تكليف كل فرد به هو نفسه، ﴿عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾.
- ٦ - الطاعة مدخل إلى الهداية، ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾.
- ٧ - يبلغ الأنبياء الرسالة ولا يُجبرون أحداً عليها، ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَاسٌ﴾.

(٣) سورة لقمان: الآية ١٤.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٤٣.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

إشارات:

□ ورد في روايات كثيرة عن الإمام السجاد والإمام الباقر والإمام الصادق عليهم السلام أن هذه الآية تنطبق تماماً على حُكم الإمام المهدي عليه السلام للعالم^(١). وأنَّ الله تعالى قد وعد بأن يحكم المؤمنون العالم في ذلك اليوم.

□ ذكر حُكم الصالحين للعالم في نهاية الزمان مرات عدة في القرآن الكريم، منها قوله ثلاث مرات: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(٢)، أي أنَّ الإسلام سوف ينتصر على الأديان كلها. وقال تعالى في موضع آخر: ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(٣)، أي أن عباد الله الصالحين سوف يرثون الأرض. ونقرأ في موضع آخر: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٥).

□ المقصود بخلافة المؤمنين خلافة الله على الأرض أو الحلول محل الأقوام السابقة.

□ ويروي «القرطبي» في تفسيره أحاديث عدة حول الانتصار الكامل للإسلام، ويقول إنه لن يكون هناك بيت على وجه الأرض إلا وسيدخله الإسلام.

□ استخلف النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، بأمر من الله تعالى، الإمام علياً عليه السلام في آخر حجة له في طريق عودته من مكة إلى المدينة (في الثامن عشر من ذي الحجة) عند غدير خم، ونزلت الآية التي يقول فيها تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٦١٩.

(٢) سورة التوبة: الآية ٣٣؛ وسورة الفتح: الآية ٢٨؛ وسورة الصف: الآية ٩.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٠٥.

(٤) سورة طه: الآية ١٣٢.

(٥) سورة الأعراف: الآية ١٢٨.

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَزَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا^(١)، وفي هذه الآية وعد من الله أيضاً بانتصار ذلك الدين الذي ارتضاه ﴿وَبَيْنَهُمُ الَّذِي آتَيْنَاهُ لَكُمْ﴾. وبناءً على ذلك فإن الإسلام الذي سيسود العالم هو إسلام غدير خم.

التعاليم:

- ١ - الإسلام هو دين المستقبل في العالم، والمتوقع القادم لمصلحة المؤمنين، وانكسار لشوكة الكافرين، ﴿وَعَدَ اللَّهُ... وَلَيَمَكِّنَنَّ لَكُمْ دِينَهُمْ﴾.
- ٢ - يجب بثّ الأمل في نفوس المؤمنين حتى لا يياسوا تحت ضغط الصعوبات، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.
- ٣ - الإيمان والعمل الصالح هما مفتاح الوصول إلى حكم الحق ورمز استحقاقه، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.
- ٤ - لا ينفصل الدين عن السياسة، فالسياسة والحكم هما من أجل المحافظة على الدين، ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ... يَعْبدُونَنِي﴾.
- ٥ - من المفيد أن نعرض نماذج من التاريخ عند ذكر الوعود الإلهية، وذلك كي يصدقها الناس، ﴿كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.
- ٦ - الانتصار النهائي لأهل الحق سنة إلهية، ﴿كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.
- ٧ - الهدف من حكم أهل الإيمان هو استقرار الدين الإلهي في الأرض والوصول إلى التوحيد والأمن الكامل، ﴿وَلَيَمَكِّنَنَّ لَكُمْ دِينَهُمْ... وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ... لَا يُشْرِكُونَ﴾.
- ٨ - علينا أن نرى سلطة الله في التحولات التاريخية، ﴿وَعَدَ اللَّهُ... وَلَيَمَكِّنَنَّ... وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ﴾.
- ٩ - الإسلام هو الدين الوحيد الذي يرتضيه الله، ﴿وَبَيْنَهُمُ الَّذِي آتَيْنَاهُ لَكُمْ﴾.
- ١٠ - يتوفر الأمن الحقيقي في ظل حكم الدين، ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾.
- ١١ - يوفر الأمن في المجتمع الإسلامي الظروف المناسبة من أجل العبادة، ﴿أَمَّا يَعْبدُونَنِي﴾، (الهدف النهائي من الوعود الإلهية هو العبادة الخالصة لله).

١٢ - تكتملُ عبادة الله عندما لا يرافقها أي شكل من أشكال الشرك، ﴿يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ﴾.

١٣ - ينبه الله تعالى إلى أنه ينحرف فريق من الناس في زمن حُكم الصالحين أيضاً، ﴿وَعَدَ اللَّهُ... وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٥٦)
 لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

إشارات:

□ عن الإمام الصادق عليه السلام بعد تلاوته الآية ٥٦: «هي الفطرة التي افترض الله على المؤمنين»^(١).

□ ربما كانت الآية ٥٧ ردّاً على السؤال الذي يقول: كيف يعدّ الله تعالى المؤمنين بحُكم الأرض على الرغم من كل هذا الكفر والنفاق والإمكانيات لدى المعارضين المخالفين؟ تقول هذه الآية: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾، أي لا تكن في شك، فالمخالفون لا يستطيعون أن يُعجزوا إرادة الله أو أن يُصيبوا طريقه بالخلل في أي مكان على الأرض. وسوف تقوم حكومة إمام الزمان عليه السلام ذات يوم على غير رغبة من الأعداء وخلافاً لظنونهم الباطلة^(٢).

التعاليم:

١ - خلال حكم المؤمنين يتجلى الصلاح بمظاهر مثال إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا... وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ...﴾.

٢ - لا يفصل الإسلام بين المسائل العبادية ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ والمسائل المالية ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ والمسائل السياسية والحكومية، ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ١٥٧.

(١) بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ١٠٤.

٣ - تحثّ الوعود الإلهية (في الآية السابقة) على العمل ولا تقبل القعود، ﴿وَأَقِيمُوا... وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾.

٤ - اتباع الله ورسوله هو شرط الوصول إلى الرحمة الإلهية، ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾.

٥ - سوف ينهزم الكفار ولو كانوا من القوى العظمى أمام قدرة الله تعالى وقوته، ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ...﴾.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَنْدِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ
تِلْكَ مَرْثٌ مِّنْ قَبْلِ صَلَوةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَوةِ الْعِشَاءِ
ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَفُوتٌ عَلَيْكُمْ
بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾

إشارات:

□ إذا ألقينا نظرة على آيات هذه السورة مرة أخرى من بدايتها نجد أن سياسة الوقاية من الذنب تكمن في الأحكام الإلهية، فيجب أن يُعاقب الزاني والزانية أمام أعين الناس (آية ١)، وأن يُقيد زواجهما (آية ٣)، وأن يُجلد من يقذف المحصنات بالباطل بدون أن يُحضر أربعة شهود ثمانية جلدة (آية ٤)، وأن يتم التصدي لأي قذف أو اتهام باطل (آية ١٢)، وأن من يحب إشاعة الفحشاء له عذاب أليم (آية ١٩)، ويجب عدم تتبع خطوات الشيطان (آية ٢١)، ومن يقذف النساء العفيفات الطاهرات له عذاب عظيم (آية ٢٣)، وعلى الطيبين ألا يبحثوا عن الخبيثات (آية ٢٦)، ويمنع دخول بيوت الآخرين بلا إذن، والالتزام بحق صاحب الدار (آية ٢٧ - ٢٨)، ويجب غض البصر عن الحرام وعدم التحديق فيه (آية ٣٠ - ٣١)، وعلى النساء ألا يُبدین زينةهن، ويجب القيام بتزويج من لا زوجة له، وعدم الخوف من الفقر (آية ٣٢)، ويقول تعالى في هذه الآية: اختلوا بزوجاتكم ساعات من اليوم، واعلموا أن على الأبناء وخدم المنزل ألا يدخلوا عليكم بدون إذن. نعم، إنَّ هذه الأوامر كلها من أجل منع الفحشاء والبلوغ المبكر وحفظ الحزمة والحياة والكرامة.

التعاليم:

- ١ - الوالدان المؤمنان هما المسؤولان عن تعليم أولادهما أحكام الدين، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَفْذِنَكُمْ﴾.
- ٢ - يحتاج الدخول إلى مكان نوم الوالدين إلى إذن إذا كان منفصلاً عن مكان الأولاد، ﴿لِيَسْتَفْذِنَكُمْ﴾.
- ٣ - الطفولة والعبودية ليستا ذريعة لهتك حرمة الآخرين، ﴿لِيَسْتَفْذِنَكُمْ﴾.
- ٤ - يجب على الرجل أن يُخصص أوقاتاً لزوجته على امتداد الليل والنهار، ﴿تَلَدْتُ عَوْرَتِي لَكُمْ﴾.
- ٥ - يجب حتى على الأبناء غير البالغين معرفة أحكام الأسرة ومُراعاتها، ﴿لِيَسْتَفْذِنَكُمْ... وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ﴾.
- ٦ - الإسلام دين الحياة، ويتمتع بشمول كامل، وله خطة وبرنامج من أجل القضايا المهمة من قبيل تكوين الحكومة العالمية (التي ورد ذكرها في الآية ٥٥)، كما أنه يُعالج قضايا جزئية من قبيل دخول الطفل غرفة الأبوين، ﴿لِيَسْتَفْذِنَكُمْ... وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ﴾.
- ٧ - يجب على الأطفال أن يتعلموا العفة والطهارة في محيط البيت، ﴿لِيَسْتَفْذِنَكُمْ﴾.
- ٨ - علينا أن نبدأ في تربية الأطفال وتعليمهم الآداب الإسلامية قبل بلوغهم، ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ﴾.
- ٩ - ينبغي خلع ثياب العمل والملابس الرسمية عند الاستراحة في البيت، ﴿تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ﴾.
- ١٠ - الاستراحة بعد الظهر وبين ساعات العمل مفيدة ومناسبة، ﴿تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهِيرَةِ﴾.
- ١١ - يجب أن يكون تنظيم الوقت في حياة المسلمين على أساس أوقات الصلاة، ﴿مِنَ الصَّلَاةِ إِلَى الصَّلَاةِ - بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾.

١٢ - تقوم الأحكام الإلهية كلها على أساس العلم والحكمة، ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَنْذِرُوا كَمَا اسْتَنْذَنَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «حُلُم» و«احتلام» بمعنى الجَنَابَة أثناء النوم، وهو علامة من علامات البلوغ. ولا شك في أنَّ علامات البلوغ تختلف لدى الفتيات عنها لدى الفتيان، وقد وردت في رسائل مراجع التقليد.

□ اختصت الآية السابقة باستئذان الأطفال في ثلاثة أوقات مُحددة، لكن هذه الآية لم تُحدد وقتاً معيَّناً، ويجب على الأبناء البالغين أن يستأذِنوا عند الدخول إلى حجرة الوالدين في الأوقات كلها.

□ لا يكفي اللجوء إلى إقامة الحدود والجُلْد فقط من أجل اقتلاع جذور مفسدة اجتماعية من قبيل الأعمال التي تنتهك العِفة، ولن تؤدي خطوة كهذه إلى النتيجة المطلوبة في أي قضية من القضايا الاجتماعية، بل يجب إعداد مجموعة من التعاليم الفكرية والثقافية الممزوجة بالأدب الأخلاقي والعاطفي والتعاليم الإسلامية الصحيحة، وإيجاد بيئة اجتماعية سليمة، ثم ننظر بعد ذلك إلى العقوبات بوصفها عامل مساعد بموازاة هذه العوامل.

ولهذا السبب تبدأ سورة النور - التي هي سورة العِفة في الحقيقة - بالعقوبات المقررة على الزاني والزانية، ثم تتوسع في عرض مسائل أخرى من قبيل توفير وسائل الزواج السليم، والاهتمام بالحجاب الإسلامي، والنهي عن النظر إلى الحرام، وتحريم قذف الناس واتهامهم في شرفهم، وصولاً إلى استئذان الأبناء عند الدخول إلى حجرة الأهل. وهذا يُشير إلى أنَّ الإسلام لم يغفل أي أمر من الأمور الدقيقة والتفاصيل المتعلقة بهذه القضية.

إنَّ الخدم والأبناء البالغين مُكلفون أيضاً بأن لا يدخلوا بدون إذن، وحتى

الأطفال غير البالغين الذين يتواجدون مع الأب والأم بانتظام، عليهم أن يتعلموا ألا يدخلوا على أبويهم في أوقات الراحة بدون إذن. هذا أدب إسلامي، على الرغم من أنه قلما يُراعى اليوم للأسف، وعلى الرغم من أن القرآن وضّحه بصراحة في الآيات السابقة، فإننا قليلاً ما نجد هذا الحُكم الإسلامي وفلسفته محل بحثٍ ودراسة في الكتابات والخطب أيضاً. ومن غير المعروف لأي سبب تعرض هذا الحُكم القطعي في القرآن إلى الغفلة والتجاهل؟

لا بد من أن ينظر الآباء والأمهات إلى هذه المسائل بعين الجدية، وأن يُعوّدوا أولادهم على أن يستأذنوا عند الدخول عليهم. وكذلك من الأعمال التي تتسبب في إثارة الأبناء، نوم الرجل والمرأة في الحجرة التي ينام فيها الأبناء المُدركون الذين يستطيعون التمييز، فعلى الأهل أن يتجنبوا هذا الأمر بقدر المستطاع، ويعلموا أن هذه الأمور تؤثر تأثيراً هائلاً - من الناحية التربوية - في مصير أبنائهم.

وقد ورد في حديثٍ عن نبي الإسلام ﷺ: «إياكم أن يُجامع الرجل امرأته والصبي في المهد ينظر إليهما»^(١).

التعاليم:

- ١ - الاحتلام علامة البلوغ الشرعية، ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ﴾.
- ٢ - الكبار والبالغون هم المِثَال والقُدوة للصبية الصغار، ﴿كَمَا اسْتَنْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.
- ٣ - ربّوا الأبناء بأعمالكم، ﴿كَمَا اسْتَنْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.
- ٤ - تهدف الأوامر التي أصدرها الله تعالى إلى المحافظة على العِفّة وهي أوامر واعية حكيمة، ﴿عَلَيْكُمْ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ
ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

إشارات:

□ يُستفاد من القرآن الكريم أنَّ خمار السيدات وجلبابهن يجب ألا يكونا مهيجين
أو مثيرين للشهوة أمام الرجال من غير المحارم؛ لأن الاستثناء ورد في
المواضع التالية:

- ﴿غَيْرِ أُولَى الْإِرْيَةِ﴾^(١)، الرجل الذي لا شهوة لديه.
- ﴿أَوِ الْطِفْلِ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ﴾، الطفل الذي لا يعرف شيئاً
عن الشهوة.

- ﴿لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾، النساء العجائز اللاتي لا يطمعن في الزواج من الرجال.
□ وعن الإمام الصادق عليه السلام إنَّ المقصود من قوله تعالى ﴿يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ هو
الخمار والجلباب وليس التعري^(٢).

□ أصل الحجاب من الأحكام الثابتة والضرورية في الإسلام، ولكن يجب ألا يُثير
نوعُ الجلباب الميولَ الجنسية، بل أن يكون عاملاً من عوامل المحافظة على
العِفَّة والطهارة.

التعاليم:

- ١ - تتطابق قوانين الإسلام مع الواقع والضرورات والاحتياجات والطاقات. (يجب
التخفيف في هذه القضية على المرأة العجوز التي لا تميل إلى الرجال ولا
تتزین)، ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا... أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾.
- ٢ - على المرأة - عجوزاً كانت أو شابة - ألا تُظهر زينتها، ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ
بِزِينَةٍ﴾.

- ٣ - لا يكفي كبر السن وحده من أجل أن تنزع المرأة خمارها، بل يجب ألا يكون لها رغبة في الزواج، ﴿وَالْقَوَاعِدُ... لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾.
- ٤ - الحجاب هو الأساس في المحافظة على العفة، ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾.
- ٥ - الحجاب هو لمصلحة النساء، ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾.
- ٦ - لا بد من التحذير بموازاة الحرية (إذا أسيء استخدام الأحكام الإلهية فإن الله سميع وعليم، وسوف يحاسب من تخلف عنها)، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُم مِّفْتَاحُهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

إشارات:

□ عن الإمام الصادق عليه السلام حول هذه الآية: «وذلك أن أهل المدينة قبل أن يُسلموا كانوا يعزلون الأعمى والأعرج والمريض أن يأكلوا معهم، كانوا لا يأكلون معهم، وكان الأنصار فيهم تبه وتكرم فقالوا: إنَّ الأعمى لا يُبصر الطعام، والأعرج لا يستطيع الزحام على الطعام، والمريض لا يأكل كما يأكل الصحيح، فعزلوا لهم طعامهم على ناحية، وكانوا يرون عليهم في مواكلتهم جُنَاح، وكان الأعمى والأعرج والمريض يقولون: لعلنا نؤذيهم إذا أكلنا معهم، فاعتزلوا من مواكلتهم، فلما قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم سألوه عن ذلك فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾»^(١).

□ ويقول العلامة الطباطبائي إن ظاهر الآية هو أن الله تعالى قد أقر للمؤمنين بالحق في أنهم يستطيعون أن يأكلوا من بيوت الأبناء والأقارب والأصدقاء على قدر حاجتهم، وهذا الإذن عام وشامل، لكن بداية الآية أشارت إلى ثلاث مجموعات لا تستطيع عادة أن توفر طعامها، وتحتاج إلى الآخرين في توفيره، لكن الحكم لا يخص هذه المجموعات الثلاث بعينها، بل هو للمؤمنين جميعاً^(١).

□ بينت هذه الآية الإذن بالاستفادة من بيوت أقارب النسب فقط، ولم تذكر شيئاً عن قرابة المصاهرة، كوالد الزوجة وأمها وشقيق الزوجة وشقيقتها.

□ هذه الآية حول تناول الطعام فقط، أما التصرفات الأخرى فإنها مشروطة بالحصول على الإذن. وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «قوت بغير سرف...»^(٢).

□ تُشير القرائن أحياناً إلى أن هذه المجموعات الإحدى عشرة - في الحالات المذكورة في الآية - لا ترغب في أن تأكل من الطعام الذي في بيوتها، كأن يكون أهل هذه البيوت قد أخفوا الطعام في مكان خاص، فيجب أن نكف أيدينا في هذه الحالة.

□ عن الإمام الباقر عليه السلام: «إِنَّ التَّسْلِيمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ هُوَ تَسْلِيمُ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ حِينَ يَدْخُلُ، ثُمَّ يَرُدُّونَ عَلَيْهِ، فَهُوَ سَلَامُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ»^(٣).

□ لم يأت ذكرُ لبّيت الابن في هذه الآية، وربما كان ذلك بسبب أن جواز هذا الأمر واضح ومُسَلَّم به، فقد ورد في الحديث قوله صلى الله عليه وآله: «أنت ومالك لأبيك».

التعاليم:

١ - العلاقات الأسرية وروابط القربى تؤثر في قضايا الحقوق (على الرغم من أن

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ١٦٤ وما بعدها.

(٢) تفسير الصافي، ج ٣، ص ٤٤٨.

(٣) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٦٢٨.

الطعام ملك لصاحب البيت فإن الإسلام قد غلب العلاقات الأسرية والعاطفية على ملكية الأفراد في هذه المواضع)، ﴿أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ... بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ﴾.

٢ - الأدلة العرفية والاطمئنان العقلي يكفیان للدلالة على جواز الاستفادة مما في بيوت الآخرين (إعطاء مفتاح البيت لأحد هو علامة رضا)، ﴿مَا مَلَكَتْهُ مَفَاتِحُهُ أَوْ صَدِيقُهُ﴾.

٣ - وُضِعَ حق الصديق إلى جوار حق الأسرة في الإسلام، ﴿أَتَمَّعْتُمْ...﴾، (سئل أفلاطون: أحب أخاك أكثر أم رفيقك؟ فأجاب: أخي حينما يكون رفيقي)^(١).

٤ - إلقاء التحية من آداب دخول المنزل، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا﴾.

٥ - التحية أدب سماوي مبارك ومستحسن، ﴿تَحِيَّةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾.

٦ - توجيه التحية يؤثر على خير البيت وبركة الحياة، ﴿مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾.

٧ - أهل البيت هم بمثابة أنفسهم، ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾.

٨ - إن الله تعالى هو الذي يرسم حدود الحقوق، ﴿يَبْنِي اللَّهُ لَكُمْ الْأَيَّاتِ﴾.

٩ - يجب التفكير والتدبر في الأحكام الإلهية، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا إِنْ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِيَعِضَ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٦)

إشارات:

□ ذكرت أقوال عديدة في كتب التفسير حول سبب نزول هذه الآية، وسوف نذكر الأقوال الأساسية في ما يلي:

١ - هذه الآية ترتبط بالصحابي «حنظلة» الذي لما صدر الأمر بالتحرك في غزوة أحد ليلة عرسه. وذهب حنظلة إلى البيت بعد استئذان رسول الله ﷺ، وأقام مراسم زفافه، ثم ذهب إلى الجبهة بدون أن يغتسل، واستشهد في المعركة. وقد ورد عن النبي قوله: «رأيت الملائكة تغسل حنظلة بماء المزن في صحائف من فضة بين السماء والأرض»، فكان غسيل الملائكة. ورزق الله حنظلة ولداً من ليلته تلك التي قضاهها مع زوجته. وقد أورد المفسرون أحداث قصته بالتفصيل في تفسير هذه الآية^(١).

٢ - قيل إن هذه الآية نزلت في المنافقين كانوا ينظرون يميناً وشمالاً فإذا لم يرههم أحد انسلوا وخرجوا ولم يصلوا، وإن أبصرهم أحد ثبتوا وصلوا خوفاً^(٢).

٣ - أرسل رسول الله ﷺ جماعة من الناس لأمر من الأمور، ولكنهم ذهبوا في قضاء حوائجهم الشخصية، ونزلت هذه الآية في هذا الشأن.

٤ - نزلت هذه الآية في شأن المسلمين الذين كانوا يحفرون الخندق، وكانوا يستأذنون رسول الله ﷺ من أجل زيارة أسرهم.

٥ - يعدّ استئذان القائد دليلاً على الأدب والتسليم والانضباط والحب للزعيم والنظام.

التعاليم:

١ - مؤازرة الزعيم من أجل حل المشكلات علامة على الإيمان، والتغيب دليل على النفاق أو ضعف الإيمان، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ... كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾.

(١) انظر: الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ١٧١.

(٢) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ٢٤، ص ٣٩.

- ٢ - لا تجوز الأنانية والاستقلالية في القضايا المؤسسية التي يُتخذ فيها القرار على أساس تبادل الأفكار والمشورة، ﴿عَلَى أَمْرِ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا﴾.
- ٣ - من الضروري وجود القائد في الحياة الاجتماعية واتباعه، ﴿عَلَى أَمْرِ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا﴾.
- ٤ - يجب أن يكون الإيمان مصحوباً بالتسليم للقيادة والطاعة لها، ﴿لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾.
- ٥ - يجب أن نحترم النظام الاجتماعي وأن نُقدّر الأعمال الجماعية، ﴿لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾.
- ٦ - يجب أن يكون الكلام تلميحاً في بعض المسائل، ﴿لَيَقِضَ شَأْنِهِمْ﴾.
- ٧ - القيادة في الإسلام تقتزن بالرحمة والتفكير في عاقبة الأمور، ﴿فَأَذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمْ﴾.
- ٨ - القرارات النهائية تعود للقائد، ﴿لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾، (لِلرَّسُولِ وَلَايَةُ عَلَى النَّاسِ فِي قَضَايَا الْمَجْتَمَعِ).
- ٩ - يجب على القائد أن يكون مرناً واقعياً في تنفيذ سياساته، ﴿فَأَذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ اللَّهُ﴾.
- ١٠ - إذن النبي يُجيز العمل ويحلّه، ولكن ترك الأعمال العامة دون مسوّغ يحتاج إلى استغفار، ﴿فَأَذِنَ... وَاسْتَغْفِرَ لَهُمْ﴾.
- ١١ - يُستحسن طرح المسائل الشخصية أثناء الانشغال بالأعمال العامة حتى لو كان هناك إذن بذلك، ﴿وَاسْتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ويجب الاعتذار عن ذلك.
- ١٢ - استغفار النبي ﷺ مقبول، ودعاؤه للآخرين مُستجاب، ﴿وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا
قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَكُمْ لَوْادًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ
عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٦٣)

إشارات:

□ «تسلل» تعني الخروج سراً وخفية، وكلمة «لواذ» تعني اختفاء الواحد وراء الآخر، وكان هذا من عمل المنافقين.

□ ثمة أربعة تفاسير لمعنى هذه الآية:

١ - لا تنادوا رسول الله ﷺ مثل الآخرين، فقد ورد في الحديث: «لا تقولوا يا محمد ولا يا أبا القاسم، ولكن قولوا يا نبي الله ويا رسول الله»^(١)، وجاء في رواية أخرى أن هذه الآية تسري على خلفاء هذا النبي المعصومين أيضاً^(٢).

٢ - لا تُنادوا النبي بصوت مرتفع كما تفعلوا مع الآخرين^(٣).

٣ - لا تجعلوا دعوة الرسول ﷺ كدعوة الآخرين، وعليكم أن تُطيعوا النبي إذا دعاكم إلى عمل من قبيل الذهاب إلى الجبهة وصلاة الجماعة، ولا تستهينوا بدعوته.

٤ - احذروا دعاء الرسول عليكم إذا أسخطتموه، فإن دعاءه مجاب ليس كدعاء غيره^(٤).

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٦٢٨.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٣٠١.

(٣) تفسير مجمع البيان، مج ٧ - ٨، ص ٢٤٨.

(٤) انظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ٢٤، ص ٤٠.

التعاليم:

- ١ - المبعوث الإلهي له حُرْمته، فاذكروا اسمه باحترام، وسلموا له تمام التسليم، ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ...﴾.
- ٢ - الاستهانة بتعليمات النبي وعدم الاهتمام بها يتسببان في الفتنة والعذاب الأليم، ﴿فِتْنَةٌ أَوْ... عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.
- ٣ - مخالفة أمر الله ورسوله يترتب عليها فتنة دنيوية أو عذاب أخروي، ﴿بِخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ... فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ
وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنْتِظُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾

التعاليم:

- ١ - الله سبحانه يعلم الأفكار والنوايا كلها، ﴿قَدْ يَعْلَمُ... فَيُنْتِظُهُمْ﴾.
- ٢ - الإيمان بعلم الله هو وسيلة منع الشرور، ﴿يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ... فَيُنْتِظُهُمْ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

السورة: ٢٥ الجزء: ١٨ - ١٩

عدد الآيات: ٧٧

ملامح سورة الفرقان

تحتوي هذه السورة على سبع وسبعين آية، ونزلت في مكة. وقد وُصف القرآن الكريم في الآية الأولى من هذه السورة بالفرقان، أي المُفرِّق بين الحق والباطل؛ ولهذا سُميت هذه السورة سورة «الفرقان».

وتشتمل هذه السورة على آيات يدور الحديث فيها حول ذرائع المشركين والرد عليها، ومصير الأمم السابقة، كأصحاب الرس، وتحسر الناس يوم القيامة، وعلامات التوحيد وعظمة الله تعالى في الطبيعة، والمقارنة بين المؤمنين والكافرين. لكن أهم جزء من آيات هذه السورة يدور حول سمات «عباد الرحمن»، أي عباد الله الصادقون، وهو الجزء الذي يبدأ من الآية ٦٣ ويستمر حتى نهاية السورة.

ولعلنا نُمهد المجال لتلقي الأفضال الإلهية في الدنيا والآخرة ودخول الفردوس الأعلى بتلاوة هذه الآيات وتدبرها وإصلاح سلوكياتنا وأعمالنا على أساس هذه الصفات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ ﴿١﴾

إشارات:

□ من الممكن أن تكون كلمة «تَبَارَكَ» من اللفظ «بَرَكَ»، أي ثبت وأقام، ومن الممكن أن تكون من كلمة «بَرَكَة» التي تعني الخير الكثير، أي أَنَّ الذي أنزل القرآن الكريم هو مصدر الخير الوفير، وَأَنَّ نُزُولَ القرآن ما هو إلا نموذج لهذا الخير وتلك البركة. نعم، وأي بركة أعظم من القانون الإلهي الذي أخرج مليارات البشر من الظلمات إلى النور.

□ لو كان النُزُولُ في صيغة «أنزلنا» كان المعنى هو إرسال القرآن كاملاً ودفعة واحدة، أمّا إذا كان في صيغة «نَزَّلَ» فالمعنى هو الإرسال تدريجيًا، وقد نزل القرآن على شكلين، فقد نزل على النبي دفعة واحدة في ليلة القدر ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(١)، ونزل مرة أخرى بصورة تدريجية على مدار ٢٣ سنة ﴿نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾، كما نقرأ في موضع آخر من القرآن الكريم: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكَبٍّ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾^(٢)، أي: نحن أنزلنا القرآن مُفْرَقًا حتى تقرأه على الناس تدريجيًا.

التعاليم:

- ١ - جاء القرآن الكريم من مصدر مبارك، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ﴾.
- ٢ - يليق الاستحسان بالنظام التكويني للإنسان (المخلوق بقدرته تعالى) ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٣)، كما يليق بنظامه التشريعي (نزول القرآن وتدوين أحكام الدين)، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ﴾.

(٣) سورة المؤمنون: الآية ١٤.

(١) سورة القدر: الآية ١.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٠٦.

- ٣ - نزل القرآن الكريم تدريجيًّا، ﴿نَزَّلَ﴾.
 - ٤ - القرآن هو أفضل وسيلة لمعرفة الحق من الباطل، ﴿الْفُرْقَانِ﴾.
 - ٥ - لولا الكتب السماوية ورسالة الأنبياء لتخبَّط الإنسان في ظلمات الحيرة والاضطراب، ﴿الْفُرْقَانِ﴾.
 - ٦ - العبودية هي ميدان تلقّي الوحي، ﴿نَزَّلَ الْفُرْقَانِ عَلَى عَبْدِهِ﴾.
 - ٧ - رسالة رسول الإسلام رسالة عالمية، ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾.
 - ٨ - مهمة الأنبياء هي التحذير والإنذار، ﴿نَذِيرًا﴾.
- ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾

إشارات:

□ كان المشركون واليهود والنصارى يعتقدون باطلاً، أن الله تعالى له ولد أو شريك، وقد فنَّد القرآن الكريم هذه العقيدة الباطلة مرات عديدة، ومنها ما ورد في هذه الآية.

التعاليم:

- ١ - إنَّ السلطة على الكون والحاكمية فيه هي لله تعالى، ﴿لَهُ مُلْكٌ...﴾، (في الكون نظام واحد، وإرادة واحدة، وإدارة مسيطرة واحدة).
- ٢ - يتساوى حُكم الله في هذا الكون، ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.
- ٣ - الله تعالى هو الغني، ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ... لَمْ يَتَّخِذْ﴾، (تكون الحاجة إلى الولد من أجل تعويض النقائص، فأني نقيصة لذلك الذي يُمسك بحكم الكون كله في يده؟!).
- ٤ - خرجت المخلوقات كلها من مصدر قادر واحد، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.
- ٥ - لا يملك تدبير شؤون الكون إلَّا خالقه، ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ... وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

- ٦ - للخلق نظام دقيق وترتيب، ﴿فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾.
 ٧ - يجري تدبير أمور الكون في غاية الدقة ﴿تَقْدِيرًا﴾.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ
 لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ (٣)

التعاليم:

- ١ - الإيمان بالله أمر فطري، وإذا ترك إنسانُ إلهه الواحد فإنه سيذهب وراء الآلهة الكاذبين، ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾.
- ٢ - يجب مواجهة المشركين أيضاً بالاستدلال، ﴿لَا يَخْلُقُونَ... وَلَا يَمْلِكُونَ﴾.
- ٣ - الله هو القادر على حل مشاكل الإنسان؛ لذا يجب عبادته دون الأصنام العاجزة عن مساعدته، ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾.
- ٤ - إن الذي لا يدفع الضرر عن نفسه، ولا يجلب لها نفعاً، لن يقدر على فعل شيء دون أي شك، ﴿لِأَنْفُسِهِمْ﴾.
- ٥ - يتقدم دفع الضرر على جلب المنفعة. وقد ورد قوله تعالى ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ عن دفع الضرر قبل قوله ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ عن جلب المنفعة.
- ٦ - يجب أن يكون لعمل الإنسان هدفٌ دنيوي، أو أخروي، والأصنام لا تنفع في هذا أو ذاك، ﴿وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ
 قَوْمٌ ءَاخِرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ (٤)

إشارات:

□ كلمة «إفك» تعني الكذب، وكلمة «زور» تعني الحديث الباطل الكاذب^(١). وقد

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة: «أفك».

ترافقت كلمة «ظلم» مع كلمة «زور» في هذا الموضع فقط من القرآن الكريم؛ لأن الكفار منعوا هداية الناس باتهامهم الرسول والكتاب السماوي بالكذب، وهذا باطل حتماً.

التعاليم:

١ - يُبرر الكفار كفرهم باتهام الكتب السماوية بالكذب، ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَيْنَاهُ﴾.

٢ - يزدري الكافرون الكتاب، ﴿إِنْ هَذَا﴾؛ ويحقرون الأنبياء، ﴿افْتَرَيْنَاهُ﴾.

٣ - لقد أقر المخالفون بعظمة القرآن أيضاً، ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ﴾ على أنه نتاج تضافر الجهود.

٤ - من أقبح الذنوب إثارة الغوغائية عن طريق التحقير والاتهام ومنع هداية الآخرين، ﴿ظَلَمْنَا وَزُورْنَا﴾.

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥
قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝٦﴾

إشارات:

□ كان الكفار ينتقدون مضمون القرآن ويأخذون عليه أنه لا يحتوي على جديد، وإنما هو أساطير قديمة ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، وكانوا يُشككون في شخص رسول الله أيضاً، ويقولون إنه استنسخ القرآن من كتبهم ﴿اكْتَتَبَهَا﴾، وكانوا يرون أن هناك أعواناً مجهولين يساعدون النبي ﴿تُمْلَى عَلَيْهِ﴾.

□ المقصود بكتابة الأساطير هو أنهم كانوا يهتمون النبي أن أشخاصاً كانوا يكتبون له ويدعون أنه كان يعرف الكتابة وينفون عنه الأمية.

□ ورد في هذه الآية قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ﴾، دون الإشارة إلى علم الله بالظاهر، فمن المسلم به أن من يعلم الأسرار والحقائق الخفية يدرك الحقائق الظاهرة.

التعاليم:

- ١ - تجب الأمانة في عرض أقوال المخالفين، ﴿قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.
- ٢ - يجب الردّ على أهل اللغو والثرثرة، ﴿قُلْ﴾.
- ٣ - جاء القرآن من العلم الذي لا نهاية له، وليس من الأساطير، ﴿أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ﴾.
- ٤ - القرآن ليس من صنع البشر، بل هو مُنْزَل من لدن العليم بأسرار العالم كلها، ﴿أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ الْغَيْبَ...﴾.
- ٥ - يحتوي القرآن على أوامر وتعليمات تكتنفها الأسرار، ﴿أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ الْغَيْبَ...﴾.
- ٦ - يتساوى علم الله تعالى بالحقائق الخفية والظاهرة، ﴿يَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾.
- ٧ - في السماوات أسرار لا يدركها علم الإنسان، ﴿الْغَيْبَ فِي السَّمَوَاتِ﴾.
- ٨ - باب التوبة مفتوح حتى في وجوه الكفار الذين يصفون القرآن بالأساطير والرسول بالكذاب، ﴿إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾.
- ٩ - المغفرة وحدها لا تكفي، بل ينبغي أن يكون هناك أيضاً لطف من الله ورحمة، ﴿عَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾
 ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾

إشارات:

- وجه الكفار سهام النقد إلى الرسول الأكرم ﷺ، وقالوا: لماذا يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ وتجيّبهم الآية العشرون من هذه السورة بأن الرُّسُل السابقين جميعاً كانوا يأكلون ويمشون في الأسواق أيضاً.

التعاليم:

- ١ - يرى بعض الناس الكمال المتمثل بالحياة العادية والعيش مع الناس عيباً ونقصاً، ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ﴾.
- ٢ - لا تتعارض الدعوة إلى الله مع ممارسة أمور الدنيا، ﴿يَأْكُلُ... يَتَشَى﴾.
- ٣ - يجب ألا ينفصل القائد عن مجتمعه، فالذي يتعامل مع الناس ويخالطهم هو خير مَنْ يستطيع هدايتهم وإرشادهم، ﴿وَيَتَشَى فِي الْأَسْوَاقِ﴾.

﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا
وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾

إشارات:

□ رأى الكفار في الآية السابقة أنَّ الرسول يجب ألا تكون له احتياجات جسمانية، من أكل الطعام والذهاب إلى الأسواق والاختلاط بالناس من أجل قضاء حوائجه ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الظَّلَمَاءَ وَيَتَشَى فِي الْأَسْوَاقِ﴾، وما يطرحونه في هذه الآية هو أن على الرسول أن يكون مكثفاً اكتفاءً ذاتياً حتى لا يحتاج إلى التواجد في الأسواق ومخالطة الناس ﴿يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾، وهم بهذا الشكل غافلون عن أن هذا الاكتفاء أمر سلبي، إذ كيف يستطيع شخص مرفه شاذ عن مجتمعه، أن يتحمل مشقة تزعم الناس وقيادتهم.

التعاليم:

- ١ - ينظر الماديون من زاوية الماديات حتى إلى الأنبياء، ﴿يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾.
- ٢ - انتقاد عمل الأنبياء ظلم، ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾.
- ٣ - يخلق المستكبر والمُعادي حجة جديدة في كل لحظة، ويستبدلها بحجة أخرى بمجرد أن تبطل حجته، ﴿يَأْكُلُ... يَتَشَى... لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ... أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾.
- ٤ - يصف المخالفون الأنبياء بالسحرة حيناً وبالمسحورين حيناً آخر، ﴿رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾.

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾

إشارات:

□ من الممكن أن يكون معنى الآية هو أن أولئك الذين يمنعون الأنبياء من إرشاد الناس وهدايتهم بطرح التوقعات والحجج الواهية لن يصلوا إلى شيء، أي أنهم لن يُوفقوا في الوصول لهدفهم، وكما يقول الشاعر ما ترجمته: تُبَيِّح عرضك وتسبب لنا الألم والضيق.

التعاليم:

- ١ - يجب التدقيق في ذرائع العدو وانتقاداته، ﴿أَنْظُرْ﴾.
- ٢ - يجب توضيح انحرافات المخالفين وكشفها في مقابل ما يسعون إليه لإضعاف الدعوة، ﴿ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾.
- ٣ - التشبيهات والأمثال غير المناسبة مقدّمة للانحراف، ﴿فَضَلُّوا﴾.
- ٤ - الابتعاد عن المنطق والمعجزات وكمال الرسول والسعي وراء المال والجاه والحجج والأعذار ضلال، ﴿فَضَلُّوا﴾.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ جَري

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا﴾

إشارات:

□ تبين في الآيات السابقة، أن الكفار كانوا يتوقعون أن يكون لرسول الإسلام العزيز كنز وبستان، وتقول هذه الآية إنه لو أراد الله تعالى لجعل للرسول جنائن كثيرة بدلاً من واحدة.

□ عن الإمام علي عليه السلام: «لو أراد الله سبحانه بأنبيائه حيث بعثهم، أن يفتح لهم كنوز الذهبان ومعادن العقيان ومغارس الجنان وأن يحشر معهم طيور السماء ووحوش الأرضين لفعل، ولو فعل لسقط البلاء، وبطل الجزاء، واضمحلت

الأنبياء، ولما وجب للقابلين أجور المبطلين، ولا استحق المؤمنون ثواب المحسنين، ولا لزمَت الأسماء معانيها، ولكن الله سبحانه جعل رسله أولي قوة في عزائمهم، وَضَعَفَةً في ما ترى الأعين من حالاتهم، مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنى، وخصاصة تملأ الأبصار والأسماع أذى. ولو كان الأنبياء أهل قوة لا تُرام وعزة لا تُضام ومُلْك تُمد نحوه أعناق الرجال، لكان ذلك أهون على الخلق في الاعتبار، وأبعد لهم من الاستكبار، ولآمنوا عن رهبة قاهرة لهم، أو رغبة مائلة بهم، فكانت النية مشتركة، والحسنات مقسمة. ولكن الله سبحانه أراد أن يكون الاتِّباع لرسله، والتصديق بكتبه، والخشوع لوجهه، والاستكبار لأمره، والاستسلام لطاعته، أموراً له خاصة، لا تشوبها من غيرها شائبة، وكلما كانت البلوى والاختبار أعظم كانت المثوبة والجزاء أجزل^(١).

□ كلمة «تبارك» من «بَرَكَ»، التي تعني ثبت وأقام، أو من «بَرَكَ» التي تعني الخير الكثير^(٢).

التعاليم:

- ١ - وجود الله ثابت، وهو مصدر البركات، ﴿تُبَارَكُ﴾.
- ٢ - الزهد والبساطة يليقان بالأنبياء، وحياة الترف بعيدة عن مقام الأنبياء ونهجهم في العيش، ﴿إِنْ شَاءَ جَعَلْ لَكَ﴾.
- ٣ - الفقر والغنى بيد الله، ﴿إِنْ شَاءَ جَعَلْ لَكَ﴾.
- ٤ - لا يمكن منع إرادة الله أو تأخير مشيئته، ﴿إِنْ شَاءَ جَعَلْ لَكَ﴾.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ (١١)

إشارات:

□ كلمة «سَعِير» تعني النار الملتهبة المحرقة.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة: «برك».

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٩٢.

التعاليم:

١ - يستمد الكفار حججهم من إنكارهم ليوم القيامة، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾، (تكذيب يوم القيامة هو أصل اختلاق الحجج عند الكفار وقولهم: لماذا لا يكون للرسول كنوز وجنان؟).

٢ - تكذيب المعاد أمر خطير جداً، ﴿كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ... كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ﴾.

٣ - سبق أن خلقت الجنة والنار وتم إعدادهما من قبل، ﴿أَعْتَدْنَا﴾.

٤ - يرتب الذنب الكبير عذاباً بحجمه، ﴿كَذَّبَ... سَعِيرًا﴾.

﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ۚ وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنَيْنِ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾

إشارات:

□ كلمة «تَغِيْظٌ» تعني إظهار الغيظ وشدة الغضب، يصاحبه صخب أحياناً، أمّا كلمة «زفير» فإنها تُطلق على صوت إخراج النفس في حالة انقباض الصدر من شدة الغم. و«مقرنين» أي مقيدتين في السلاسل والأغلال. وكلمة «ثبور» تعني الدعاء بالويل والهلاك.

□ إن حجم جهنم هائل إلى حد أنها إذا سُئلت يوم القيامة: هل امتلأت؟ تقول: هل من مزيد؟ ﴿هَلْ أَمْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ﴾^(١)، ولكن على الرغم من كل ما لجهنم من كبر فإن العاصي له مكان ضيق، كوجود المسمار في جدار كبير. فكبر الجدار حقيقة، وضيق مكان المسمار كذلك.

وقد ورد في حديث لرسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنهم يُستكروهون في النار كما يُستكروه الوتد في الحائط»^(٢).

□ يعقب الغفلة عن الله في الدنيا والآخرة ضيقٌ شديد، في الدنيا: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا﴾^(١)، أي أن الله يجعل صدره ضيقاً من شدة الانقباض، ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾^(٢)، أي أن كل من يُعرض عن ذكر الله فإنَّ له في الحياة معيشة ضيقة شاقة. ثم في الآخرة: ﴿وَلِإِنَّا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾^(٣)، أي أنهم يُلقون في مكان ضيق في جهنم.

وخلافاً لذلك نجد أن التوجه إلى الله والإيمان به هما أساس السعة والانفراج في الدنيا: ﴿لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بِرُكَّتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(٤)، أي أننا نفتح على المؤمنين أبواب البركة من السماء والأرض. وفي الآخرة كذلك: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾^(٥)، أي أن أبواب الجنة تُفتح لهم عند الدخول إليها.

□ وعن الإمام الصادق عليه السلام إن المُراد من قوله تعالى ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي من مسيرة سنة^(٦).

التعاليم:

- ١ - للجحيم نوع من الإدراك والوعي، ﴿رَأَتْهُمْ﴾.
- ٢ - المعاد معاد جسماني، ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾.
- ٣ - أهل الجحيم يُقيدون بالأغلال والسلاسل، ﴿مُقَرَّنِينَ﴾.
- ٤ - يُقذف أهل الجحيم في النار بازدراء واحتقار. فقد قال تعالى: ﴿أَلْقَا﴾ ولم يقل: «أدخلوا».
- ٥ - يُسمع أنين أهل النار وصراخهم من مسافة بعيدة، ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾، (تُستخدم كلمة «هنالك» للإشارة إلى المكان البعيد).

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢٥.

(٢) سورة طه: الآية ١٢٤.

(٣) سورة الفرقان: ١٣.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٩٦.

(٥) سورة الزمر: الآية ٧٣.

(٦) مجمع البيان، مج ٧ - ٨، ص ٢٥٧.

﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾^(١٤)
 قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾

التعاليم:

- ١ - ليس هناك مغيث للكفار يوم القيامة، ﴿وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾.
 - ٢ - الجنة دارٌ للخلود، ﴿جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾.
 - ٣ - الوعد بالجنة وعد مؤكد، ﴿جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾.
- ﴿لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولا﴾^(١٦)

إشارات:

□ تقع رغبات أهل الجنة وطلباتهم في إطار من الحكمة لإرادة الله ومشيبته، أي أنه كما أن الله تعالى ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ في إطار العمل الحكيم، فإن المؤمنين أيضاً ﴿لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ في إطار الطلب الحكيم. وهذا لا يعني أن يريد المؤمنون أن يُطلق سراح أهل الجحيم، أو يريدون الوصول إلى مصاف الأنبياء؛ لأن هذا النوع من الرغبات ليس من الحكمة.

التعاليم:

- ١ - يصل الإنسان إلى كل ما يتمناه وتحقق جميع رغباته في الجنة، ﴿لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾.
- ٢ - يوجد في الجنة كل ما يشتهي المؤمنون، ﴿لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾، لكننا نقرأ قوله تعالى حول أهل الجحيم: ﴿وَجِلَّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾^(١)، أي أن الله تعالى يضع حائلاً بين أهل النار وما يشتهون.
- ٣ - ألزم الله تعالى نفسه بوجوب تحقيق وعوده، ﴿عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولا﴾.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ
ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ (١٧)

إشارات:

□ ذكرت في القرآن الكريم عوامل كثيرة للضلال والانحراف ومنها:

- ١ - مرافقة صاحب السوء، ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾^(١).
 - ٢ - اتباع الهوى والشهوات، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٢).
 - ٣ - انحراف العلماء، ﴿يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^(٣)، هؤلاء يكتبون أموراً بأيديهم، ويقولون هذا مُرسل من عند الله.
 - ٤ - الانقياد لأئمة الضلال، ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾^(٤).
 - ٥ - وسوسة الشيطان، ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾^(٥)، لا شك أن الشيطان هو العدو المضل الواضح في إضلاله.
 - ٦ - احتشاد الأغلبية الضالة، ﴿وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٦).
 - ٧ - دور الأهل الضالين، ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾^(٧)، أي: لقد وجدنا آباءنا يعبدون الأصنام، وقد اقتدينا بهم.
- دوافع السؤال ليست واحدة، فقد تتنوع أهدافه:
- أ - يكون السؤال من أجل الفهم حيناً، ﴿فَتَشْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾^(٨).

(١) سورة الفرقان: الآية ٢٩.

(٢) سورة ص: الآية ٢٦.

(٣) سورة البقرة: الآية ٧٩.

(٤) سورة طه: الآية ٧٩.

(٥) سورة القصص: الآية ١٥.

(٦) سورة الأنعام: الآية ١١٦.

(٧) سورة الزخرف: الآية ٢٣.

(٨) سورة النحل: الآية ٤٣؛ سورة الأنبياء: الآية ٧.

ب - ويكون السؤال بهدف توبيخ الآخرين حيناً آخر، ﴿وَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي
وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(١)، فالله تعالى يُعَاتِبُ عيسى ﷺ في هذه الآية
من أجل توبيخ أتباعه، فيسأله: هل قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من
دون الله؟

ج - وقد يكون السؤال من أجل لوم الشخص نفسه، ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾.

التعاليم:

- ١ - يُحَاسَبُ المشركون ومعبوداتهم أيضاً يوم القيامة، ﴿يَخْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ...﴾.
- ٢ - توجد مخلوقات أخرى سوف تُبعث أيضاً يوم القيامة، كالأصنام والأوثان،
﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾.
- ٣ - كل شيء يعقل يوم القيامة، ويُوَجَّهُ إليه الخطاب، ﴿وَأَنْتُمْ﴾.
- ٤ - تكمن عبادة الله في فطرة البشر أجمعين، وانحرافهم عنها أمرٌ عارض،
﴿وَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ... أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾، (كلمة «السبيل» تشير أيضاً إلى أن
الطريق المعهود هو نفسه الطريق الطبيعي والفطري).

﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يَلْبِغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ
وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾

إشارات:

□ كلمة «بور» تعني الهلاك والفساد، ويُقال للأرض التي تخلو من الشجر والورد
والنبت «باطرة»، ومن الممكن أن تكون كلمة «بور» في هذه الآية جمعاً لكلمة
«باطر». ومن الممكن أيضاً أن تكون مصدراً يعني القوم الهالكين جميعاً.

□ تُستخدم كلمة «سبحانك» في موضعين: الأول عند التعجب، والآخر عند الاصطدام بالعقائد والأقوال المنحرفة.

□ عوامل النسيان والغفلة في القرآن الكريم عديدة، ومنها ما يلي:

- أ - المال والثروة اللذان ورد ذكرهما في الآية التالية ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾.
- ب - التلهي بالأبناء والأسرة، ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ^(١)﴾.
- ج - صرف الوقت في التجارة، ﴿لَا تُلْهِمِهِمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ^(٢)﴾.
- د - اتباع الشيطان وممارسة الفُرقة والقمار وشرب الخمر، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ^(٣)﴾.

التعاليم:

- ١ - تنطق المعبودات المختلفة الزائفة وتتكلم يوم القيامة، ﴿فَقَالُوا﴾.
- ٢ - لا بدّ من تسبيح الله تعالى وتنزيهه كلما دار الحديث عن الشّرك، ﴿سُبْحَانَكَ﴾.
- ٣ - لا يمنع الله نعمه حتى عن المنحرفين، ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ﴾.
- ٤ - يكون المال خطراً حينما يتسبب في نسيان الله، لكنه ليس شراً وخطراً بشكل مطلق، ﴿مَتَّعْتَهُمْ... حَتَّى سَوُوا﴾.
- ٥ - تزيد احتمالات نسيان الله والقيامة أكثر في الأسر التي عاش أفرادها في البذخ والترف جيلاً بعد جيل، ﴿وَأَبَاءَهُمْ﴾.
- ٦ - عدم الاغترار بأهل البذخ وتباهيهم، فكل هؤلاء مصيرهم إلى الهلاك، ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾.

(٣) سورة المائدة: الآية ٩١.

(١) سورة المنافقون: الآية ٩.

(٢) سورة النور: الآية ٣٧.

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا
وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نَذْفُهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ (١٩)

إشارات:

□ بَيَّنَّ اللهُ تعالى في القرآن الكريم بعض نتائج البغي والظلم، منها ما يلي:

١ - الفشل والخسران، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١)، أي أن الله تعالى يُفشل مؤامرات الظالمين.

٢ - الحرمان من الفضل الإلهي، ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

٣ - العذاب الدائم، ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾^(٣)، وكذلك ما ورد في الآية التي نحن بصدددها ﴿نَذْفُهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾.

٤ - عدم قبول فدية العذاب، ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾^(٤).

٥ - عدم جدوى العذر، ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتُهُمْ﴾^(٥)، ولكن الأسوأ من انعدام فائدة العذر هو عدم الإذن لهم بالاعتذار، ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾^(٦).

التعاليم:

١ - المعبودات الوهميّة والأصنام ليست عوناً لكم، بل ستُحْطِي أعمالكم وتُكَذِّبُها أيضاً، ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾.

٢ - لا يحظى الإنسان المُشْرِك يوم القيامة بأي نوع من الحماية، ويعجز عن القيام بأي عمل من أجل إنقاذ نفسه، ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾.

٣ - المُشْرِك ظالم أيضاً، (تقع جملة «وَمَنْ يَظْلِمِ» في فضاء جملة «ومن يُشْرِك»).

(٤) سورة الزمر: الآية ٤٧.

(٥) سورة الروم: الآية ٥٧.

(٦) سورة المرسلات: الآية ٣٦.

(١) سورة التوبة: الآية ١٩.

(٢) سورة هود: الآية ١٨.

(٣) سورة الشورى: الآية ٤٥.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَشْتَونَ فِي الْآسَاقِ
وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتَصِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾

إشارات:

□ عُرِضَتْ ذريعة الكفار حول حياة رسول الإسلام العادية في الآية السابعة من هذه السورة، ويقول الله تعالى في هذه الآية إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ السَّابِقِينَ كَانُوا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ النَّاسِ وَبَيْنَهُمْ، وَكَانُوا يَتَرَدَّدُونَ عَلَى الْأَسْوَاقِ.

التعاليم:

- ١ - إرسال الأنبياء من السُنن والتدابير الإلهية، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.
- ٢ - معرفة التاريخ تنزع من أهل الحجج سلاخهم، وتشجع الرسول الأكرم وتواسيه، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ... إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾.
- ٣ - كان الأنبياء جميعاً يعيشون حياة بشرية، ﴿لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَشْتَونَ...﴾.
- ٤ - يجب على الموجه والمُرَبِّي أن يكون وثيق الصلة بالناس، ﴿وَيَشْتَونَ فِي الْآسَاقِ﴾.
- ٥ - حياة الأنبياء البسيطة اختبار للناس، ﴿وَيَشْتَونَ فِي الْآسَاقِ... وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾، (نعم، لو كان الأنبياء يعيشون حياة مترفة ويمتلكون القصور والثروات لتجمع حولهم الناس حباً في الدنيا، ولما كان لهذا الإيمان قيمة. إن الأهمية هنا في طاعة الناس لفرد عادي في ظاهره).
- ٦ - الناس أنفسهم وسيلة من وسائل فتنة بعض الناس، ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾، أحياناً يكون الإنسان ثرياً ليرى هل يشكر أم يكفر، ويكون غيره فقيراً حيناً آخر ليُختبر، أيصبر أم يحسد صاحب الثروة على ثروته؟.
- ٧ - الصبر هو مفتاح النجاح في الاختبارات الإلهية، ﴿فِتْنَةً أَنْتَصِرُونَ﴾.
- ٨ - تقوم فلسفة الاختبارات الإلهية على تربية البشر، ﴿رَبُّكَ﴾.
- ٩ - لا تتوقف معرفة الله للناس وكشفهم من خلال الاختبارات الإلهية، لأنه

سبحانه عليهم بكل شيء، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾، (الاختبارات من أجل أن تتفتح خصال الإنسان وسجاياه الداخلية؛ لأن الثواب والعقاب يكونان على أساس ظهور هذه الخصال وبروزها).

١٠ - من عوامل الصبر أن يعلم الناس أنهم في رعاية الله تعالى، ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا.

الجزء ١٩

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ
أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ (٢١)

إشارات:

□ الـ«عَتَوْا» الخروج إلى أفحش الظلم^(١).

□ يُسمى يوم القيامة يوم «اللقاء» حيث تُنحى الغفلة والجهالة والموانع الأخرى جانباً في ذلك اليوم، ويرى الناس كلهم عظمة الله تعالى، ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾^(٢).

التعاليم:

١ - إنكار المَعَاد وعدم الإيمان به هو السبب في اختلاق الحجج واختلاق الأعداء أمام الأنبياء، ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا...﴾.

٢ - يكفي الأمل في القيامة من أجل بناء الإنسان وطاعة الله تعالى، ﴿لَا يَرْجُونَ...﴾.

٣ - يوم القيامة هو يوم لقاء لطفِ الله أو عذابه، (تبعاً لما أعد كل امرئ لنفسه)، ﴿لِقَاءَنَا﴾.

٤ - كان الكفار يؤمنون بالملائكة؛ لذا اقترحوا أن تنزل عليهم، ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ﴾.

٥ - يعتبر الماديون كل شيء مادياً، ويريدون أن يروا الله سبحانه بأعينهم، ﴿نَرَى رَبَّنَا﴾.

٦ - مصدر طغيان الإنسان ومنبع استكباره هو طموحاته الداخلية، ﴿أَسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾، (كل إناء ينضح بما فيه).

٧ - للذنوب والطغيان درجات متصاعدة، ﴿عُتُوا كَبِيرًا﴾.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ يَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ (٢٢)

إشارات:

□ كان الحديث في الآية السابقة عن المستكبرين الذين لم يكن لهم أمل في القيامة، وكانوا يطلبون نزول الملائكة، ويقول تعالى في هذه الآية إِنَّ الْمَلِكَ سوف ينزل عليهم؛ لكنه سيحمل إليهم أشد التهديدات وأصعبها بدلاً من أن يحمل إليهم النور والوحي، وذلك اليوم هو يوم موتهم كما ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام): «كذلك خروج نفس الكافر من عرق وعضو ومفصل وشعرة، فإذا بلغت الحلقوم ضربت الملائكة وجهه ودبره، وذلك قوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ يَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾»^(١).

□ كلمة «حجر» تعني المنع والحرمان، ويُقال للعقل «حجر» ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾^(٢)؛ لأن العقل هو الذي يمنع الإنسان من التأخر والتخلف، ويُقال للمنطقة التي تُقْتَطَع منها الحجارة ويُمنع الناس من التردد عليها والسير فيها «محجورة». وبناءً على هذا، فإن قوله تعالى «حجراً محجوراً» يعني «منعاً ممنوعاً».

□ رؤية الله مُحَالَة، ولكن رؤية الملائكة ممكنة بشروط، ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾، كما نقرأ في موضع آخر قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوْفَّعْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١)، وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾^(٢).

التعاليم:

- ١ - تُشاهد الملائكة بشروط، وتُرى في ظروف خاصة، ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾.
- ٢ - لا يُبشِّر المستكبرون الذين كانوا يريدون نزول الملائكة عليهم، بأي نوع من البشارة ومن أي ناحية، ﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾

إشارات:

□ تُطلق كلمة «هباء» على التراب الناعم أو الغبار الدقيق، وكلمة «منثور» تعني المُفَرَّق أو المُبَدَّد. وقد شبه القرآن الكريم عمل الكفار في موضع آخر بالرماد الذي تذرره الرياح العاصفة، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾^(٣)، وشبه عمل الكفار في آية أخرى بالسراب الذي يظنه الظمآن ماءً ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ يَظُنُّونَ بِحَسْبِهِ الظَّلْمَانُ مَاءٌ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ لَوَّ يَجِدُهُ شَبَاكًا﴾^(٤).

□ وجاء في الروايات تعريفٌ لهؤلاء الذين تبطل أعمالهم، فقد قال أبو جعفر عليه السلام: «يبعث الله ﷻ يوم القيامة قوماً بين أيديهم نور كالقباطي، ثم يقول له: (كن هباءً منثوراً)، ثم قال: أما والله يا أبا حمزة إنهم كانوا يصومون

(٣) سورة إبراهيم: الآية ١٨.

(٤) سورة النور: الآية ٣٩.

(١) سورة النحل: الآية ٣٢.

(٢) سورة غافر: الآية ٤٩.

ويصلون؛ ولكن كانوا إذا عَرَضَ لهم شيءٌ من الحرام أخذوه، وإذا ذُكر لهم شيءٌ عن فضل أمير المؤمنين عليه السلام أنكروه»^(١).

التعاليم:

١ - تُستحضر أعمال الإنسان يوم القيامة لمحاسبته، ﴿مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبْأَةً...﴾.

٢ - البطلان يحقق بأعمال المجرمين كلها، ﴿مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ...﴾.

٣ - بطلان العمل أمام عين الإنسان حسرة من حسراته يوم القيامة، ﴿هَبْأَةً﴾، فعلينا إذن ألا نطمئن إلى أعمالنا ومساعدتنا، فربما يُختم لنا بسوء العاقبة، وتكون أعمالنا بلا أثر.

٤ - دافع الإنسان ونيته هما روح العمل الذي يقوم به؛ لأن العمل الذي يفتقد إلى العقيدة والإخلاص باطل ولا طائل منه، ﴿هَبْأَةً مَّنْثُورًا﴾.

﴿أَمْحَبُّبُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾

إشارات:

□ أحياناً لا تأتي كلمتا «خير» و«أحسن» بمعنى أفضل؛ لأنَّ ما يقابلهما ليس خيراً أصلاً، كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو﴾^(٢). وكلمتا «خير» و«أحسن» في هذه الآية أيضاً بمعنى حسنٌ وطيب أيضاً، وما ذُكر في الآية السابقة لم يكن خيراً حتى يكون هذا أفضل منه.

□ «مَقِيل» من القيلولة وهي الاستراحة في منتصف النهار، سواء كان معها نوم أم لا^(٣).

التعاليم:

١ - التشجيع والبُشرى ضروريان بموازاة التحذير والإنذار، ﴿هَبْأَةً مَّنْثُورًا... خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾.

(١) تفسير الصافي، ج ٤، ص ١٠؛ وانظر: تفسير كتر الدقائق، عند تفسير الآية.

(٢) سورة الجمعة: الآية ١١.

(٣) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ٢٠١.

﴿وَيَوْمَ نَشْفُقُ السَّمَاءَ وَالْغَمَمَ وَنُزِّلُ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾
الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾

إشارات:

- إن هذا اليوم شديد الصعوبة على الكافرين حيث لا تُجدي الوساطات والأعذار والأموال والأولاد والأهل والمنصب والجاه نفعاً في نجاتهم من العذاب.
- من الممكن أن تكون كلمة «بالغمام» بمعنى «بالسحب»، أي السماء التي تتشقق وتظهر فيها السحب.

التعاليم:

- ١ - كانت السماء في البداية دخاناً، ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾^(١)، وسوف تتلاشى في المستقبل أيضاً، ﴿نَشْفُقُ السَّمَاءَ﴾.
- ٢ - السماوات هي مستقر الملائكة، ﴿نُزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾.
- ٣ - ملك الله وحُكمه واقعيان وحقيقيان، وليس اعتباريين أو عارضيين أو ظالمين، ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾.
- ٤ - القيامة هي يوم تجلّي الرحمة الإلهية، ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾.

﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾
يَوَيْلَئِي لَئِنِّي لَمُ أَتَّخَذُ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ
بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾

إشارات:

- «الخذلان» هو أن يأمل الإنسان في حماية شخصٍ ما، ولكن هذا الشخص يُخيّب ظنه ويتخلى عنه.

□ ورد في بعض الروايات أن الذكر هو القائد الإلهي، والإضلال عن الذكر ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾ يعني الضلال عن القائد الحق^(١).

□ وردت وصايا كثيرة في الإسلام حول الصداقة واختيار الصديق، فقد حثَّ هذا الدين على صداقة أفراد ونهى عن صداقة آخرين، وهذا الموضوع يحتاج إلى بحث مستقل. وفي ما يأتي بعض العناوين الفرعية في موضوع «الصديق والصداقة»:

طرق التعرف إلى الصديق، حدود الصداقة، الاستمرار فيها، قطعها، دوافعها، آداب معاشرة الأصدقاء وحقوق الصديق، وهناك آيات وأحاديث كثيرة حول كل عنوان من هذه العناوين، وسوف نُشير في ما يأتي إلى جانب منها:

- إنَّ مُجالسة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار، ومُجالسة الأخيار تُلحق الأشرار بالأخيار، ومُجالسة الأبرار للفقار تُلحق الأبرار بالفقار، فمن اشتبه عليكم أمره، ولم تعرفوا دينه، فانظروا إلى خلطائه^(٢).

- الوحدة أفضل من صديق السوء^(٣).

- سئل النبي ﷺ: أيُّ جلسائنا خير؟ قال: «من ذكركم بالله رؤيته وزاد في علمكم منطقهُ وذكركم بالآخرة عمله»^(٤).

- وعن الإمام علي عليه السلام: عند زوال القدرة يتبين الصديق من العدو^(٥).

- وعنه عليه السلام أيضاً: «الصديق أقرب الأقارب»^(٦).

- وقد ورد في الحديث: «لا تُسمي الرجل صديقاً حتى تختبره بثلاثة خصال:

(١) تفسير كنز الدقائق، عند تفسير الآية.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٩٧.

(٣) بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٧٣.

(٤) تفسير القرطبي، ج ١٣، ص ٢٧.

(٥) عيون الحكم، ج ٦، ص ٢٥٦.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم، الحكمة رقم: ٩٤٠٨.

حين تُغضبه، فتتظر غضبه، أخرجته من حق إلى باطل؟ وحين تُسافر معه، وحتى تختبره بالدينار والدرهم^(١).

وقد وردت في الأشعار أيضاً أقوال كثيرة حول الصديق والصدقة، وكثرت التوصيات بحسن معاشرة الأصدقاء الطيبين ومجالستهم، كقول الشاعر ما معناه:

يجب أن يكون جليسك أفضل منك حتى يزيدك عقلاً وديناً.

وقد دُمَّت مجالسة أصدقاء السوء، وشُبّه الرفيق السيئ بالشعبان الأملس الجميل المنقوش الذي في جوفه سم قاتل، كقول شاعر آخر:

فرّ من صاحب السوء ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، فصديق السوء أسوأ من الشعبان القبيح الذي يسلبك الروح فقط، أما صديق السوء فإنه يعدو على روحك ودينك.

وقد شُبّه صديق السوء بالسحابة المُعتمة التي تُخفي ضوء الشمس على عظمتها، يقول الشاعر الإيراني:

لا تُجالس الأشرار لأن صُحبة الشرير تلوث طهارتك وتُدنسها.

والشمس رغم عظمتها قطعة من السحاب تحجبها.

التعاليم:

- ١ - تظهر الحسرات الداخلية نتيجة أعمال الإنسان وسلوكياته، ﴿يَعْصُ الظَّالِمُ﴾.
- ٢ - التخلي عن طريق الأنبياء ظلم (للنفس، وللأنبياء)، ﴿يَعْصُ الظَّالِمُ﴾.
- ٣ - عذاب يوم القيامة شديد القسوة، ﴿يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾، (لا يعرض المُشرك على إصبعه أو على يد واحدة فقط، بل يعرض بأسنانه على يديه الاثنتين).
- ٤ - يستيقظ الوجدان يوم القيامة، ﴿يَعْصُ... يَقُولُ﴾.
- ٥ - الندم دليل على اختيار الإنسان، ولو كان الإنسان مُجبوراً لما كان للندم معنى، ﴿يَلْتَفِتُ﴾.

(١) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٨٠.

- ٦ - الصداقات غير المشروعة تعرّض الإنسان للمخاطر ﴿يَلْتَمِتْنِي﴾، والصديق يؤثر في مصير صديقه.
- ٧ - الإيمان وحده لا يكفي، ولا بد من الاقتداء بالأنبياء ومصاحبتهم أيضاً (في حال كان المؤمن في زمنهم)، ﴿مَعَ الرَّسُولِ﴾.
- ٨ - الارتباط بالأنبياء يمكن أن يكون طوق النجاة حتى لو كانت مدته قصيرة، ﴿سَيِّلاً﴾.
- ٩ - لا يتسع القلب الواحد لمحبتين (محبة الرسول ومحبة الإنسان الضال)، ﴿أَتَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ... لَوْ أَخَذْتُ فَلَأَنَا خَلِيلًا﴾.
- ١٠ - الأصدقاء المنحرفون أعوان للشيطان، ﴿فَلَأَنَا خَلِيلًا... وَكَانَ الشَّيْطَانُ﴾.
- ١١ - لا يهم اسم الإنسان وشخصه، المهم هو فعله وعمله، ﴿فَلَأَنَا... أَضْلَى﴾.
- ١٢ - من علامات صديق السوء هي أنه يضل صديقه، ﴿أَضْلَى عَنِ الذِّكْرِ﴾.
- ١٣ - تتغلب مشاعر الصداقة على الاستدلال والمنطق أحياناً، ﴿أَضْلَى عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾.
- ١٤ - يُثم الله تعالى حجته على الناس أجمعين، ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾.

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾

إشارات:

- تتحدث هذه الآية عن شكوى رسول الإسلام ﷺ، ولكن هذا النبي لا يدعو باللعنة على قومه؛ لأنه «رحمة للعالمين».
- عن الإمام الرضا عليه السلام: «إِنَّ النَّاسَ أَمَرُوا بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ ثَلَاثًا يَكُونُ الْقُرْآنُ مَهْجُورًا مُضْبِعًا، وَلِيَكُونَ مَحْفُوظًا فَلَا يَضْمَحَل وَلَا يُجْهَل»^(١).
- وجاء في الروايات أَنَّ «القرآن عهدُ الله إلى خلقه، وينبغي للمسلم أن ينظر في

عهده وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية». وقيل في تلاوته: «بَيِّنْهُ تَبْيَانًا وَلَا تَهْذِهِ هَذَا الشَّعْر وَلَا تَنْثُرْ نَثْرَ الرَّمْلِ وَلَكِنْ أَفْرَغُوا قُلُوبَكُمْ، وَلَا يَكُنْ هُمْ أَحَدَكُمْ آخِرَ السُّورَةِ». وإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع^(١).

□ ويطيب لي أن أنقل الآن اعترافات بعض الكبار حول هجر القرآن:

أ - يقول ملا صدرا (رحمه الله) في مقدمة تفسير سورة الواقعة: طالعت كتب الحكماء كثيراً، حتى ظننت أنني أنا من أنا، ولكن بمجرد أن انفتحت بصيرتي قليلاً رأيت أنني أفقد العلوم الحقيقية. وفكرت في آخر العمر أن أتدبر في القرآن الكريم وأحاديث محمد ﷺ. وتيقنت أن عملي لم يكن يقوم على أساس، لأنني وقفت في الظل طوال عمري بدلاً من الوقوف في النور، واحترقت روحي في نيران الحزن واشتعل قلبي، حتى أخذت رحمة الله بيدي، وعرفني ربي على أسرار القرآن، وشرعت في تفسيره والتدبر فيه، ودققت باب الوحي، وانفتح ذلك الباب، وأزيح الستار، ورأيت الملائكة تقول لي: «سلام عليكم طبتُم فادخلوها خالدين»^(٢).

ب - يقول الفيض الكاشاني (رحمه الله): صَنَّفْتُ الكتب وكتبُ الرسائل، وقمت بالأبحاث والدراسات، ولكنني لم أجد دواءً لآلامي وماء يروي ظمأي في أي علم من العلوم، وخشيت على نفسي، ففررت إلى الله، وأنبت إليه، حتى هداني ربي عن طريق التعمق في القرآن والحديث^(٣).

ج - ويأسف الإمام الخميني (رحمه الله) في أحد أقواله لأنه لم يقض عمره كله في درس القرآن الكريم، ويوصي الحوزات والجامعات بأن تجعل القرآن وأبعاده المختلفة الهدف الأسمى في التخصصات كلها، مخافة أن يتحسروا في نهاية عمرهم على أيام الشباب^(٤).

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ١٣.

(٢) من مقدمته لتفسير سورة الواقعة.

(٣) رسالة الإنصاف.

(٤) الإمام الخميني، صحيفه نور (صحيفة النور)، ج ٢٠، ص ٢٠.

- تشتمل كلمة «هجر» على الهجر بالعمل والبدن واللسان والقلب^(١).
- يجب أن تكون العلاقة بين الإنسان والكتاب السماوي دائمة، وفي المجالات كلها، (لأن كلمة «هجر» تُستخدم حينما تكون هناك علاقة بين الإنسان وشيء ما^(٢))، ثم تنقطع).
- ويجب بناءً على هذا أن تكون لدينا مساح شاملة كي لا نهجر القرآن، وأن نجعله المحور العلمي والعملية في أبعاد حياتنا كلها، حتى ننال رضا رسول الإسلام العزيز ﷺ.
- ترك الإيمان بالقرآن وترك تصديقه هجر. وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتنال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو من هجرانه^(٣).

التعاليم:

- ١ - الرسول الأكرم ﷺ واحدٌ ممن يشكون يوم القيامة، ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾
- ٢ - يُوجَّه الانتقاد إلى الذين يتركون القرآن جانباً عن علم، فقد قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا...﴾، ولم يقل: «كان عندهم مهجوراً».
- ٣ - تم جمع القرآن وتدوينه في عهد الرسول الأكرم نفسه ﷺ، ولهذا فإنه يشير إليه في الخطاب، ﴿هَذَا الْقُرْآنُ﴾.
- ٤ - هجر القرآن وشكوى الرسول ومسؤوليتنا أمور قطعية، (كلمة «قال» فعل ماضٍ يُشير إلى حالة الحتمية).
- ٥ - التلاوة الظاهرية لا تكفي، بل لا بدّ من إنهاء حالة الهجر، ﴿مَهْجُورًا﴾.

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة: «هجر».

(٢) التحقيق في كلمات القرآن، مادة: «هجر».

(٣) وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ج ١٩، ص ٥٥.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾
 وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾

التعاليم:

- ١ - يدور الصراع القائم بين الحق والباطل في مدار الإرادة الإلهية، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا﴾.
- ٢ - دائماً هناك من يعارض نداء الإصلاح وقول الحق، ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾.
- ٣ - يجب الالتفات إلى مشكلات الآخرين وتعزيز الثقة بالنفس، ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾.
- ٤ - يتلى الإنسان بالذنوب أولاً، ويصبح شيئاً فشيئاً عدواً للأنبياء، ﴿عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾.
- ٥ - يبتعد الإنسان عن طريق الله الحق بارتكابه الذنوب والمعاصي، ﴿مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾، (كلمة «جرم» تعني الانفصال).
- ٦ - الشدائد والخصومات والعداوات تقوي عزيمة من يتعرض لها، ﴿جَعَلْنَا...﴾.
- ٧ - التمسك بهداية الله ونصرتة هما السبيل الوحيد للانتصار على العدو، ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾.
- ٨ - يقتضي التوكل على الله تعالى في مواجهة المخالفين، ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾.
- ٩ - التعلق بالله يكفي للحماية والهداية، فلم الالتفات إلى غيره؟ ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾.
- ١٠ - يحتاج الأنبياء أيضاً إلى الهداية الإلهية، ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾.
- ١١ - يحتاج الإنسان إلى عنصرين في صراعات الحق والباطل: أولهما الهداية، وثانيهما القوة، ﴿هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾.
- ١٢ - الهداية والنصرة شأنان من شؤون ربوبية الله تعالى، ﴿بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً
كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ (٣٢)

إشارات:

□ كان المجادلون في الله والمنافقون يأتون في كل لحظة بحجة جديدة، فكانوا يقولون حيناً: لماذا لا يُوحى إلينا؟ ويقولون حيناً آخر: لماذا لا نرى ملاك الوحي؟ ولماذا لا يملك الرسول الثروة والقصور والذهب؟ وكانوا يقولون أيضاً: لماذا لا ينزل القرآن دفعة واحدة؟

هذا في حين أن للقرآن نوعين من النزول: الأول هو النزول الكامل، حين نزل على قلب النبي في ليلة القدر، والثاني هو النزول التدريجي، حيث نزل في مناسبات مختلفة وعلى مدار ثلاث وعشرين سنة.

آثار نزول القرآن التدريجي وأسبابه:

- ١ - النزول التدريجي عاملٌ من عوامل الارتباط الدائم والمستمر للرسول الأكرم بمنبع الوحي، وهو عاملٌ من عوامل الثبات على الطريق، ويوضح أن الرسالة ليست شعلة مؤقتة سرعان ما تنطفئ.
- ٢ - الدين الحي والشامل هو الذي يرتبط بالأحداث والمناسبات ارتباطاً وثيقاً، ويتعامل معها حال ظهورها وليس دفعة واحدة.
- ٣ - كان من العسير على عموم الناس أن ينفذوا الأوامر كلها ويتركوا النواهي جميعها دفعة واحدة؛ لأنّ هذا يوقعهم في العسر والحرج.
- ٤ - كل سورة أو آية في القرآن الكريم معجزة بمفردها، وبناءً على هذا فإن نزولها التدريجي يعدّ بمثابة معجزات عديدة تنزل متتالية، وكل معجزة منها تسلي قلب الرسول في مواجهة أذى الأعداء.
- ٥ - يوجد فارق كبير بين نزول كل آية بمقتضى الحاجة التي تبرز للمسلمين ونزول كل الآيات بدون أخذ هذه الاحتياجات في الحسبان.

- ٦ - بعض الآيات تُجيب عن أسئلة الناس، لذا يجب أن يُطرح السؤال قبل أن تنزل الآية بعد ذلك بالإجابة عليه.
- ٧ - نزلت بعض الآيات والأحكام لمدة مُعينة من الزمان، ما أوجب نزول آيات أخرى ناسخة لها.

ما هو الترتيل؟

- وعن الرسول الأكرم ﷺ: «يا ابن عباس إذا قرأت القرآن تُرتله ترتيلاً، قال: وما الترتيل؟ قال: بينه تبياناً ولا تنثره نثر الرمل، ولا تهذه هذ الشعر، فقفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب، ولا يكون هم أحدكم آخر السورة»^(١).
- وسُئل الإمام علي عليه السلام عن معنى قوله تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ فقال: هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف^(٢).
- وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ القرآن لا يُقرأ هزيمة (بسرعة) ولكن يُرتل ترتيلاً، فإذا مررت بآية فيها ذكر الجنة فقف عندها واسأل الله ﷻ الجنة، وإذا مررت بآية فيها ذكر النار فقف عندها وتعوذ بالله من النار»^(٣).

التعاليم:

- ١ - على القائد أن يكون له قلب مُطمئن وثابت وهادئ، ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾.
- ٢ - ثمرة التربية النبوية هي اطمئنان القلوب وليس التعليم واكتساب المعلومات فقط، ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾.
- ٣ - يجب أن يكون التعليم والتربية تدريجين، ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾.

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (٣٣)

إشارات:

□ يوجه القرآن الكريم خطابه في هذه الآية إلى رسول الله ﷺ، قائلاً: إِنَّ كَلَامَ

(١) مجمع البيان، مج ٧ - ٨، ص ٢٦٦.

(٢) تفسير نمونه.

(٣) تفسير كنز الدقائق، ومنهج الصالحين.

المخالفين إمَّا باطلٌ فنأتيك بالكلام الحق الذي يرد عليه، وإما حقٌ فلسوف نقول لك من عندنا ما هو أفضل وأشمل من حقهم هذا.

التعاليم:

- ١ - القرآن كتابٌ جامعٌ، ويُجيب عن كل الاعتراضات والانتقادات، ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ...﴾.
- ٢ - كان الأنبياء يصطدمون بالمخالفين، وكانوا يسلكون معهم مسلك الاستدلال، ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ...﴾.
- ٣ - يُدافع الله تعالى عن الأنبياء، ويأتي بالكلام الحق لمواجهة كلام الكفار الباطل، فقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ﴾، ولم يقل: «جئت».
- ٤ - تفتقد أقوال المخالفين وأدلتهم إلى المتانة، ﴿بِمَثَلٍ﴾.
- ٥ - لا بد للحق من أن ينتصر على الباطل، ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ... إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَلَاحَسَنَ تَقْوِيلٍ﴾.
- ٦ - يهدف الأنبياء إلى استقرار الحق، ﴿جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾.
- ٧ - يجب أن يكون الكلام منطقيًا، وأن يصدر عن حق، ﴿جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾.
- ٨ - يستقي الرسول الأكرم ﷺ علمه وكلامه من عند الله تعالى، ﴿جِئْنَاكَ...﴾.
- ٩ - علينا أن نردّ على كلام الآخرين واعتراضاتهم بأحسن الأقوال، ﴿وَلَاحَسَنَ تَقْوِيلٍ﴾.

﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ
أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٣٤)

التعاليم:

- ١ - إن ازدراء المنافقين للأنبياء هو السبب في إهانتهم وتحقيرهم يوم القيامة، ﴿يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾.

٢ - أضلُّ الناسِ هم أولئك الذين يختلقون المشاكل لعرقلة مسيرة الأنبياء، ﴿أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ٣٥﴾
 ﴿فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا فَدَمْزَلْنَهُمْ نَذِيرًا ٣٦﴾

إشارات:

□ «تدمير» من «دمر» وهو الورود على خلاف الجريان العادي والطبيعي مخللاً للنظم. وهذا المعنى يلزم غالباً الدخول بغير إذن، أو الهجوم... والتدمير جعل شيء كذلك أي دامراً على خلاف النظم والجريان^(١).

□ تتفاوت أساليب الدعوة والتربية في القرآن الكريم، فيقول الله تعالى: يجب أن تذهبوا إلى الضالين: ﴿أَذْهَبَا﴾، ويقول تعالى في موضع آخر: يجب أن تأمرهم بالحضور إليك لينكسر غرورهم. وهكذا أمر نبي الله سليمان ﷺ ملكة سبأ فقال لها: ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَاتُّوفِي مُسْلِمِينَ﴾^(٢)، أي عليكم بالحضور إليّ في استسلام كامل.

التعاليم:

١ - يجب أن يسبق الحقُّ في دعوة الآخرين الاستئناسُ بالكتاب السماوي، ﴿وَأَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ... أَذْهَبَا﴾.

٢ - لا بدَّ من أن يُحدد الله تعالى خلفاء الأنبياء ونوابهم أيضاً، ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ﴾.

٣ - ثمة حاجة إلى وجود الوزير والزميل في المسؤوليات الكبيرة، ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾.

(١) التحقيق في كلمات القرآن، ج ٤، ص ٢٦٤.

(٢) سورة النمل: الآية ٣١.

- ٤ - أحياناً يجتمع أنبياء متعدّدون في زمن، ولكن القائد كان واحداً، ﴿هَنُرُوتَ وَزِيرَا﴾.
- ٥ - لا بدّ أحياناً أن تُرسل جماعة للدعوة حتى يُبلّغوا دين الله معاً، ﴿أَذْهَبَا﴾.
- ٦ - لا بدّ من إتمام الحجّة على الضالين، ﴿أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْرِ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾.
- ٧ - إنكارُ الناس وعنادُهم لا يمنع فضلَ الله تعالى (يُرسل الرسول من أجل هدايتهم)، ﴿أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْرِ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾.
- ٨ - تكذيب الرسول هو تكذيبُ الله تعالى، ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾.
- ٩ - الهلاك والفناء هما النتيجة الحتمية لتكذيب الحق، ﴿فَدَمَرْنَاهُمْ﴾.
- ١٠ - تهدف رواية أحداث التاريخ وبيان مصير الكفار السابقين وهلاكهم لتحذير كفار اليوم ونهيهم عن المنكر، ﴿فَدَمَرْنَاهُمْ﴾.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ
لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٣٧)

التعاليم:

- ١ - يُعدّ تكذيب نبي واحد بمثابة تكذيب للأنبياء جميعاً، ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾.
- ٢ - التاريخ درس للعبرة، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾.
- ٣ - مصير البشر في أيديهم، ﴿كَذَّبُوا... أَغْرَقْنَاهُمْ﴾.
- ٤ - تكذيب الأنبياء ظلم، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾.
- ٥ - تكذيب الأنبياء يليه عذاب دنيوي، ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾؛ كما إنّ له عذاباً أخروياً أيضاً، ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿وَعَادَا وَفُؤَدَا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾^(٢٨)
 ﴿وَكُلًّا صَرَّيْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا نَبَرْنَا تَنْبِيرًا﴾^(٢٩)

إشارات:

□ «قرون» جمع «قرن»، وتعني في الأصل أمة من الناس يعيش أفرادها معاً في زمن واحد، وتُطلق كلمة قرن على الأعوام من أربعين إلى مائة. وكلمة «تنبير» تعني فقدان العظمة والانتكاس، وهو ما يجرُّ إلى الفناء والهلاك^(١).

من هم أصحاب الرسِّ؟

وردت في كتب التفاسير أخبار كثيرة حول أصحاب الرسِّ، ومنها قولهم إنَّ أصحاب الرسِّ هم قوم شعيب، أو أنَّ الرسَّ مدينة في «اليمامة»، أو بئر في «أنطاكية»، أو أنهم يُنسبون إلى نهر «أرس»، وغير ذلك من الأقوال. ولكننا نقرأ في كتاب «عيون أخبار الرضا» أنَّ الإمام الرضا عليه السلام قد قال إن رجلاً سأل الإمام علياً عليه السلام عن أصحاب الرسِّ فأجابه بأنهم قومٌ غرسوا شجرة بعد طوفان نوح عليه السلام تُسمى «شاه درخت»، وكان الناس يقدسون هذه الشجرة، وأقاموا حولها اثنتا عشرة قرية، وكان اسم كل مدينة على اسم شهر من الشهور الإيرانية: فروردين، أرديهشت، خرداد، وإلى باقي الشهور. وكان هؤلاء القوم يقيمون في كل شهر من السنة في كل قرية عيداً يجتمع إليه أهلها، وكان عيدهم في قرية إسفند عظيماً، وكان يجتمع له عدد كبير من الناس، وكانوا يحرقون شجرة من الأشجار في مراسم هذا الاحتفال، وكانوا ينخرطون في البكاء والأنين بمجرد أن يرتفع دخانها في السماء. وأرسل الله رسولاً إلى هؤلاء القوم، وأرشدهم إلى عبادة الله، ولكنهم كذبوه، فدعا عليهم باللعن، وقال: يا رب إن عبادك أبوا إلا تكذبي والكفر، وغدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضر، فأبيس شجرهم أجمع، وأرهم قدرتك وسلطانك. وأصبح القوم وقد يبس شجرهم، فقاموا بحفر بئر عميقة،

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مادتا: «تبر، وقرن».

وَأَلْقُوا بِرَسُولِ اللَّهِ فِي قَاعِهَا، فَلَقِيَ الشَّهَادَةَ عَلَىٰ هَذَا النُّحُو^(١).
ويقول علي عليه السلام في نهج البلاغة: «أين أصحاب مدائن الرس الذين قتلوا الأنبياء؟»^(٢).

التعاليم:

- ١ - جرت السُّنَّةُ الإلهية على إرسال الرُّسل من أجل هداية الناس، وإهلاك من يكذبهم، ﴿كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ... وَعَادًا وَثُمُودًا...﴾.
- ٢ - أتم الله الحجة على الأمم كلها، ﴿وَكُلًّا صَرَّيْنَا لَهُ الْأَمَثَلُ﴾.
- ٣ - غضبُ الله تعالى على الكفار وتعذيبه لهم سُنَّةٌ من السُّننِ الإلهية، ﴿وَكُلًّا تَبَرَّأْنَا تَنْبِيْرًا﴾.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرَ السَّوِّءِ
أَفْكَمَ يَكُونُوا يَكُونُهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾

إشارات:

□ القرية التي أمطرت مطر السوء هي قرية قوم لوط التي سقطت عليها أمطار من الحجارة، وكان اسم منطقتهم بحسب رواية عن الإمام الباقر عليه السلام هو «سدوم»^(٣).

التعاليم:

- ١ - يمكن أن تكون الآثار القديمة وسيلة للعبارة، ﴿أَفْكَمَ يَكُونُوا يَكُونُهَا﴾، (رواية التاريخ وعرض مصير الضالين وسيلة للدعوة والتربية والنهي عن المنكر).

يقول شاعر من الحكماء: الذي لم يتعلم من ماضي الزمان لن يتعلم من أي مُعلم أبداً.

(٣) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٢٠.

(١) تفسير كنز الدقائق.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٨٢.

٢ - يحولُ العصيان في مقابل الحق والإيمان في الكفر دون الوصول إلى الحق، ﴿أَفَكَمْ يَكُونُوا يَكُونُهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ﴾.

٣ - الذين يمتلئ قلبهم بنور الأمل ويؤمنون بالقيامة هم وحدهم الذين يستفيدون من الحوادث والفرص، ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَخِذُّوْكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾

التعاليم:

١ - المعاند والمغرور لا يقبلان الحق، ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾.

٢ - السخرية من الأنبياء وازدراؤهم أسلوب من أساليب الكفار الدائمة، ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ... أَهَذَا الَّذِي...﴾.

٣ - يُشكك الكفار في الرسالة عبر إنكارهم شخص الرسول، ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ...﴾.

﴿إِن كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾

﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَن أَضَلَّ سَبِيلًا﴾

التعاليم:

١ - يعترف المشركون بتأثير أقوال رسول الإسلام عليهم، ﴿لَيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾.

٢ - يفكر الإنسان أحياناً تفكيراً معكوساً، ويظن أن الهداية ضلال، ﴿لَيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾.

٣ - الذين لا يؤمنون بآله حق سوف يقبلون بالوهية عدة أصنام لا تعي ولا تعقل، ﴿ءَالِهَتِنَا﴾.

٤ - الصبر والمقاومة لا يكون لهما قيمة في كل حين، فقد يكونان لاجأً وعناداً، كالصبر والمقاومة في الضلال والانحراف، ﴿صَبْرًا﴾.

٥ - تجتذب أطروحات الإسلام البشر، ويُحرم منها المعاندون فقط، ﴿لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾.

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ (٤٣)

إشارات:

□ كانت العرب إذا هوى الرجل منهم شيئاً عبده من دون الله، فإذا رأى أحسن منه ترك الأول وعبد الأحسن. وعن ابن عباس: الهوى إله يعبد من دون الله^(١).

اتباع الهوى في القرآن والحديث:

- إِنَّ اتَّبَاعَ الْهَوَىٰ هُوَ مَصْدَرُ الْغَفْلَةِ، ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾^(٢).
- وكذلك هو مصدر الكفر، ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾^(٣).
- وهو أسوأ ضلال وانحراف، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ﴾^(٤).
- كما أنه يمنع من العدل في الحكم، ﴿فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾^(٥).
- وهو أيضاً مصدر الفساد، ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾^(٦).
- وأحياناً هو مصدر الأحران.
- إِنَّ مَتَّبِعَ الْهَوَىٰ لَا إِيمَانَ لَهُ وَكَذَلِكَ لَا عَقْلَ لَهُ.
- بداية الفتن هي اتباع الأهواء والشهوات والإتيان بالبدع.
- أهواء الإنسان وشهواته تصمّه وتعميه، وتسلبه قوة تمييز الحق من الباطل.
- أشجع الناس هو من يتغلب على أهوائه وشهواته.

(٤) سورة القصص: الآية ٥٠.

(٥) سورة ص: الآية ٢٦.

(٦) سورة المؤمنون: الآية ٧١.

(١) تفسير القرطبي، ج ١٣، ص ٣٥.

(٢) سورة الكهف: الآية ٢٨.

(٣) سورة طه: الآية ١٦.

- وورد عن رسول الله ﷺ أَنَّ الهوى سُمي بهذا الاسم؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار^(١).

التعاليم:

- ١ - اتباع الهوى من أسس عبادة الأصنام، ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَنَّ صَبْرَكَ عَلَيْنَا... اتَّخَذَ إِلَٰهَهُمْ هَوْنَهُ﴾..
- ٢ - التدين موجود في فطرة الناس جميعاً غير أن الإنسان يقع في الخطأ حينما يلتمس الأدلة ويحاول الوصول إلى الحق، ﴿اتَّخَذَ إِلَٰهَهُمْ هَوْنَهُ﴾.
- ٣ - ليس للأنبياء أن يجبروا اتباع الهوى على الهداية، ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾.
- ٤ - الإنسان مُخير، ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾.
- ٥ - يجب أن تكون التربية والإيمان بعيدة عن أي إجبار أو إكراه، ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ
إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾

إشارات:

□ يستخدم القرآن الكريم كلمة «أكثر» عند انتقاد الكفار حتى يُفَرِّق بين المهتدين وغيرهم.

□ سؤال: لماذا يكون الإنسان الضال أسوأ من الأنعام؟

الجواب:

- ١ - لا يستطيع الحيوان الرشد أكثر مما هو عليه؛ لكن الإنسان يستطيع ذلك، وتتوفر له مجالات الرشد وإمكانياته كاملة.

(١) وردت في هذا المضمون أحاديث عدة، يمكن الاطلاع عليها في مادة «هوى» من ميزان الحكمة.

٢ - الحيوان ليس له عقل حتى يعرف الخير والشر، ويُميز الحق من الباطل، لكن الإنسان الضال لا يتبع الحق والخير على الرغم من امتلاكه العقل، وتصدر منه الأعمال على أساس الشهوة.

٣ - يتبع الحيوان غريزة ثابتة، أمّا الإنسان الضال فإنه يتبع مئات الأهواء والشهوات.

٤ - ينحرف الإنسان الضال عن الطريق، ويُرر ضلاله وانحرافه أيضاً.

٥ - يألف الحيوان من يُحبه، أمّا الإنسان الضال فإنه يكفر بالله الرحيم، ويجعله جحوداً كبيراً.

٦ - الحيوانات تُسَبِّح الله عن وعي، ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾^(١)؛ أمّا البشر الضالون فإنهم ليسوا من أهل الذكر والتسبيح، ويغفلون عن الله.

٧ - الحيوانات لا يحق عليها العذاب الإلهي، لكن الإنسان الضال سوف يغضب عليه الله ويعذبه.

يقول الشاعر مولانا جلال الدين الرومي ما ترجمته:

ورد في الحديث أن الله المجيد قد خلق الخلق في العالم على ثلاثة أنواع. فريق له كل العقل والعلم والجود، وهم الملائكة، ولا يعرفون غير السجود وليس في عنصره الحرص والهوى، فهو نور مطلق يحيا بعشق الله. وهناك فريق آخر يخلو من العلم، وهو الحيوان الذي يسمن على العلف. والفريق الثالث هو فريق الإنسان الآدمي، فنصفه ملاك ونصفه حمار. والصنفان الأولان في راحة من الحرب والخراب، وهذا الإنسان في العذاب على خلافهما، أمة صارت مستغرقة في المطلق، فألحقت بالملائكة كعيسى بن مريم على صورة آدم لكن المضمون مضمون جبريل، خُلص من الغضب والهوى والقال والقيـل. وأمة أخرى ألحقت بالحمير بعد أن صاروا غضباً محضاً وشهوة مطلقة^(٢).

ويقول شاعر آخر ما معناه:

ابن آدم عجيبة من العجائب، فهو خليط من طينة الملائكة وطينة الحيوان
فإذا ما ذهب إلى هذه يكون أفضل منها، وإذا ذهب إلى تلك صار أكثر منها انحطاطاً.

التعاليم:

- ١ - يجب أن يُنصت الإنسان إلى إرشادات الرسول الداخلي (العقل) والرسول الخارجي (النبي) من أجل الهداية، ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾.
- ٢ - الكفر وعدم قبول دعوة الأنبياء جهالة، ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾.
- ٣ - يصبح الإنسان الذي هو خليفة الله أكثر انحطاطاً من الحيوان عندما يغض الطرف عن فطرته، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا
تُرَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾

إشارات:

- عن الإمام الباقر عليه السلام عن الظل في هذه الآية: «الظل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس»^(١). وذلك على الرغم من أن البعض قد قال إن المراد بالظل هو ظل الليل أو ما بعد الظهر، ولكن كلام الإمام يُقبل إذا نظرنا إلى الجملة التالية التي يقول فيها تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾.
- قال جلال الدين الرومي:

والآية «كيف مدَّ الظل» مصداقٌ على صورة الأولياء؛ لأنها دليل على نور شمس الله^(٢).

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٢٢.

(٢) ويقول شهریار أيضاً: عرفت نفسي بعلي، وبالله أقسمت على الله.

لا تذهب إلى هذا الوادي بلا سبب، وقل ما قاله الخليل: لا أحب
الآفلين.

التعاليم:

- ١ - أفضل طريق لمعرفة الله بالنسبة للجميع هو التفكير في ظواهر الكون التي
خُلقت على أساس الحكمة الإلهية، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.
- ٢ - إنَّ دوران الأرض حول نفسها ثم حول الشمس ليس من قبيل المصادفة، بل
هو أمر حكيم مدبر، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾.
- ٣ - الإنسان غارق في النعم، ولكنه لا ينظر إليها بعين الاعتبار، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ
كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾.
- ٤ - يفيد اتساع الظل وطول مدته في الرعاية والنمو والتفتح، ﴿رَبِّكَ... مَدَّ
الظِّلَّ﴾، (لو كان النور مباشراً أو الظل دائماً لاحترقنا جميعاً أو تجمدنا).
- ٥ - على الرغم من أنَّ الله قادرٌ على أن يحدث التغيير القوي والتحول الشديد فإنه
سبحانه لا يترك سُنته، ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾.
- ٦ - دوام حركة الوجود في يد الله تعالى، ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾.
- ٧ - يُمكن معرفة الظل بوجود الشمس والنور؛ لأن كل شيء يُعرف بوجود نقيضه،
﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾.
- ٨ - حركة الكون وما يظهر في الطبيعة من عمل الله تعالى، ﴿مَدَّ... جَعَلْنَا... قَبَضْنَاهُ﴾.
- ٩ - كما أن خلق العالم قد تم تدريجياً وبهدوء وفي ستة مراحل فإن تغييره سوف
يكون تدريجياً أيضاً، ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾.
- ١٠ - ليس من الصعب على الله تعالى أن يقبض أي شيء أو يأخذه، ﴿قَبْضًا
يَسِيرًا﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ ﴿٤٧﴾

إشارات:

□ ذكرت أشياء عدة بوصفها لباساً في القرآن الكريم، منها ما يلي:

- الليل: ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾^(١).
- الزوج: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾^(٢).
- التقوى: ﴿وَلِبَاسُ الْقَوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾^(٣).

□ كلمة «سَبَت» تعني قطع العمل وتعطيله. وتُطلق هذه الكلمة أيضاً على الاستراحة بعد السعي والمجهود^(٤). أمّا كلمة «نشور» فهي من «نَشَرَ» التي تعني انتشار الناس وتفرقهم في النهار من أجل العمل والسعي على الرزق.

التعاليم:

- ١ - إن تعاقب الليل والنهار ليس من قبيل المصادفة، وإنما تكمن فيه أهداف وتدابير حكيمة، ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾.
- ٢ - ظاهرة الليل نعمة إلهية أنعم الله بها على البشر، ﴿لَكُمْ﴾.
- ٣ - يتوافق النوم والصحو مع الطبيعة، ﴿اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾، وتؤثر الظلمة والسكون في إيجاد الراحة، كما يؤثر وجود النور في سعي الإنسان وحركته.
- ٤ - يُحافظ الليل على الجسم والصحة، كما يُحافظ اللباس على البدن، ﴿اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾.
- ٥ - يُعتبر تحول الليل والنهار والراحة في الليل والسعي في النهار علامة من علامات ربوبية الله تعالى، ﴿رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ... وَهُوَ الَّذِي...﴾.

(١) سورة الفرقان: الآية ٤٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٧.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٢٦.

(٤) التحقيق في كلمات القرآن، ج ٥، ص ١٧ وما بعدها، مادة: «سبت».

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾
لِنُخْرِجَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُشْفِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَنَاسِيًا كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾

إشارات:

□ تطلق كلمة «طهور» على الشيء الذي يكون في غاية الطهارة، ويكون مُطَهِّراً لغيره أيضاً. وكلمة «بلد» تعني الأرض، سواء قُصد بها المدينة أو القرية أو المزرعة، والدليل على ذلك ما في الآية ٥٨ من سورة الأعراف: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾، أي أَنَّ الأرض الطيبة تُخرج نباتاتها بإذن ربها، ومن الواضح أن نمو النبات أمر لا يختص بالمدن وإنما بالأرض الزراعية. وكلمة «أناسي» جمع «إنسي» التي هي مرادف لكلمة «إنسان».

□ وصف الله تعالى كلمتي «بَلَدٌ» و«بَلْدَةٌ» بقوله «مَيِّتًا» ولم يقل «ميتة»؛ لأن معنى الكلمتين واحد^(١).

□ للرياح فوائد كثيرة، منها أنها تلطف الجو، وتنقل السحب وتحركها، وتقلل الحرارة، وتُلْقِح النباتات.

التعاليم:

- ١ - تتحرك الرياح بإرادة الله تعالى، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾.
- ٢ - هناك أنواع مختلفة من الرياح، ويقترون بعضها بالمطر أحياناً، ﴿أَرْسَلَ الرِّيحَ... وَأَنْزَلْنَا﴾.
- ٣ - تهطل الأمطار من السحب بإرادة الله تعالى، ﴿أَنْزَلْنَا﴾.
- ٤ - الماء طاهر في ذاته ومُطَهِّر لغيره أيضاً، فهو يُطهر جسم الإنسان وسواه من الأشياء، وهو أساس طهارة روح الإنسان في الوضوء والغسل أيضاً، ﴿طَهُورًا﴾.

(١) تفسير القرطبي، ج ١٣، ص ٥٦.

- ٥ - حياة الإنسان ترتبط بوجود النباتات والحيوانات (جاءت حياة الأرض وسقي الحيوانات قبل شرب الإنسان من الماء)..
- ٦ - تجري أعمال الله تعالى عن طريق الأسباب الطبيعية، ﴿أَرْسَلَ الرِّيحَ... وَأَنْزَلْنَا... لِنُجِئَ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ٥٠﴾

إشارات:

□ من الممكن أن تكون كلمة «تصريف» بمعنى نقل الأمطار وانتقالها، أي أننا أرسلنا لكم الأمطار بصورة مكررة ومتفرقة، فكانت خفيفة دقيقة حيناً وغزيرة حيناً آخر، وسريعة حيناً وبطيئة حيناً آخر، وكل هذا التغيير والتنوع من أجل التذكر والشكر، (لكن واحسرتاه...)

ومن المُمكن أن يكون المقصود من جُملة «صرفناه بينهم» هو تكرار آيات القرآن الكريم وبيان الروايات المتنوعة لها، وقد ورد هذا المعنى كثيراً في القرآن الكريم، (والله العالم).

التعاليم:

- ١ - يجب أن يكون التذكير مُكرراً ومتنوِّعاً، ﴿صَرَّفْنَاهُ﴾.
- ٢ - القرآن هو كتاب الهداية، والتكرار والتذكر من لوازم الهداية، ﴿صَرَّفْنَاهُ... لِيَذَكَّرُوا﴾.
- ٣ - تذكر النعمة شكرٌ، والغفلة عنها كفران وجحود، ﴿لِيَذَكَّرُوا... كُفُورًا﴾.
- ٤ - قلة هم الذين يشكرون النعمة، ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ٥١﴾

إشارات:

□ هذه الآية تُبين بشكل من الأشكال خاتمية رسول الإسلام وشمولية منهجه؛ لأن

الله تعالى يقول: لم يُبعث رسول إلى جوارك في أي مكان على الأرض، لأن في منهجك وشخصيتك القدرة على إدارة المجتمع كله، وليست هناك حاجة إلى رسول آخر. ولأنك تمتلك مثل هذا المقام الذي يُغلق في وجوده ملف النبوة.

التعاليم:

١ - الرسالة أمرٌ توقيفي، وليست بالتوافق أو الانتخاب، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا...﴾.

﴿فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾

إشارات:

□ هناك مرحلتان للتعامل مع الكفار، وهما:

الأولى: عدم إطاعتهم، ﴿فَلَا تُطِيعُ﴾.

الثانية: الجهاد والكفاح، ﴿وَجَاهِدْهُمْ﴾.

والجهاد والكفاح أقسام عدة أيضاً: الجهاد بالسيف وهو الجهاد الأصغر، والجهاد العلمي بمنطق القرآن الكريم والرد على شبهات الأعداء، وهو الجهاد الأكبر.

التعاليم:

١ - مهادنة الكفار لا تجوز، ﴿فَلَا تُطِيعُ﴾؛ (ارفض بحزم أي طلب من طلبات الكفار الضالة).

٢ - يمكن الوقوف بوجه الكافرين بالمقاومة والصلابة استناداً إلى أرضية صلبة، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا... فَلَا تُطِيعُ﴾، أي أنكم منصورون حينما تتمركز القيادة في رسول من الرسل، فلا تهادنوا الأعداء.

٣ - لا يكفي عدم اتباع الكفار، بل ينبغي مجاهدتهم، وأن يكون الجهاد جهاداً كبيراً شاملاً، ﴿فَلَا تُطِيعُ... وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾.

- ٤ - الكفاح السلبي هو أحد أساليب الكفاح (جاهدوا الكفار بترك طاعتهم)، ﴿فَلَا تُطِيعُوا... وَجَاهِدُوهُمْ﴾.
- ٥ - القرآن الكريم هو أفضل وسيلة من أجل الجهاد العلمي والثقافي، وأقوى وسيلة من أجل مجادلة أعداء الإسلام ومحاجتهم، ﴿وَجَاهِدُوهُمْ بِهِ﴾.
- ٦ - يسعى الأعداء للنيل من الثقافة والفكر، لذا يجب عدم التخاذل أمامهم ﴿وَجَاهِدُوهُمْ﴾، ويوجد دائماً طرفان للصراع.
- ٧ - الجهاد العلمي والمنطقي ضد الكفر والشرك هو أعظم أنواع الجهاد، ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ
وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ (٥٣)

إشارات:

□ كلمة «مَرَجَ» تعني الخلط وإرسال كل بحر منهما في مجراه حتى يصل كل منهما إلى الآخر^(١). وكلمة «عذب» تعني السائغ الشراب. أمّا كلمة «فرات» فإنها تُطلق على الماء الكثير الذي يميل طعمه إلى الحلاوة. ومعنى «أجاج» هو الماء الكثير المالح الذي يميل إلى المرارة.

التعاليم:

- ١ - لا يسمح بأن يختلط الماء العذب بالماء المالح على الرغم من تجاورهما، فكيف يأذن بأن يختلط الحق بالباطل والإيمان بالكفر؟ ﴿فَلَا تُطِيعُوا الْكُفْرِينَ وَجَاهِدُوهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا... مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ...﴾.
- ٢ - لا تختلط السوائل أحدها بالآخر ولو كانت متجاورة بإرادة الله تعالى، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾.

(١) كما نقرأ في الآية ١٩ من سورة الرحمن: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُمْ نَسَبًا وَصِهْرًا ۚ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝﴾

إشارات:

□ المقصود بالماء في هذه الآية هو مَنِي الإنسان، والدليل على ذلك الآية: ﴿أَنزَلْنَاكَ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾^(١)، والآية: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾^(٢).

□ كلمة «نَسَب» تعني العلاقة التي تنشأ عن طريق الولادة، كعلاقة الأب بابنه والإخوة بإخوتهم. أمّا كلمة «صِهْر» فإنها تعني القريب بالزواج، والمُصاهرة هي العلاقة التي تنشأ بالزواج بين رجل وأسرة أخرى، كعلاقة العريس بأقارب زوجته، وهو ما يُسمى اصطلاحاً بالقرابة السببية.

التعاليم:

١ - الإنسان من الماء ﴿خُلِقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾، والحيوان أيضاً من الماء ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾^(٣)، وكذلك باقي الكائنات الحية، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^(٤).

٢ - خُلق البشر جميعاً من مادة واحدة ﴿خُلِقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾، ولهذا فإن الامتيازات والأولويات العرقية باطلة.

٣ - الإنسان مخلوقٌ عظيمٌ، ﴿بَشَرًا﴾، (التنوين للدلالة على العظمة).

٤ - تتكون حياة الإنسان على أساس علاقات المُصاهرة والنسب، ﴿نَسَبًا وَصِهْرًا﴾.

٥ - سبق الحديث في هذه الآية عن القربى بالنسب قبل المُصاهرة، وذلك يُشير إلى أنَّ الأولوية لقرابة النسب، ﴿نَسَبًا وَصِهْرًا﴾.

(١) سورة المرسلات: الآية ٢٠.

(٢) سورة النور: الآية ٤٥.

(٣) سورة الطارق: الآية ٦.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٣٠.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۚ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ۝٥٥﴾

التعاليم:

- ١ - يكون العمل قيماً حينما ينتج عنه جلبُ منفعة أو دفع ضرر، لذا فإنَّ عبادة معبود غير الله لا قيمة لها، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾.
- ٢ - ليس للمشركين أي دليل أو منطق في عبادتهم للأوثان والأصنام، ﴿لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾.
- ٣ - النفع والضرر بيد الله تعالى وحده، وليس للآخرين شيء في ذلك، ﴿لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾.
- ٤ - يعين المشركون والكفار بعضهم بعضاً، ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٥٦﴾

إشارات:

- وردت الإشارة إلى التوحيد في هذه الآية القصيرة. «أرسلنا» وإلى النبوة أيضاً «ك»، وكذلك إلى المعاد «مبشراً ونذيراً».
- ربما كانت هذه الآية من أجل مواساة الرسول ﷺ والشدة من أزره، لأنَّ الحديث دار في الآية السابقة عن الكفار والمشركين ومساعدة كل واحد منهم للآخر. وهنا تقول له الآية: لا تقلق، لأنه ليس عليك غير البشارة والإنذار.

التعاليم:

- ١ - الأنبياء مسؤولون عن وظيفتهم، وليس عن نتائجها، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.
- ٢ - الإنذار والبشرى يصلحان معاً في الدعوة والإرشاد، ﴿مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.
- ٣ - ليس للأنبياء الحق في إجبار الناس أو السيطرة عليهم، ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.
- ٤ - يحتاج الإنسان إلى الإنذار والتحذير أكثر من البشارة (كلمة «نذير» صيغة مبالغة وتدل على التأكيد)، ﴿نَذِيرًا﴾.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ
أَنْ يَتَّخِذَ إِلَيَّ رِيبَهُ سَبِيلًا﴾^(٥٧)

إشارات:

□ يُعَبِّرُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَنْ أَجْرِ نَبِيِّ الْإِسْلَام ﷺ بِأَشْكَالٍ عَدِيدَةٍ، وَقَدْ وَرَدَتْ آيَاتُ هَذَا الْمَوْضُوعِ كُلِّهَا فِي دَعَاءِ النَّدْبَةِ:

- الْأَجْرُ عَلَى اللَّهِ، ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾^(١).

- وَهُوَ مُحِبُّ أَهْلِ الْبَيْتِ، ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٢).

- وَكَذَلِكَ وَضَعَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى طَرِيقِ اللَّهِ، ﴿يَتَّخِذَ إِلَيَّ رِيبَهُ سَبِيلًا﴾^(٣).

- كَمَا أَنَّهُ مُطْلَبٌ لِمَصْلَحَةِ النَّاسِ، ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾^(٤)؛ لِأَنَّ مَوَدَّةَ الْقَادَةِ وَالزُّعَمَاءِ الْمَعْصُومِينَ هِيَ مِفْتَاحُ الدُّخُولِ عَلَى اللَّهِ وَالسَّيْرِ فِي طَرِيقِهِ، وَالِاسْتِفَادَةُ مِنْ اخْتِيَارِ مِثْلِ هَذَا الطَّرِيقِ لِمَصْلَحَةِ النَّاسِ أَنْفُسِهِمْ، فَالْفَائِدَةُ الْمَادِّيَّةُ لَيْسَتْ وَارِدَةً بِالنِّسْبَةِ لِلرُّسُولِ ﷺ.

التعاليم:

١ - الزعيم الناجح هو الذي يُعلن على الناس استغناؤه، ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ﴾.

٢ - يصل الإنسان إلى الإخلاص حينما لا يطلب لنفسه أجراً مادياً أو اعتبارياً أو قولياً، ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾.

٣ - الإنسان حر في اختيار طريقه وعقيدته، ﴿مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ﴾.

٤ - أجر الأنبياء هو أن يعبدَ الناسُ الله تعالى، ﴿إِلَيَّ رِيبَهُ سَبِيلًا﴾.

(٣) سورة الفرقان: ٥٧.

(٤) سورة سبأ: الآية ٤٧.

(١) سورة سبأ: الآية ٤٧.

(٢) سورة الشورى: الآية ٢٣.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ آلِهِي الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ
وَكَفَىٰ بِهِ يَذُنُوبَ عَبْدِهِ خَيْرًا﴾ ﴿٥٨﴾

إشارات:

- جاءت كلمة «توكل» مع مشتقاتها في القرآن الكريم سبعين مرة، والتوكل بمعنى الاعتماد على الله واتخاذها وكيلاً في جميع الأمور.
- قال الله تعالى للرسول في الآية السابقة: قل للناس: أنا لا أريد منكم أجراً، وكأنني به يقول في هذه الآية: يجب على الزعماء الدينيين الذين لا ينظرون إلى أموال الناس أن يتكولوا على الله وحده في حياتهم.
- التوكل على الله لا يعني التخلي عن السعي وترك الاجتهاد، وذلك كما قال مولانا جلال الدين الرومي:
- قال الرسول بأعلى صوته: اعقل ركة البعير وتوكل واستمع إلى ما يقال من أن الكاسب حبيب الله، ولا تجعل من التوكل سبباً لكسلك.
- اذهب أيها العم وتوكل على الله مع التَّكسُّب، واجتهد وداوم على الكسب.

التعاليم:

- ١ - اعتماد الفاني على الفاني خطأ، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ آلِهِي الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾.
- ٢ - اعتماد الضعيف على الضعيف كذلك، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ... الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾.
- ٣ - اعتماد الجاهل على الجاهل لا يفيد شيئاً، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ آلِهِي الَّذِي...﴾.
- ٤ - يحتاج الأنبياء أيضاً إلى الموعظة والتذكير من الله، ﴿وَتَوَكَّلْ﴾.
- ٥ - الخلود المطلق لله تعالى وحده، ﴿آلِهِي الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾.
- ٦ - يجب اتخاذ الله وكيلاً، فهو الحيُّ حياة أبدية، وإذا أمهل العدو اليوم فربما يُقلع عن بهتانه ويترك الكفر، وهناك فرصة ومهلة حتى يُنتقم منه في الغد، ﴿لَا يَمُوتُ﴾.
- ٧ - يجب أن يقترن التوكل القلبي بالتسبيح والحمد العاملين، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾.

- ٨ - يعلم الله تعالى تفاصيل أعمال العباد علماً دقيقاً، ﴿يَذُوبُ عِبَادِهِ﴾.
- ٩ - يصنّف المُجرمون أيضاً من عباد الله، ﴿يَذُوبُ عِبَادِهِ﴾.
- ١٠ - إيمان الإنسان بأن الله تعالى مُطلع على ذنوبه وآثامه هو أفضل مؤشر على ظهور التقوى، ﴿يَذُوبُ عِبَادِهِ﴾.
- ١١ - إطلاع الله على ذنوب الناس، مواساة وتشجيع للرسول أيضاً بالإضافة إلى أنه تهديد للكفار. أي لا تقلق، فنحن على علم ببهتانهم وعراقيلهم، وسوف نحاسب الكفار المعاندين، ﴿وَكَفَىٰ بِهِ يَذُوبُ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾.

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلَّ بِهِ خَيْرًا﴾ (٥٩)

إشارات:

- ورد الحديث في القرآن الكريم عن خلق العالم في ستة أيام ست مرات. والمقصود بالأيام الستة قد يكون ست فترات أو مراحل أو مُدد في مقابل الأيام الستة الطبيعية. يقول جلال الدين الرومي:
- «خُلِقَ الْعَالَمُ بِالتَّانِي، وَظَهَرَتِ الْأَرْضُ وَالْأَفْلَاكُ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
وَالْإِنِّهَ كَانَ قَادِرًا عَلَى خَلْقِ مِائَةِ أَرْضٍ وَفَلَكَ بِقَوْلِهِ كُنْ فَيَكُونُ
وَهَذَا التَّانِي لَتَعْظِيمِكَ، فَاصْبِرْ وَتَمَهَّلْ فِي أُمُورِكَ».
- كلمة «عرش» تعني في الثقافة الإسلامية مركز حكم العالم وتديره شؤونه، والمراد من قوله تعالى «استوى على العرش» هو السيطرة والتدبير الإلهي، والدليل على ذلك ما ورد في الآية ٣ من سورة يونس التي تقول: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾.
- تمتد الرحمة الإلهية لتشمل كل شيء:

- ١ - يقوم نظام تكوين العالم وخلقته على أساس الرحمة، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ... الرَّحْمَنُ﴾.

- ٢ - كما يقوم نظام خلق الإنسان على أساس الرحمة، ﴿إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾^(١).
- ٣ - ويستند كذلك النظام التشريعي والقانوني على أساس الرحمة، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾^(٢).
- ٤ - ويقوم نظام القيامة والحساب أيضاً على أساس الرحمة، ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْزِيَكَمُ﴾^(٣).

التعاليم:

- ١ - كان خلق الكون تدريجياً، ﴿خَلَقَ... فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾.
- ٢ - الله هو الذي خلق الكون، وله السلطة الكاملة فيه، ﴿خَلَقَ... ثُمَّ أَسْتَوَى﴾.
- ٣ - يقوم تدبير شؤون الكون على أساس الرحمة الإلهية، ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾.
- ٤ - يجب السؤال عما هو أهل للرحمة، ﴿الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ﴾.
- ٥ - لا عيب في السؤال، بل العيب هو الجهل وعدم المعرفة، ﴿فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا﴾.
- ٦ - لا بد من الرجوع إلى الخير بالمعارف الإلهية، ﴿فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ١٦﴾

إشارات:

□ كلمة «الرحمن» ترمز إلى الرحمة الدائمة التي لا تنتهي، وهي من الصفات الخاصة بالله تعالى^(٤).

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٢.

(٤) تفسير أطيب البيان، عند تفسير الآية.

(١) سورة هود: الآية ١١٩.

(٢) سورة الرحمن: الآيتان ١ - ٢.

التعاليم:

- ١ - السجود هو مظهر التوحيد وروح الأديان التوحيدية، ﴿أَسْجُدُوا﴾، (جاء الحديث عن السجود فقط من بين كل التكاليف الأخرى).
- ٢ - يجب معرفة أسباب التعاليم عند الأمر بالمعروف، ﴿أَسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾، (سبب سجودكم هو رحمة الله الواسعة).
- ٣ - لا يتسبب الكفر والعناد في إفساد دعوة الأنبياء فقط، وإنما يتسببان في عزوف الكفار عن كلام الحق ونفورهم منه، ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا

وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ ﴿١٦﴾

إشارات:

- استخدمت كلمة «تبارك» في صيغة الماضي فقط (في الآيتين الأولى والعاشرة، وفي هذه الآية)، وكما قلنا من قبل فإنها من «بَرَكَ» التي تعني الثبات والصمود، أو من «بَرَكَة» التي تعني الخير الكثير.
- ال «بروج» في هذه الآية كما في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام الكواكب^(١).
- كلمة «سراج» تعني الشمس التي تُنير إنارة ذاتية، وهو ما نراه في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾^(٢)، ولو كان نورها من خارجها لوصفت بالمنيرة^(٣).

التعاليم:

- ١ - من مظاهر البركات الإلهية خلقُ النجوم والكواكب، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي...﴾.

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٢٦. (٢) تفسير نمونه.

(٢) سورة نوح: الآية ١٦.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً
لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾

إشارات:

□ كلمة «خليفة» تعني توالي شيئين يخلف أحدهما الآخر ويتعاقبان^(١).
□ قال رجلٌ للإمام الصادق عليه السلام: جُعلت فداك يا ابن رسول الله، ربما فاتتني صلاة الليل الشهر والشهرين والثلاثة فأقضيها بالنهار أيجوز ذلك؟ قال: «قرة عين لك والله، قرة عين لك والله، قالها ثلاثاً، إن الله يقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ فهو قضاء صلاة النهار بالليل، وقضاء صلاة الليل بالنهار»^(٢).

□ يرتبط تعلم التوحيد من النظام المهيمن على الكون بإرادتنا نحن، فما أكثر أولئك الذين يقضون عمرهم في دراسة ظاهرة من الظواهر، ولكنهم لا يستخلصون منها العبر لأنهم لا يملكون إرادة الاعتبار. وهذا الصنف من الناس يُشبهه بائع المرايا الذي ينظر إلى المرأة باستمرار ولكنه لا يرتب مظهره، في حين أنه من الممكن أن يضبط أحد المارة ياقته العوجاء بنظرة واحدة يلقيها على المرأة باهتمام. لا يكفي النظر وحده إذن، وإنما لا بد من توفر إرادة الإصلاح أيضاً. ويمكن معرفة الرد على السؤال الذي يقول: لماذا لا يعرف بعض العلماء في العلوم الطبيعية الله على الرغم من أنهم يقضون عمرهم في البحث في ظواهر الطبيعة؟.. لأن هؤلاء لم يُقدِّموا على البحث بهدف التعرف على الخالق. كالنجار الذي صنع الكثير من السلاسل، لكنه ليست لديه إرادة الصعود عليها.

التعاليم:

١ - إرادة الإنسان ومشيتته هما خلفية وعيه ورشده، ﴿لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾.

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة: «خلف».

(٢) تفسير كنز الدقائق.

- ٢ - الإنسان مخلوق مُخَيَّر، ﴿لَمَنَ أَرَادَ﴾.
- ٣ - لدى الإنسان الفطرة التي تستيقظ بالتذكر، ﴿يَذْكُرْ﴾، (يُستخدم التذكر إذا عرف الإنسان مضمون موضوع ثم نسيه).
- ٤ - تحتاج المعرفة إلى إرادة، وكذلك العمل والشكر، (تكررت كلمة «أراد»).
- ٥ - الليل والنهار نعمة تستحق الحمد والشكر، ﴿أَرَادَ شُكْرًا﴾.
- ٦ - تزداد أهمية ذكر الله حينما يكون على أساس من العلم والبصيرة، ﴿أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ﴾.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَتَشَوْنَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾
 وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ﴿٦٦﴾

إشارات:

- ذكرت في هذه الآيات اثنتا عشرة صفة من الصفات الخاصة بعباد الرحمن، بعضها عقائدي، وبعضها اجتماعي، وبعضها أخلاقي.
- ربما لا يكون المقصود بكلمة «مَشِي» والحركة الهادئة على الأرض هو شكل المشية وطريقتها، وإنما يشتمل المعنى أيضاً على أسلوب الحياة المتزنة.
- كلمة «هون» تعني التواضع والمداراة ولين الطباع، كما أنها تعني السكينة والوقار. وقد رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام: «هو الرجل يمشي بسجيته التي جبل عليها لا يتكلف ولا يتبختر»^(١).
- كلمة «سلام» هنا بمعنى سلام الدواعي للسفهاء الذين يلغون في القول، والتعامل المُسالِم معهم. مثلما نقرأ عن نبي الله إبراهيم عليه السلام أن عمّه طرده، وقال له: ابتعد عني، فقال إبراهيم: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾^(٢)، أي: وداعاً، وسوف أدعو الله لك بالمغفرة.

□ «البيات» تعني إحياء الليل.

□ يقول الإمام علي عليه السلام في وصف المتقين: «أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ»، أي أن هؤلاء يحيون الليل بالقيام، فهم عباد في الليل وأسود في النهار^(١).

التعاليم:

- ١ - أعظم تكريم للإنسان هو وسام العبودية لله، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾؛ لأن الانتساب إلى الأبدى الذي لا نهاية له يرفع من مقام الإنسان.
- ٢ - يُشير سلوك كل إنسان إلى شخصيته، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ... يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾، (العباد المتسبون إلى الله هم مظهر التواضع).
- ٣ - الإسلام هو الدين الشامل الذي يُخطط لكل شيء، حتى طريقة المشي، ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾.
- ٤ - إيمان الإنسان واعتقاده يؤثر في سلوكه الشخصي، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ... يَمْشُونَ﴾.
- ٥ - التواضع هو ثمرة العبودية وأول علاماتها، ﴿هَوْنًا﴾.
- ٦ - الإيمان هو منبع المداراة ولين الطباع عند عباد الله، وليس الخوف أو الضعف، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ﴾.
- ٧ - الوقار واللين من أبرز صفات المؤمن، ﴿يَمْشُونَ... هَوْنًا﴾.
- ٨ - لا بد من التواضع لكل الناس، ﴿يَمْشُونَ... هَوْنًا... قَالُوا سَلَامًا﴾.
- ٩ - لا يحبذ مقابلة جهل الجاهلين بالمثل، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾.
- ١٠ - المداراة والحلم والصبر من صفات المؤمنين البارزة، ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾.
- ١١ - يجب أن يكون التواضع في الفعل ﴿يَمْشُونَ... هَوْنًا﴾، وفي القول ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾، وفي العبادة كذلك، ﴿سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾.
- ١٢ - لا يُستحسن مجادلة الجاهلين والسفهاء، ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾، (هؤلاء يقولون ما يليق بهم، فقولوا أنتم قولاً حكيماً كريماً).

١٣ - أفضل أوقات العبادة هو الليل، وما بين الليل والصلاة والمناجاة علاقة وثيقة، ﴿يَبْتَثُونَ لِرَبِّهِمْ﴾، (السكون والبعد عن الرياء والتركيز في التفكير من بركات الليل).

١٤ - قيام الليل والاستمرار على العبادة والمداومة عليها من سمات العباد المُخلصين لله، (الفعل المضارع «يبتون» يدل على الاستمرار).

١٥ - الإخلاص هو الذي يُكسب العبادة قيمتها، ﴿لِرَبِّهِمْ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «غرام» تعني في الأصل المصيبة التي لا يجد الإنسان مفرّاً منها، وترتب عليه نوعاً من الالتزام والمسؤولية، وهو ما يُعرف بالغرامة^(١).

□ يجب أن يكون التفكير في النجاة من النار من طريق العبادة، ومن طريق الأعمال الطيبة الأخرى أيضاً. فقد كان الإمام علي عليه السلام حينما يحبس أموالاً للوقف في سبيل الله يكتب في حجة الوقف أنه أوقف هذه الأموال حتى يأمن بها نيران الجحيم، ويبعد الله عنه نار جهنم^(٢).

التعاليم:

١ - ليس لمن يقوم الليل أن يصاب بالغرور، ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ...﴾.

٢ - تذكّر المعاد من خصائص عباد الله، ﴿رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾.

٣ - يخاف عباد الله من نار جهنم أكثر من طمعهم في الجنة، ﴿يَبْتَثُونَ... يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾.

(١) التحقيق في كلمات القرآن، مادة: «غرم». (٢) تفسير الصافي، ج ٢، ص ١٠٤.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا
وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾

إشارات:

□ كلمة «قوام» تعني الاعتدال والوسطية، أمّا كلمة «قوام» فإنها تعني عنصر القيام وعماده.

□ عن الإمام الرضا عليه السلام أن مقدار الإنفاق المعتدل هو المقدار المعروف في سورة البقرة: ﴿عَلَى التَّوَسُّعِ قَدْرُهُ، وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ، مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١)، أي على الغني أن ينفق بقدر ثروته، وعلى الفقير أن يُنفق على قدر ما يملكه، وذلك طبقاً للعرف المقبول وبما يليق بكل منهما.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام إن البذل والعطاء في طريق الباطل إسراف (ولو كان قليلاً) والبخل في طريق الحق إقتار^(٢).

□ ونقرأ في موضع آخر من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾^(٣)، أي لا تُمسك يدك عن الإنفاق وكأنك غللتها إلى عنقك بالأغلال فتكون بخيلاً، ولا تبسطها بالإسراف فتقعُد ملوماً من الناس على إسرافك، ومتحسراً على تذكرك.

□ أخذ الإمام الصادق عليه السلام قبضة من حصى الأرض وقبضها بيده، وقال: هذا هو الإقتار (البخل) الذي ذكره الله في كتابه، ثم قبض قبضة أخرى بيده فأرخى كفه كلها حتى سقط ما فيها، ثم قال هذا هو الإسراف، ثم أخذ قبضة أخرى فأرخى بعضها وأمسك بعضها، فسقط بعض الحصى وبقي بعضه، فقال هذا هو القوام. ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(٤).

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣٦.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٢٩.

(٢) تفسير نمونه.

(٤) تفسير كنز الدقائق.

التعاليم:

- ١ - الإنفاق بالنسبة لعباد الرحمن تكليف ومسألة حتمية، ﴿إِذَا أَنْفَقُوا﴾.
- ٢ - يجب أن تكون صلاة الليل والخوف من جهنم والخوف من الله متلازمين مع تفقد شؤون المحرومين في المجتمع، ﴿يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ... أَنْفَقُوا﴾.
- ٣ - الإنسان يملك، ولكنه مُقيد في أمور الإنفاق، ﴿لَمْ يُسْرِفُوا﴾.
- ٤ - لا يجوز الإسراف، حتى في الإنفاق في سبيل الله، ﴿إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا﴾.
- ٥ - عباد الله المنتمون إليه بعيدون عن البخل، ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾.
- ٦ - يجب أن يكون للأمة الوسط مناهج معتدلة، ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾.
- ٧ - الاعتدال في العبادة والإنفاق قيمة من القيم، ﴿قَوَامًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾

إشارات:

- «الإثم» هو الذنب، أمّا كلمة «آثام» فتعني «أوزار»، وهي عقاب الذنب.
- ذكرت في هذه الآيات الأعمال السلبية التي يبتعد عنها عباد الله بجانب أعمالهم الإيجابية.
- ذكر الشرك والقتل والزنا في هذه الآية، وقد عدّت هذه الأعمال من الكبائر في الأحاديث^(١).
- قتل النفس من كبائر الذنوب، ولكن جملة «إلا بالحق» تقول إن القتل ضروري بحق بعض الجناة وفي بعض المواضع، ومنها:
- ١ - الاقتصاص من القاتل.

(١) تفسير كنز الدقائق، وتفسير نمونه.

- ٢ - الزنا بالمحارم.
- ٣ - زنا الكافر بالمرأة المسلمة.
- ٤ - الزاني الذي يُجبر المرأة على الزنا.
- ٥ - الزاني المحصن.
- ٦ - مُدعي النبوة.
- ٧ - سبُّ النبي ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام.
- ٨ - المسلم الساحر.
- ٩ - المفسد والمحارب.
- ١٠ - المرتد.
- ١١ - الذي يخرج على إمام الزمان العادل.
- ١٢ - المُشرك المحارب^(١).

التعاليم:

- ١ - أخطر ما يدفع الإنسان إلى الذنب والمعصية هما غريزتا الغضب والشهوة، فيجب على المؤمن أن يتحكم بغرائزه، ﴿وَلَا يَفْتُلُونَ... وَلَا يَزْنُونَ﴾.
- ٢ - يجيز الله تعالى قتل بعض الناس في مواضع محددة ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾؛ ولكنه لا يجيز الزنا والشرك لأي سبب وتحت أية ظروف، ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾.
- ٣ - أمر القرآن بالبُعد عن الشرك والزنا والقتل لم يكن على سبيل الموعظة، وإنما هو قانون يُعاقب مَنْ ينتهكه عقاباً شديداً، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾.
- ٤ - لا استثناء لأحد من العقاب الإلهي، فكل مَنْ يُخَالِفْ يُعَاقَب، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾.

(١) كريمي جهرمي، سمات عباد الرحمن في القرآن.

﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۖ
إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ
سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ﴾

إشارات:

□ مضاعفة العذاب للمجرمين التي وردت في جملة «يُضَاعَف» لا تتعارض مع العدل الإلهي؛ لأن العذاب المُشَدَّد إنما يكون في ظروف يرتبط فيها الذنب بآثار مشؤومة وتبعات إضافية. فالزاني على سبيل المثال يُذنب ويدفع غيره أيضاً إلى الذنب، وما أكثر ما يأتي اللقطاء إلى المجتمع على أثر هذه الجريمة، وتكون لهم انحرافات. والأمر نفسه في قتل النفس، فالقاتل يقتل فرداً، لكنه يوغر صدور أفراد، ويهدد الشريد واليتيم والمجتمع كله. ولا يمكن المعاقبة في كل من هذين المثالين فقط. وكذلك عندما يسئ أحدهم سُنَّة سيئة في المجتمع فإنه يتحمل أوزار من يعمل بهذه السُنَّة على مر التاريخ.

□ لما كان اتفاق العلماء والمفسرين جميعاً على أن الزنا وحده لا يتسبب في الخلود في الجحيم فإن الخلود والبقاء الأبدي في جهنم هو للمشركين الذين يزنون فقط. نعم، فعقيدة التمييز بين الحق والباطل ورؤية الكفر والشرك يؤثران في العقوبات.

□ عن الإمام الرضا عليه السلام: قيل لرسول الله ﷺ: يارسول الله هلك فلان، يعمل من الذنوب كيت وكيت، فقال رسول الله ﷺ: بل قد نجا، ولا يختم الله تعالى عمله إلا بالحسنى، وسيمحو الله عنه السيئات، ويبدلها له حسنات، إنه كان مرة يمر في طريق عرض له مؤمن قد انكشفت عورته وهو لا يشعر (ربما كان نائماً) فسترها عليه، ولم يخبره بها مخافة أن يخجل، ثم إن ذلك المؤمن عرفه في مهواه فقال له: أجزل الله لك الثواب، وأكرم لك المآب، ولا ناقشك الحساب. فاستجاب الله له فيه، فهذا العبد لا يُختم له إلا بخير بدعاء ذلك المؤمن. فاتصل قول رسول الله ﷺ بهذا الرجل فتاب وأتاب وأقبل إلى طاعة

الله ﷻ، فلم يأت عليه سبعة أيام حتى أُغِيرَ على سرح المدينة، فوجه رسول الله ﷺ في أثرهم جماعةً وذلك الرجل أحدهم فاستشهد فيهم^(١).

□ هناك عوامل تُضاعف العقاب، وفي ما يلي بعض منها:

١ - يُضاعف عقاب المجرم أحياناً إذا ما كانت له شخصية اجتماعية، فالله تعالى يقول لنساء الرسول ﷺ: ﴿يٰۤاَيُّهَا النِّسَاءُ الَّتِي مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَلْحَشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾^(٢)، أي أن التي تُقدم على فعل قبيح منكن يا نساء النبي يُضاعف لها العقاب.

٢ - والوقت كذلك يُضاعف الذنب أحياناً، كالذنب في يوم الجمعة، فقد ورد في الأحاديث أن فعل الخيرات يوم الجمعة يُضاعف لصاحبه الأجر، ويُضاعف العقاب لمن يفعل الشر في هذا اليوم^(٣).

٣ - يكون الذنب أحياناً كالمفتاح، أي أنه ينحرف بالآخرين مضافاً إلى انحراف الشخص الذي ارتكبه، ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفُورُونَ... يُضَاعَفْ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾^(٤).

التعاليم:

- ١ - عقوبات يوم القيامة كمّية ﴿وَيَحْتَدِّدُ﴾ وكيفية أيضاً، ﴿مُهِكَّاتًا﴾.
- ٢ - ليس هناك طريق مسدود في الإسلام، فالمذنب أمامه طريق للعودة والتوبة أيضاً، ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾.
- ٣ - يغيب الإيمان عند ارتكاب الذنب، ثم يعود عند التوبة، ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ﴾.
- ٤ - النوبة ثورة شاملة، وليست حركة سطحية ولفظية، والعمل الصالح هو علامة التوبة الحقيقية، ﴿تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ﴾.

(٣) بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٢٨٣.

(١) بحار الأنوار، ج ٥، ص ١٥٥.

(٤) سورة هود: الآيتان ١٩ - ٢٠.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٠.

- ٥ - التوبة والإيمان الحقيقي يُغَيِّرَان أعمال الإنسان، ويُصْلِحَان السلوك السيئ المرفوض، ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾.
- ٦ - يُبْدِلُ الله تعالى سيئات الإنسان إلى حسنات كما يُخْرِجُ الورد من الطين والسماد، ﴿يُبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾.

﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ (٧١)

التعاليم:

- ١ - التوبة الحقيقية هي تلك التي تقترن بالعمل الصالح، ﴿تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾.
- ٢ - التائب ضيف الله تعالى، ﴿يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (٧٢)

إشارات:

□ لكلمة «شَهِدَ» معنيان، الأول هو الحضور، والآخر هو الحصول على الخبر والاطلاع عليه. ويمكن استخلاص كلا المعنيين من هذه الآية. أي: أولئك الذين لا يحضرون مجالس السوء، ولا يشهدون على الباطل. وكلمة «زور» تعني العمل الباطل الذي يكون في قالب الحق، وقيل في كتب التفسير إنه يعني الشهادة الباطلة والكذب والغناء.

□ وورد في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أن المقصود بالزور في قوله ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ هو الغناء^(١).

□ ونقرأ في تفسير «مجمع البيان» أن المقصود بقوله تعالى «مرؤا كراماً» هو أنهم يستخدمون الكناية دون التصريح عندما يضطرون إلى ذكر شيء قبيح. وهكذا نقرأ في رواية عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: «هم الذين إذا أرادوا ذكر الفرج كنوا عنه». وهذا يصدق بالتأكيد على السلوك الكريم.

□ وعن الإمام الصادق عليه السلام: «فرض الله على السمع أن يتنزه عن الاستماع إلى ما حرم الله، وأن يُعرض عما لا يحل له مما نهى الله ﷻ عنه والإصغاء إلى ما أسخط الله». ثم تلا هذه الآية: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾^(١).

التعاليم:

- ١ - ليس اقتراف الذنب هو الممنوع فقط، وإنما الاشتراك في جلسة الذنب ومشاهدة ما يقع فيها ممنوعان أيضاً، ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾.
 - ٢ - بعض الأحيان يكون العلم والاطلاع والتواجد في المشهد لا قيمة له، ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾، (أحياناً يكون الانزواء والانعزال عن المجتمع ذا قيمة).
 - ٣ - وأحياناً يكون عدم حضور مجلس الذنب وتجاهل المذنبين نوعاً من أنواع النهي عن المنكر، ﴿لَا يَشْهَدُونَ... مَرُّوا كِرَامًا﴾.
 - ٤ - المشاركة في مجالس الفساد تؤثر حتى في عباد الله الحقيقيين، ﴿لَا يَشْهَدُونَ﴾.
 - ٥ - لا مبرر لأي شكل من أشكال اللغو في الكلام والعمل والأمانى، ﴿مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾، (عباد الله لديهم هدف معقول ومفيد، ولا يهدرون عمرهم في الأمور التي لا طائل من ورائها).
 - ٦ - العنف ليس ضرورياً دائماً في أسلوب النهي عن المنكر، ﴿لَا يَشْهَدُونَ... مَرُّوا﴾.
 - ٧ - علينا ألا ندع الفكر السيئ يتغلغل إلى أرواحنا ويستقر فيها، ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾.
- ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ (٧٦) ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (٧٦).

إشارات:

□ يجب أن يكون الإيمان مستنداً إلى العلم والبصيرة، فنحن نقرأ في القرآن

الكريم قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا كُنْزْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا﴾^(١)، أي أن المؤمنين العقلاء يتفكرون أولاً في خلق السماوات والأرض، ثم يُقرون بأن الله لم يخلقها عبثاً أو بلا جدوى. ويقول تعالى في هذه الآية إن المؤمنين لا يعبدون الله بأعين عمياء وآذان صماء.

التعاليم:

- ١ - التعبد والبصيرة من صفات عباد الرحمن، ﴿إِذَا ذُكِّرُوا... لَمْ يَحْزُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾، فعباد الرحمن يسرون على طريق الدين بوعي.
- ٢ - الإنسان مسؤول عن الزوجة والولد، وعن نسله من بعده، ويجب عليه أن يسعى ويدعو الله من أجل أن يختم له بحسن العاقبة، ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا﴾.
- ٣ - يجب أن نطلب العون من الله تعالى في التربية بالإضافة إلى العلم والسعي والاجتهاد، ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا...﴾.
- ٤ - الولد الصالح قرة عين لأبويه، ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾.
- ٥ - يهتم الإسلام بتكوين الأسرة واتخاذ الزوجة وإنجاب الأبناء والدعاء من أجل تحقق هذه الأمور، ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ...﴾.
- ٦ - أمنية عباد الرحمن هي الوصول إلى إدارة المجتمع، لأن القيام بدور الإمامة وزعامة المتقين أمر رفيع الشأن، ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.
- ٧ - يجب عدم الاكتفاء بالحد الأدنى في الدعاء، وإنما السعي كأصحاب الهمم العالية، ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، (إلهي! اجعلنا أئمة للمتقين في طريق الوصول إلى الكمال، لا أن نكون فقط من المتقين).

﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرَّةَ بِمَا صَبَرُوا وَيَلْقَوْنَ فِيهَا حَبَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾
خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾

إشارات:

□ تطلق كلمة «غرفة» على الحجرة التي تعلو عن سطح الأرض، وتكون على
مرأى من العين.

التعاليم:

- ١ - الجنة تُعطى بمقابلها، وليس بالحجج والمعاذير، ﴿يُجْزَوْنَ... بِمَا صَبَرُوا﴾.
 - ٢ - يحتاج الإنسان إلى الصبر والمثابرة لكي يصبح من عباد الله، ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾.
- ﴿قُلْ مَا يَعْزُبُا يَكُورِي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «عَبَأ» بمعنى وزن وثقل، وجملة ﴿مَا يَعْزُبُا يَكُورِي﴾ تعني أن الله تعالى
لا يُقيم لكم وزناً ولا يعترف لكم بقيمة إلا في ظل دعائكم وعبادتكم.
□ ولكلمة «دعَاؤُكُمْ» معنيان:

أ - دعَاؤُكُمْ إلى الله ﷻ، فهذا التضرع والدعاء سبب من أسباب رحمة الله
لكم وعنايته بكم.

ونحن نقرأ في الحديث: «الدعاء مخ العبادة ولا يهلك مع الدعاء أحد»^(١).

بعد ذلك يشكو الله تعالى الفريق المقابل ممن ليسوا من أهل الدعاء: لقد
كذبتهم الحق وذهبتم وراء الأصنام والأهواء والطواغيت بدلاً من التضرع والدعاء،
وكذبتهم بالحق فسوف ترون عقابكم.

(١) الكافي، ج ٤، ص ٢٢٨.

ب - دعوة الله للناس، لأن سُنَّة الله جرت على دعوتهم من أجل قبول الحق وإقامة الحجة عليهم، ولولا وجود هذه الدعوة ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ لما كان للناس قيمة. وقبول دعوة الله هذه هو الذي يسمو بالمخلوق ويرفع من قدره، وفي حال لم يقبل دعوة الله أو كذب بها، فلا أمل في وجود الخير فيه، وسوف يعاقب على آثامه.

□ يقول الله تعالى في موضع آخر: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١)، أي: لقد خلقت البشر من أجل العبادة. ويقول في هذه الآية: لولا ما كان من دعاء الإنسان لما كانت له قيمة، وبناءً على هذا فإن الدعاء هو روح العبادة ومخها كما ورد في الحديث القائل: «الدعاء مُغ العبادَة»^(٢).

التعاليم:

- ١ - يتسبب تكذيب الدين في سقوط قيمة الإنسان، ﴿قُلْ مَا يَعْْبُؤُا يَكُرْ... فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾.
- ٢ - الدعاء وسيلة من وسائل اكتساب الأهمية، ﴿مَا يَعْْبُؤُا يَكُرْ... لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾.
- ٣ - الإنسان لا شيء بدون الهداية والعبادة، ﴿مَا يَعْْبُؤُا يَكُرْ... لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾.
- ٤ - الدعوة إلى الحق من شؤون ربوبية الله تعالى، ﴿رَبِّ لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾.
- ٥ - المعنويات هي محور الكون ﴿مَا يَعْْبُؤُا يَكُرْ... لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾، لأن الكون خلق من أجل الإنسان، المخلوق من أجل قبول الحق وعبادة الله تعالى.
- ٦ - يُكذِّب الإنسان الأنبياء وأوامرهم في الحقيقة حينما يفتقر للهداية والعبادة، ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

السورة: ٢٦ الجزء: ١٩

عدد الآيات: ٢٢٧

ملامح سورة الشعراء

تشتمل هذه السورة على مائتين وسبع وعشرين آية، وقد نزلت في مكة، وتحتوي أكبر عدد من الآيات بعد سورة البقرة.

سُميت هذه السورة «الشعراء» بسبب ما جاء فيها من حديث عن الشعراء في الآيات الأربع الأخيرة منها.

وقد ذُكرت في هذه السورة سِيرُ أنبياء من قبيل موسى وإبراهيم ونوح ولوط وصالح وهود وشعيب عليهم السلام، واستعرضت السورة ردود أقوامهم ومواجهاتهم المُعاندة. ويقول الله تعالى في نهاية كل قصة من قصص هؤلاء الأنبياء: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْ أَلْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾، ولهذا تكررت هذه الآية ثمانى مرات حتى تكون مواساة للنبي وتشجيعاً له، ولتقول له: لا تقلق من عناد أهل مكة ولا تخشهم؛ لأن الأنبياء جميعاً واجهوا أناساً كهؤلاء.

نعم، إنَّ التاريخ أفضل وسيلة من أجل تقوية روح المؤمنين ومعنوياتهم ورفع بصيرتهم وسعة صدرهم وتطلعهم للمستقبل في مواجهة تهديد الأعداء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طسّر (١) تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢)﴾

لَعَلَّكَ بَخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣)﴾

إشارات:

□ هناك أقوال كثيرة قيلت بشأن الحروف المقطعة، ولعل أفضل ما قيل هو أن الله تعالى يريد بذكره هذه الحروف في بداية بعض سور القرآن الكريم (سورة ٢٩) أن يُبين للمشركين أن القرآن معجزة خالدة من جنس هذه الحروف، فإن كنتم تستطيعون فأتوا من حروف الأبجدية العربية هذه بكتاب مثله. وتؤيد الآية الأولى من سورة الشورى التي تأتي بعد الحروف المقطعة هذا القول: ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

□ كلمة «باخع» تعني مُهلك وقاتل.

التعاليم:

- ١ - يجب أن يكون للمنهج الشامل منطق قوي وقاطع ومكتوب وواضح، بحيث يُتاح للجميع الوصول إليه، ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.
- ٢ - للقرآن مقام عالٍ جداً، ﴿تِلْكَ﴾، (تُستخدم كلمة «تلك» للإشارة إلى البعيد، وتدل هنا على المقام العالي جداً للقرآن).
- ٣ - القرآن نبراس منيرٌ وهو يرشدكم كلما وصلتم إلى طريق مسدود، ﴿الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.
- ٤ - التكرار أصل من أصول التربية، (تكررت آية «تلك آيات الكتاب المبين» بعد الحروف المقطعة في بداية سور: يوسف والقصص والشعراء).
- ٥ - التأسف والتحسر والحُرقة لا ينفعان في كل الظروف، ﴿لَعَلَّكَ بَخِعٌ...﴾.
- ٦ - مواساة المحزونين عمل إلهي، ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ... لَعَلَّكَ بَخِعٌ﴾.

- ٧ - الأنبياء يجتهدون في القيام بواجبهم أكثر مما يجب عليهم، ﴿لَمَّا بَلَغَ﴾.
 ٨ - التحسّر صفة بارزة من صفات الأنبياء، ﴿لَمَّا بَلَغَ﴾، (الحرقة دليل على عشق المنهج والأمة).
 ٩ - لا يمكن تحصيل أي نتيجة أو أثر حتى من أفضل الكتب ما لم تكن هناك أرضية للتأثير، ﴿أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنْ نَشَأْ نُزِلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءٌ فَطَلَّتْ أَغْنَتْهُمْ لَهَا خَضِيعِينَ ۝١﴾

التعاليم:

- ١ - جرت سُنَّةُ الله وقانونه على تخيير الناس وإمهالهم، ﴿إِنْ نَشَأْ﴾.
 ٢ - الاهتمام بالقدرة الإلهية وملاحظتها هو أفضل وسيلة من أجل اطمئنان الروح، ﴿لَمَّا بَلَغَ... إِنْ نَشَأْ﴾.
 ٣ - يجب أن يكون الإيمان اختياريًا وليس إجباريًا، ﴿فَطَلَّتْ أَغْنَتْهُمْ لَهَا خَضِيعِينَ﴾.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥﴾

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦﴾

إشارات:

□ ذكرت ثلاث خصال للكفار في هذه الآية، وهي: الإعراض والتكذيب والاستهزاء. نعم، إن الإنسان ينقاد إلى السقوط تدريجيًا وخطوة بخطوة، عندما يتجاهل الحق في البداية ويُعرض عنه، ثم يكذبه، وبعدئذ يسخر منه. ولكن أسوأ حالة يكون عليها الإنسان أو صفة يتصف بها هي السخرية من الحق، ولهذا يقول تعالى في هذه الآية: سوف يأتيهم في المستقبل عقاب سخريتهم هذه. ولا يقول: سيأتيهم جزاء إعراضهم وتكذيبهم.

التعاليم:

- ١ - نزل القرآن تدريجياً، ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ... تُحَدِّثُ﴾.
- ٢ - تذكير القرآن فضل من أفضال الله الدائمة، ﴿ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾.
- ٣ - لا يُجدي أي تذكير نفعاً مع القاسية قلوبهم، ﴿مِنْ ذِكْرٍ﴾.
- ٤ - يُقيم الله الحجة على الكفار بتذكيرهم وفي تكرار وتجديد هذا التذكير، ﴿ذِكْرٍ... تُحَدِّثُ﴾.
- ٥ - يجب على الإنسان ألا يُعلق قلبه بالتقاليد القديمة إلى حد أن يُكذب كل كلام جديد يسمعه، إذا كان حقاً، ﴿ذِكْرٍ... تُحَدِّثُ... عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾.
- ٦ - الدين وسيلة للوعي، وليس أداة للتخدير، ﴿مِنْ ذِكْرٍ﴾.
- ٧ - يختار فريق من الناس طريق العناد مُسبقاً بدلاً من قبول الحق والإيمان به (الإعراض والبُعد عن الحق أسلوب دائم لفريق من الناس)، ﴿كَانُوا﴾.
- ٨ - الإعراض الناشيء عن الاستكبار والتكذيب أمر خطير، ﴿مُعْرِضِينَ... كَذَّبُوا﴾.
- ٩ - تجاهل أخطار المستقبل وعقوباته دليل على الغضب الإلهي، ﴿أَنْتَوُا مَا كَانُوا﴾.
- ١٠ - أولئك الذين يسخرون من الحق وأتباعه لن يظل عملهم بلا تبعات، ﴿مَا كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ﴾، (سوف يرون الرد على أعمالهم القبيحة في الدنيا أو عند الموت أو في البرزخ أو عند البعث أو يوم القيامة).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَبْلَيْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾﴾
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾

إشارات:

□ نجح عالم النباتات السويدي المعروف «كارل لينيوس» في اكتشاف مسألة التزاوج في بعض النباتات لأول مرة في أواسط القرن الثامن عشر الميلادي،

وقال إن الذكر والأنثى يتوفران في النبات أيضاً، وأن ذلك ضروري من أجل تلقيح الزروع والنباتات. ويُقرر القرآن قبل ذلك بزمانٍ طويل أن قانون التزاوج يشمل النباتات وغيرها أيضاً^(١).

التعاليم:

١ - الاطلاع على مخلوقات الكون وروعته أفضل طريق لمعرفة الله تعالى، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾.

٢ - يوبخ القرآن الكريم أولئك الذين لا ينظرون إلى الدنيا نظرة عميقة، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ﴾.

٣ - وجود الذكر والأنثى في النباتات علامة من علامات قدرة الله، ﴿أَبَلَمْ نَكُنْ... نَزَّجْ كَرِيمٍ﴾.

٤ - توجد فوائد في النباتات كلها، رغم أنه من الممكن ألا تُكتشف فوائد بعضها بالنسبة لنا^(٢)، ﴿مِنْ كُلِّ نَزَّجْ كَرِيمٍ﴾.

٥ - إذا لم يتوفر في الإنسان الاستعداد لقبول الحق، فإنه لن يستفيد درساً واحداً من الكون كله ولن يجد فيه عبرة، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا... وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

٦ - ليست الأكثرية العددية دليلاً على الحق في الأحيان كلها، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

٧ - يحظى الرسول الأكرم ﷺ برعاية خاصة من الله، ﴿وَلَا رَيْكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

٨ - إن رحمة الله ليست من باب العجز، فهو رحيم رغم أنه عزيز لا يُغلب، ويُمهّل المخالفين لعلهم يعودوا ويتوبوا إليه، ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

(١) تفسير نمونه.

(٢) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ٢٤، ص ١٢٠.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١٠)
 قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۖ أَلَا يَنْقُوتُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾

إشارات:

□ تكرر في هذه السورة قوله تعالى: ﴿أَلَا تَنْقُوتُونَ﴾ و﴿أَلَا يَنْقُوتُونَ﴾ سبع مرات. نعم، لن يؤثر كلام الرسول في الناس إذا لم تكن هناك تقوى عند المخاطبين.

التعاليم:

- ١ - يجب عدم نسيان تاريخ الأنبياء، (كلمة «إذ» ظرف لما مضى من الزمان).
- ٢ - تتشابه أهداف الأنبياء وسيرتهم، كما أن ردود فعل المخالفين لهم والمعارضين واحدة. وبناءً على هذا، فإن التعرف على تاريخهم يُمكن أن يفتح الطريق في وجه رسول الإسلام، ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ﴾.
- ٣ - إرسال الأنبياء إلى الناس شأن من شؤون الربوبية، ﴿نَادَىٰ رَبُّكَ﴾.
- ٤ - مواجهة الطاغوت هي من أولويات مهام الأنبياء وتدابيرهم، ﴿أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.
- ٥ - يجب المبادرة أحياناً والاستعداد لاحتواء الخطر عند النهي عن المنكر، ﴿إِنِ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.
- ٦ - تستند حركة الأنبياء إلى معايير مثالية، ولا تقوم على أساس العداوة والانتقام، ﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.
- ٧ - نسيان الله تعالى واتباع الطاغوت أعظم أنواع الظلم، ﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.
- ٨ - يجب التصدي لمنايع الفساد ومصادرها عند النهي عن المنكر، ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾.
- ٩ - لا حول ولا قوة للطواغيت بلا عون من الناس، ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾.
- ١٠ - يشتد نفوذ الطواغيت مع انعدام التقوى عند الناس، ﴿أَلَا يَنْقُوتُونَ﴾.
- ١١ - مهمة هداية الناس عبء ثقيل، وتحتاج إلى المدد الإلهي، ﴿رَبِّ إِنِّي أَخَافُ...﴾.

﴿وَصَبِّقْ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقْ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَرُونَ ﴿١٣﴾
وَلَمْ يَكُنْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَإِذْ هَبَا نَارَآئِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾
فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٧﴾﴾

إشارات:

□ المُراد بذنب نبي الله موسى ﷺ الذي ذكر في الآية الرابعة عشرة هو الحادثة التي ورد ذكرها في الآية الثالثة والثلاثين من سورة القصص، وفيها أن موسى دخل مدينة قبل النبوة، ورأى فيها أحد أتباعه يقتل مع أحد الأقباط من أعوان الفرعون، فاستنجد به تابعه، فوكز موسى القبطي بقبضة يده فلقى مصرعه.

ذاع خبر هذه الحادثة في المنطقة، فاضطر موسى إلى الفرار، وتسبب عمله هذا بظهوره في مظهر القاتل عند الفراعنة، على الرغم من أنه لم يكن يقصد قتل القبطي وإنما أقدم على ذلك من أجل الدفاع عن المظلوم. وعندما وصل موسى إلى مقام النبوة وكُلف بالرسالة قال لربه: أخشى أن يمنعي ما كان من قتل القبطي من دعوة القوم، (يُستفاد من كلمة «كلا» أن ما قام به موسى لم يكن عن عمد، وإلا فإن الله تعالى لا يقول لمن يقتل عمداً: كلا، أنا أطمئنك بحمايتي لك).

التعاليم:

١ - قدرات الأفراد محدودة، حتى الأنبياء منهم (لكل إنسان قيود ولكل شيء حدود، ما خلا الله تعالى، لا تقيده قيود ولا تحده حدود)، ﴿وَصَبِّقْ صَدْرِي﴾.

٢ - لا بد أن يُبين الإنسان نقاط ضعفه عند قبول المسؤولية، ﴿وَصَبِّقْ صَدْرِي﴾.

٣ - الصراحة والصدق من صفات الأنبياء البارزة، ﴿وَصَبِّقْ صَدْرِي﴾.

٤ - تحتاج الزعامة والهداية والدعوة والإرشاد إلى سعة الصدر، ﴿وَصَبِّقْ صَدْرِي﴾.

٥ - ينبغي أن تكون الحركة جماعية أحياناً عند النهي عن المنكر والتصدي له، ﴿فَأَذْهَبَا﴾.

٦ - يجب معالجة نقاط الضعف، وعدم التخلي عن المسؤوليات، ﴿وَيَعْبِقُ صَدْرِي وَلَا يَطْلُقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هُرُونَ﴾، ولا يوجد ما يمنع قبول المسؤوليات الكبرى أو تكليف الآخرين بها رغم وجود نقاط الضعف والنقائص القابلة للإصلاح.

٧ - يقدم أصحاب النفوس السليمة المنزهون عن الغرض على أنفسهم أصحاب الجدارة واللياقة من أجل تحمل المسؤوليات الكبرى، ﴿فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هُرُونَ﴾.

٨ - يؤثر ماضي الأفراد في نجاحهم وتوفيقهم، ﴿وَلَكُمْ عَلَى ذَنْبٍ﴾.

٩ - قانون الجزاء له تاريخ قديم جداً، ﴿وَلَكُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾، (والشهادة هي أمنية الرُّسل، ولعل مصدر خوفهم وقلقهم هو خشيتهم من عدم الوصول إلى أهدافهم المقدسة).

١٠ - تحتاج إدارة ونشر الدعوة إلى عدة مسائل مهمة، منها: دراسة الأوضاع الاجتماعية، واستشراف المستقبل، وتمهيد البيئة المؤثرة للدعوة، ﴿أَخَافُ... وَلَكُمْ عَلَى ذَنْبٍ... فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هُرُونَ﴾.

١١ - يجب عدم الخوف في بيان الحق من قلة أنصاره، ولا من زيادة مخالفيه، ﴿فَأَذْهَبَا﴾.

١٢ - يقبل الله تعالى الاقتراح المفيد والمناسب، ﴿فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هُرُونَ... فَأَذْهَبَا﴾.

١٣ - إنَّ مواساة أولئك الذين يصيبهم القلق وتشجيعهم عمل إلهي، ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾.

١٤ - إنَّ الله تعالى هو نصير الأنبياء وظهرهم، ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾.

١٥ - العلم الدقيق والمتجدد تبعاً لضرورة من ضروريات المسؤوليات المهمة، ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَعِينُونَ﴾.

١٦ - معجزات الرُّسل هي أدواتهم في إرشاد الناس وهدايتهم، وهي الزاد الذي يحملونه إليهم، ﴿يَتَايَنَتْنَا﴾.

- ١٧ - الله تعالى خبير بتفاصيل أعمالنا، ﴿مُسْتَمِعُونَ﴾ وهو يوجد في كل الوجود ويحيط بكل شيء..
- ١٨ - يجب العودة إلى المصادر والمنابع من أجل مكافحة الأنظمة المؤسسية الفاسدة، ﴿فَأَنبَأَ فِرْعَوْنَ﴾.
- ١٩ - يجب التحلي بالصراحة والصلابة في دعوة الآخرين إلى الحق، ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
- ٢٠ - يعتبر بعث الرسول إلى الناس شأنًا من شؤون ربوبية الله تعالى، ﴿رَسُولُ رَبِّ﴾.
- ٢١ - للكون كله نوع من الرشد والنمو، ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
- ٢٢ - يخضع الكون كله لتدبير الله، ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
- ٢٣ - للأنبياء جميعاً هدف واحد، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ﴾، ولم يقل سبحانه: «إنا رسولا»..
- ٢٤ - يجب الرد بقول: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ في مواجهة من يقول: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ﴾ الآخِلُ^(١).
- ٢٥ - إذا بعث الله رسولين في فترة زمنية واحدة فإن القيادة تكون لواحد منهما، ﴿إِنَّا رَسُولُ﴾.
- ٢٦ - تحرير الناس من أسر الطواغيت هو على رأس خطط الرُّسل وتدابيرهم، ﴿أَرْسِلْ مَعَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾^(١٨)
 ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(١٩)

إشارات:

□ شكك فرعون في نبوة موسى ﷺ بجملتين:

- أ - أنت لدينا قاتل، والقاتل لا يكون نبياً.
 ب - لقد ربيناك حتى كبرت، فكيف تكفر بنعمتنا عليك وتجحد فضلنا.
 وقد بيّنت الآيات التالية ردّ موسى على فرعون وقومه.

التعاليم:

- ١ - المنُّ والتباهي من خصائص المستكبرين، ﴿أَلَمْ تُرَبِّكَ فِينَا﴾.
- ٢ - الإرادة الإلهية هي التي تحفظ موسى وترعاه في كنف فرعون، ﴿أَلَمْ تُرَبِّكَ﴾.
- ٣ - إذا ربينا أحداً أو علمناه حرفة أو ساعدناه في أمور الزواج والمسكن وغير ذلك فلا ينبغي أن نرفض كلامه الحق لهذا السبب أو بتلك الحجّة، ﴿أَلَمْ تُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾.
- ٤ - أولياء الله لا يغدرون، كما لا يغرهم مسابقة نمط ومنهج البيئة أو المجتمع الذي يعيشون فيه، ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾، (لم يقل موسى: علينا أن نُحجم عن الرد قليلاً ونؤثر الصمت لأننا أكلنا على مائدة فرعون زمناً طويلاً، أو لأننا جميعاً خاضعون له الآن، أو لأنه المحور الذي يدور حوله المجتمع).
- ٥ - يجب عدم مراعاة فضل المستكبرين، فالجُحود ليس قبيحاً عند مواجهة المستكبرين، ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿قَالَ فَعَلَّهَا إِذَا أَنَا مِنَ الْغَالِينَ﴾

﴿فَقَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾

إشارات:

- المقصود بكلمة «حُكم» في هذه الآية هو حُكم بني إسرائيل وتولي مسؤوليتهم، أو الحكمة والعلم.
- يرد نبي الله موسى ﷺ في هاتين الآيتين على اعتراضات فرعون التي ذكرناها في الآية السابقة.

□ كما ذكرنا من قبل فإن النبي موسى ﷺ ضرب أحد المخالفين له بقبضته نصرَةً لأحد أتباعه فأرداه قتيلاً. ولم يكن هذا القتل عن عمد، ولم يتم بآلة قتل، بل كان حادثة غير مقصودة، وكان ردة فعل فورية ليس فيها سوء نية، ووقع هذا الحادث قبل نبوة موسى بداعي نصرته المظلوم. وبناءً على هذا فإن كلمة «ضال» في الآية المذكورة تعني الانحراف العملي غير المقصود، وهو ما لا ينقض عصمته. أو تعني الحيرة، كما في الآية السابعة من سورة الضحى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾.

□ احتج البعض في مسجد الكوفة فقالوا: ما بال أمير المؤمنين علي ﷺ لم ينازع الثلاثة كما نازع طلحة والزبير وعائشة ومعاوية، فبلغ ذلك علياً ﷺ، فأمر أن يُنادى بالصلاة جامعة، فلما اجتمع الناس اعتلى المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: معاشر الناس إنه بلغني عنكم كذا وكذا، قالوا صدق أمير المؤمنين، قد قلنا ذلك. قال: فإن لي بسُنَّة الأنبياء أسوة في ما فعلت، قال الله ﷻ في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(١). قالوا ومن هم يا أمير المؤمنين؟ قال أولهم إبراهيم ﷺ إذ قال لقومه: ﴿وَاَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾^(٢). فإن قلت إن إبراهيم اعزل قومه لغير مكروه أصابه منهم فقد كفرتم، وإن قلت اعزلهم لمكروه رآه منهم فالوصي أعذر. ولي بابن خالته لوط ﷺ أسوة إذ قال لقومه: ﴿قَالَ لَوْ أَنِّي لِيَكُم قُوَّةٌ أَوْ مَأْوَىٰ إِلَىٰ رَبِّي سَدِيدٌ﴾^(٣). فإن قلت إن لوطاً كانت له بهم قوة فقد كفرتم، وإن قلت لم يكن له قوة فالوصي أعذر. ولي بيوسف ﷺ أسوة إذ قال: ﴿قَالَ رَبِّ اسْجِنْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾^(٤). فإن قلت إن يوسف دعا ربه وسأله السجن لسخط ربه فقد كفرتم، وإن قلت إنه أراد بذلك لثلاً يسخط ربه عليه فاخترار السجن فالوصي أعذر. ولي بموسى ﷺ أسوة إذ قال: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾^(٥). فإن قلت إن

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

(٤) سورة يوسف: الآية ٣٣.

(٢) سورة مريم: الآية ٤٨.

(٥) سورة الشعراء: الآية ٢١.

(٣) سورة هود: الآية ٨٠.

موسى فرَّ من قومه بلا خوف كان له منهم فقد كفرتم، وإن قلتم إن موسى خاف منهم فالوصي أعذر. ولي بأخيه هارون عليه السلام أسوة إذ قال لأخيه: ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾^(١). فإن قلتم لم يستضعفوه ولم يشرفوا على قتله فقد كفرتم، وإن قلتم استضعفوه وأشرفوا على قتله فلذلك سكت عنهم فالوصي أعذر. ولي بمحمد عليه السلام أسوة حين فرَّ من قومه ولحق بالغار من خوفهم وأنامني على فراشه، فإن قلتم فرَّ من قومه لغير خوف منهم فقد كفرتم، وإن قلتم خافهم وأنامني على فراشه ولحق هو بالغار من خوفهم فالوصي أعذر^(٢). وبناءً على هذا، فإن أولياء الله تعالى يُجبرون أحياناً على الصمت والانكفاء في ظروف معيّنة.

التعاليم:

- ١ - قد يكون الاعتراف بالغ القيمة في بعض الأحيان، ﴿قَالَ فَقُلْتُهَا﴾.
- ٢ - الفرار من الطاغوت مقدمة لتلقي الدعم الإلهي، ﴿فَفَزَرْتُ مِنْكُمْ... فَوَهَبَ﴾.
- ٣ - يحظى الأنبياء بفضل خاص من الله تعالى، ﴿فَوَهَبَ لِي... وَحَمَلَنِي﴾.
- ٤ - النبوة تيار مستمر عبر التاريخ، وقد كان هناك أنبياء كثيرون قبل موسى عليه السلام. فتعجبُ فرعون لا محل له هنا، ﴿مِنْ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾

إشارات:

□ قال موسى عليه السلام لفرعون: الأصل أن أنشأ في بيت أبي، فلماذا تستعبده وتجبرني على أن أترى في بيتك؟ هل هذه هي النعمة التي أشكرك عليها أم أن

هذا أسرٌ واستعباد؟! لقد كنتُ حزيناً لأن بني إسرائيل كانوا في الأسر على الرغم من أنني كنت أعيش في قصرِكَ الزاخر بكل وسائل الرفاهية.

□ يُستفاد من القرآن الكريم أن فرعون كان يعرف الله في أعماق نفسه ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُ مَا أُنْزِلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١)، ولكن يبدو أنه كان يعدُّ نفسه ربّاً أعلى للناس، كالمدير الذي يتحكم في مجموعة من الأفراد، ولكنه يعرف في الوقت نفسه أنه يخضع لإمرة غيره^(٢).

التعاليم:

- ١ - التكبر يُزيّن قبائح صاحبه في مظهر جميل، ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّا عَلَيْ﴾.
- ٢ - يجب الردّ على استكبار المستكبرين ومَنهم بقوة وصلابة، ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ...﴾.
- ٣ - يدعي المستكبر الجهل أحياناً من أجل المحافظة على التاج والعرش، ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾^(٢٤)
 قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَجُلٌ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿٢٦﴾

إشارات:

□ يقول القرآن الكريم إن الصراع بين الأنبياء ومعارضيهـم يدور على موضوع ربوبية الله، أي إدارة الله لشؤون خلقه وتشريعـه وضرورة إطاعة أوامره، وإلا فإنّ مخالفهـم كانوا يقبلون بأن الله هو خالق العالم. لكنهم يريدون الحفاظ على مصالحهم وإدارتها بأنفسهم.

وما كلام أولئك الذين يقولون اليوم إنّ الدين لا علاقة له بالسياسة إلاّ ككلام أولئك الذين ينادون بالفصل بين خلق العالم بإرادة الله ومشيتته، وإدارته سبحانه لهذا العالم، (الله يخلق ولا يحكم).

(٢) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٦، ص ٣٧.

(١) سورة الإسراء: الآية ١٠٢.

والقرآن والعقل يعطيان حق الربوبية والتكليف والطاعة لمن يُعرف أنه الخالق وحده، وليس للآخرين. فالذي يخلق هو الذي يعلم ماهية القانون الذي يضعه، والتشريع الذي يُنزله، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾^(١).

□ قال بعض المفسرين إن معنى جملة ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ هو أن موسى ﷺ قال: أنا أعرف أن سؤالكم ليس من أجل الفهم، بل من أجل التهرب، ولكن إذا كنتم تبحثون عن الحقيقة فتفكروا في نظام الكون، وسوف تفهمون حقيقة وحدانية الله تعالى.

التعاليم:

١ - للكون كله إله واحد هو، ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، (على خلاف ما اعتقده المشركون من وجود آلهة عديدة).

٢ - يخضع الكون كله لتدبير وإشراف وحركة متكاملة من، ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

٣ - لا يُمكن التعرف إلى ذات الله سبحانه، بل يجب التعرف عليه عن طريق مخلوقاته، ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، (لقد سأل فرعون عن ماهية الله وطبيعته، ولكن النبي موسى أجابه بالكلام عن مخلوقات الله، لأن ذات الله لا يمكن معرفتها).

٤ - لا يستطيع كل إنسان أن يدرك وحدة تدبير الكون كله ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾، فأهل اليقين يدركون ربوبية الله كلما نظروا بتعمق في خلق السماوات والأرض.

٥ - استخدم الطواغيت الجدل وإخفاء الحق وقطع كلام الآخرين المنطقي كوسيلة من وسائل إنكار النبوة ومواجهة الدعوة أمام الملأ، ﴿أَلَا تَسْمَعُونَ﴾، (كانت مناظرة موسى وفرعون علنية).

٦ - لا تختلف ربوبية الله على البشر الموجودين الآن ومن رحل منهم عن هذه الدنيا، وهي متساوية في السماء والأرض، ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ ﴿رَبُّكُمْ﴾ و﴿رَبُّ آبَائِكُمْ...﴾ (يتساوى تدبير الله وإشرافه وإدارته لآيات الآفاق «السماء والأرض» مع آيات الأنفس «البشر»).

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا
 إِنَّ كُنتُمْ تَقُولُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَيْنَ أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾
 قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾

إشارات:

□ نرى في الآية السابعة والعشرين أن فرعون يستخدم أعنف الأساليب مع أقبح النعوت والصفات في حديثه عن موسى من أجل تعويض نقصه وحقارته. وهناك حروف وكلمات تُستخدم في الأدب العربي من أجل التأكيد على موضوع من الموضوعات، فكلمة «إِنَّ» وحرف «اللام» في كلمة «لمجنون» والإتيان بالجملة الإسمية علامات على تأكيد الصفة المرفوضة المُلصقة به.

التعاليم:

- ١ - يتهرب الطواغيت عند مواجهة الحق ﴿قَالَ لِيَن حَوْلَهُ...﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ ﴿﴾، (يتوجه فرعون بكلامه إلى المحيطين به كلما استدل موسى على شيء أو بيّنه بدلاً من الرد عليه لأنه كان يخشى أن يفقد الناس).
- ٢ - لا يقبل المُستكبر الحقَّ أبداً، ويميّز نفسه عن الناس، ﴿رَسُولَكُمْ...﴾ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ ﴿﴾، أي رسولكم أنتم لا رسولي أنا.
- ٣ - نعت الأنبياء بصفة الجنون المرفوضة من أقوى أساليب ردّ المخالفين، ﴿لَمَجْنُونٌ﴾ نعم، فمن يعجز عن الاستدلال يتجه إلى الاتهام والسب واللعن.
- ٤ - يدل توافق القوانين والنظام الثابت الذي يسيطر على السماء والأرض

والمشرق والمغرب ومخلوقات الكون كلها على أنّ عالم الوجود تسيره إدارة واحدة، ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ...﴾.

٥ - يجب على الداعية والمُربي ألا يكلّ من النقاش أو يمل، ويجب أن يكرر براهينه، وأن تكون لديه سعة صدر، ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ﴿رَبُّكُمُ وَرَبُّ آبَائِكُمْ﴾، ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾.

٦ - لا تحرف الاتهامات أولياء الله عن أهدافهم، ﴿رَسُولُكُمْ... لِمَجْنُونٍ﴾.

٧ - يحتاج الوصول إلى التوحيد للتبصر والتعقل (الكفر والشرك ثمرة من ثمرات الجهالة)، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾، (تفكير الناس هو أكبر خطر يهدد المستكبرين).

٨ - يتحدث الأنبياء بأدب (قال فرعون لموسى ﷺ: «لمجنون» أمّا موسى فقال له: ستفهمون كلامي إن كنتم تعقلون)، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

٩ - التهديد هو السلاح الآخر للطواغيت، ﴿لَأَجْمَعَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾، (يجب على الزعماء الدينيين أن يستعدوا للشدائد).

١٠ - يسيطر الكبت والقمع والعنف على النظام الطاغوتي، وهناك كثير من الناس يُلقون في السجون، ﴿مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾.

١١ - لا بدّ من ظهور المعجزات حينما لا يكون للمنطق تأثير، ﴿بَشِيرٍ وَنَذِيرٍ﴾.

١٢ - لا بد من الاستعداد المُسبق كشرط من شروط النجاح والانتصار على العدو، فقد كان موسى يعرف أن العصا ستتحول إلى ثعبان، وأن يده سوف تبيض وتلمع، ولهذا قال بقوة: ﴿جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾.

١٣ - معجزات الأنبياء حقيقة، ويدركها الناس جيداً، ﴿مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِ ﴿٣٣﴾﴾

إشارات:

□ المُراد من كلمة «نزع» هنا هو إخراج اليد من الجيب أو طوق القميص.

□ ذكر الله تحول العصا إلى أفعى عشر مرات، وابيضاض يد موسى ﷺ خمس مرات في القرآن.

□ تحولت العصا حينما ألقاها موسى في المرحلة الأولى إلى ثعبان صغير، وهو ما جاء في الآية العاشرة من سورة النمل: ﴿فَلَمَّا رَآهَا تُهَنِّئُ كَانَتْهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا﴾، ولكنها تحولت إلى أفعى كبيرة عند مواجهة الطاغوت العاصي، وربما كان السبب في هذا هو أنه يجب أن يكون لكل حادث حديث.

التعاليم:

- ١ - لا تحتاج معجزات الأنبياء إلى تدريب لأنها ترتبط بالقدرة الإلهية، ولا يلزم أن تكون تدريجية، ﴿فَإِذَا هِيَ﴾، (أي أن العصا صارت ثعباناً فجأة).
- ٢ - يجب القيام بعمل لافت للنظر وصادم في مواجهة العصاة المتمردين، ﴿تُعْبَانُ مُبِينٌ﴾.
- ٣ - تتجلى معجزات الأنبياء واضحة مبينة، وليست وهماً وخيالاً، ﴿مُبِينٌ﴾.
- ٤ - اليد البيضاء النورانية رمزٌ للصفاء والمحبة إلى جوار المعجزة المخيفة، ﴿تُعْبَانُ... بَيَّضَاءُ﴾.
- ٥ - يجب الاستفادة من أساليب الخوف والرجاء الصحيحة كلها كي يؤثر كلام الحق في الناس. ﴿تُعْبَانُ... بَيَّضَاءُ﴾.

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ۖ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۖ﴾ (٢٥) ﴿قَالُوا ارْجِعْ وَأَخَاهُ وَأَنْتَ فِي الدَّائِنِ خَسِرِينَ ۖ﴾ (٢٦) ﴿يَا تَأُكُلُ مِنْ حَرْثِ سَحَابٍ عَلِيمٍ ۖ﴾ (٢٧) ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۖ﴾ (٢٨) ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ۖ﴾ (٢٩)

إشارات:

□ تعامل فرعون مع موسى بأشكال عديدة من الإساءة وذلك في ما يلي:

- أ - التحقير: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾، أي: ألم نقم بتربيتك. المن عليه بتربيته صغيراً.

ب - الاستهزاء: ﴿لَمَجْنُونٌ﴾، أي: وصمه بالجنون.

ج - التهديد: ﴿مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾، أي: توعده بالسجن.

- د - الاتهام بالسحر: ﴿لَسَجِرٌ عَلِيمٌ﴾، أي: إصااق تهمة الشعوذة به.
- هـ - الاتهام بالمؤامرة: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ﴾، أي: الادعاء بتنظيمه حركة شغب وتمرد.

□ لا يوجد كلام عن هارون عليه السلام في الآيات المتعلقة بحوار موسى مع فرعون، وهذا لأن الموقف الرسمي يجب أن يُحدده القائد.

□ المقصود بجملة «فماذا تأمرون» هو الأمر بالمشورة. لأن المستشارين كانوا ينقلون وجهة نظرهم في صورة الأمر، كقولهم: «أرجه وأخاه»، أي أمهل موسى وأخاه ولا تُلِّقه في السجن.

□ اتفق نبيُّ الله موسى مع فرعون في تحديد زمان مواجهته للسحرة والمكان الذي جرت فيه المواجهة، ﴿لِيَقِنْتَ يُومِرُ مَعْلُومٌ﴾.

□ جرى حشدُ الناس في المكان المحدد والزمان الموعود، لأن حضورهم بكثافة سوف يتسببان في دفع موسى وهارون إلى الشعور بالوحدة، وهنا يقوى السحرة، وتنطلق عندها الدعاية الغوغائية.

□ يقلّد الأتباع ومسلوبي الإرادة والمتملقون أسيادهم حتى في الكلمات، فقد جاءت الجمل من قبيل: ﴿لَسَجِرٌ عَلِيمٌ﴾ و﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ على لسان فرعون في هاتين الآيتين، ولكن هذه الكلمات وردت بعينها في الآيتين ١٠٩ و ١١٠ من سورة الأعراف على لسان المحيطين بفرعون، وتطابقت مع أقواله، حتى إنها لم تُنقص منها حرفاً ولم تزد عليه.

التعاليم:

- ١ - ينشر الطواغيت دعاياتهم الشيطانية بتأكيد وحسم، ﴿إِنَّ هَذَا لَسَجِرٌ عَلِيمٌ﴾، كلمة «إن» وحرف اللام والجملة الاسمية علامة على التأكيد.
- ٢ - وصف فرعون موسى عليه السلام بأنه «ساحر عليم» من أجل أن يُشجع السحرة ويُحمسهم في مواجهتهم للنبي، ﴿لَسَجِرٌ عَلِيمٌ﴾.
- ٣ - الكذاب ضعيف الذاكرة، فقد وصف الفراعنة موسى بالجنون تارة،

﴿لَمَجْنُونٌ﴾، والآن يصفونه تارةً أخرى بالمشعوذ الماهر العليم بالسحر،
﴿لَسِحْرٌ عَلَيْهِ﴾.

٤ - الوطنية وحب الملكية من الغرائز البشرية، وقد جعل فرعون من هذين
الأمرين حجة من أجل إثارة الناس ضد موسى، فقال لهم: سوف يُشردكم
من بلادكم ويقضي على ما تملكون، ﴿يُخْرِجُكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾.

٥ - الكذب والتزوير والغوغائية من أساليب الطاغوت، (كانت كلمة «أرضكم» من
أجل خداع العوام، وكلمة «بسحره» افتراء واضح).

٦ - يدعي الطواغيت وهم في أوج قوتهم وسلطتهم أن كل شيء ملك لهم،
﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِّمَّا^(١) بَيْنَ يَدَيْ^(٢)كَ﴾، ولكن عندما يشعرون بالخطر يدخلون الناس إلى
الميدان، ﴿أَرْضِكُمْ﴾.

٧ - يحتاج الطواغيت إلى أتباعهم ويطلبون منهم الحلول والتدابير، ﴿فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ﴾، فالفرعون الذي يقول لموسى: سأسجنك إذا اتخذت معبوداً
غيري، يحتاج اليوم إلى أنصاره وأتباعه ليشيروا عليه بما يجب فعله..

٨ - كان زمن فرعون زمن رواج السحر والشعوذة، ﴿سَحَّارٍ عَلَيْهِ﴾.

٩ - إذا كان المتخصصون غير مؤمنين فإنهم سينخرطون في خدمة الفراعنة،
﴿يَأْتُونَكَ﴾.

١٠ - كان لتنظيم الندوات والمؤتمرات تاريخ طويل، ﴿يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ
عَلِيمٍ﴾.

١١ - يستفيد الطواغيت من الخبراء أسوأ استفادة من أجل الوصول إلى أهدافهم،
(فلماذا لا نستفيد نحن منهم أحسن استفادة؟) ﴿يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ
عَلِيمٍ﴾.

١٢ - استخدم فرعون قوته كلها، ﴿يَكُلِّ سَحَّارٍ﴾.

١٣ - يؤثر الزمان والمكان في الحركات الدعوية، ﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾.

١٤ - من أساليب المستكبرين المهمة اجتذابُ الرأي العام وحضورُ الناس في ميدان الصراع، ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾.

﴿لَمَلْنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْقَلِيلِينَ﴾ ٤٠ ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا أَجْرٌ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْقَلِيلِينَ﴾ ٤١ ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُفْرَقِينَ﴾ ٤٢

إشارات:

□ وقف موسى وهارون وحيدَيْن في جانب لأنهما كانا يملكان الإيمان وتطمئن نفسيهما به، أمَّا فرعون فقد وقف في الجانب المقابل مع حاشيته من الأشراف والسحرة في قلق واضطراب. وهنا يتضح دور الإيمان وقوته. ويُستفاد من سؤال السحرة لفرعون: ﴿إِنَّا لَنَا أَجْرٌ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْقَلِيلِينَ﴾ أن الشك كان يملأ نفوسهم. كما يتضح من تشجيع فرعون ووعده لهم بالجائزة الكبرى أن الخوف أيضاً، قد أصابه وتمكن القلق من نفسه، ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُفْرَقِينَ﴾.

□ ربما كان شرط الحصول على الأجر دليلاً على ضيق أفق فرعون وبخله وخسسته، لأن الناس عادةً لا يشترطون على الأسخياء الكرماء أن يحصلوا منهم على المال أولاً، لأنهم يعلمون أنهم يأخذون في حسابهم كل شيء بما لديهم من معرفة وسخاء على عكس الحال مع فرعون.

التعاليم:

١ - كان فرعون يدّعي الألوهية، فانكفأت ألوهيته مع معجزة موسى حيث اتّبع الجميعُ السحرة، ورأوا أن الكلمة الأولى والأخيرة هي كلمة السحرة المتتصرين، ﴿لَمَلْنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ﴾.

٢ - لم يطمئن فرعون إلى انتصار السحرة حينما رأى معجزة موسى، ﴿إِنْ كَانُوا هُمْ الْقَلِيلِينَ﴾، («إن» حرف شرط، ويفيد الشك).

٣ - كان السحرة يُفكرون في أنفسهم، وفي الأجر الذي سيأخذونه، ولم يكن لهم

شأن بكونهم على حق أو على باطل، ﴿أَيَّنَ لَنَا لَأَجْرًا﴾، أمّا الشعار الذي رفعه الأنبياء في أعمالهم كلها فكان: ﴿مَا أَشْكُرُ عَلَيْكَ مِنْ نَجَرٍ﴾^(١)، لكن السحرة كانوا ينتظرون الأجر حتى على الحركة، ﴿لَنَا لَأَجْرًا﴾.

٤ - التابع الذي لا يؤمن بالله يتوق إلى مال فرعون، ﴿لَنَا لَأَجْرًا﴾، ولكن الكون كله يصغر في عينيه حينما يؤمن بالله، ويُضْحِي بروحه بسهولة، وهو ما نقرأه في الآية الخمسين: ﴿لَا ضَيْرٌ لَنَا إِلَّا رِزْقًا مُقْبِلُونَ﴾.

٥ - يُعَدُّ المقام والاعتبار أهم من المال أحياناً، ﴿وَلَكُمْ إِذَا لِينَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾^(١٣)

فَالْقُوا جَاهِلَهُمْ وَعَصَبَتَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ^(١٤)

التعاليم:

١ - يؤمن رجال الله بانتصار الحق وبطلان السحر، ويتحدثون من منطلق القوة والاطمئنان، وليس من منطلق الضعف والخوف، ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾.

٢ - يجب إهمال المخالفين ومنحهم الفرصة حتى يسيروا في طريق العقيدة ويسعوا في سبيل تحقيق أهدافهم، ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ﴾؛ وبعدئذ الرد عليهم بردود قوية منطقية.

٣ - يرتعش الكافر من داخله، ويُطلق الشعارات في الظاهر، فقد شكَّ السحرة في انتصارهم، وكانوا يقولون في الآيات السابقة: ﴿إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾، لكنهم تملقوا الفرعون وتظاهروا بالولاء له وقالوا في حضوره: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾، وكانوا يتظاهرون بالانتصار، وكانوا يمارسون ما يُعرف اصطلاحاً بالحرب النفسية، ﴿إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾.

﴿قَالَتِ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (٤٥) ﴿قَالَتِ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ (٤٦)
 ﴿قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّ الْمَالِئِينَ﴾ (٤٧) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿﴾ (٤٨)

إشارات:

□ آمن السحرة على الفور بمجرد أن شاهدوا تحول العصا إلى ثعبان. وجاء في الروايات أنه عندما يظهر إمام الزمان عليه السلام فإن أصحاب الشأن من الشرق والغرب سوف يؤمنون به، لأنهم سوف يدركون أن عظمة ما يقوم به خير مما يأتي به الآخرون.

التعاليم:

- ١ - لا يستطيع الباطل الصمود في مواجهة الحق، ﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾.
- ٢ - السحر والدجل نوع من الكذب العملي البعيد عن الحقيقة، («يأفكون» من كلمة «إفك» التي تعني الاختلاق والكذب).
- ٣ - إن من لديهم الأرضية والاستعداد لا يتهربون من مواجهة الحق، ويستسلمون له، ﴿قَالَتِ﴾.
- ٤ - يعلم الصانع قدر الذهب، والجوهر يعرف قيمته الجواهري (عرف السحرة الذين كانوا خبراء في مجالهم المعجزة من السحر، وخروا سجداً مذعنين بعد أن وقعوا تحت تأثيرها، على الرغم من أن فرعون وأتباعه كانوا حاضرين أيضاً ولم يؤمنوا)، ﴿قَالَتِ السَّحَرَةُ﴾.
- ٥ - يتميز الإنسان بقدرته على تغيير موقفه الفكري في لحظة واحدة، ﴿قَالَتِ﴾.
- ٦ - السجود مظهر من مظاهر عبادة الحق والتسليم له، وكان معروفاً في التاريخ، ﴿سَاجِدِينَ﴾.
- ٧ - يخضع الكون كله لتدبير الله في حركة تكاملية، ﴿رَبِّ الْمَالِئِينَ﴾.
- ٨ - أقر السحرة بأصول الدين، التوحيد: ﴿ءَأَمَّا رَبِّ الْمَالِئِينَ﴾، النبوة: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾، المعاد: ﴿لَئِنَّا إِلَهُنَا مُنْقِلُونَ﴾.

﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعَالِمُونَ لَا أَقْطَعَنَّ
 أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا أُصْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَرَرَ لَنَا إِلَىٰ رَبِّنَا مُتَقَبِّلُونَ ﴿٥٠﴾
 إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾

إشارات:

□ خَرَّ السحرة إلى الأرض ساجدين بمجرد أن شهدوا معجزة موسى ﷺ، وهنا قال لهم فرعون لكي يُضل الناس ويخدعهم: هذه مؤامرة سبق تدبيرها، فقد كنتم تلاميذاً لموسى، وقمتم بأداء هذه المسرحية من أجل إسقاطي. متجاهلاً أن السحرة كانوا متفرقين في أنحاء البلاد، وما كانوا يستطيعون الوصول إلى موسى حتى يكونوا تلاميذ له، مضافاً إلى أنهم كانوا قد أقسموا بغزة فرعون أنهم سيغلبون موسى.

□ وجاء في بعض التفاسير أن فرعون قد قطع أيدي السحرة وأرجلهم وصلبهم على جذوع النخيل العالية، وأن موسى ﷺ كان ييكي عليهم.

التعاليم:

١ - لا يملك الناس حرية العقيدة في النظام الطاغوتي، ﴿ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾.

٢ - يريد الطواغيت أن يسيطروا على كل شيء، حتى على أفكار الناس، ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾.

٣ - الكذاب ضعيف الذاكرة، ﴿لَمَجْنُونٌ... عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾.

٤ - قطع اليد والرجل من خلاف هو أسوأ أنواع العذاب الذي يسلب الإنسان قوته وكفاءته وتوازنه، ﴿مِنْ خِلَافٍ﴾.

٥ - يجب عدم الركون والأمان إلى الطواغيت أو الاطمئنان إليهم، فهم يريدون كل شيء لأنفسهم (فرعون الذي كان قد وعدهم قبل ساعة بأنه سيجعلهم من المقربين، هو نفسه الذي يهددهم جميعاً الآن بالقتل)، ﴿لَا أُصْلِبَنَّكُمْ﴾.

- ٦ - تعتبر الشجاعة في مواجهة الطواغيت ثمرة من ثمار الإيمان بالمعاد، ﴿لَا ضَيْرٌ﴾.
- ٧ - ييسر الإيمان بالمعاد بأفق منير من أجل المستقبل، ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾.
- ٨ - الاستشهاد في سبيل الله ليس ضرراً أو هلاكاً، ﴿لَا ضَيْرٌ﴾.
- ٩ - مَنْ آمَنَ على أساس العلم والمعرفة فإن إيمانه راسخ لا يتزعزع، ﴿لَا ضَيْرٌ﴾، (لقد ثبت السحرة الذين عرفوا المعجزة في مواجهة تهديدات فرعون).
- ١٠ - يصنّف السحر بأنه من الآثام، ودخوله في استخدام الفراعنة إثم أيضاً، ﴿خَطَيْنَا﴾.
- ١١ - الطمع في الماديات أمرٌ سلبي، لكنه إيجابي في المعنويات، ﴿نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا﴾.
- ١٢ - المغفرة شأن من شؤون ربوبية الله، ﴿يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا﴾.
- ١٣ - يجب أن يقترن الأمل في العفو بالتوبة الحقيقية والعودة إلى الله، ﴿ءَامَنَّا... نَطْمَعُ﴾.
- ١٤ - الأقدمية والسبق في الإيمان فضيلة، ﴿أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.
- ١٥ - حسن العاقبة أعظم أنواع السعادة. فها هم أولئك الذين كانوا في الضلال طوال عمرهم قد تغيروا في لحظة واحدة عندما انطلقت الشرارة ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ وصاروا من أوائل المؤمنين، ﴿كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.
- ١٦ - تفضح المؤامرة أصحابها ومدبريها (دعا فرعون السحرة حتى يكشفوا موسى ويفضحوه، ولكن فرعون نفسه فُضح بإيمان هؤلاء السحرة)، ﴿كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْنَا فَاسْلُكْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (٥٢)

إشارات:

□ ينقسم عمل النبي موسى ﷺ إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول، وهو دعوة فرعون وإظهار المعجزة تأكيداً للدعوة.

القسم الثاني، وهو إيمان السحرة بموسى وانقلابهم إلى جانبه.

القسم الثالث، وهو تحريك الأتباع والمؤمنين وتعقب فرعون والكفار لهم، وينتهي هذا القسم بعبور المؤمنين البحر وغرق الكفار.

□ تتضمن كلمة «حشر» معاني الحث والدفع والجمع.

□ مثل بنو إسرائيل منافع بالنسبة للفراعنة، ولهذا كان فرعون يمنعهم من الهجرة، وكان النبي موسى مكلفاً بأن يخرج بهم من مصر ليلاً.

التعاليم:

١ - بعد رفض دلالات الدعوة النبوية يحلّ تبعاً العذاب الإلهي الذي يبدأ بإصدار الأمر لموسى بإخراج بني إسرائيل، وينتهي بغرق الفراعنة وهلاكهم بعد أن تعقبوا موسى ومن معه، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ﴾.

٢ - تجري تحركات الأنبياء كلها وتصرفاتهم عن طريق الوحي، حتى في وقت الهجرة، ﴿وَأَوْحَيْنَا...﴾.

٣ - يجب الاستفادة من حلول الليل في مواجهة الفرعون والنضال ضده، ﴿أَسْرِ﴾.

٤ - يجب إصلاح المجتمع الفاسد أو الانفصال عنه والهجرة، ﴿أَسْرِ﴾ في حالة اليأس من الإصلاح.

٥ - لا يقتصر دور الأنبياء على النصيح والموعظة فقط، بل يتولون المسؤولية والتحرك إضافة لأعمالهم الأخرى، ﴿أَسْرِ بِعِبَادِي﴾.

- ٦ - الهجرة من المجتمع الفاسد مرحلة من مراحل النهي عن المنكر، ﴿أَسْرِ بِمَادِي﴾.
- ٧ - لا بدّ يُنجي الله تعالى عباده من الهلاك، ﴿أَسْرِ بِمَادِي﴾.
- ٨ - يعمل الطواغيت على نشر الشائعات والدعايات السلبية في المدن، ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَلَأَيْنِ خَشِيرَيْنِ﴾.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءَ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَلَئِنَّكُمْ لَفَآئِطُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَازِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾
 فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَارٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾
 كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُتْرِفِينَ ﴿٦٠﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «شرذمة» تعني طائفة قليلة العدد انفصلت عن المجموعة الأصلية الكبيرة، وقد وصف فرعون مخالفه في دعايته بالطائفة القليلة، لكن قيل في كتب التفاسير عن ابن عباس^(١) إن الذين تحركوا مع موسى ﷺ كانوا في حدود ٦٠٠٠٠٠ فرد، ومع ذلك يقول فرعون عن هذا العدد الكبير من الناس: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءَ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾.

□ «حاذرون» من «حذر» التي تعني وسيلة الدفاع، وبناءً على هذا فإن قول فرعون «إِنَّا لَجَمِيعٌ حَازِرُونَ» يعني أننا جميعاً جاهزون ومسلحون من أجل الانتقام.

□ كان الفراعنة يرون أنفسهم جماعة كبيرة في دعاياتهم ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَازِرُونَ﴾، وكانوا يصفون بني إسرائيل بالقلّة ﴿قَلِيلُونَ﴾. وكانوا يقولون: سرعان ما نسحقهم ونقتلع شأفتهم، غافلين عن أن تضامنهم قد وصل إلى حد أنهم جميعاً قد هاجروا ليلاً بإشارة واحدة من موسى ﷺ وطاعةً لأمره.

التعاليم:

- ١ - يستصغر الطواغيت الحركات الشعبية ويرون أن لا قيمة لها، ﴿لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾.

(١) تفسير مجمع البيان؛ والتفسير الكبير للرازي.

٢ - يتعمد فرعون الانحراف بأفكار الناس وإضلالهم، وذلك أسلوب طاغوتي، ﴿لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾.

٣ - يعلم الطواغيت أنهم محل كراهية ونفور، ﴿وَلَا تُهَمُّ لَنَا لَفَاطُونَ﴾.

٤ - من مقومات الإيمان بالله تعالى كراهية الطواغيت والغضب عليهم والبراءة منهم، ﴿وَلَا تُهَمُّ لَنَا لَفَاطُونَ﴾.

٥ - لا تدوم حياة البذخ والإقامة في القصور، والظلم هو مفتاح زوال القوة، ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾.

٦ - كان الفراعنة في مصر أصحاب حضارة، ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾.

٧ - من السنن الإلهية إحلال المستضعفين محل المستكبرين واستخلافهم بدلاً من الظالمين، ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾.

٨ - آلت ثروات الفراعنة وقصورهم وبساتينهم إلى بني إسرائيل، ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾.

٩ - كان خروج الفراعنة في أعقاب بني إسرائيل تدبيراً إلهياً من أجل إغراقهم، ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ... فَأَتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُورُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿١٢﴾﴾

إشارات:

- كلمة «ترأى» تعني رؤية كل منهما الآخر، و«الجمعان» هما الفريقان.
- ربما جاءت عبارة «أصحاب موسى» بدلاً من «بني إسرائيل» لتشير إلى أنه حتى أقرب المقربين من موسى قد أصابهم القلق بعد أن صار البحر أمامهم وجيش فرعون من ورائهم.

□ على الرغم من أنه لا بدّ من العلم والبصيرة لأي حركة أو ثورة أو قرار فإنه ليس من الضروري أن يدرك الإنسان الخطوة الأولى بالنسبة لكل المراحل. وهكذا لم يكن عند موسى ﷺ علم بما سيحدث حتى اللحظة التي رأى فيها

البحر أمامه والعدو من خلفه، لكنه كان يؤمن دائماً بالهداية الإلهية، ولهذا قال: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.

التعاليم:

- ١ - للزعماء السماويين قلوب مطمئنة هادئة عند الأزمات، وهم مصدر هدوء الآخرين أيضاً، ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾.
- ٢ - التشديد على اليقين من تحقق وعود الله (قال الله تعالى في الآية الخامسة عشرة من هذه السورة: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾)، ويقول موسى للناس في هذه الآية: إن الله قد وعدنا، وهو معنا)، ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾.
- ٣ - يجب عدم اليأس بل التوكل على الله عند مواجهة العدو (حتى عندما يكون البحر في ناحية وجيش العدو في الناحية الأخرى)، ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾.
- ٤ - الرسل هم سبب كرم الله ورحمته، ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، (مع ملاحظة أنَّ هداية الرسول سبب في هداية الناس).
- ٥ - يحظى الأنبياء بحماية خاصة من الله تعالى، ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾.
- ٦ - الهداية شأن من شؤون الربوبية، ﴿رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿١٣﴾
وَأَرْزَلْنَا نَمَّ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿١٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِزُّ الرَّجِيمِ ﴿١٨﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «انفلاق» تعني التشقق والانشطار، وكلمة «فِرْق» تعني القطعة، و«الطود» هو الجبل. وكأنَّ المياه التي كانت قد تجمعت في الناحيتين الجافتين صارت كالجبلين العالين على أثر انشقاق نهر النيل الكبير الذي يشبه البحر.

التعاليم:

١ - تخضع أعمال الأنبياء لإرادة الله، وتسير على هدي الوحي الإلهي، ﴿فَأَوْحَيْنَا...﴾.

٢ - يُجري الله الأحداث والمعجزات على يد أوليائه، حتى يلتفت الناس إليهم ويطيعونهم، ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ﴾، (نعم، الطبيعة ومظاهرها تحت تصرف الخاصة من عباد الله، ومُسخرة لهم بإرادة الله تعالى).

٣ - يمكن أن تتحول العصا إلى ثعبان بإرادة الله، وتُلقي الرعب في نفوس الأعداء، ثم تُصبح مفتاحاً للرحمة، وتفتح الطريق للمؤمنين.

٤ - يمكن أن تتسبب العصا حيناً في تفجر الماء من قلب الحجر بإرادة الله: ﴿أَضْرِبْ بِمِصْكِكَ الْحَجَرِ﴾^(١)، وتؤدي إلى جفاف البحر حيناً آخر، ﴿أَضْرِبْ بِمِصْكِكَ الْبَحْرَ﴾.

٥ - يترافق الكون كله بأفعاله وانفعالاته مع إرادة الله تعالى، ﴿فَأَوْحَيْنَا... وَأَرْزَقْنَا... أَهْنَيْنَا... أَغْرَقْنَا﴾.

٦ - يجني الأنصار النجاة والفلاح في ظل صحبة الأنبياء، ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ﴾.

٧ - يُنجي الله أحبائه من المشاكل المعقدة في أصعب الظروف، ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ﴾.

٨ - معجزتا انشقاق البحر وغرق الفراعنة دليل على قدرة الله وغضبه، كما أنهما وسيلة للنصح والوعظ، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾.

٩ - جرت سُنَّة الله طوال التاريخ على مبدأ نُصرة الحق وسحق الباطل، ﴿لَآيَةً﴾. كما أن الحادثة تكون آية وعبرة حينما لا يمكن تكرارها أو وقوع حادثة تشبهها على مر التاريخ.

الرغم من أن يعقوب هو ابن إسحاق، وقد أطلقت كلمة أب في هذه الآية على الجد «إبراهيم» وعلى العم «إسماعيل» أيضاً.

□ يؤدي تقليد أهل العلم والعلماء للكمال والرشد والرفي ﴿فَتَشَلُّوْا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾^(١) و﴿فِيْهِدْهُمْ أَقْتَدَ...﴾^(٢)، أمّا تقليد العوام فإنه يؤدي إلى التحجر والجمود ﴿بَلْ وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا﴾؛ لأن الثبات على التقاليد والآداب القومية والمحلية بلا نقاش أو سؤال يُفضي إلى تخدير المجتمع وسدّ طريق الفكر والتحديث ويحول دون معرفة الحقيقة.

□ إن استعراض تاريخ نبي الله إبراهيم سيكون درساً لأهل الكتاب في زمن رسول الإسلام ﷺ، وللمسلمين كذلك؛ لأن إبراهيم عليه السلام يحظى بالثناء والمدح من كل الفرق اليهودية والنصرانية.

□ كلمة «رأيتم» من الجذر «رأى» و«رؤية»، وبناءً على هذا فإن هذه الكلمة تشتمل في معناها على الرؤية بالعين والنظر بالعقل وتكوين استنتاج.

التعاليم:

١ - كُلف رسول الإسلام بالمحافظة على تاريخ الأنبياء الذين سبقوه، ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ﴾.

٢ - تتجلى الفائدة والأهمية في سيرة نبي الله إبراهيم عليه السلام، (تُطلق كلمة «نبأ» على الخبر المهم).

٣ - تترسخ فائدة السُنن والقوانين المسيطرة على التاريخ، وبناءً على هذا فإن تاريخ الأمس يمكن أن يكون درساً لأبناء اليوم، ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾.

٤ - الأولى أن نبدأ بالأهل والأقارب عند النهي عن المنكر، ﴿لِأَيِّهِ﴾.

٥ - ليس العمر شرطاً من شروط النهي عن المنكر، ﴿قَالَ لِأَيِّهِ﴾.

(١) سورة النحل: الآية ٤٣؛ وسورة الأنبياء: الآية ٧.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٩٠.

- ٦ - لا تعدّ السلطة شرطاً من شروط النهي عن المنكر، ﴿قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوِيهِ﴾، (مع ملاحظة أن إبراهيم عليه السلام كان في ذلك الوقت مطروداً من عمه).
- ٧ - يجب عدم الخوف من القلّة والوحدة عند النهي عن المنكر، ﴿قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوِيهِ﴾.
- ٨ - يجب عدم أخذ أواصر القربى في الحسبان عند الدفاع عن الحق، ﴿قَالَ لِأَيِّهِ﴾.
- ٩ - يواسي الله تعالى الرسول الأكرم ﷺ بحديثه عن أقرب أقارب إبراهيم وكيف أنهم كانوا يعبدون الأصنام ولم يطيعوه في دعوته، ﴿لِأَيِّهِ وَقَوِيهِ... نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾.
- ١٠ - يجب إيقاظ الوجدان بالسؤال في الأسلوب الدعوي، ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾، (على الرغم من أن إبراهيم عليه السلام كان يرى ماذا كان يعبد هؤلاء القوم فإنه يسألهم عن معبوداتهم من أجل أن يدفعهم إلى التفكير لكي يوقظ وجدانهم).
- ١١ - بما أنّ الإنسان هو المخلوق العابد، فإذا لم يعبد الحق فإنه سوف يتجه إلى الباطل، ﴿مَا تَعْبُدُونَ... نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾.
- ١٢ - يطرح القرآن الكريم نقاطاً حساسة وفَعَّالة عند سرده للتاريخ، ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾، (لا يشير القرآن إلى العدد والاسم والزمان والمكان في الموضوعات التي يرويها من الماضي، وإنما يعرض الرسالة والمحتوى الذي يدفع إلى الاعتبار).
- ١٣ - يجب البدء بالتصدي للمنكرات المهمة عند النهي عن المنكر، ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾، (نعم، أقيح مُنْكَر هو الشرك بالله تعالى).
- ١٤ - ليست كل عبادة مهمة، بل المهم هو نوع المعبود ومقدار إدراكه وتعقله، ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾.
- ١٥ - ليست العبادة مطلباً عابراً، بل لها جذور في أعماق الروح، ﴿عَنكِفِينَ﴾.
- ١٦ - الإصرار والفخر بالانحراف أسوأ من الانحراف نفسه، ﴿نَنْظُلُ لَهَا عَنكِفِينَ﴾، (كلمة «نظل» تعني أننا نعبد الأصنام باستمرار، وكلمة «عاكفين» تعني أننا نلزم القيام على عبادتها).

- ١٧ - الحوار والمنطق هما أول خطوة في الدعوة، ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكَ... أَوْ يَفْعَلُونَكَ﴾.
- ١٨ - إذا كان الدافع إلى العبادة هو جلب المنفعة أو دفع الضرر، فالأصنام لا تملك هذا أو ذاك، ﴿يَفْعَلُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ﴾.
- ١٩ - يجب أن يكون أسلوب الاستدلال مع العوام واضحاً يمكن فهمه، ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَفْعَلُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ﴾.
- ٢٠ - لا يجوز التقليد في العقائد، ﴿وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا﴾.
- ٢١ - قد تضرر أحياناً بعض آداب الآباء والأجداد وتقاليدهم فتقطع الطريق على العقل والمنطق، ﴿وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا﴾.
- ٢٢ - لا تُعدّ الأقدمية أو السبق دليلاً على الحق، ﴿وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا﴾.
- ٢٣ - يؤمن عبدة الأصنام أيضاً بعدم تأثيرها؛ ولكنهم يقتدون بآبائهم وأجدادهم فقط، ﴿بَلْ وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا﴾.
- ٢٤ - يجب الابتعاد عن التعصب والقومية، ﴿وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا﴾.
- ٢٥ - الجهل والسذاجة هما مهد الانحراف وأرضية الضلال، ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾، (ليس للشرك أساس علمي أو استدلالي).
- ٢٦ - التدبر والتعقل ضروريان من أجل الإنسان، ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾.
- ٢٧ - لا بد من المناظرة والنقاش والاحتجاج بين الأفكار المختلفة، ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ...﴾.

﴿فَأَنبَأَهُمُ عَدُوٌّ لِّإِلَهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُسَيِّئُ ثُمَّ يُحْيِيهِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾

إشارات:

□ كل المعبودات تغدو أعداء لنا إلا الله رب العالمين، لأن الأصنام والأوثان تنطق يوم القيامة وتتكلم، وسوف تشكو عبّادها كما يقول القرآن الكريم: ﴿كَلَّا

سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا^(١)، فالأصنام تُبدي كراهيتها يوم القيامة لمن عبدها من الكفار والمشركين، وتقف ضدهم في خصومة، وهكذا تُظهر عداوتها لهم^(٢).

□ ينحصر خطأ الأنبياء في ترك الأولى، وإلا فإن إبراهيم عليه السلام قد وُصف بصفات من قبيل المُختار للمدح والثناء، ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالَمَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ﴾^(٣).

التعاليم:

- ١ - تعادي المعبودات الخيالية والكاذبة فكر البشرية وسعادتها وتكاملها، ﴿عَدُوٌّ لِّي...﴾.
- ٢ - يضع الداعي نفسه مكان الآخرين أحياناً عند دعوتهم، فقد قال تعالى: ﴿عَدُوٌّ لِّي﴾ ولم يقل سبحانه: «عدو لكم».
- ٣ - إن خلق الإنسان فضلٌ من أعظم الأفضال الإلهية، ﴿الَّذِي خَلَقَنِي﴾.
- ٤ - من يخلق هو الذي يملك حق الهداية، ﴿خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾، لأن تدبير أمور الخلق لا ينفصل عن هدايتهم.
- ٥ - الدليل على حب الله لعباده أنه خلقهم وهداهم وهذا ما تعجز عنه الأصنام، ﴿عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾.
- ٦ - تعتبر الهداية شأنًا من شؤون الربوبية، ﴿رَبَّ الْعَالَمِينَ... فَهُوَ يَهْدِينِ﴾.
- ٧ - نعمة الهداية هي أعظم النعم بعد نعمة الخلق، ﴿خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾.
- ٨ - يحصل الخلق مرة واحدة، أمّا الهداية فإنها مستمرة في كل لحظة، (الفعل «خَلَقَنِي» في صيغة الماضي، أمّا الفعل «يَهْدِينِ» فهو في صيغة المضارع الذي يفيد الاستمرار).

(١) سورة مريم: الآية ٨٢.

(٢) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ٢٤، ص ١٤٢ وما بعدها.

(٣) سورة ص: الآية ٤٦.

- ٩ - يكون شبع الإنسان وارتوائه من فضل الله تعالى، وإنما الخبز والماء وسيلة فقط، ﴿يَطْعَمُنِي وَيَسْقِينِي﴾.
- ١٠ - يقدم الله الاهتمام بالنعم المعنوية على الاهتمام بالنعم المادية، ولهذا قال تعالى: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِي﴾، ثم قال: ﴿يَطْعَمُنِي وَيَسْقِينِي﴾.
- ١١ - الناس لهم دورٌ في ظهور المرض، فقد قال تعالى: ﴿مَرَضْتُ﴾، ولم يقل سبحانه: «أمرضني».
- ١٢ - يحصل الشفاء من عند الله، وما الدواء إلا وسيلة، وتأثيره مرهونٌ بإرادة الله أيضاً، ﴿فَهُوَ يَشْفِينِي﴾.
- ١٣ - من الضروري أن يتلازم شفاء الروح مع شفاء البدن، ﴿فَهُوَ يَهْدِينِي... فَهُوَ يَشْفِينِي﴾.
- ١٤ - تتجلى قيمة السجع بين الكلمات في الحديث والخطابة، ﴿يَهْدِينِي... يَسْقِينِي... يَشْفِينِي... يُخَيِّبُنِي﴾.
- ١٥ - في المنظور الإلهي الموت ليس نهاية الأمر، وإنما هو مرحلة من مراحل الحياة، ﴿يُيَسِّتُنِي ثُمَّ يُخَيِّبُنِي﴾.
- ١٦ - يعود إلى الله تعالى صنع كل شيء في الكون (التوحيد في الأفعال)، ﴿يَهْدِينِي... وَيَسْقِينِي... يَشْفِينِي... يُخَيِّبُنِي﴾.
- ١٧ - يجب إزالة الشرك في كل مجال وأرضية أو ميدان (استخدمت كلمة «هو» ثلاث مرات عند الحديث عن نعم الهداية والإطعام والشفاء، ولكنها لم تُستخدم في الحديث عن الخلق والموت والحياة، وربما كان السبب في ذلك هو أن الجميع ينسب الخلق والموت لله تعالى، ولا مجال هنا للشرك، ولكن الإرشاد والإطعام والشفاء أمور تُنسب إلى الناس والدواء والطبيب والغذاء، ولهذا يستخدم القرآن الكريم كلمة «هو» من أجل الإبقاء على روح التوحيد حيّة، أي أن كل الأمور في يد الله تعالى وحده).

- ١٨ - إن شكر الله هو من فلسفات العبادة (قال إبراهيم عليه السلام لعنه وقومه: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي شيء تعبدون؟ قالوا: الأصنام. فبيّن لهم إبراهيم فلسفة عبادة الله

في هذه الآيات)، ﴿خَلَقَنِي... يَهْدِينِ... يُطْعِمُنِي... وَسَقِينِي... يَشْفِينِي... يُسَيِّئُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي﴾

١٩ - لا يمكن لأحد أن يستغني عن فضل الله، ﴿أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ...﴾، وإذا كان خليل الله إبراهيم نفسه يرى أنه في حاجة إلى المغفرة الإلهية، فما بالنا نحن؟
٢٠ - العفو الإلهي فضل من الله وليس استحقاقاً لنا، ﴿أَطْمَعُ﴾، نعم، علينا ألا نعتمد على أعمالنا؛ لأن إبراهيم عليه السلام كان يرنو إلى عفو الله، ولا ينظر إلى جزاء عمله.

٢١ - الأمل والرجاء هما قيمة من القيم، ﴿أَطْمَعُ﴾.

٢٢ - تتعلّق القلوب بعفو الله ومغفرته إيماناً بربوبيته تعالى، ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ... أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي﴾.

٢٣ - طلب المغفرة من سلوك الأنبياء، ﴿يَغْفِرَ لِي﴾.

٢٤ - لولا فضل الله لكان الإنسان عُرضة للخطأ في أي مرحلة من مراحل حياته، ﴿خَطِيئَتِي﴾.

٢٥ - يتجلى المبدأ والمعاد بوضوح في كلام الأنبياء، ﴿خَلَقَنِي... يَوْمَ الْآزِمِ﴾.

٢٦ - يملك الله تعالى احتياجات الإنسان المادية والمعنوية من بداية حياته إلى نهايتها، ﴿خَلَقَنِي... يَوْمَ الْآزِمِ﴾.

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ﴾ (٨٢)

إشارات:

□ كلمة «حُكْم» يمكن أن تكون بمعنى الحُكم والإشراف وتدبير الأمور، أو بمعنى العلم والمعرفة، ولا شك أن كلمة «حُكْم» لها معنى أرفع من الحكمة، لأن الحكمة هي القدرة على تمييز الحق من الباطل فقط، أمّا كلمة حُكْم فهي المعرفة المصحوبة بالاستعداد لتطبيق هذا الحق.

□ تلخص سعادة الإنسان في عدة موارد، وقد وردت في دعاء إبراهيم عليه السلام:

- أ - معرفة الله والعلم العميق به، ﴿هَبْ لِي حُكْمًا﴾.
 ب - العيش في المجتمع الصالح، ﴿وَالْحَقِّقِي بِالصَّالِحِينَ﴾.
 ج - تحصيل الذكر الطيب على امتداد التاريخ، ﴿لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾.
 د - الوصول إلى جنة الخلد، ﴿وَرِثَةُ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾.

التعاليم:

- ١ - يجب على الإنسان أن يستعين بالله تعالى للوصول إلى الكمال، ﴿رَبِّ هَبْ لِي...﴾.
 ٢ - مناجاة الله بكلمة «رب» أمر مؤثر في الاستجابة للدعاء، ﴿رَبِّ﴾.
 ٣ - من أفضال الله وهباته الحكمة والرؤية المصحوبة بالعمل، ﴿هَبْ لِي حُكْمًا﴾.
 ٤ - يجب ذكر نعم الله وشكره عليها قبل طلب المزيد منها، ﴿خَلَقَنِي... يَهْدِينِ... يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ... يَشْفِينِ... رَبِّ هَبْ لِي﴾.
 ٥ - لا تجدي الحكمة نفعاً إذا كانت البيئة بيئة سوء، ﴿هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقِي﴾.
 ٦ - إذا صَحَّت الرؤية والفكر، صَحَّ السلوك والقول أيضاً، (الحكمة تعني صحة الرؤية والفهم والنظر)، ﴿حُكْمًا﴾.
 ٧ - ليست الحكمة النظرية وحدها التي تفيد وتنجي، بل يجب أن تقترن الحكمة بالعمل، ﴿هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقِي بِالصَّالِحِينَ﴾.
 ٨ - أعلى درجات السعادة هي التمتع بالحكمة والمعرفة في النفس، ومخالطة الصالحين في المجتمع الصالح، ﴿حُكْمًا وَالْحَقِّقِي بِالصَّالِحِينَ﴾.
 ٩ - تتقدم الحكمة والمعرفة والبصيرة على العمل، ﴿هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقِي﴾.
 ١٠ - يجب تعلّم أفضل الدعاء من خير الناس، (خيرُ الناس هم الأنبياء، ونبى الله إبراهيم ﷺ واحد من أعظم الأنبياء، وهو يطلب من الله في الدعاء، المغفرة

والحكمة والذكر الحسن وحسن العاقبة، ويطلب من الله في الآيات الأخرى،
الأبناء الصالحين والأتباع المسلمين).

١١ - طلب الحكم من أجل تنفيذ الأحكام الإلهية وليس من أجل السلطة أو
الجاه، ﴿هَبْ لِي حُكْمًا﴾.

١٢ - يجب عدم الانزواء، ولا الانجذاب إلى الفاسدين المنحرفين، ﴿وَالْحَقِّنِي
بِالصَّالِحِينَ﴾.

١٣ - تزداد رفعة المجتمع قيمة حينما يكون أفراد صالحين، ﴿وَالْحَقِّنِي
بِالصَّالِحِينَ﴾.

١٤ - يحتاج الإنسان إلى الرفقة الصالحة، ﴿وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَجَعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٨٤) ﴿وَجَعَلَنِي مِنْ ذُرِّيَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ (٨٥)

إشارات:

□ وردت حادثة ذبح إسماعيل في الآية ١٠٨ من سورة الصافات، حيث يقول
تعالى: ﴿وَرَزَّكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾، أي أننا جعلنا التضحية في مراسم الحج سنة
واجبة، وتركنا الذكر الجميل والثناء الحسن لإبراهيم بسبب تسليمه لله، وهكذا
استجبنا دعاءه الذي قال فيه: ﴿وَجَعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾.

ويقول الله تعالى أيضاً في الآية ٥٠ من سورة مريم بعد ذكره أسماء إبراهيم
وإسحاق ويعقوب عليه السلام: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾، أي أننا جعلنا لهم
ذكراً حسناً وثناءً جميلاً.

□ وعن الإمام علي عليه السلام: «ولسان الصدق للمرء يجعله الله في الناس خيراً من
المال يأكله ويورثه»^(١).

□ فُسر الذكر الحسن والثناء الجميل في الروايات بأن المقصود به هو النبي
محمد ﷺ وعلي عليه السلام^(٢). ورأى البعض أن الدليل على هذا هو أن الرسول

(٢) تفسير كنز الدقائق.

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٣٤.

الأكرم ﷺ قد قال: «أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ»^(١)، أي أنني أثرُ دعاءِ أبي إبراهيم. وبناءً على هذا فإن المُراد من قوله لسان صدق في الآخرين هو الأنبياء من نسله الذين حافظوا على مدرسة التوحيد حيّة، وهذه الأمانة تتناسب مع مقام رسول إبراهيم عليه السلام.

□ وورد في الروايات أن الإنسان عندما يموت يُغلق ملف أعماله، إلا إذا ترك صدقة جارية كالوقف، أو علماً مفيداً يبقى من بعده، أو ولدًا صالحاً يدعو له بالخير^(٢)، وعن النبي ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْمُؤْمِنُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ»^(٣).

□ وجاء في الروايات أن المؤمن يدخل الجنة بعدما يرى مقعده من النار ليزداد شكرًا، والكافر يدخل النار بعدما يرى مقعده من الجنة لتكون عليه حسرة، فكأن الكافر يرث عن المؤمن مقعده في الجنة، والمؤمن يرث عن الكافر مقعده في النار^(٤).

التعاليم:

١ - علينا أن نطلب من الله الإبقاء على هدايته ونهجه وأن يظل ذكرهما حسنًا، ﴿وَأَجْمَلْ لِي﴾.

٢ - أهمية المدح أن يكون صادقاً وليس من باب التملق، ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾.

٣ - يجب مراعاة أجيال المستقبل والتحسب لأحكامهم، ﴿لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾.

٤ - اتفق رأي اليهود والنصارى والمسلمين على عظمة إبراهيم وهذا دليل على استجابة الله دعاءه، ﴿لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾.

٥ - من صفات الإنسان الجيد والمؤمن أنه يطلب المحبة الدنيوية والسعادة الأخروية، ﴿لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾.

(٣) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٢.

(٤) تفسير نور الثقلين، ج ٢، ص ٣١.

(١) تفسير القمي، ج ١، ص ٦٢.

(٢) وسائل الشيعة، ج ٦، ص ٢٩٣.

٦ - يستفيد الإنسان بعد الموت من دعاء الآخرين له بالخير والسُنن الحسنة التي كان قد سَنّها قبل موته، ﴿لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾.

٧ - يجب التأمل البعيد بالمستقبل وعدم الاكتفاء بالخطط قصيرة المدى، ﴿لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾.

٨ - ينال المؤمن الجنة هبة بلا معاناة في الحصول عليها إذا قيس بأعماله المطلوبة منه، ﴿وَرَبِّهِ جَنَّةٌ نَّعِيمٌ﴾، لأن الإرث كلمة تُطلق على المال الذي يحصل عليه الإنسان بلا تعب أو بذل جهد.

﴿وَأَعِزَّ لَأَيِّ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِينَ﴾ (٨٦) وَلَا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧)
يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾

إشارات:

□ الشائع هو أن المقصود بالأب هنا هو عم إبراهيم، فلا يجوز الدعاء للكافر كما قال القرآن الكريم. وبناءً على هذا فإن إبراهيم عليه السلام دعا من أجل عمه الكافر بسبب أنه كان قد وعده بالدعاء، وذلك لأنه كان ما يزال يرجو إيمانه، ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾^(١)، لكنه تبرأ من عمه بمجرد أن أيقن أنه لن يؤمن، ﴿وَمَا كَانَتْ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾^(٢).

□ الروح الطاهرة هي التي تتطهر من التعلق بالدنيا والتلوّث بالشرك والكفر والنفاق والتكبر والأمراض القلبية كلها، والقلب السليم هو القلب المؤمن، لأن الله تعالى يقول في شأن المنافقين: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾.

وقد ورد في الحديث أن القلب السليم هو القلب الذي يلقي ربه وليس فيه أحد سواه. وأن كل قلب فيه شرك أو شك فهو ساقط^(٣).

(٣) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٥٨.

(١) سورة مريم: الآية ٤٧.

(٢) سورة التوبة: الآية ١١٤.

□ كان الرسول الأكرم ﷺ يدعو في صلاته بهذا الدعاء: «اللهم لا تُخزني يوم القيامة»، أي لا تدلني يوم القيامة ولا تفضحني^(١).

□ سؤال: نقرأ في الروايات أن هناك ما يفيد الإنسان يوم القيامة، من قبيل إنفاق المال والصدقة الجارية والأولاد الصالحين الذين يدعون من أجل آبائهم، فما هي إذن العلاقة التي تربط بين الآية التي تقول: ﴿لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ وبين هذه الروايات؟

الجواب: المقصود بهذه الآية هو المال الذي لا يأتي من حلال، والابن الذي لا يلتزم بالخط الإلهي.

وبناءً على هذا، فإن الدنيا كالمفتاح الذي يُغلق الباب بحركة ويفتحه بحركة أخرى، فالمال الحلال في يد الإنسان الصالح سببٌ للقرب، وفي يد الطالح وسيلة للذنب.

وقديماً قيل في الشعر ما ترجمته:

فلتحمل المال إذا كان للدين، فقد قال الرسول «نعم المال الصالح».
ما الذي يشغل الناس عن الله؟ أليس الحرير والفضة والزوجة والولد.
إنَّ الماء في السفينة هلاك لها، والماء خارجها مدد لها وحماية^(٢).

التعاليم:

- ١ - يجب أن تقتزن محبة الأقارب والدعاء لهم بنهيهم عن المنكر وانتقاد أخطائهم، ﴿قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ... وَأَعْفِرْ لِأَيِّهِ﴾.
- ٢ - المقدمات الدنيوية لا أثر لها يوم القيامة، ولا شيء يُجدي نفعاً غير القلب الطاهر، ﴿حَطَّيْنِي يَوْمَ الدِّينِ... بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.
- ٣ - يجب أن يتلازم الخوف مع الرجاء، ﴿أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي... وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾.
- ٤ - يجب ألا يغفل الإنسان عن القيامة في أي مرحلة من مراحل حياته، ﴿وَلَا تُخْزِنِي...﴾.

٥ - يطلع بعض الناس على عيوب بعضهم الآخر يوم القيامة أيضاً، ﴿وَلَا تُخْزِي﴾، لأن الفضيحة تقع عندما يطلع الآخرون على خصوصيات وسلوك وأقوال المنحرفين.

٦ - الذل والفضيحة من أشد الحالات قسوة يوم القيامة، ﴿وَلَا تُخْزِي﴾، ولهذا يسأل إبراهيم عليه السلام عدم الفضيحة من بين كل أهوال يوم القيامة.

٧ - التعرض للازدراء والذل والخزي أسوأ من عذاب الجحيم يوم القيامة، ﴿وَلَا تُخْزِي﴾، ونحن نقرأ في موضع آخر من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾^(١).

٨ - كل ما له قيمة مادية في الدنيا يفقد قيمته في الآخرة، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾، فالمال يرمز إلى المسائل المادية، والبنون أو الأبناء يُمثلون القضايا العاطفية، أي أن المال والولد والمقام والشهرة والمؤهل و... أمور لا تُشرف صاحبها يوم القيامة.

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرُزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾
وَقِيلَ لِمَ أَنتُمْ إِنَّمَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٩٣﴾
فَكَبِكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودٌ إِبِلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «أزلفت» تعني قُرِبت وأدْنيت، وكلمة «بُرُزَت» من «بروز» التي تعني الظهور البَيِّن. أمَّا كلمة «غاوين» فإنها من «غواء» التي تُطلق على الشر والجهل اللذين ينشآن عن فساد العقيدة. وتعني كلمة «كَب» أَسْقَطَ بالوجه على الأرض، و«كَبَكَب» تعني تكرار الفعل مرات متتالية، وكأنَّ أهل الجحيم يسقطون مرة بعد مرة ويلقون في جهنم كما يسقط الشيء على درج السلم، فيتدحرج على كل درجة من درجاته.

□ عن الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام إِنَّ الَّذِينَ يَصْدُقُ عَلَيْهِمْ قَوْلُهُ وَالَّذِينَ : ﴿فَكُنْكُمْ فِيهَا هُمْ وَالْفَاؤُنْ﴾ «هم قوم وصفوا عدلاً بالسنتهم ثم خالفوه إلى غيره»^(١).

□ ويرى صاحب تفسير أطيب البيان أن المراد من اقتراب الجنة ودنوها وبروز الجحيم هو انفتاح باب للجنة على قبر المؤمن، وانفتاح باب من الجحيم على قبر الكافر.

التعاليم:

١ - مقام المؤمن التقى أعلى من الجنة، ولهذا فالجنة هي التي تأتي إليه، ﴿وَأُزْلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، نعم، فالذي يهجر الذنوب في الدنيا تستقبله الجنة يوم القيامة بكل ما تملكه من العظمة.

٢ - يقدم الله وعده على وعيده، ﴿وَأُزْلِفَتْ الْجَنَّةُ... وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ﴾.

٣ - تُتاح رؤية الجحيم ووسائل العذاب كنوع من أنواع العذاب لأهل النار الذين سيلقونه، ﴿وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ﴾.

٤ - يستخدم التوبيخ كنوع من العذاب الروحي يوم القيامة، ﴿قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ...﴾.

٥ - تلعب اعتقادات الإنسان دوراً مهماً في مصيره، ﴿قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾.

٦ - يُطرح السؤال يوم القيامة عن العقائد والأفكار، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾.

٧ - توجد روح العبادة في البشر أجمعين، على الرغم من أنها تنحرف وتضل لدى البعض منهم، ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾.

٨ - تذهب المعبودات الخيالية إلى الجحيم، وكذلك عبادة الضالون، ﴿هُمُ وَالْفَاؤُنْ﴾.

﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ ٩٦ ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ٩٧
 ﴿إِذْ تُسَوِّىكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٩٨ ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ ٩٩

إشارات:

□ يسود أجواء جهنم اللوم والتنازع واللعن، وذلك على خلاف أجواء الجنة التي يشيع فيها السلم والسلامة: (لعن الأتباع لمن تبعوهم من الزعماء الفاسدين، ولوم المجرمين للشيطان، وكراهية المعبودات للمشركين الذين عبدوها، وبراءة المجرمين أحدهم من الآخر)، وتوجد الكثير من الآيات في القرآن الكريم حول هذا الشأن.

التعاليم:

- ١ - ينشأ بين أهل الجحيم جدال وحوار ونقاش وتخاصم (المشركون يشتبكون مع آلهتهم التي عبدوها دائماً)، ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾.
- ٢ - يتحول كل حُب غير مقدّس وغير إلهي إلى عداوة يوم القيامة، ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾، ونقرأ في الآية السابعة والستين من سورة الزخرف قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾.
- ٣ - يستيقظ الوجدان يوم القيامة، ﴿إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.
- ٤ - يكون الشرك بالله حينما يوضع أحد بموازاته أو يُتخذ معه شيء كسند، ﴿إِذْ تُسَوِّىكُمْ﴾، ويصدق قوله تعالى ﴿تُسَوِّىكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على قول الناس: «بسم الله وباسم الشعب».
- ٥ - يُلقى كل مقصّر تبعات تقصيره على عاتق الآخرين يوم القيامة، ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾.
- ٦ - يشكو المشركون من زعمائهم وقادتهم يوم القيامة، ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِظٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٤﴾

إشارات:

□ وردت في تفسير مجمع البيان روايات عن أن الأئمة المعصومين عليهم السلام قد أقسموا بأن يشفعوا للشيعة.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن المؤمن لبشفع يوم القيامة لأهل بيته فيشفع فيهم حتى يبقى خادمه، فيقول ويرفع سبابتيه: خُودِمِي كان يقينى الحر والبرد فيُشفع فيه»^(١).

□ كما قال أيضاً: «والله لنشفعن لشيعتنا ثلاث مرات حتى يقول الناس: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ»^(٢).

□ وورد عن الرسول ﷺ أن القرآن والبيت المؤمن والرسول وأهل بيته عليهم السلام يشفعون يوم القيامة^(٣).

التعاليم:

١ - الشفاعة يوم القيامة أمر قطعي، لكن فريقاً من الناس لا يستفيد منها، (بينهم المشركون)، ﴿إِذْ تُسَوِّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ... فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾.

٢ - لا جدوى من وراء محبة المجرمين يوم القيامة، ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾.

٣ - يحتاج الإنسان إلى الصديق الحميم حتى في يوم القيامة، ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾.

٤ - الإيمان هو شرط الحصول على الشفاعة، ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ... فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

٥ - تتجلى الحسرة والندامة في يوم القيامة، ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾.

(١) مجمع البيان، مج ٧ - ٨، ص ٣٠٥ - ٣٠٦. (٢) كنز العمال، ج ١٤، ص ٤٠٧.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ٢٩٠.

- ٦ - لا تجدي الآيات الإلهية الكبرى نفعاً في هداية الناس إذا لم يرغبوا في ذلك وأظهروا العناد، ﴿لَايَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.
- ٧ - من الصفات الإلهية الرحمة مع العزة، ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.
- ٨ - يخاطب الله نبيه بما معناه: «أيها الرسول! لا تقلق من ضلال الأغلبية وانحرافها، لأنك تتمتع بحماية خاصة منا، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْءِنٌّ فَخِيمٌ﴾».
- ٩ - يمنح الله المهلة للمنحرفين الضالين ليس عن ضعفٍ وعجز، وإنما من قبيل الرحمة واللفظ، ولعلمهم يتوبون إلى الله، ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نَنْفَقُونَ ﴿١٥٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٥٧﴾ فَانْقُذُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ قَالُوا أَنْزِلْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١٦١﴾﴾

إشارات:

- ورد اسم نوح ﷺ ٤٣ مرة في القرآن الكريم، وقال الله تعالى إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ شِيعَتِهِ ﴿وَاتَّكَ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾^(١)، وهناك «سورة نوح» في القرآن. وسلامُ الله على نوح سلامٌ خاص، فقد قال تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾^(٢)، علماً أنه سَلِّمَ أيضاً على موسى وهارون وإبراهيم ﷺ، ولكن جملة «في العالمين» لم ترد في السلام عليهم.
- الاطلاع على تاريخ الأنبياء يزيد شغف الإنسان بهم، ويُحيي فيه روح الصبر والاستقامة.

التعاليم:

- ١ - يلتقي جميع الأنبياء على هدفٍ واحدٍ، ولهذا فإنَّ تكذيب نبي واحد هو بمثابة

تكذيب للأنبياء جميعاً، ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾، (لم يكذب قوم نوح ﷺ رسولهم فقط، وإنما كذبوا الرسل جميعاً، ولذلك يقول القرآن: «المرسلين»).

٢ - تُعرف القبائل والأمم باسم قادتها وزعمائها والشخصيات المعروفة فيها، ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾.

٣ - سبق أن جاء أنبياء عديدون قبل نوح ﷺ، ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾.

٤ - يجب الإفادة من العواطف في الدعوة للدين، ﴿أَخُوهُمْ﴾.

٥ - كانت أخلاق الأنبياء وتصرفاتهم مع أهل زمانهم أخوية، ﴿أَخُوهُمْ﴾.

٦ - من الضروري أن يطلع صاحب الدعوة على ثقافة الناس ولغتهم وآدابهم وتقاليدهم ونقاط الضعف والقوة فيهم، ﴿أَخُوهُمْ﴾ فالذي يكون أخاً للناس يعرف أفكارهم وآدابهم ونقاط ضعفهم وقوتهم.

٧ - يجب إيقاظ وجدان الناس بالسؤال، ﴿أَلَا نُنْفِقُونَ﴾.

٨ - تعتبر حالة التقوى من لوازم قبول دعوة الأنبياء وإظهار الطاعة، ﴿أَلَا نُنْفِقُونَ﴾.

٩ - تسعى النبوة لمصلحة البشرية ومن أجل نجاة الإنسان، ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولُ أَمِينٍ﴾.

١٠ - تُعدُّ الأمانة، والماضي الطيب، والشفقة، من شروط تأثير الكلام في الآخرين، ﴿لَكُمْ رَسُولُ أَمِينٍ﴾.

١١ - توفر صفة الأمانة شرط أصلي في الرسول الذي يحمل الدعوة، ﴿رَسُولُ أَمِينٍ﴾.

١٢ - يجب ذكر محاسن الصفات في بعض المواضع، ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولُ أَمِينٍ﴾.

١٣ - لا ينفصل التدين عن طاعة رسول الله، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾، نعم، فاتباع الأنبياء بلورة للتقوى.

١٤ - دعوة النبي الناس إلى طاعته لا تمنع إحياء أمر الله تعالى، فقد جاءت كلمة ﴿وَأَطِيعُوا﴾ إلى جوار قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

١٥ - لا يجب على من يدعو إلى الله أن ينتظر شيئاً من الناس أو أن يطلب منهم أجراً (الإخلاص شرط من أجل تأثير الكلام في الناس)، ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾.

١٦ - مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ يَسْتَغْنِ عَنِ النَّاسِ، ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ... إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

١٧ - أَلَزَمَ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ بِالْأَجْرِ لِلدَّاعِينَ إِلَى سَبِيلِهِ، ﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ...﴾.

١٨ - لَا يَجُوزُ أَنْ يُتَّهَمَ الزَّعِيمُ الدِّينِيَّ بِحُبِّ الدُّنْيَا، ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾.

١٩ - وَرَدَّتِ الدَّعْوَةُ إِلَى سَدِّ طَرِيقِ الْحُجَجِ وَالذَّرَائِعِ، وَعَدَمِ الْقِيَامِ بِالْأَعْمَالِ الْمَعْنَوِيَةِ بَنِيَّةَ الْأَجْرِ وَرَغْبَةً فِي الْمَقَابِلِ الْمَادِّيِّ، ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْآيَةِ ٤٦ مِنْ سُورَةِ الْقَلَمِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ يَنْفَرُوا مَقْرَرٍ مُثْقَلُونَ﴾.

٢٠ - الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالتَّقْوَى الْإِلَهِيَّةُ هُمَا خَلْفِيَّةُ الْإِيمَانِ بِالرَّسُولِ وَطَاعَتِهِ، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

٢١ - لَا بَدَّ مِنَ التَّكْرَارِ فِي مَجَالِ التَّرْبِيَةِ وَالْكَمَالِ، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ...﴾.

٢٢ - يُمْكِنُ أَنْ يَمْنَعَ الْاسْتِكْبَارُ الْإِيمَانَ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي نَظَرِ الْمُسْتَكْبِرِينَ أَرَادِلَ وَأَسَافِلَ، ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾.

٢٣ - كَانَ أَكْثَرُ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالْمَغْمُورِينَ، ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾.

٢٤ - لَا يَجِبُ ازْدِرَاءُ كَلِمَةِ الْحَقِّ وَمُدْرَسَتُهُ بِدَاعِي أَنْ أَنْصَارَهُ وَأَتْبَاعَهُ مِنَ الْمَغْمُورِينَ، ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾.

٢٥ - تَقْضِي تَعَالِيمُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى التَّفَرُّقَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الْخَاطِئَةِ وَتَزِيلِهَا، ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾.

﴿قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾
﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾

إشارات:

□ نحن مأمورون في الإسلام أن نأخذ بالظاهر، وإذا آمن أحدٌ بالإسلام فليس من

حقنا أن نقول له: ليس في قلبك إيمان، ﴿وَلَا نَقُولُ لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾^(١).

□ ويأمر القرآن الكريم الرسول في آية أخرى فيقول له: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

التعاليم:

- ١ - لا علم للرسول بما سلف من أعمال الناس إلا بإرادة الله تعالى، ﴿وَمَا عَلَيَّ﴾.
- ٢ - ليس من العيب أن تقول: «لا أعلم»، ﴿وَمَا عَلَيَّ﴾ عندما لا يكون لديك علم.
- ٣ - يعرف الله عبده، وهو الذي يُحاسبه، ولا شأن لنا كي نقبل هذا أو نرفض ذلك، ﴿وَمَا عَلَيَّ...﴾.
- ٤ - لا يجوز التجسس على حياة الناس الخاصة والبحث عن عيوبهم، ﴿وَمَا عَلَيَّ...﴾.
- ٥ - يجب النظر عند الحكم على الآخرين إلى إيمانهم الصادق وعملهم الصالح اليوم، ولا أهمية لذكر ماضيهم، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.
- ٦ - لا يمنع الماضي السيئ تغيير الناس وتحولهم وتوبتهم إلى الله، ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.
- ٧ - وظيفة الأنبياء هي إصلاح الناس ودعوتهم إلى التوحيد، وهم ليسوا مسؤولين عن حسابهم، ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾.

(١) سورة النساء: الآية ٩٤.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٥٢.

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ
بِنُوحٍ لَّتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾
فَأَفْتَحَ بَنِي وَصَّيْنَهُمْ فَتَمَّ وَنَجَّى وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾

إشارات:

□ توقع المُستكبرون من الأنبياء طرد الفقراء المجهولين المؤمنين، وكان الأنبياء جميعاً يرفضون هذا الاقتراح.

يأمر الله تعالى الرسول الأكرم ﷺ في الآية ٢٨ من سورة الكهف فيقول: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾. أي اجعل نفسك مع المؤمنين الذين يدعون الله بإخلاص بالليل والنهار، ولا تغض الطرف عنهم رغبة في التمتع بزينة الحياة الدنيا، ولا تتبع الغافلين وأهل الأهواء والشهوات والذين تجاوزوا الصواب.

□ تُشير جُملة «من المرجومين» التي جاءت بدلاً من «لنرجمك» إلى أن هناك مَنْ كان يُرجم بالحجارة قبل عهد نوح ﷺ.

التعاليم:

- ١ - يجب مواجهة اقتراحات المُتكبرين وتوقعاتهم غير المناسبة بحزم وصرامة، (لا يجوز طرد الفقراء المؤمنين حتى لو كان الثمن هو إيمان فريق آخر من الناس)، ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ...﴾.
- ٢ - معيار أهميّة الناس هو الإيمان، وليس الموقع الاجتماعي والاقتصادي، ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ...﴾.
- ٣ - يجب أن يصل الجذب إلى حده الأقصى، أما الدفع فيلزم أن يحصل إذا استدعت الضرورة فقط، ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ...﴾.
- ٤ - ورد التخويف والتحذير وإنذار الأنبياء للناس أكثر من البشارات على

أُستنتهم، فقد قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾، ولم يقل سبحانه: ﴿إِن أَنَا إِلَّا بَشِيرٌ﴾.

٥ - تحذير الغافل من الأخطار أفضل أسلوب من أجل الهداية والإرشاد، ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾.

٦ - التهديد واحد من أهم أسلحة المخالفين للأنبياء، ﴿مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾.

٧ - استخدم الرجم بالحجارة كواحد من أقدم أنواع التعذيب، ﴿مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾.

٨ - يجب أن نستعين بالله تعالى في مواجهة العدو، ﴿قَالَ رَبِّ﴾.

٩ - كان تضرع نوح عليه السلام من أجل تكذيبهم لمنهجه، وليس بسبب تهديدهم له بالرجم. فقد قال: ﴿رَبِّ إِنِّي قَوِيٌّ كَذْبُونٌ﴾ ولم يقل: «يرجمون».

١٠ - لا شك في أن الله تعالى هو حلال العقد والمشاكل، ﴿فَأَقْصَ﴾.

١١ - هناك فريق من الناس كان يؤمن بالأنبياء على الرغم من التهديد والاختناق، ﴿وَمَنْ مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

١٢ - الشيء المهم هو المصاحبة العملية والمنهجية، وليست المرافقة المادية والظاهرية، ﴿وَمَنْ مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

١٣ - يشمل دعاء الأنبياء المؤمنين، ﴿وَيَحْيَىٰ وَمَنْ مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

١٤ - الإيمان وحده لا يكفي، بل لا بد من الاتباع والترافق، ﴿وَمَنْ مَّعِيَ﴾؛ وهكذا يقول القرآن الكريم في مواضع أخرى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾^(١).

﴿فَأَنبِئْنَاهُ وَمَنْ مَّعَهُ فِي آفَاقِكَ الْمَشْهُونَ﴾^(١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ^(١٢٠)
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ^(١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ^(١٢٢)

إشارات:

□ المقصود بكون السفينة مشحونة في قوله تعالى: ﴿آفَاقِكَ الْمَشْهُونَ﴾ هو أن

نوحاً ﷺ كان قد وضع في السفينة ما يحتاج إليه. وعن الإمام الباقر ﷺ: «الفلك المشحون المجهز الذي قد فرغ منه ولم يبق إلا دفعه». وعن الإمام علي ﷺ: «الفلك المشحون، اتخذ نوح ﷺ فيه تسعين بيتاً للبهائم»^(١).

التعاليم:

- ١ - يجبُ الله دعاء الأنبياء والمظلومين، ﴿فَأَجْنِئْهُ﴾.
- ٢ - يأمن ويسلم المؤمنون في ظل الأنبياء، ﴿فَأَجْنِئْهُ وَمَنْ مَعَهُ﴾.
- ٣ - يتسبب الانفصال عن الأنبياء في الهلاك، ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ﴾.
- ٤ - وردت قصة نجاة نوح وأتباعه وغرق الكفار والمخالفين كنموذج لسنة الله تعالى في مساعدة الحق وسحق الباطل، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾.
- ٥ - إذا أمهل الله الكفار فذلك من قبيل الرحمة وليس من باب العجز، ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَانْقُورُوا لِلَّهِ وَاطِيعُونَ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْتَلْكُمْ عَلَيْهِ مِنْ آجُرٍ إِنْ أَجَرَى إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾

إشارات:

□ «عاد» هو اسم الجد الأكبر لقوم هود ﷺ، وقد اشتهر هؤلاء القوم باسم جدهم. وقد كانت عاد طائفة من العرب الذين كانوا يعيشون في أرض عذبة المياه على قمة الهواء بالقرب من البحر بمنطقة تُسمى «الأحقاف» في اليمن. وكانت بلادهم هذه عامرة، وكانوا من سكان المدن، ونبيتهم كان هود ﷺ. وقد تكرر ذكرهم ٢٤ مرة في القرآن الكريم، كما أن في القرآن «سورة الأحقاف»، وسورة أخرى تُسمى «سورة هود».

التعاليم:

- ١ - تكذيب رسول واحد بمثابة تكذيب للأنبياء جميعاً؛ لأن هدف الدعوة عند الأنبياء كلهم ومحتواها واحد، ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾.
- ٢ - دعوة الرُّسل أخوية في أسلوبها وطريقتها، ﴿أَخُوهُمْ﴾، (حتى كلمة «أبوهم» لم تأت بدلاً من «أخوهم» التي تُبين عمق الصفاء والتواضع والصدق).
- ٣ - التقوى هي عنوان دعوة الأنبياء، ﴿أَلَا نُنْفِقُونَ﴾.
- ٤ - الدعوة إلى التقوى من لوازم الأخوة والإخاء، ﴿أَخُوهُمْ هُوَ أَلَا نُنْفِقُونَ﴾.
- ٥ - تهدف رسالة الأنبياء إلى نفع الناس وهدايتهم وليس من أجل الهيمنة عليهم، ﴿لَكَذَّبُوا﴾.
- ٦ - لم يكن كلام الأنبياء من عند أنفسهم، بل كان كل ما يقولونه رسالة إلهية، ﴿رَسُولٌ آمِينَ﴾.
- ٧ - يشترك الأنبياء جميعاً في أسلوبهم وطريقتهم الدعوية ومحتوى موضوعاتهم وفي الخط الفكري الذي يصل بينهم، (تكرار الآيات شاهدٌ على ما نقول).
- ٨ - تمهّد التقوى الإلهية الساحة لطاعة القيادة، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾، (اتباع الزعماء الإلهيين هو بَلُورَةٌ للتقوى الإلهية).
- ٩ - الإخلاص والاستغناء عن الناس دليل النجاح، ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ﴾.
- ١٠ - الإخلاص والتوكل على الله من عناصر الدعوة، ﴿إِنْ أَجْرِي...﴾.
- ١١ - إن من يخلُق ويدير الكون سوف يدير حياتنا الشخصية أيضاً، ﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
- ١٢ - يتكون نظام الكون من عوامل مختلفة تخضع كلها لتدبير واحد، وتحظى بحالة من الرشد والهداية، ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ مَائَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ ﴿١٣١﴾

إشارات:

□ كلمة «ريع» تعني سفح الجبل والهضبة. وتُطلق كلمة «مصانع» على الحصون والقصور المنيعة العالية. أمّا كلمة «بطش» فإنها تعني الأخذ بغضب وشدة وسطوة.

□ لا ينتقد القرآن الكريم في هذه الآيات مبدأ البناء على سفح الجبل وإقامة الحصون المنيعة وامتلاك السلطة، وإنما الذي يُنتقد هنا هو الأهداف الدنيئة، ﴿تَعْبَثُونَ﴾ والخيالات الواهية ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ وتجاوز حد الاعتدال، ﴿جَبَّارِينَ﴾.

□ ورد في الروايات أن رسول الله ﷺ كان قد خرج فرأى قبة فقال: ما هذه؟ فقال له أصحابه: هذه لرجل من الأنصار، فمكث حتى إذا جاء صاحبها فسلم في الناس، أعرض عنه، وصنع ذلك مراراً حتى عرف الرجل الغضب به والإعراض عنه، فشكى ذلك إلى أصحابه وقال: والله إنني لأنكر نظر رسول الله ﷺ، ما أدري ما حدث فيّ وما صنعت؟ قالوا: خرج رسول الله فرأى قبتك فقال: لمن هذه؟ فأخبرناه. فرجع إلى قبته فسواها بالأرض، فخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فلم ير القبة فقال: ما فعلت القبة التي كانت ها هنا؟ قالوا: شكا إلينا صاحبها إعراضك عنه فأخبرناه فهدمها، فقال: إن لكل بناء يُبنى وبائاً على صاحبه يوم القيامة إلا ما لا بدّ منه^(١).

التعاليم:

- ١ - يصل تاريخ الأبنية الشاهقة إلى زمن هود عليه السلام، ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ مَائَةً﴾.
- ٢ - يُلازم الحرص الإنسان، ﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾.

- ٣ - ما يعظم في أعين عبّاد الدنيا يذل في أعين أولياء الله الذين يوبخون الناس عليه، ﴿أَتَبْنُونَ... نَقْبُونَ﴾.
- ٤ - تبعث المدنية الكاذبة والرفاهية الزائفة على الغرور وتمنعان قبول الحق، ﴿أَتَبْنُونَ﴾.
- ٥ - يبدأ عمل الأنبياء بانتقاد الوضع المُختلّ القائم، وإيقاظ الوجدان عن طريق السؤال، ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ...﴾.
- ٦ - تكون أعمال الظالمين من أجل إبراز أنفسهم ﴿مَائَةً﴾ أو من أجل بقائهم ﴿تَحْلُدُونَ﴾، أو من أجل استغلال الناس واستعمارهم، ﴿جَبَّارِينَ﴾.
- ٧ - يجب أن يكون لكل عمل هدف عظيم، ﴿أَتَبْنُونَ... نَقْبُونَ﴾.
- ٨ - يستخدم أهل سوء الثروة والمال والممتلكات من أجل إرضاء الأهواء والشهوات، ﴿نَقْبُونَ﴾.
- ٩ - يتوجّه القرآن بالنقد إلى الحالة الروحية المسيطرة على عيش القصور وحياة اللهو، وليس إلى مبدأ البناء، ﴿نَقْبُونَ﴾، (يجب أن يكون الإنتاج والابتكار والفن وتوظيف الإمكانيات والطاقات البشرية... في إطار الاحتياجات الحقيقية، يجب ألا تُبدّد هذه الأمور عبثاً).
- ١٠ - لا يجعل اقتناء القصور والبيوت الحياة خالدة أبدية، ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾.
- ١١ - آفات البُنيان أربع:
- أ - البخل والإسراف، ﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾.
- ب - التفاخر والمباهاة، ﴿مَائَةً﴾.
- ج - العبث واتباع النزوات، ﴿نَقْبُونَ﴾.
- د - حب الدنيا والغفلة، ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾.
- ١٢ - يجب أن تكون قوانين العقوبة عادلة (ينتقد القرآن الكريم العقوبات الظالمة)، ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾.

- ١٣ - يحتاج التدين إلى محور يدور حوله وإلى قائد وقادة، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.
 ١٤ - التدين تقوى قلبية وطاعة عملية، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.
 ١٥ - يعتبر غياب التقوى أصل المفساد كلها، وقد قال هود عليه السلام بعد انتقاد فكر الكافرين وعملهم: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ...﴾.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٣٦) ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ رِيحٍ﴾ (١٣٦)
 وَجَنَّتْ وَعُيُونُ ﴿إِنَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٣٥)
 قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿﴾ (١٣٦)

إشارات:

- وجه هود عليه السلام أنظار القوم إلى الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، وإلى النبوة ﴿وَأَطِيعُوا﴾، وإلى المعاد كذلك، ﴿إِنَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾
 □ المقصود باليوم العظيم هنا هو يوم القيامة، على الرغم من أن اليوم العظيم أطلق على الدنيا أيضاً في قصة شعيب عليه السلام، ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابَ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، أي أصابهم العذاب يوم أظلمتهم سحابة تلتهم ناراً، وكان ذلك عذاب يوم عظيم.

التعاليم:

- ١ - التقوى أفضل السبل إلى شكر الله تعالى، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَمَدَّكُمْ﴾.
- ٢ - يعرف كل إنسان بنفسه كم من فضل الله عليه، ﴿أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.
- ٣ - كانت قصور قوم عاد وأبنيتهم تحتوي على حظائر الدواب والحدائق وعيون الماء، ﴿يَكُلُّ رِيعَ مَائِهِ... بِأَنْعَمِ... جَنَّتْ وَعُيُونُ﴾.
- ٤ - لن يكون لموعظة الأنبياء أثر إذا لم يكن هناك استعداد وقبول لدى من يتوجهون إليهم، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾.

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾
فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾

إشارات:

□ هناك احتمالات في تفسير ما تُشير إليه كلمة «هذا» في الآية ١٣٧ من هذه السورة:

- أ - هذا الادعاء بالنبوة ليس إلا تقليداً لمن ادّعوا النبوة من قبل.
 - ب - هذه البيوت العالية فوق الهضاب وسائر أعمالنا هي أسلوب أجدادنا.
 - ج - هذا التكذيب هو تكذيب الأقدمين، وعبادتنا للأصنام هي عبادة أجدادنا.
- انتقد القرآن الكريم أكثرية الناس مرات عديدة، وقد جاءت الآية ﴿وَمَا كَانَتْ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مرات عدة في هذه السورة في نهاية استعراض تاريخ الأنبياء.

التعاليم:

- ١ - تاريخ الآباء والأجداد ليس دليلاً على الحق، ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾، (في حين أن المراد من كلمة «هذا» هو سلوك المشركين).
- ٢ - يحول التقليد الأعمى والتعصب دون قبول النصيحة، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ... إِنْ هَذَا...﴾.
- ٣ - يمهّد انحراف الأجداد الأرضية لانحراف الأجيال التالية، ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾.
- ٤ - أحياناً تكون عبادة الأصنام وأي سلوك آخر جزءاً جوهرياً في الإنسان (كلمة «خلق» تعني الحالة الراسخة في النفس).
- ٥ - يبرّر عبدة الأصنام انحرافهم بما كان عليه أجدادهم، وينفون عن أنفسهم المسؤولية، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾.

- ٦ - يكمن مصير الإنسان في يديه، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾.
- ٧ - يجب أخذ العبرة من تكذيب الآخرين وهلاكهم، ﴿لَايَةً﴾.
- ٨ - لا ينبغي أن تخدعكم الأكثرية، ولا تبحثوا عن الحق في زيادة عدد الناس، فالكم ليس معياراً لمعرفة الحق وتمييزه عن الباطل، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.
- ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٤﴾

إشارات:

- رويت في هذه السورة قصة بعض الرسل، ولكن أحداث قصصهم كلها تبدأ بكلمة «كذبت»^(١)؛ وذلك لأن النقطة المهمة في هذه القصص هي قضية تكذيب الرسل من الأقوام والأمم السابقة، وهلاك هذه الأمم لتكذيبها المرسلين. نعم، يجب أن توضع الموضوعات المهمة كعناوين عند الكتابة أو الحديث.
- يجب الاهتمام بالنقاط المهمة عند استعراض التاريخ، وليس بالمسائل التي لا فائدة من العلم بها ولا ضرر من جهلها. لم يذكر في هذه القصص شيء عن عدد القوم واسم المكان وتاريخ الحادثة وتفصيلها الأخرى، وذلك لأن أساس العبرة والدافع إليها هنا هو الإشارة إلى مظاهر الحق والباطل، وإعلان انتصار الحق على الباطل.

التعاليم:

- ١ - أسلوب الأنبياء كلهم في الدعوة واحد، فقد كان للجميع كلام واحد وشعار واحد في قصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام :
كانوا جميعاً يقولون: ﴿إِلَّا نَقُوتَ﴾.

(١) قصة نوح، الآية ١٠٥؛ قصة عاد، الآية ١٢٣؛ قصة صالح، الآية ١٤١؛ قصة لوط، الآية ١٦٠؛ قصة شعيب، الآية ١٧٦.

كانوا جميعاً يقولون: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

كانوا جميعاً يقولون: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

كانوا جميعاً يقولون: ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾.

وكانت رسالة الرُّسل جميعاً تتلخص في عدة أشياء: الأخوة والتقوى واتباع أولي الأمر والاستغناء عن الناس والتوكل على الله وطمأنة الناس إلى أننا جئنا لمصلحتكم وأننا أمناء عليكم، (الرسائل في هذه الآيات أيضاً كالرسائل التي تضمنتها الآيات السابقة التي ذكرت حول الرُّسل الآخرين في هذه السورة)..

﴿اتَّقُوا اللَّهَ فِي مَا هَلُمْنَا ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْجُوتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُتَكِبِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾

إشارات:

□ لو عمل أهل الدنيا بهذه الآية وحدها: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُتَكِبِينَ﴾ لسقطت الحكومات الطاغوتية المُسْرِفة كلها.

□ كانت لثمود زراعة طيبة، ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ﴾؛ وحضارة وعمران، ﴿مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾؛ ورفاهية وأمن، ﴿فَرِهِينَ... ءَامِنِينَ﴾.

□ تُطلق كلمة «طلع» هنا على البرعم قبل تفتحه، وقبل أن تتكون منه الثمرة، وتُطلق أيضاً على باكورة الثمر وأول ما يظهر من بلح النخل.

□ كلمة «هضيم» تعني التمر الرطب النضيج المتدلي لكثرتِه، أي البلح الرطب الذي تراكمت حباته من كثرة محصوله.

□ على الرغم من أن كلمة «جَنَّاتٍ» تشتمل على النخيل أيضاً فإن اسم النخيل قد ذُكر منفصلاً، وربما كانت هذه إشارة إلى أهمية النخل والتمر في قوم ثمود.

□ من الممكن أن تكون كلمة «فارهِينَ» من كلمة «فره» التي تعني السعادة، فتكون عبارة «بُيُوتًا فارهِينَ» بمعنى أنهم كانوا سعداء في بيوتهم. ويمكن أن تكون هذه

الكلمة من جذر كلمة «فراهة» التي تعني المهارة، فتكون عبارة «بيوتاً فارهين» بمعنى أنهم كانوا ينحتون البيوت في الجبال بمهارة.

التعاليم:

- ١ - يجب عدم الانخداع بالحياة المرفهة في الدنيا، ﴿أَتَذْكُرُونَ... ءَامِنِينَ﴾ فالرفاهية ليست علامة دائمة على رضا الله تعالى، (النعم المادية لا تدوم).
- ٢ - الانتباه إلى زوال الدنيا وسيلة إلى التقوى، ﴿أَتَذْكُرُونَ... فَأَتَقُوا اللَّهَ﴾.
- ٣ - اتباع الأنبياء والبعد عن طاعة المُسرفين من لوازم التقوى، ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾.
- ٤ - إذا لم يقترن الأمن والاقتصاد والرفاهية باتباع الزعيم المعصوم فإنهم يتحولون إلى فساد، ﴿ءَامِنِينَ... جَنَّتْ... وَعُيُونٌ... وَزُذُوعٌ﴾، ﴿يُوتُوا... فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.
- ٥ - الإنسان ليس حراً في تصرفه بالنعم، بل هو مسؤول عنها، ﴿جَنَّتْ... وَعُيُونٌ... وَزُذُوعٌ... يُّوتُوا وَنَحْنُ وَلَا نُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾.
- ٦ - لا تتوفر في المُسرف صلاحية قيادة المجتمع، ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾.
- ٧ - كان الأنبياء يُدركون النزعة الاستهلاكية عند الناس، ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾.
- ٨ - لا يجوز الخضوع والانقياد للأثرياء المُسرفين، ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾.
- ٩ - يجب أن يتلازم الولاء والبراء معاً، ﴿وَأَطِيعُوا... وَلَا تُطِيعُوا﴾.
- ١٠ - الإسراف فساد، والمُسرفون مفسدون، ﴿الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ﴾.
- ١١ - يجب عدم توقع الإصلاح من المرفهين المستهترين، فالإصلاح يتحقق في ظل منهج الأنبياء فقط، ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾.
- ١٢ - يبرّر المُسرفون أعمالهم، ويرون أنفسهم من الصالحين، ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾^(١٥٣)
 ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(١٥٤)

التعاليم:

- ١ - كان الأنبياء يُتهمون بأحد أمرين: إما أنهم سحرة ﴿سَجَرٌ﴾ أو مسحورون، ﴿الْمُسَحَّرِينَ﴾.
- ٢ - تبرير العصيان أسوأ من العصيان نفسه. لقد برروا عصيانهم في مقابل الأمر ﴿وَأَطِيعُوا﴾، وكانوا يقولون: أنت مسحور ولست أهلاً للتابع، ﴿الْمُسَحَّرِينَ﴾.
- ٣ - تتلازم النبوة والمعجزة، ﴿فَأْتِ بِآيَةٍ﴾، (المعجزة دليل على صدق الأنبياء).

﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾^(١٥٥)
 ﴿وَلَا تَسْوَاهَا يَسْوءُ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(١٥٦) ﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾^(١٥٧)

إشارات:

- يد القدرة الإلهية مطلقة في إظهار المعجزات، فسيان عند الله تعالى أن ينشق القمر ﴿وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ﴾ أو ينشق الماء ﴿فَأَنفَلَقَ﴾ أو ينشق الجبل وتخرج منه ناقة.
- على الرغم من أن رجلاً واحداً هو الذي قتل ناقة صالح عليه السلام فإن القرآن الكريم يقول: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾، أي أن جماعة هي التي قامت بذلك، لأن هذه الجماعة كانت راضية بما فعله هذا الرجل الواحد. وهكذا يقول الإمام علي عليه السلام: «إنما عقر ناقة ثمود رجلٌ واحدٌ فعمَّهم الله بالعذاب لما عمَّوه بالرضا»^(١).

التعاليم:

- ١ - يجب أن تكون المعجزة واضحة بالقدر الذي يجعل إدراك إعجازها متاحاً للناس جميعاً من كل الطبقات والمستويات، ﴿هَذِهِ نَاقَةُ﴾.
- ٢ - يترتب على إهانة المقدسات عقابٌ عظيمٌ، ﴿وَلَا تَمْسُوهَا يَسُوءَ فَيَأْخُذَكُمْ﴾، وقد نسب الله تعالى هذه الناقة إلى نفسه في سورة الأعراف ﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾^(١).
- ٣ - تتقدم الناقة التي لها شأن إلهي على البشر العاديين، ﴿لَمَّا يَتَرَّبْ وَلَكُزْ...﴾.
- ٤ - الإنسان المتجبر لا يرحم حتى الحيوان المسلم الذي يُحلب لبنه، ﴿فَعَقَرُوهَا﴾.

- ٥ - يجب أخذ تحذيرات الأنبياء بجدية، ﴿وَلَا تَمْسُوهَا يَسُوءَ...﴾.
- ٦ - كل من يرضى بعمل غيره فهو شريك له في الأجر أو في الذنب المترتب على عمله، فقد قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ على الرغم من أن فرداً واحداً فقط هو الذي قتل الناقة.
- ٧ - ليس كل ندم يُقبل، ولا كل توبة تنفع (التوبة والندم لا ينفعان صاحبهما عند رؤية العذاب)، ﴿تَذِيرِينَ... فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾.

﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾
 وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

التعاليم:

- ١ - تبلغ أهمية إهانة المقدسات الإلهية حداً أن قوماً يهلكون من أجل قتلهم حيوان واحد، ﴿فَعَقَرُوهَا... فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾.
- ٢ - جاء وصف أفضال الله وهباته كآيات للعبارة، وغضبه وعذابه كذلك، ﴿لَآيَةً﴾.
- ٣ - من الممكن أن يُعانِد الإنسان الحق ولا يؤمن به حتى مع رؤية أعظم المعجزات الإلهية، ﴿لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.

- ٤ - إرسال الأنبياء وإظهار المعجزات وتعذيب الكفار المعاندين شأن من شؤون سلطان الله تعالى، ﴿رَبِّكَ﴾.
- ٥ - لا يؤثر إيمان الناس أو كفرهم على الله تعالى، ﴿وَلِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾.
- ٦ - يعود السبب في غضب الله إلى أعمالنا نحن، وإلا فإنه رحمن رحيم، ﴿لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا مِّنْ أَمْرِ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَأْسِ الثَّنَجِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا اسْتَكْبَرْتُمْ عَلَىٰ الْعِلْمِ إِنَّا جَارُونَ ﴿١٦٤﴾

التعاليم:

- ١ - يجب تقديم الموضوعات الأصلية في كل كلام، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾.
- (ذكرت كلمة «كذبت» في بداية تاريخ الأنبياء جميعاً في هذه السورة، والسبب في هذا هو أن الهدف من سرد تاريخ هؤلاء العظماء في هذه الآيات هو عرض تكذيب الأمم المعاندة للرسل وذكر العقاب الإلهي لهم).
- ٢ - يُعدُّ تكذيب رسول واحد بمثابة تكذيب للرسل جميعاً، ﴿كَذَّبَتْ... الْمُرْسَلِينَ﴾، (على الرغم من أن كل قوم كانوا يكذبون رسولهم فإن هذا التكذيب كان بمثابة تكذيب لسائر الرسل والأنبياء؛ لأنَّ هدفهم جميعاً واحد ولهم منهج واحد).
- ٣ - علاقة النبي بالناس علاقة أخوية، ﴿أَخُوهُمْ﴾.
- ٤ - الذي لا يمتلك التقوى بداخله يتعرض للضرر من كل ناحية، ولا يقبل الحق، ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾.
- ٥ - يجب على الأنبياء أن يبحثوا عن الناس ويذهبوا إليهم، وأن يعرضوا أهدافهم عليهم، ﴿أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ...﴾.
- ٦ - التقوى هي مهد قبول الحق والأرضية الصالحة لطاعة الأنبياء، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

٧ - لا يكتمل التدين بدون طاعة القيادة والامتثال لأوامرها، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

٨ - لا يؤثر الكلام في الناس كثيراً في حال النظر إلى أموالهم، ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ﴾.

٩ - إن الذي يستطيع أن يستغني عن الناس هو من يكون توكله على الله كبيراً، ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْهَ يَلُوطَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾

إشارات:

□ وُصف قوم لوط في هذه الآيات بالمتجاوزين المُعتدين ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾، لكن عبارات مختلفة استخدمت في مواضع أخرى من القرآن لوصف هؤلاء القوم، منها قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُشْرِقُونَ﴾^(١)، وقوله: ﴿قَوْمَ سَوُوءٍ فَسِيقِينَ﴾^(٢)، وقوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾^(٣).

□ القتل هو عقاب من يرتكب جريمة اللواط، فهذا العمل قبيح إلى حد أنه إذا مارس الإنسان الجنس مع حيوان فإن لحم هذا الحيوان يحرم، ويجب أن يُذبح ثم يحرق لحمه.

التعاليم:

١ - يجب التعرف على المنكرات الشائعة في كل قوم وفي كل زمان عند النهي عن المنكر، والإصرار على منع الناس من إتيانها، ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ﴾.

٢ - يقتضي عرض الطرق المعروفة عند النهي عن المنكر، ﴿أَتَأْتُونَ... وَتَذَرُونَ... أَنْفُسَكُمْ﴾.

(٣) سورة النمل: الآية ٥٥.

(١) سورة الأعراف: الآية ٨١.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٧٤.

- ٣ - لا يجوز ترك الزوجة وغض الطرف عن احتياجاتها، ﴿وَتَذَرُونَ... أَزْوَاجَكُمْ﴾.
- ٤ - جعل الله طريق الفطرة الطبيعي من أجل إشباع الإنسان لغرائزه، ﴿خَلَقَ لَكُمْ﴾.
- ٥ - تحت الأديان السماوية الإنسان على الزواج وتشجعه عليه، ﴿خَلَقَ لَكُمْ رِزْقَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾.
- ٦ - يصنّف الزواج كمظهر من مظاهر ربوبية الله، ولمصلحة الإنسان، ﴿خَلَقَ لَكُمْ رِزْقَكُمْ﴾.
- ٧ - الانحرافات الجنسية تجاوزت وطغيان، والمثلية الجنسية واللواط اعتداء على القيم، ﴿عَادُونَ﴾.
- ٨ - لا بدّ من تكرار النهي عن المنكر والحث على الاستقامة من أجل إزالة المنكرات، ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُ﴾.
- ٩ - يجب الاستعداد لمواجهة تهديدات الآخرين عند نهيمهم عن المنكر، ﴿لَتَكُونَنَّ مِنْ الْمُخْرَجِينَ﴾.
- ١٠ - يستخدم النفي كواحد من أساليب الظالمين، ﴿مِنْ الْمُخْرَجِينَ﴾.

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ (١٦٨) رَبِّ يَجْنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَجَنَّتْهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِزٌ الرَّجِيمُ ﴿١٧٥﴾

إشارات:

□ كلمة «قالين» تعني الاستنكار وإظهار البُغض الشديد الذي ينبع من أعماق الروح.

التعاليم:

- ١ - يجب معارضة العمل القبيح، وليس الشخص المخالف، ﴿لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾.

- ٢ - لم يكن الأنبياء يخافون أمام التهديد، وكانوا يقولون كلمتهم، ﴿مِنْ أَلْقَالِينَ﴾، فقد قال لوط عند تهديده بالنفي والإخراج من بلده: أنا عدو لما تفعلون.
- ٣ - يجب استنكار الفعل السيء بالقول والفعل معاً، ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ... رَبِّ نَجِّنِي﴾، نعم، فالإنكار وحده لا يكفي، بل يجب التفكير في النجاة من بؤرة الفساد.
- ٤ - لا يمكن تحمّل رجال الله للبيئة المذنسة، وإذا يشؤا من إصلاح محيطهم فإنهم ينجون بأنفسهم من ذلك المكان على الأقل، ﴿نَجِّنِي﴾.
- ٥ - يجب على الكبار في المجتمع أن يفكروا في أسرهم وأصدقائهم، ﴿نَجِّنِي وَأَهْلِي﴾.
- ٦ - دعاء الأنبياء مُستجاب، ﴿رَبِّ نَجِّنِي... فَجَنَّتُهُ﴾.
- ٧ - قد لا ترتبط المرأة بزوجها في اختيار الطريق، ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾، (اختارت زوجة لوط طريق الضلال).
- ٨ - تقوم القوانين والقيم كلها في الأديان السماوية على أساس الضوابط وليس على أساس العلاقات والروابط، ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾، (تهلك زوجة النبي إذا انحرفت عن الصراط المستقيم، لأن المعيار هو الكفر والإيمان، وليس العلاقات والأنساب).
- ٩ - يجب فصل حساب المحيطين بالشخصيات وأقاربها عن حساب تلك الشخصيات أنفسها، ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾، (من الممكن أن يكون الإنسان نبياً ورسولاً من عند الله ولا يكون أقرباؤه على طريق الحق. فقد كانت زوجة لوط في بيت النبوة، ولكن فكرها كان فكراً ضالاً).
- ١٠ - يتساوى الجميع في العقاب، فزوجة لوط من بين الهالكين، ولم يكن لها أي امتياز خاص، ﴿فِي أَلْقَارِينَ﴾.
- ١١ - عقاب الذين ينحرفون بمسيرة الزواج إلى اللواط هو أن تتحول أمطار الرحمة من فوقهم إلى أمطار عذاب، وأن يلقوا حتفهم بهذا العذاب، ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾.

- ١٢ - يُحذر الله الناس ويقيم عليهم الحجة قبل أن يُنزل بهم العذاب، ﴿الَّذِينَ﴾.
- ١٣ - تصبح الساحة ممهدة لنزول العذاب الإلهي بمجرد أن يخلو المجتمع من الصالحين، ﴿فَنَجِّنَهُ وَأَهْلَهُ... ثُمَّ دَمَرْنَا﴾.
- ١٤ - تخضع الطبيعة للقدر الإلهية (وهي نفسها القدرة التي تُنزل المطر من السماء، كما أنها تستطيع أن تُمطر حجارة أيضاً)، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾.
- ١٥ - التاريخ أساسٌ للعبرة، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾.
- ١٦ - لا بد من التكرار في التربية (جاءت جملة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ بعد رواية أحداث كل واحد من الرسل في هذه السورة).
- ١٧ - يتبين أن أكثر الناس لا يقبلون النصيحة، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.
- ١٨ - تكتسب القوة أهمية حينما تقتن بالرحمة، ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْمِرْثَلِ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا نَنْقُو (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠)﴾

إشارات:

□ كلمة «أيكة» تعني الغيضة أو الغابة، ويرى البعض أن «أصحاب الأيكة» الذين ذُكروا أربع مرات في القرآن الكريم هم أنفسهم أصحاب «مدين»، في حين يرى آخرون أنهم القوم الذين كانوا يعيشون في منطقة بالقرب من مدين، وهذان القومان هما اللذان خاطبهما شعيب عليه السلام.

□ شعيب عليه السلام هو سابع رسول وردت قصته في هذه السورة، وكانت جملة «قال لهم أخوهم...» هي الجملة التي تكررت في هذه القصص كلها، لكن كلمة «أخوهم» لم تأت عند الحديث عن شعيب. وربما كان السبب في ذلك هو أن شعيباً كان غريباً عن هؤلاء القوم^(١).

التعاليم:

١ - كان الأنبياء جميعاً مُتفقين في الفكر والقول والوجهة، فقد تكررت الآيات: ﴿إِنِّي لَكُم رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ و﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ في قصص هذه السورة كلها، والرسالة التي تحملها هذه الآيات هي نفسها الرسائل التي تحملها الآيات من ١٦٠ إلى ١٦٤.

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطِاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢)
وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣)﴾

إشارات:

- استخدمت كلمة «كَيْل» من أجل السوائل، وكلمة «قِسْطاس» من أجل الأوزان، وكلمة «أشياءهم» من أجل الأشياء المعدودة وغيرها.
- نرى في هذه الآيات أمرين ونهيين، وكل منهما يُكمل الآخر، ﴿أَوْفُوا... وَلَا تَكُونُوا﴾ و﴿زِنُوا... وَلَا تَبْخَسُوا﴾.
- ورد في الروايات أن «من باع عيباً لم يبيته لم يزل في مقت الله ولم تزل الملائكة تلعه»، وأن من يخدع الآخرين بالمكر والحيلة فهو أسوأ الناس^(١).
- التطفيف (إنقاص الحقوق) من المنكرات الاقتصادية الكبرى التي يترتب عليها آفات اللقمة الحرام كلها. والتطفيف ليس في البيع والشراء فقط، وإنما من الممكن أن يُطفف البعض في التدريس والطب والإشراف والهندسة وشؤون الحياة الأخرى، وعدم أداء حقوق الآخرين كما ينبغي.

التعاليم:

١ - يمتد استخدام المكيال والميزان إلى تاريخ طويل جداً، ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ...﴾.

- ٢ - التطفيفُ حرامٌ، ومراعاة حقوق الناس واجبة، ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ...﴾.
- ٣ - كان الأنبياء يُراقبون سلامة النظام الاقتصادي في المجتمع، ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾.
- ٤ - تؤكد الأديان السماوية على العدالة الاجتماعية والاقتصادية، ﴿أَوْفُوا... وَزِنُوا﴾.
- ٥ - يجب أن يكون معيار التقييم عادلاً وصحيحاً في كل الأمور، ﴿بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾.
- ٦ - لا بدّ من مراعاة حقوق الناس جميعاً، وليس المؤمنين فقط، ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ﴾.
- ٧ - لا يجوز التطفيف في كل شيء، وليس بالمكيال والميزان فقط، ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾.
- ٨ - التطفيف نوع من الفساد، والذين يُلحقون الضرر الاقتصادي بالمجتمع مُفسدون في الأرض، لأن الفوضى الاقتصادية هي مصدر تفسخ النظام الاجتماعي وانهياره، ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.
- ٩ - معرفة الانحرافات الموجودة في المجتمع هي الخطوة الأولى في إصلاحه، (الآيات كلها).

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٨٤) ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ (١٨٥)
 ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَذِبِينَ﴾ (١٨٦)

إشارات:

□ كلمة «جِبِل» تعني الأمة أو الجماعة من الناس، وهكذا تقول الآية الثانية والسنتين من سورة يس: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾، أي أن الشيطان أضلّ منكم أمة كبيرة أو جماعة كبيرة، لأن كلمة «جِبِل» تعني الكيان المرتفع الثابت، وتُطلق كلمة «جِبِلِي» التي تعني فطري على الأمم والأجيال القديمة أو التي لها طابع فطري، والتي تثبت مثل الجبل.

التعاليم:

- ١ - الله الذي خلق الإنسان هو الجدير بالاحترام، ويجب أن نخشاه ونتقيه، ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾.
- ٢ - تمنع التقوى والإيمان الفساد الاقتصادي، والرزق على رب العباد، ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾، (لاحظ الآيات السابقة حول التطفيف).
- ٣ - يجب عدم الاعتماد على آداب الأجداد وتقاليدهم الفاسدة، فنحن جميعاً من خلق الله، ويجب علينا أن نطيعه، ﴿خَلَقَكُمْ وَالْجِلَّةَ الْأُولَى﴾.
- ٤ - تدلّ الاتهامات على فقدان أصحابها للمنطق، ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾.
- ٥ - يبرّر المُخالف دائماً خلافه (يصف المُخالفون الأنبياء بالمسحورين بدلاً من الاعتراف بالخطأ والكف عن العناد)، ﴿أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾.

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٨٧) قَالَ رَبِّيَّيَا تَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩١﴾

إشارات:

- كلمة «كِسْف» التي وردت في القرآن الكريم أربع مرات هي جمع «كسفة»، والمراد بها هنا هو القطعة من السحاب. والمقصود بقوله تعالى «عذاب يوم الظلة» هو العذاب الذي وقع في يوم لجأ فيه الناس إلى الظل من شدة الحرارة، أو في يوم ألقت فيه السحابة بظلمتها من فوقهم.
- وردت عدة تفسيرات عن طبيعة عذاب قوم شعيب وكيفيته: يقول أحدها إنهم هلكوا بالزلزال^(١)، ويقول آخر إنهم عُذبوا بالصيحة^(٢). وموضوع السحابة مطروح هنا. ويمكن الجمع بين التفسيرات الثلاثة، فالرعد والصوت الهادر

(١) سورة الأعراف: الآية ٨٩.

(٢) سورة هود: الآية ٩٦.

ينشأن عن السُّحب، ويوقعان رعدة في أرواح الناس، أو يزهقانها بوقوع زلزال في الوقت نفسه. وربما كان الزلزال خاصاً بأهل «مدين»، والسحابة السوداء خاصة بأصحاب «الأيكة»، لأن شعيباً ﷺ كان قد بُعث إلى القومين معاً، وذكُرت الرسالة إلى أهل مدين في سورة الأعراف، وهم الذين هلكوا بالزلزال، ولكن الذي ذُكر في هذه السورة هو الرسالة إلى أصحاب الأيكة.

التعاليم:

- ١ - تتسم مطالبُ غلاظ القلب ورغباتهم العنف أيضاً، ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾.
- ٢ - لا يلزم في أسلوب الدعوة والإرشاد أن نعمل طبقاً لميول المُخالفين ورغباتهم، ﴿قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ...﴾، (كان هؤلاء الكفار يطلبون سقوط قطع من السماء عليهم، لكن الرسول يجيبهم قائلاً: ﴿رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾).
- ٣ - ذكر الله والتوكل عليه أفضل عون في مواجهة الكفار، ﴿قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ...﴾.
- ٤ - مصيرنا في أيدينا نحن، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُم...﴾.
- ٥ - يحمي الله تعالى أنبياءه، ويهلك مخالفيهم، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُم...﴾.
- ٦ - يدفع حُب الدنيا والرغبة في الحصول على المال الإنسان إلى عصيان الأنبياء ومعاندتهم، ﴿وَلَا تَبْخُسُوا الْكَاسَ أَسْيَاءَهُمْ... فَكَذَّبُوهُ﴾.
- ٧ - هدف القرآن الكريم من رواية التاريخ هو العبرة وليس سرد القصص، ﴿لَّأَيَّةٌ﴾.
- ٨ - لا يسير أكثر الناس على طريق الحق، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.
- ٩ - يجب على المُربي أن يتحلّى بالعطف أيضاً بموازاة القوة، ﴿لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.
- ١٠ - جاء تذكير النبي ﷺ بأن الله الذي حمى شعيباً وأهلك مخالفيه، هو نفسه ربك أنت أيضاً، ﴿وَلَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾، (إن ذكر تاريخ نبي كشعيب ﷺ يواسي الرسول ﷺ ويشد من أزره، كما أنه يمثل تهديداً للكفار والأعداء).

١١ - هلاك مخالف في الأنبياء علامة على عزة الله وقدرته، كما أن المهلة التي أمهلها لهم دليل على رحمته، ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبٍ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «زُبُر» من كلمة «زبر» التي تعني الكتابة، وهي جمع «زبور» التي تعني الكتاب.

□ لا ينبغي أن نستهين بالقرآن الكريم، لأن:

أ - مصدره هو ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

ب - واسطته هو ﴿الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾.

ج - وعاءه هو القلب الطاهر لرسول الله ﷺ ﴿قَلْبِكَ﴾.

د - هدفه هو إيقاظ الناس ﴿الْمُنْذِرِينَ﴾.

هـ - لغته هي اللغة العربية الفصيحة ﴿عَرَبٍ مُبِينٍ﴾.

و - بشارته هي في كُتُب السابقين ﴿زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾.

□ كان إسماعيل وهود وصالح وشعيب ؑ يتحدثون باللغة العربية^(١).

□ لملاك الوحي أسماء عدة في القرآن الكريم: الروح الأمين، روح القدس، شديد القوى، الرسول الكريم، جبريل.

تُطلق كلمة «روح» على جبريل ؑ لأنَّ روح الناس تستيقظ ويحيا الدين في نفوسهم عن طريقه، أو لأنه هو نفسه مخلوق روحاني.

التعاليم:

١ - نزل القرآن الكريم بالوحي الإلهي، وليس مما سمعه الرسول أو من نسج خياله، ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلٌ﴾.

- ٢ - نزل القرآن من عالم الغيب إلى عالم الشهود، ﴿لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
- ٣ - الذي يُنزل الوحي هو نفسه الذي يُدير الكون كله ويرعاه (القوانين السماوية تتناسب مع نظام الخلق)، ﴿لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
- ٤ - إنّ نزول الوحي وسيلة من وسائل الرشد ومن صلاحية الربوبية، ﴿لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
- ٥ - تقوم السُنَّة الإلهية على استخدام الوسائط، ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾.
- ٦ - نزل الوحي الإلهي كاملاً غير منقوص، ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾.
- ٧ - القلب هو مركز استقبال الحقائق، ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾.
- ٨ - لا نستطيع أن نُحذر الناس من الشيء تحذيراً جدياً ما لم نؤمن بذلك في أعماق روحنا، ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾.
- ٩ - جرت سُنَّة الله على إرسال الرُّسل من أجل الإنذار والتحذير، ﴿مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾.
- ١٠ - علاج الغافل هو الإنذار والتحذير، ﴿مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾، ولهذا جاء الإنذار أكثر من البشارة في القرآن الكريم.
- ١١ - يجب أن تكون الدعوة واضحة وبلغه الناس المدعوين، ﴿عَرَفِي مُبِينٍ﴾.
- ١٢ - وردت البشارة بالقرآن في الكتب السماوية السابقة، ﴿زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾، كما كانت البشارة بمجيء رسول الإسلام في التوراة والإنجيل، ﴿الرَّسُولَ الَّذِي الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ يَحْدُوثُهُمْ مَكْتُوبًا عَنْهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾^(١).
- ١٣ - يجب تجهيز الساحة في التخطيط والإدارة من أجل رشد أبناء المستقبل وهدايتهم ونشاطهم، ﴿زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾.
- ١٤ - ورد مضمون القرآن ومحتواه في الكتب السماوية السابقة، ولكن ألفاظه نزلت على القلب المبارك لرسول الله ﷺ، ﴿زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُو بَنِي إِسْرَءِيلَ ۚ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾
فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾

إشارات:

□ عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾: «لو نزلنا القرآن على العجم ما آمنت به العرب، وقد نزل على العرب فأمنت به العجم، فهذه فضيلة العجم»^(١).

التعاليم:

- ١ - عُذِرَ الجاهل غير مقبول، ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ﴾، (وأنتم تستحقون اللوم والتوبيخ إذا لم تسألوا علماءكم).
- ٢ - كان علماء بني إسرائيل على علم بأن القرآن حق، ﴿يَعْلَمُهُ عُلَمَتُو بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾.
- ٣ - يجب الاهتمام بمشاعر الأمة التي تدعى للإيمان ولغتها عند دعوتها وتعليمها، ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾.
- ٤ - يحول التعصب والعنصرية دون قبول الحق، ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ... مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾.
- ٥ - يزداد التعصب والقومية عند العرب، ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ... مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾
فِيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَعَدَّائِنَا لِنَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾
أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾

إشارات:

□ ورد في الروايات أنَّ رسول الله ﷺ رأى في منامه بني أمية يصعدون على منبره

من بعده ويُضلون الناس عن الصراط القهقري، فأصبح كثيباً حزيناً، فهبط جبرئيل ﷺ فقال: يا رسول الله مالي أراك كثيباً حزيناً. قال: يا جبرئيل إني رأيت بني أمية في ليلتي هذه يصعدون منبري من بعدي يُضلون الناس عن الصراط القهقري. فقال: والذي بعثك بالحق نبياً إني ما اطلعت عليه. فخرج إلى السماء فلم يلبث أن نزل عليه بآي من القرآن يونس بها، قال: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾^(١).

التعاليم:

- ١ - يُقيم الله تعالى الحجة حتى على الكفار، ويعرض عليهم القرآن، ويُممره على قلوبهم، ﴿سَلَكْنَاهُ﴾.
- ٢ - لن يكون للقرآن فائدة إذا لم يكن هناك استعداد واستحقاق لتلقيه، ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.
- ٣ - يقضي الجرم والذنوب كل منهما على فرصة الهداية، ﴿الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.
- ٤ - لو كان القرآن قد نزل بلسان أعجمي لما آمن به العرب المشركون في مكة، وما هم الآن لا يؤمنون به على الرغم من نزوله بلسان عربي مبين ودخول موضوعاته إلى قلوبهم، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾.
- ٥ - لا فائدة من الإيمان في لحظة الاضطرار، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ﴾.
- ٦ - يجب عدم الاغترار بإمهال الله؛ لأن الموت يأتي بغتة، والعذاب الإلهي يقع فجأة، ﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾.
- ٧ - يطلب المجرم الإمهال عند الموت، ﴿هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾.
- ٨ - سوف يستيقظ الوجدان النائم ذات يوم، ﴿هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾.
- ٩ - يطلب الذين يتعجلون رؤية العذاب الإلهي ذات يوم مهلة من أجل الأمان من العذاب، ﴿مُنْظَرُونَ... يَسْتَعْجِلُونَ﴾.
- ١٠ - الإمهال لا يُفيد أصحاب القلوب السوداء، ﴿مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ... جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾.

(١) انظر: الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ٣١٥ وما بعدها.

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَنِعُونَ﴾ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكَنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾
ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾

إشارات:

□ إنَّ الله تعالى يُهلك الفرد أو الأمة الضالة بعد أن يكون قد أُنذِرهم من قبل، وإلا فإن العقوبة بلا إنذار وتحذير ظلم، والظلم لا يجوز عند الله سبحانه. وقد بيَّن القرآن الكريم هذه الحقيقة في آيات مختلفة:

- ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾^(١).
- ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا﴾^(٢).
- ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ يَظْلِمَهُمْ﴾^(٣).
- ﴿وَلَا يَظْلَمُونَ نَفِيرًا﴾^(٤)، ﴿وَلَا يَظْلَمُونَ شَيْئًا﴾^(٥) لن يلحق بهم أقل القليل من الظلم.
- ﴿وَلَا يَظْلَمُونَ قَتِيلًا﴾^(٦) الله لا يظلمهم بقدر الخيط في شق النواة ولا بأقل من ذلك.
- ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾^(٧).

التعاليم:

- ١ - لا فائدة لمظاهر الإقبال والسعادة كلها عند نزول العذاب الإلهي، ﴿مَا أَغْنَىٰ﴾.
- ٢ - لا ينبغي أن تُحزنكم رفاة أعداء الدين، فسوف يُسلبونها ذات يوم، ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَنِعُونَ﴾.

(٥) سورة مريم: الآية ٦٠.

(٦) سورة النساء: الآية ٤٩.

(٧) سورة النساء: الآية ٤٠.

(١) سورة النحل: الآية ١١٨.

(٢) سورة غافر: الآية ٣١.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ٤٠.

(٤) سورة النساء: الآية ١٢٤.

٣ - ينزل العذاب الإلهي بعد إتمام الحجة، فالعقاب يكون بعد التذكير، ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا... إِلَّا لَمَّا مُنذِرُون﴾.

٤ - يحذر أولياء الله في كل أمة الناس وينذرونهم، ﴿مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا لَمَّا مُنذِرُون﴾.

٥ - وظيفة الأنبياء هي الإنذار، ولا شأن لهم بقبول الناس أو إعراضهم، ﴿مُنذِرُون﴾.

٦ - يدرك الإنسان الحقائق بالفطرة؛ لكنه كثيراً ما يغرق في الغفلة، وعلاج هذه الغفلة هو التذكير والإنذار، ﴿مُنذِرُون﴾.

٧ - العقاب قبل الوعظ والتذكير هو ظلم، ﴿ذَكَرْنِي وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

٨ - الله سبحانه وتعالى مُنزه عن الظلم، ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾ ﴿فَلَا تَنْفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهِهَا آخَرٌ فَتَكُونُ مِنَ الْمَعْدِينَ﴾ ﴿١١٢﴾

إشارات:

□ الوحي نوعان:

أ - الوحي الإلهي الذي يتنزل على قلب الرسول ﷺ عن طريق الروح الأمين، وهذا النوع من الوحي لا يصح للجن أو الشياطين، وليست لديهم القدرة على استقباله أو إرساله، ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.

ب - النوع الثاني من الوحي هو الوسواس والهواجس الشيطانية التي يلقي بها الشيطان إلى أوليائه، ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِرَبِّهِ لَكَاذِبٌ أَلِيمٌ﴾^(١).

□ يتمتع القرآن بالقوة والمقام العظيم والقداسة والحفظ الخاص، لأن الذي نزل به هو الروح الأمين، وهو آمن من السطو ﴿لَمْعَزُولُونَ﴾ والذي تلقاه معصوم ﴿وَمَا

يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ^(١)، وهو محفوظ، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ^(٢)﴾.

□ لقد عرض المشركون على الرسول ﷺ أن يجعلوه رئيساً عليهم إذا دعا إلى أصنامهم وأبدى لها الاحترام، ونزلت الآية لتطلب منه أن يئس الكفار من تحقيق ما يريدون، ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ^(٣)﴾.

التعاليم:

- ١ - يجب الردّ على الاتهامات ردّاً حاسماً ﴿وَمَا نَزَّلَتْ﴾، فقد كان المشركون يظنون أن إلقاء الآيات من عمل الشياطين.
- ٢ - قداسة الوحي مُنزّهة عن خبث الشياطين، ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾.
- ٣ - قدرة الجن والشياطين محدودة، ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.
- ٤ - يجب عدم دخول الأغراب إلى الأماكن المقدسة، ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾.
- ٥ - يُنزل الله ملاك الوحي عندما يتوفر الاستعداد والطهر والقدرة، ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾، ولكن إذا لم يكن هناك استعداد فحتى الصعود إلى السماء نفسه سوف يكون مصحوباً بالحسرة والحerman، ﴿لَمْعَزُولُونَ﴾، ﴿فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ﴾^(٣).
- ٦ - الهدف النهائي من نزول القرآن هو التوحيد، ﴿وَمَا نَزَّلَتْ... فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ﴾.
- ٧ - ينهى الله رسوله عن الشرك حتى نتعلم، وإلا فإن الرسول لم يبحث عن أحد غير الله لحظة واحدة (إياك أعني واسمعي يا جارة)، ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ﴾.
- ٨ - لا تتعارض عصمة الأنبياء مع حريتهم وقدرتهم على الاختيار (الرسول معصوم، ولكنه يستطيع أن يبحث عن غير الله، ولهذا ينهاء الله عن ذلك)، ﴿فَلَا تَدْعُ﴾.

(٣) سورة الحجر: الآية ١٨.

(١) سورة النجم: الآية ٣.

(٢) سورة الحجر: الآية ٩.

- ٩ - يجب على قادة التوحيد أن يكونوا أول الموحدين، ﴿فَلَا تَنَعُ﴾.
- ١٠ - ليس هناك من يستحق العبادة غير الله، بشراً كان أو حجراً، ﴿إِلَّهَا آخَرَ﴾.
- ١١ - تسبب الشرك في هلاك الأمم السابقة، ﴿فَلَا تَنَعُ... فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾، (أي تُصبح مع المعذبين من قبل).
- ١٢ - يترتب العذاب الأليم على البحث عن معبود غير الله، ﴿فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾.
- ١٣ - تحذر الآيات الإلهية الشخصيات العظيمة أيضاً، ﴿فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾.

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢١٤) وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾
فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾

إشارات:

- دعا الرسول الأكرم ﷺ أقاربه بعد أن نزلت الآية ٢١ واتخذ لهم طعاماً، ثم بدأ يُحدثهم بعد أن أكلوا، فنهاهم عن الشرك وعبادة الأصنام^(١).
- ربما كانت كلمة «عشيرة» تُستخدم في الحديث عن الأقارب بسبب معاشرة الأهل بعضهم لبعض.
- يتقدّم أقارب الإنسان على غيرهم عند الإحسان إلى الآخرين (كما في التزاور والإنفاق والإقراض والإرشاد والأمر بالمعروف)، ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾.
- ورد خفض الجناح في القرآن الكريم في موضعين: الأول للنبي مع المؤمنين ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ﴾، والآخر للابن مع والديه، لكن وردت كلمة «دُلَّ» أيضاً في خفض الولد جناحه لأبويه، ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾^(٢).
- تدخل النساء في زمرة المخاطبين في آية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، لأن كلمة «عشيرتك» تشمل على الرجل والمرأة، وقد نقل تفسير الميزان عن الطبراني أن الرسول ﷺ كان قد دعا النساء أيضاً.

التعاليم:

- ١ - تترتب على علاقة القرابة مسؤولية أكبر، ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ﴾.
- ٢ - كل الناس في مدرسة الوحي سواسية كأسنان المشط أمام قانون الله، وها هم أقارب الرسول يُوجه إليهم الإنذار أيضاً، ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ﴾.
- ٣ - ابدأوا بأنفسكم أولاً عند الدعوة والنهي عن المنكر ﴿فَلَا تَنعُ مَعَ اللَّهِ﴾ ثم الأقارب، ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ﴾.
- ٤ - يجب أن يكون الإرشاد والدعوة بصراحة، ﴿وَأَنْذِرْ﴾.
- ٥ - لا يجب أن تمنعنا العلاقات الأسرية من النهي عن المنكر، ﴿وَأَنْذِرْ﴾.
- ٦ - يُتِيحُ تحذير الأقارب فرصة قبول الحق عند الآخرين (سيقول الناس: إنه يقول هذا الكلام لأقاربه أيضاً)، ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ﴾.
- ٧ - الأولوية لها مكانها بين الأقارب أيضاً، ﴿الْأَقْرَبِينَ﴾..
- ٨ - تزداد فرصة قبول الحق بين الأهل والأقارب بسبب المعرفة العميقة والثقة الكبيرة، ﴿الْأَقْرَبِينَ﴾.
- ٩ - يجب أن يقرن التحذير بالشفقة والمحبة، ﴿وَأَنْذِرْ... وَأَخْفِضْ﴾.
- ١٠ - التواضع مع الأعوان والأتباع والخدم من الصفات اللازمة للزعيم والداعية، ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِإِنِ اتَّبَعَكَ﴾.
- ١١ - يكون التواضع مع المؤمنين، والبراءة من المشركين، ﴿وَأَخْفِضْ... فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ﴾.
- ١٢ - يكفي لبيان أهمية التواضع أن يأمر الله تعالى الرسول به، ﴿وَأَخْفِضْ﴾.
- ١٣ - اتّباع الرسول من لوازم الإيمان بالله تعالى، فقد قال تعالى: ﴿لِإِنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ولم يقل سبحانه: «للمؤمنين».
- ١٤ - يتبوأ المؤمنون مقاماً رفيعاً إلى حد أن رسول الله ﷺ يؤمر بالتواضع لهم، ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِإِنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.
- ١٥ - معيار التعامل هو الإيمان والكفر، وليس الانتساب إلى أسرة (أنذر أقاربك ولكن تواضع للمؤمنين)، ﴿وَأَنْذِرْ... وَأَخْفِضْ﴾.

- ١٦ - التواضع لا يكون بالقول فقط، وإنما بالعمل أيضاً، ﴿جَنَاحَكَ﴾.
- ١٧ - معيار الولاء والبراء هو طاعة رسول الله، ﴿أَبْعَكَ... عَصَوَكَ﴾.
- ١٨ - لا تكفي الكراهية القلبية للكفر، بل لا بد من الجهر بذلك بالقول، ﴿نَقْلَ﴾.
- ١٩ - مَنْ يتوكل على الله يستطيع أن يعلن براءته وكراهيته لأعمال الكفار وتجاهل الأهل والأقارب، ﴿بِرِيءٌ... وَتَوَكَّلَ﴾.
- ٢٠ - يجب أن نعتد على القوي المقتدر الذي يحبنا، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْغَنِيِّ الرَّحِيمِ﴾.

﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ۖ وَتَقَلُّكَ فِي السَّجْدِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝
هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۖ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝
يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُهُمْ كَذِبُونَ ۝﴾

إشارات:

- كلمة «أفأك» تعني الكذاب (كثير الكذب).
- المُراد من قيام الرسول ﷺ في الآية ٢١٨ هو القيام من أجل الصلاة أو القيام من أجل الإنذار والدعوة. وهكذا يقول الإمام الباقر عليه السلام: «الذي يراك حين تقوم في النبوة»^(١).
- وربما كان المقصود من الآية ٢٢٣ هم الشياطين الذين ينزلون على الفاسدين، ويُلْقُونَ السَّمْعَ من أجل التعرف على أخبار السماء، على الرغم من أنهم يُقَذِّفُونَ بالشهب لردهم.
- وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إِنَّ المقصود بجملة ﴿وَقَلُّكَ فِي السَّجْدِ﴾ هو أن الله يرى قلبه في أصلاب النبيين من نبي إلى نبي حتى أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم عليه السلام»^(٢).

□ ولما كان المشركون يظنون أن نزول الوحي هو نزول من الشياطين على النبي ﷺ فإن الله تعالى يقول جازماً: الشياطين تنزل على الأفاكين المجرمين، وليس على الرسول المعصوم. ولدينا بناء على هذا نوعان من النزول: أحدهما نزول الوحي عن طريق الملاك الأمين ﴿وَلَهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾، والآخر هو نزول الشياطين على المُنْذِسِينَ، ﴿تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾.

التعاليم:

- ١ - يواسي الله تعالى رسوله بتذكيره أنه يراه ويرعاه، ﴿يَرْبِكَ...﴾.
- ٢ - يحظى الإنسان باهتمام خاص من الله عند دخوله في الصلاة، ﴿يَرْبِكَ حِينَ نَقُومُ﴾.
- ٣ - السجود أهم ركن في الصلاة، ﴿فِي السَّجْدَيْنِ﴾.
- ٤ - علينا أن نتوكل على الذي يرى حركاتنا وعباداتنا بالإضافة إلى توفقه على العزة والرحمة وكونه السميع العليم، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرْبِكَ حِينَ نَقُومُ... السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.
- ٥ - علينا أن نوقظ انتباه المُخَاطَبِينَ ونلفت أسماعهم بالسؤال عند دعوتهم، ﴿هَلْ أَتَيْتُكُمْ﴾.
- ٦ - تصاحب الحالات النفسية والقدرات والكفاءات المختلفة أنواع مختلفة من النزول، ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ... تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾.
- ٧ - مُتَلَقِي الوحي ليس مجرد قلب، بل هو القلب الطاهر للرسول ﴿قَلْبِكَ﴾ أمَّا متلقي الوسوس الشيطانية فهو كل قلب فاسد، ﴿كُلِّ أَفَّاكٍ﴾.
- ٨ - تكرار الذنب وامتزاجه بخلق الإنسان وطباعه أسوأ من الذنب نفسه، ﴿أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾.
- ٩ - علامة المُجْرِمِ المُدْنَسِ هي أن يترك أذنه لكل قول تسمعه، ﴿يَلْقُونَ السَّمْعَ﴾.
- ١٠ - الكذب مصدر كثير من الذنوب، وهو أخطر منها، ولهذا فإن قلب الكاذب الأفاك مهبط للشيطان، ﴿تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾.

﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ ٢٢٤ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ ٢٢٥
وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ ٢٢٦ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا
وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ ٢٢٧ ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ ٢٢٨

إشارات:

□ كلمة «غاوون» من «الغَيِّ»، وهي ضد الرشد، وهكذا يقول القرآن الكريم في موضع آخر: ﴿قَدْ بَيَّنَّ الرُّشْدَ مِنَ الْغَيِّ﴾^(١).

□ جاء في كتاب الاعتقادات للشيخ الصدوق نقلاً عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سُئل عن قول الله ﷻ: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ فقال: «هم القصاص»^(٢).

□ هذه الآيات تُدين الكفار لأنهم كانوا يرون أن القرآن الكريم صنعة للوهم ونسج من الخيال، وكانوا يصفون الرسول ﷺ بالشاعر، فأتباع الشعراء ضالون، أمّا أتباع الرسول فليسوا كذلك. والشعراء يهيمون على وجوههم بلا هدف، ولا يعملون بما تقوله ألسنتهم، أمّا الرسول فليس على هذا النحو، والتوافق بين قول رسول الإسلام وسلوكه دليل على أنه ليس شاعراً.

□ رُوي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال في قول الله ﷻ: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾: «هل رأيت شاعراً يتبعه أحد؟ إنما هم قوم تفقهوا لغير الدين فضّلوا وأضلّوا». وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «هم قوم تعلموا أو تفقهوا بغير علم فضّلوا وأضلّوا». كما أنّ القصاص يشملهم التوبيخ الوارد في الآية^(٣).

□ ربما يُمكن اكتشاف علاقة بين الشيطان الكاذب والشاعر الهائم على وجهه الذي يقول لغواً لأن الشعراء الذين لا هدف لهم قد ورد ذكرهم إلى جوار الأفاكين الذين تنزل عليهم الشياطين.

□ وطبقاً لما تقوله الروايات فإن الإمام الصادق عليه السلام قد سُئل عن الذكر الكثير

(٣) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٧١.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

(٢) تفسير كنز الدقائق، عند تفسير الآية.

فقال: «من سبح تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام فقد ذكر الله الذكر الكثير»^(١). أي: «الله أكبر» أربع وثلاثين مرة، و«الحمد لله» ثلاث وثلاثين مرة، و«سبحان الله» ثلاث وثلاثين مرة.

□ وورد في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «من أشد ما فرض الله على خلقه ذكرُ الله كثيراً، ثم قال: لا أعني سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وإن كان منه، ولكن ذكر الله عندما أحلَّ وحرَّم، فإن كان طاعة عمل بها وإن كان معصية تركها»^(٢).

□ ونقرأ في الحديث أنهم لما صلبوا رأس الحسين عليه السلام على الشجرة سُمع منه: ﴿وَسِعَلُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا...﴾. وعن الصادق عليه السلام: «وسيعلم الذين ظلموا آل محمد حقهم»^(٣).

الشعر والشعراء:

□ نستعرض هنا جملة من الموضوعات حول الشعر والشعراء بمناسبة الآيات الأخيرة من هذه السورة:

- نُقل عن تفسير البيضاوي أن هذه الآيات ﴿وَالشُّعْرَاءُ بَيَّعُوهُمُ الْفَآؤُونَ...﴾ قد نزلت في شعراء الجاهلية؛ لأن «أكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها وأغلب كلماتهم في النسيب بالحرام والغزل والابتهاج وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والإطراء فيه».

- الفرق بين الحكيم والشاعر هو أن الحكيم ينظر في المعاني أولاً، ثم يوظف الكلمات للتعبير عنها، أمَّا الشاعر فإنه ينظر إلى القلب والألفاظ أولاً، ثم يعبر بها عن المعاني^(٤).

- جاء في الروايات أن الشعر الجيد يُناصر الحق، ويُعد خيراً من الجهاد بالسيف والسنان، ويحظى بالمدح والثناء^(٥).

(٤) لغت نامه، دهخدا.

(٥) تفسير كتر الدقائق.

(١) معاني الأخبار، ص ١٩٣.

(٢) تفسير كتر الدقائق، عند تفسير الآية.

(٣) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٧٤.

- رُوِيَ عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ الشَّعْرِ لِحِكْمَةً وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»^(١).
- وعن الرسول الأكرم ﷺ للشاعر الملتزم «حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ»: «قُلْ وَرُوحَ الْقُدُسِ مَعَكَ»^(٢).
- وقال ﷺ لَيْلَةً وهو في سفر: أَيْنَ حَسَّانَ بْنُ ثَابِتٍ. فقال: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وسعديك. قال: خُذْ فَجْعَلْ يَنْشُدُهُ وَيَصْغِي إِلَيْهِ حَتَّى فَرَّغَ مِنْ نَشِيدِهِ، فقال رسول الله ﷺ: «لِهَذَا أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ وَقْعِ النَّبْلِ». وَيُرْوَى أَنَّ النَّبِيَّ قَدْ جَعَلَ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ مَنِيرًا فِي الْمَسْجِدِ يُنْشَدُ عَلَيْهِ الشَّعْرُ^(٣).
- وكان الإمام الصادق عليه السلام يقول: «يَا مَعْشَرَ الشَّيْعَةِ عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ شِعْرَ الْعَبْدِيِّ فَإِنَّهُ عَلَى دِينِ اللَّهِ»^(٤).
- عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ قَالَ فِينَا بَيْتَ شِعْرِ بَنِي اللَّهِ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»^(٥).
- وعنه أيضاً عليه السلام: «يُكْرَهُ رَوَايَةُ الشَّعْرِ لِلصَّائِمِ وَلِلْمُحْرَمِ، وَفِي الْحَرَمِ وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَأَنْ يُرْوَى بِاللَّيْلِ. قِيلَ: وَإِنْ كَانَ شِعْرٌ حَقٌّ؟ قَالَ عليه السلام: وَإِنْ كَانَ شِعْرٌ حَقٌّ»^(٦).
- ونقرأ في الروايات أن أصدق كلمة قالتها العرب كلمة ليبيد:
- أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وكل نعيم لا محالة زائل^(٧)
- وجاء في الحديث: حين أنزل الله تبارك وتعالى في الشعر ما أنزل أتى بعض الشعراء إلى النبي ﷺ فقالوا إن الله تبارك وتعالى قد أنزل في الشعر ما قد علمت وكيف ترى فيه؟ فقال النبي ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ»^(٨).

التعاليم:

- ١ - ليس المهم اجتذاب الناس، ولكن المهم هو أن نعرف من هم الذين يُجتذبون وإلى أي هدف يُجذبون، ﴿يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوَنُ﴾.

(٥) بحار الأنوار، ح ٧٩، ص ٢٩١.

(٦) الوسائل، ج ٧، ص ١٢١.

(٧) تفسير المواهب العلية.

(٨) تفسير منهج الصادقين.

(١) التفسير المنير.

(٢) تفسير كنز الدقائق.

(٣) تفسير روح المعاني.

(٤) تفسير كنز الدقائق.

- ٢ - الإسلام لا يُعارض الفن، بل يُعارض الشعر الذي لا هدف له، ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ﴾.
- ٣ - إذا لم يكن الشعر مقروناً بالإيمان والتقوى تجرُّ الخيالات الشعرية والمشاعر الشخصية وميول الناس ورغباتهم الشاعر كل يوم إلى وادٍ مختلف، ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ﴾.
- ٤ - إضلال الناس وشغلهم بالأمر المختلفة هو الشيء الذي ينتقد، ﴿يَتَّبِعُهُمُ الْفَاؤُونَ... فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ﴾، سواء كان هذا في مجال الشعر أو القصة أو الفيلم أو التصوير أو المسرح أو الكوميديا أو الخطابة، لكن الشعر أكثر تأثيراً بسبب جماله وسماته الخاصة.
- ٥ - آفات الشعر عديدة، وهي: اتباع الغاوين ﴿يَتَّبِعُهُمُ الْفَاؤُونَ﴾، وانعدام الهدف ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ﴾، والركون إلى القول دون العمل، ﴿يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾.
- ٦ - إذا لم يوضع الشعر إلى جوار الإيمان فسيصبح مهذاً مناسباً وطريقاً مُمهداً لحركة المنحرفين الضالين، ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَاؤُونَ... إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.
- ٧ - تقديم نماذج الحق والباطل وتعريفها من أساليب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿وَالشُّعْرَاءُ... إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.
- ٨ - انتقد القرآن الكريم الشاعر الذي يقول بلسانه ما لا يفعله، ﴿يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾.
- ٩ - يجب مراعاة الإنصاف، وعدم غض الطرف عن حق الصالحين من كل طبقة أو جماعة، فالشعر والفن ذو قيمة في يد الصالحين، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.
- ١٠ - ينقذ الإيمان والعمل الصالح وذكر الله الفنان والشاعر من الانحراف، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾.
- ١١ - يؤيد القرآن الشعر الذي يصدر عن الشاعر المؤمن العامل بالذاكر لله تعالى، والذي يسعى في سبيل تحريك الناس من أجل الدفاع عن الحق، ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا... وَأَنصَرُوا...﴾.

- ١٢ - يتقدم الإيمان على العمل، ويجب أن تكون الأعمال صالحة أيضاً حتى تكون نافعة، ﴿مَاتُوا وَحَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.
- ١٣ - لا يتقيد ذكر الله غير بزمان أو مكان أو مقدار (في أي مكان، وفي أي زمان، ومهما كثر)، ﴿وَذَكِّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾.
- ١٤ - يجب أن يزيد ذكر الله تعالى كلما زاد خطر الانزلاق في الخطأ، ﴿وَذَكِّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾.
- ١٥ - يمكن مواجهة الظالمين بالفن والشعر، ﴿وَأَنْصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾.
- ١٦ - يرصد الله تعالى الظالمين، ﴿وَيَسْخَرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾.

«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ النَّاسِ

السورة: ٢٧ الجزء: ١٩ - ٢٠

عدد الآيات: ٩٣



ملاحح سورة النمل

تشتمل هذه السورة على ثلاث وتسعين آية، والاسم الذي تُعرف به هو سورة «النمل»، وذلك استناداً إلى الآية ١٨ التي تقص علينا ما حدث بين النملة وسليمان ﷺ. وتُسمى هذه السورة سورة «سليمان» و«طاسين» أيضاً.

نزلت هذه السورة كلها في مكة في أحداث ومناسبات مختلفة، وجاءت فيها البسملة «بسم الله الرحمن الرحيم» مرتين، الأولى في بداية السورة، والثانية في الآية ٣٠ في بداية رسالة سليمان ﷺ إلى ملكة سبأ.

ذُكر في هذه السورة جهاد رُسل الله الأربعة الكبار (موسى وسليمان وصالح ولوط ﷺ) مع أقوامهم الضالين في زمانهم، وأكثر الأحداث تفصيلاً هو ما وقع بين سليمان ﷺ وملكة سبأ، وكيفية إيمانها بالله تعالى.

واختص قسم آخر من آيات هذه السورة بحديث طائر كالهدهد وحشرة كالنملة ووجود نفر من الجن في جيش سليمان وبلاطه، وفي النهاية إحضار عرش بلقيس من اليمن إلى بلاد الشام في طرفة عين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طَسَّ تَلَكَّ ءَايَتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾﴾

إشارات:

□ للزكاة معنيان: المعنى الأول هو المعنى الخاص، وهو الزكاة المعروفة، والآخر هو المعنى العام، وهو مساعدة المحتاجين بأي شكل. والمقصود في هذه الآية هو المعنى الثاني للزكاة، لأن هذه السورة نزلت في مكة، في حين أن الأمر بالزكاة الرسمية قد صدر في المدينة، ﴿يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾.

□ كلمة «مُبِين» من «الإبانة» وهي كلمة تُستخدم بمعنى «واضح» وهو ما يُعرف اصطلاحاً بالمعنى اللازم، وتُستخدم أيضاً بمعنى «مَوْضُح»، وهو ما يُعرف اصطلاحاً بالمعنى المُتعدّي.

التعاليم:

- ١ - من السُنن الإلهية أن يوضع الوحي بكل ما له من عظمة ومقام رفيع في تناول الإنسان، ﴿تَلَكَّ﴾.
- ٢ - حركة الأنبياء ثقافية، ومصحوبة بالقراءة والكتابة، ﴿ءَايَتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ مُبِينٍ﴾.
- ٣ - القرآن كتاب عظيم جداً، فقد وردت كلمة «كتاب» بدون الألف واللام، وانتهت بالتنوين، وهو ما يدل على العظمة.
- ٤ - يمكن للناس أن يفهموا القرآن الكريم، ﴿كِتَابِ مُبِينٍ﴾.
- ٥ - يجب أن يقترن الإرشاد والدعوة بالمحتوى الواضح والأسلوب الصريح والقاطع، ﴿تَلَكَّ... مُبِينٍ﴾.
- ٦ - الهداية على مرحلتين: الهداية الأولية ﴿هُدًى﴾ والهداية التكميلية ﴿هُدًى... لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

- ٧ - من مميزات القرآن أنه مكتوب ﴿وَكِتَابٌ﴾ وواضح مُبين، ﴿مُتِينٌ﴾؛ ويهدي الناس، ﴿هُدًى﴾؛ ويشرهم، ﴿بُشْرَى﴾.
- ٨ - الرسالة الأصلية للقرآن هي الهداية والبشارة، واهتمام القرآن بالعلوم والقضايا الأخرى أمر ثانوي، ﴿هُدًى وَبُشْرَى﴾.
- ٩ - الإيمان هو مفتاح الهداية والنجاح، ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.
- ١٠ - الاستحقاق شرط أصلي من شروط الهداية، ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.
- ١١ - يجب احترام الصالحين وتبجيلهم لإشاعة الخير والصلاح، ﴿الَّذِينَ...﴾.
- ١٢ - المحور في التكريم هو عمل الناس، وليس الاسم أو المنصب والمكانة، ﴿يُقِيمُونَ... يُؤْتُونَ...﴾.
- ١٣ - العمل دليل على الإيمان، ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ﴾.
- ١٤ - حتى المؤمن من أهل الصلاة والزكاة يحتاج إلى الهداية الإلهية من أجل الاستمرار في عمله، ﴿هُدًى... لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ﴾، ويحتاج الإنسان يوم القيامة أيضاً إلى مرحلة من مراحل الهداية، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ^(١)﴾.
- ١٥ - تزداد قيمة الصلاة حينما تُقام كاملة مستوفية شروط الصحة، ﴿يُقِيمُونَ﴾، (معنى إقامة الصلاة هو أداؤها بشروطها).
- ١٦ - تتقدم العلاقة مع الله على العلاقة مع الناس، ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾، (جاءت الصلاة قبل الزكاة).
- ١٧ - ذكرت الصلاة أولاً؛ لأن إقامة الصلاة والعلاقة مع الله يُمهّدان الطريق لباقي أعمال الخير، ﴿الصَّلَاةَ﴾.
- ١٨ - المواظبة على العمل تكسبه قيمة، ﴿يُقِيمُونَ... يَأْتُونَ﴾، (الفعل المضارع علامة على الاستمرار والمداومة).

- ١٩ - من مميزات الإسلام أن المسائل الإلهية والبشرية، والقضايا المعنوية والمادية، وأمور الدنيا والآخرة، قد وضعت إحداها بجوار الأخرى، ﴿الصَّلَاةُ... الزَّكَاةُ﴾.
- ٢٠ - يجب أن تُطرح على الناس عند دعوتهم، الأمور التي لا تُكلفهم إنفاقاً (الصلاة أولاً ثم الزكاة)، ﴿الصَّلَاةُ... الزَّكَاةُ﴾.
- ٢١ - يشعر المؤمن بالمسؤولية تجاه القضايا الاجتماعية واحتياجات المحرومين والجوع، ﴿يُؤْتُونَ الزَّكَاةُ﴾.
- ٢٢ - من المفيد تكرار الكلام كلما لزم الأمر (جاءت الصلاة والزكاة مع كلمة واحدة هي «الذين»، في حين استخدمت كلمة «هم» مرتين مع اليقين بالمعاد)..
- ٢٣ - ترتفع قيمة الصلاة والزكاة حينما يقترنان بالإيمان وبالمعاد، ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ﴾.
- ٢٤ - أهل اليقين فريق خاص من الناس، ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾، (تكرار كلمة «هم» دليل على أن هذا الفريق فريق خاص من الناس).
- ٢٥ - المؤمنون هم الفائزون؛ فهم يبنون أنفسهم بالصلاة، ويحلّون مشكلات مجتمعهم بالزكاة، ويقومون بتأمين مستقبلهم بيقينهم في المعاد، ﴿يُوقِنُونَ... الزَّكَاةُ... يُوقِنُونَ﴾.
- ٢٦ - يتحوّل العلم إلى نسيان، أمّا اليقين فإنه يقترن بالاهتمام الدائم، ﴿يُوقِنُونَ﴾.
- ٢٧ - لا يكفي الاعتقاد والعلم، بل لا بد من الإيمان القلبي واليقين، ﴿يُوقِنُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿١﴾
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ ﴿٢﴾﴾

إشارات:

□ نُسب تزيين الأعمال القبيحة إلى الله تعالى في هذه الآية وفي الآية ١٠٨ من سورة الأنعام، في حين عدّ القرآن الكريم هذا الأمر من عمل الشيطان في

مواضع أخرى. ويرجع السبب في ذلك إلى أن الله تعالى وضع نظام الكون على أساس العلل والأسباب، ويمكن نسبة الأعمال التي تقع، إلى واحد من هذه العلل والأسباب. فيمكن على سبيل المثال أن نقول: فتح المفتاح الباب، ويمكن أن نقول: فتحت يدي الباب، ويمكن أن نقول: فتحت الباب بنفسي؛ وذلك لأن المفتاح في يدي، ويدي تحت تصرفي. والشيطان يُزين هنا أيضاً العمل القبيح، ويظهره في صورة جميلة، ولكن الإنسان يعتاد هذا العمل القبيح بتكراره، والتعود على العمل بعد تكراره سُنَّة إلهية.

سمات الخاسرين:

□ الخاسرون على أنواع عدة:

أ - خاسر؛

ب - لفي خسر؛

ج - خُسران؛

د - أخسرون.

أ - الخاسر هو الذي ضاع عمره، ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾^(١).

ب - من هو في خُسْرٍ هو من ليس من أهل الإيمان والعمل الصالح، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُ خَاسِرٌ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(٢).

ج - الخُسران المُبين هو أن يعبد الإنسان الله عبادة مزللة، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(٣).

د - الأخسرون هم المنحرفون الذين يظنون أنهم على الطريق الصحيح، ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِنُونَ أَنْتَهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(٤).

(١) سورة الزمر: الآية ١٥.

(٢) سورة الحج: الآية ١١.

(٣) سورة العصر: الآيتان ٢ - ٣.

(٤) سورة الكهف: الآية ١٠٤.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِيهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَتَاتِيكُمْ مِنْهَا يَخَبِرُ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا تُودِي أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْوَسِي إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾

إشارات:

□ ذكر اسم موسى ﷺ في القرآن الكريم ١٣٦ مرة، وجاءت قصته في ٣٤ سورة، وهناك ما يقرب من تسعمائة آية حول ما جرى لبني إسرائيل.

□ كان موسى ﷺ قد انطلق مع زوجته الحامل من «مدين» متوجهاً إلى مصر، ودفع ظلام الليل والبرد ورياح الصحراء العاصفة من ناحية، ووضع الزوجة الحامل من ناحية أخرى، موسى إلى الإسراع في البحث عن النار، والآيات التي نتحدث عنها تدور حول هذه الحادثة.

□ يبدو من بين كل الاحتمالات أن المُراد من قوله تعالى ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ هو موسى ﷺ الذي كان في منطقة النار، والمقصود بقوله ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ هم أفراد أسرته أو الرُسل الذين كانوا في الأرض المقدسة.

النار في القرآن:

- افتخر بها إبليس، ﴿خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ﴾^(١).
- يُعاقب بها الكافر، ﴿تَصَلَّىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾^(٢).
- خرج منها إبراهيم سالمًا، ﴿يَنَارُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾^(٣).
- بحث عنها موسى؛ ولكنه صار نبيًا، ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا... تُودِي﴾^(٤).
- أذاب ذو القرنين بها المعادن لبناء السد، ﴿قَالَ أَنْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾^(٥).

(٤) سورة النمل: الآيتان ٧ - ٨.

(٥) سورة الكهف: الآية ٩٦.

(١) سورة الأعراف: الآية ١٢.

(٢) سورة الغاشية: الآية ٤.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٦٩.

التعاليم:

- ١ - قصة موسى تستحق الذكر، كما أنها تدفع إلى التذكر، ولا ينبغي نسيانها، ﴿إِذْ قَالَ...﴾.
 - ٢ - يظهر أحياناً عطاء خاص أثناء السعي في مساعدة الزوجة والأهل، ﴿ءَاتِيَكُمْ بِشِهَابٍ...﴾.
 - ٣ - الرجل هو المسؤول عن إدارة حياة زوجته، ﴿ءَاتِيَكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّكُمْ تَضَلُّونَ﴾.
 - ٤ - كانت حياة الأنبياء من الناحية الطبيعية مشابهة لحياة سائر الناس، ﴿ءَاتِيَكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّكُمْ تَضَلُّونَ﴾.
 - ٥ - نحن مكلفون بأن نأخذ بالظاهر، أمّا الألفاظ الخفية فهي شأن من شؤون الله، ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ﴾.
 - ٦ - جاء الدليل على البركة في كلام الله مع موسى وتكليفه بالرسالة وظهور المعجزات وبِعثة باقي الأنبياء في تلك المنطقة، ﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.
 - ٧ - لا ينبغي أن نظن أن النداء الإلهي إلى الرُّسل وهمّ وخيالٌ (جاءت عبارة «سبحان الله» بجوار كلمة «نودي»، أي أنّ الله مُنزّه عن أن يكون هذا النداء وهم أو خيال أو وسوسة).
 - ٨ - بعثة الأنبياء شأن من شؤون الربوبية، ﴿نُودِيَ... رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
 - ٩ - العزة والحكمة من لوازم الألوهية، ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ... الْمَزِيدُ الْحَكِيمُ﴾.
- ﴿وَأَنِّي عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدِرًّا وَلَرَّ يَعْقَبُ يَمْوَسِي لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾﴾

إشارات:

- كلمة «جانٌّ» تعني الثعبان الصغير، وهو الذي ظهر حينما تحولت العصا في المرة الأولى، أو الثعبان الكبير الذي يتحرك بسرعة كالثعبان الصغير.

□ ثمة احتمالات عدّة في المقصود من جملة «إلا مَنْ ظلم»، وأفضل ما قيل هو أن هناك جملة مقدّرة في هذه الآية، وتعني في هذه الحالة أن غير الأنبياء يخافون إلا مَنْ يَظلم منهم ثم يعمل بعد ذلك الأعمال الصالحة، فهؤلاء أيضاً لا يخافون؛ لأن الله تعالى هو الغفور الرحيم.

الخوف نوعان: غريزي ومعنوي، وجملة ﴿لَا تَخَفْ﴾ خاصة بالخوف الغريزي، أمّا الخوف المعنوي فهو الخوف من المقام الإلهي، وقد ورد في الآيات الأخرى.

التعاليم:

١ - يجب أن يكون النداء السماوي مصحوباً بمعجزة حتى يكون مؤثراً، ﴿نُورِي... وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾.

٢ - أداة المعجزة من الوسائل العادية، ﴿عَصَاكَ﴾.

٣ - يجب أن نتمتع بالعلم والتجربة والرشد الكافي قبل أن نُرشد الآخرين (يرى موسى المعجزة هنا حتى يتحدث في قصر فرعون بقوة)، ﴿رَبِّهَا﴾.

٤ - يحظى الأنبياء برعاية الله وتربيته، وهو الذي يأمرهم وينهاهم، ﴿لَا تَخَفْ﴾.

٥ - مَنْ يعرف أن الله تعالى موجود ويطلع عليه، لا يخشَ غير الله، ﴿لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾.

٦ - الخائن خائف، ومن يظلم يجب أن يخاف، إلا أن يتدارك ذنبه، لأن الله تعالى هو الغفور، ﴿لَا يَخَافُ... إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾.

٧ - تبديل السوء إلى حسنٍ عبر محو الذنب أو العفو عنه أو القيام بفعل حسن بعد فعل قبيح، كأن يضع وسائل الذنب تحت سيطرة المحسنين، ﴿بَدَلْ حُسْنًا﴾.

٨ - يصدر عفو الله بعد أن يقوم الإنسان بفعل الخير وتدارك الذنب، ﴿بَدَلْ حُسْنًا... فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ فَخَرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ مُسَوِّطٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ
وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (١٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾

إشارات:

□ المقصود بالمعجزات التسع هو المعجزات التي جاء بها موسى أمام فرعون، وإلا فإن موسى عليه السلام كانت له معجزات أخرى كثيرة، ويمكن أن نعد كل معجزة معجزتين أيضاً؛ لأن تحول العصا إلى ثعبان معجزة، وعودة الثعبان إلى عصا معجزة أخرى، لكن القرآن عدّهما معجزة واحدة. أمّا معجزات موسى التسع فهي:

- ١ - اليد البيضاء
- ٢ - تحول العصا إلى ثعبان
- ٣ - الطوفان الذي أحاط بالأعداء
- ٤ - الجراد (الحشرة التي عصفت بزروعهم وأشجارهم)
- ٥ - القمل (نوع من الآفات التي انتشرت فيهم وأقضت مضاجعهم)
- ٦ - الضفادع (هجوم الضفادع من نهر النيل وإزعاجها حياة الناس)
- ٧ - الدم (انتشار مرض الرعاف وخروج الدم من الأنف، أو تحول مياه النيل إلى لون الدم)^(١)
- ٨ - وقوع الجذب والقحط^(٢)
- ٩ - شق البحر^(٣).

- ومعجزات موسى عليه السلام الأخرى هي: ضربُ الحجر بالعصا وتَفْجُرُ اثنتي عشرة عيناً من الماء^(٤) ونزول المن والسلوى^(٥) (المنُّ عصارة خاصة تأتي من الشجر، وهي حلوة الطعم، والسلوى طيور خاصة شبيهة بالحمام).

(١) سورة الأعراف: الآية ١٣٣. (٤) سورة البقرة: الآية ٦٠.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٣٠. (٥) سورة البقرة: الآية ١٣٠.
(٣) سورة البقرة: الآية ٥٠.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ لِمُوسَى عليه السلام: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ يَدَانِ يَصْبَأُ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾ قَالَ: مِنْ غَيْرِ بَرَصٍ»^(١).

التعاليم:

١ - لا بدّ من أن يكون الغضب بموازاة المحبة، والأمل إلى جانب الرجاء (اليد النورانية بجوار الثعبان)، ﴿جَانٌّ... يَصْبَأُ﴾.

٢ - لا يكفي استدلال واحد أو تذكير واحد أو معجزة واحدة بالنسبة للبعض، ﴿فَتُجْعَلُ آيَاتِي﴾.

٣ - كان الكفار يطلبون المعجزة من ناحية ثم يصفونها بالسحر والشعوذة من ناحية أخرى، ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿وَجَعَدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١٤)

إشارات:

□ سأل أبو عمرو الزبيري الإمام الصادق عليه السلام عن أنواع الكفر التي وردت في القرآن الكريم، فقال: الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه، فمنها كُفر الجحود، والجحود على وجهين، والكفر بترك ما أمر الله، وكفر البراءة، وكفر النعم. فأما كفر الجحود فهو الجحود بالربوبية، وهو قول من يقول: لا ربّ ولا جنة ولا نار... فهذا أحد وجوه الكفر. وأما الوجه الآخر من الجحود: فهو الجحود على معرفة، وهو أن يجحد الجاحد وهو يعلم أنه حق قد استقر عنده، وقد قال الله تعالى: ﴿وَجَعَدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾^(٢).

التعاليم:

١ - الإنكار أرض خصبة للإفساد، ﴿جَعَدُوا... الْمُفْسِدِينَ﴾.

٢ - لا فائدة من العلم واليقين إذا لم يقترن كلُّ منهما بالتقوى، ﴿وَأَسْتَفْتَنَهَا... ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾.

٣ - كان كثير من الكفار يؤمنون في قلوبهم، ولم يكن الجهل هو الدافع إلى إنكارهم، وإنما أنكروا ظلماً وتكبراً، ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾.

٤ - يجب درس التاريخ والاطلاع على أحداثه كوسيلة لأخذ العبرة، ﴿فَانظُرْ﴾.

٥ - نهاية أمر المُفسدين هي السقوط والهلاك، ﴿كَيْفَ كَانَتْ عَقِيبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْخَمْدُ لِلَّهِ

الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٥)

إشارات:

□ من الممكن أن يكون المقصود بالعلم الذي أعطي لداوود وسليمان ﷺ هو علم القضاء، بدليل الآية ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾^(١)، أي أننا وهبنا داوود وسليمان الحكمة والقضاء. وبدليل الآية ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾^(٢) أيضاً. وربما كان المراد من العلم هو علم مخاطبة الطيور والتحدث معها، وذلك بدليل الآية ﴿عَلَّمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ﴾^(٣). وربما كان العلم هو علم صناعة الدروع، لقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾^(٤). لكن الأفضل هو أن نجعل العلم هنا علم إدارة شئون البلاد بشكل عام.

□ سؤال: لماذا يَهَبُ الله تعالى بعض عباده نِعْماً خاصة؟ وهل يتفق هذا الأمر مع العدل؟

الجواب: أولاً: ليس من معاني العدل أن نعطي الجميع بالتساوي. هل المُعلم الذي يُعطي كل تلميذ درجةً خاصّةً ظالم؟ وهل الطبيب الذي يصف دواءً مختلفاً لكل مريض ظالم؟ ثانياً: تترتب على النعم والعطايا الخاصة مسؤوليات

(١) سورة النمل: الآية ١٦.

(٢) سورة ص: الآية ٢٠.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٨٠.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٧٩.

خاصة أيضاً. ثالثاً: نحن لا نُلْزَمُ الله تعالى بشيء حتى يعطينا كلَّ ما نُريد، بل يعطينا بمقتضى فضله. رابعاً: بعض العطايا والأفضال الإلهية تكون طبقاً للظروف التي يهيئها الإنسان أو المُجتمع.

وأهل الإخلاص والسعي والعلم والتدبير وعدم الإسراف والعدل ووحدانية الكلمة يخلقون لأنفسهم الشروط والظروف التي تؤهلهم لاستقبال العطايا الإلهية والنعم الخاصة.

لا شك أن الهبات والمنح الخاصة تكون أحياناً بسبب العمل الذي يقوم به الوالدان، ويعطي الله تعالى أجر هذا العمل لأبنائهم، وهو ما نراه في قصة موسى والخضر، حيث يأمر الله تعالى هذين النبيين بأن يُقيما جداراً كان على وشك أن ينقض، وكان تحته كنز، وكان هذا الكنز لغلامين يتيمين، وذلك كي يستخرجا كنزهما في المستقبل ويستفيدا منه، وكان لهذين الغلامين أبوان صالحان، ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾^(١).

العلوم الإلهية الخاصة:

□ وهب الله تعالى علوماً خاصة لأفراد مخصوصين، وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم، ومنهم:

- ١ - آدم: علوم الأشياء كلها، ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(٢).
- ٢ - الخضر: العلوم الباطنية والتأويل (حتى يصبح موسى تلميذاً له)، ﴿هَذَا أَنْتِمْ عَلَّمَ أَنَّ تُعَلِّمِينَ﴾^(٣).
- ٣ - يوسف: علم تفسير الأحلام، ﴿عَلَّمَنِي رَفِئٌ﴾^(٤).
- ٤ - داود: علم صناعة الدروع، ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾^(٥).
- ٥ - سليمان: علم لغة الطير، ﴿عَلَّمَنَا مَطَاقَ الطَّيْرِ﴾^(٦).

(٤) سورة يوسف: الآية ٣٧.

(٥) سورة الأنبياء: الآية ٨٠.

(٦) سورة النمل: الآية ١٦.

(١) سورة الكهف: الآية ٨٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ٣١.

(٣) سورة الكهف: الآية ٦٦.

- ٦ - مساعد سليمان: العلم الذي أحضر به عرش السلطنة من بلد إلى بلد آخر، ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾^(١).
- ٧ - طالوت: العلوم العسكرية، ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾^(٢).
- ٨ - الرسول الأكرم وباقي الأنبياء ﷺ: علوم الغيب، ﴿عَلَيْمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾^(٣).

التعاليم:

- ١ - علم الأنبياء علمٌ لدنّي، ويوهب لهم بإلهام من الله تعالى، ﴿ءَايُنَا﴾.
- ٢ - يجب المحافظة على احترام الأفراد وشؤونهم (جاء اسم الأب أولاً ثم اسم الابن من بعده)، ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾.
- ٣ - للعلم وضع خاص بين النعم التي يُنعم الله بها على عباده، ﴿ءَايُنَا... عَلَمًا﴾.
- ٤ - تزداد قيمة العلم حينما يكون في يد الصالحين، ﴿ءَايُنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلَمًا﴾.
- ٥ - «الحمد لله» هي أفضل جملة لشكر الله وحمده، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.
- ٦ - العلم واحد من معايير التفاضل، ﴿ءَايُنَا... عَلَمًا... فَضَّلْنَا﴾.
- ٧ - هناك من عباد الله من هو أفضل من داوود وسليمان، ﴿فَضَّلْنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ﴾.
- ٨ - علينا ألا نرى أنفسنا أفضل من الجميع في أي مقام نكون فيه، ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ﴾.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَاءَتِيهَا النَّاسُ عَلِمَنَا مِنطِقَ الطَّيْرِ
وَأُوْتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ (١٦)

إشارات:

□ كلمة «إرث» تشتمل في معناها على الإرث المعنوي، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾، كما تشتمل على الإرث المادي أيضاً. لكن المراد بالإرث في هذه

(٣) سورة الجن: الآيتان ٢٦ - ٢٧.

(١) سورة النمل: الآية ٤٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٤٧.

الآية هو وراثة المال والحُكم، وليس العلم والنبوة فقط. وبناءً على هذا فإنَّ الحديث الذي يقول: «إنا معشر الأنبياء لا نُورث، ما تركنا صدقة» - وأخذت فذك من السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام استناداً إليه لا يتفق مع هذه الآية، ويجب أن يُرفض، (تلت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام هذه الآية دفاعاً عن حقها في مقابل الخليفة الأول)^(١). وجاء في «تفسير نمونه» نقلاً عن «سيرة الحلبي» أنَّ أبا بكر قد تأثر بما قالته فاطمة الزهراء عليها السلام، وأعاد إليها سند فذك، وبكى، ولكن عُمرأ أخذ السند مرة ثانية ومزقه).

□ ورد في الرواية عن الإمام علي عليه السلام: «إنَّ الله علمنا منطق الطير كما علم سليمان بن داود، ومنطق كل دابة في بر وبحر»^(٢).

التعاليم:

- ١ - يعود الإرث إلى تاريخ قديم جداً، ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ...﴾.
- ٢ - علم الأنبياء عطاء إلهي، ﴿عُلِّمْنَا﴾.
- ٣ - يجب إظهار النعم الإلهية، ﴿عُلِّمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ﴾، ويقول تعالى في موضع آخر: تحدثوا عن نعم ربكم، ﴿وَأَمَّا يَنْعَمَ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٣).
- ٤ - للطيور إدراك وقدرة على النطق، ﴿مَنَظِقَ الطَّيْرِ﴾.
- ٥ - العلم مُقدم على النعم كلها. قال تعالى: ﴿عُلِّمْنَا﴾ ثم جاء بعد ذلك قوله: ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾.
- ٦ - يجب أن نعلم أن علومنا وإمكانياتنا من عند الله وليست من عند أنفسنا، ﴿عُلِّمْنَا... وَأُوتِينَا﴾.
- ٧ - لا يتعارض الإيمان والتوكل مع امتلاك الإمكانيات، ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾.
- ٨ - يجب أن نعلم أنَّ النعم من فضل الله، وليست باستحقاقنا لها، ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾.

(٣) سورة الضحى: الآية ١١.

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٧٥.

(٢) تفسير كنز الدقائق.

﴿وَحِشْرَ إِسْلَيْمَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (١٧)

إشارات:

□ كلمة «يُوزَعُونَ» من مادة «وَزَعَ» (على وزن جَمَعَ)، وتعني المنع والحبس، وكلما استخدمت هذه الكلمة في الحديث عن الجيش فإنها تعني الحيلولة دون تشتت قوته ومنع تفرق أفرادها، فيتم إيقاف مُقدمة الجيش حتى يلحق بها باقي الجنود^(١). و«الإيزاع» هو التقسيم الحكيم للقوات بحيث يكون كل فرد في مكانه، ويكونون على خط واحد^(٢).

□ تحدث القرآن الكريم مرات عدة عن الجنّ، وهناك سورة من سوره بهذا الاسم. وسوف نُشير هنا إلى بعض خصائص الجنّ:

- الجنّ مخلوق عاقل، يوجه الله تعالى الخطاب إليه، ﴿يَتَمَشَّرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسُ﴾^(٣).
- بعض الجنّ مؤمن والبعض كافر، ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾^(٤)، ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾^(٥).
- في الجنّ نساء ورجال، ولهم أولاد، ومن الطبيعي أن لهم شهوة، ﴿لَمَّا يَطْلُبُهَا إِنْشَ فَبَأْلَمَتْ وَلَا جَانٌّ﴾^(٦).
- كان من الجنّ غواصون وبنّاؤون من أجل سليمان^(٧)، ﴿وَالشَّيَاطِينُ كُلُّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ﴾^(٨).

(١) تفسير نمونه.

(٢) التحقيق في كلمات القرآن، مادة: «وزع».

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٣٠.

(٤) سورة الجن: الآية ١٤.

(٥) سورة الجن: الآية ١١.

(٦) سورة الرحمن: الآية ٥٦.

(٧) لمزيد من التوضيح حول الجنّ، انظر: سورة الجن، وقاموس القرآن، ج ٢، ص ٦١ - ٧٣.

(٨) سورة ص: الآية ٣٧.

التعاليم:

- ١ - كان سليمان يتفقد جنوده، ﴿وَحِشْرَ إِسْلَيْمَنْ جُنُودُهُ﴾.
- ٢ - يمتلك الإنسان القوة التي تجعله يُسيطر (بإذن الله تعالى) على الجنِّ والطيور ويُخضعهما لأمره، ﴿وَحِشْرَ إِسْلَيْمَنْ جُنُودُهُ مِنْ آلِجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالْطَّيْرِ﴾.
- ٣ - كان بعض الأنبياء حكاماً، ﴿وَحِشْرَ إِسْلَيْمَنْ جُنُودُهُ﴾.
- ٤ - تستطيع الجنُّ أن تساعد الإنسان، ﴿مِنْ آلِجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾.
- ٥ - ولاية الأنبياء ليست على البشر فقط، ﴿مِنْ آلِجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالْطَّيْرِ﴾ بل هي تشمل باقي المخلوقات..
- ٦ - للنظام قيمة في كل مكان، ولكن للنظام قيمة خاصة وضرورة حتمية في الجيش، ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.
- ٧ - من الضروري أن يكون للجيش الإلهي تمرينٌ وتدريب واستعداد، ﴿وَحِشْرَ إِسْلَيْمَنْ... يُوزَعُونَ﴾.
- ٨ - تحول علم سليمان ومعرفته إلى وسيلة ومقدمة للحصول على كل هذه الإمكانات وتسخير هذه القوى له، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ... وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ... وَحِشْرَ إِسْلَيْمَنْ﴾.

﴿حَقَّ إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّمْلُ
أَدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَنْ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٨)

إشارات:

- كلمة «نمل» تعني من ناحية اللغة الحركة الزائدة بأرجل قصيرة^(١).
- كلمة «نملة» يُمكن أن تعني النملة الكبيرة أو قائدة النمل بسبب التنوين في نهايتها، وتشير في هذه الحالة إلى وجود إدارة وقيادة في حياة النمل. ويمكن

(١) التحقيق في كلمات القرآن، مادة: «نمل».

للتنوين أن يكون علامة على كونها نملة مجهولة، وهنا تصبح الرسالة التي تحملها هذه الآية هي: علينا أن نهتم بالتحذير حتى لو جاءنا من مجهول يُشفق علينا من الأخطار.

التعاليم:

- ١ - تختار الحيوانات المنطقة التي تعيش فيها بما لديها من وعي، ﴿وَإِذْ أَلَّمْنَا﴾.
- ٢ - يوجد بين الحيوانات أيضاً حوار وأمر ونهي، ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ﴾.
- ٣ - توجد عند النمل أيضاً قيادة واستطلاع وطاعة، ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ... أَدْخُلُوا﴾.
- ٤ - للحيوانات وعي وإدراك، وهي تعرف المفسد والأضرار، ويحذر أحدها الآخر، ﴿أَدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ﴾.
- ٥ - توجد غريزة دفع الضرر المحتمل في الحيوانات أيضاً، ﴿أَدْخُلُوا... لَا يَحِطُّكُمْ﴾.
- ٦ - الذي لا يحذر بني جنسه عند استشعار الخطر يكن أقل حالاً من النملة، ﴿لَا يَحِطُّكُمْ﴾.
- ٧ - علينا أن نتنبه ونحن نسير في الطريق حتى لا ندهس النمل بأقدامنا، ﴿لَا يَحِطُّكُمْ﴾.
- ٨ - كان الأنبياء يعيشون حياتهم كالأخريين في الأمور العادية، ﴿لَا يَحِطُّكُمْ سُلَيْمَنُ﴾.
- ٩ - فساد القائد مقدمة لفساد الشعب، ﴿لَا يَحِطُّكُمْ سُلَيْمَنُ وَخُودُهُ﴾.
- ١٠ - النملة تعرف الأفراد من البشر، بل تعرف عملهم أيضاً، ﴿سُلَيْمَنُ وَخُودُهُ﴾.
- ١١ - لا يلحق أولياء الله الضرر بأحدٍ عمداً وعن علم، حتى النملة الصغيرة، ﴿وَمَنْ لَا يَشْعُرْ﴾، والنمل يعرف عدل سليمان ﷺ وتقواه، ويعلم أن ذلك العظيم لن يظلم نملة من النمل أيضاً.

﴿فَبَسَّرَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٩)

إشارات:

□ ذكر في الآية ١٦ أن سليمان عليه السلام قال: نحن نعلم لغة الطير. ويتضح من هذه الآية أن معرفة لغة الطير قد ذكرت هنا على سبيل المثال، لأن سليمان كان يعرف أيضاً لغة النمل وسمع كلام النملة.

□ كلمة «إيزاع» أعلى من التوفيق، وهي شيء شبيه بالإلهام^(١)، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾^(٢)، أي ألهمنا الأنبياء القيام بأعمال الخير.

□ العمل الصالح لا يكفي وحده، بل المهم هو الانتماء إلى زمرة الصالحين، لأنه:

- أحياناً يكون العمل صالحاً، ولكن الفرد ليس مؤهلاً من الناحية النفسية، ويقع في أسر الرياء والسُّمعة والغرور والعُجب وإحباط العمل.
- أحياناً يكون العمل صالحاً، ولكنه ينتهي بنهاية ضالة، ولا يُختم لصاحبه بخُسن الخاتمة.

- أحياناً يكون العمل صالحاً، ولكن يكون فيه نوع من الفردية، ولا يكون الشخص مُستعداً للانخراط في جمع الأخيار، ﴿أَعْمَلَ صَالِحًا... فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾.

التعاليم:

١ - سعة الصدر من أصول القيادة والإدارة وشروطهما. فالنبي سليمان عليه السلام يسمع جملة «لا يشعرون» من النملة، ويغض الطرف عن قولها، ويتبسم ضاحكاً، ﴿فَبَسَّرَ﴾.

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ٣٥٣. (٢) سورة الأنبياء: الآية ٧٣.

- ٢ - يجب الإصغاء إلى الانتقاد وكلمة الحق من قائلٍ، والترحيب به (لقد قبل سليمان كلام النملة)، ﴿فَبَسَّرَ﴾، فقبول النقد سمة هامة للقائد..
- ٣ - يُخضع الله تعالى أوليائه لتربية خاصة من عنده، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ... فَبَسَّرَ﴾، فالله تعالى يختبر سليمان بما لديه من مقام رفيع ومُلْكٍ عظيم بكلام نملة حتى يُرسخ التوازن في كيانه بهذه الوسيلة..
- ٤ - ضحك الأنبياء تبسم وليس فهقهة، فقد تبسم سليمان ﷺ حينما غلبه الضحك، ﴿فَبَسَّرَ ضَاحِكًا﴾.
- ٥ - فهم سليمان كلام النملة وثبَّ أعوانه وأتباعه إلى ذلك، ﴿مِّن قَوْلِهَا﴾.
- ٦ - لا يختص الدعاء بوقت الاضطرار، فقد كان الأنبياء يدعون ربهم في ذروة العظمة والقوة، ﴿رَبِّ﴾.
- ٧ - علينا أن نطلب من الله أن يوفقنا إلى شكره، ﴿رَبِّ أَوْعَيْتِ أَنْ أَشْكُرَ﴾.
- ٨ - يجب أن يشكر الإنسان ربه على النعم التي أنعم بها عليه حتى الآن، كما يجب عليه أن ينظر إلى واجبه في المستقبل بالتفكير في العمل الصالح وجلب رضا الله واللاحاق بالصالحين، ﴿أَشْكُرُ... أَعْمَلُ صَالِحًا...﴾.
- ٩ - يجب على الأبناء أيضاً أن يشكروا الله على النعم التي أنعم بها عليهم، كما يجب عليهم أن يشكروه على ما أنعم به على والديهم، ﴿عَلَى وَعَلَى وَلَدَيْكَ﴾.
- ١٠ - لا يقتصر شكر الله على اللسان فقط، بل ينبغي أن نشكره بالعمل الصالح والاستفادة الصحيحة من النعم التي أنعم بها علينا، ﴿أَشْكُرُ... أَعْمَلُ صَالِحًا﴾.
- ١١ - يُفكر سليمان في العمل الصالح ولا يسير وراء ملذاته وتوسيع سلطانه والفخر بما لديه على الرغم من امتلاكه الجيش الجرار والحكم القوي ومعرفته لغة الحيوانات أيضاً، ﴿أَعْمَلُ صَالِحًا﴾.
- ١٢ - يجب أن يكون دعاء الحُكَّام وسعيهم من أجل القيام بالعمل الصالح، ﴿أَعْمَلُ صَالِحًا﴾.
- ١٣ - يُقبل العمل عند الله بشرط أن يكون صالحاً، ﴿صَالِحًا رَّزَنَدُ﴾.

١٤ - تزداد أهمية العمل الصالح قيمة حينما يحظى برضا الله، ولا يكون لإرضاء الناس فقط، ﴿صَلِّحًا رَّضْنَهُ﴾.

١٥ - أعظم غاية في حكم الصالحين هي رضا الله تعالى، ﴿رَّضْنَهُ﴾.

١٦ - حتى الأنبياء يحتاجون أيضاً إلى العون الإلهي، ﴿أَرْزُقْنِي... أَذْخِلْنِي﴾.

١٧ - يرتفع قدر الحياة في المجتمع الصالح، على عكس الحياة بين الفاسدين، أولئك الذين يبحثون عن الرفاهية والمال والمتعة، ﴿أَذْخِلْنِي... فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾.

١٨ - يجب عدم اعتماد الإمكانات والقوة كدليل على الوصول إلى رحمة الله، بل يجب التوجه دوماً بالدعاء للرشد والتقدم، ﴿وَأَذْخِلْنِي﴾.

١٩ - ليست مقدرات الإنسان نتيجة عمله، إنما مصدرها هو الرحمة الإلهية، ﴿بِرَحْمَتِكَ﴾.

٢٠ - يجب على كل إنسان أن يستعين برحمة الله في كل الظروف، حتى الأنبياء، ﴿بِرَحْمَتِكَ﴾.

﴿وَنَفَقَدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ مِّنْ بَيْنِ يُقَيْنٍ ﴿٢٢﴾﴾

إشارات:

□ قال البعض إن المقصود بالهدهد هنا هو هدهد خاص، ودليلهم على ذلك هو ألف ولام التعريف في كلمة «الهدهد» وقدرته على معرفة الإنسان والتعرف على دينه، وسوف نقرأ توضيح هذا الموضوع في الآيات اللاحقة^(١).

□ سأل أبو حنيفة الإمام الصادق عليه السلام: كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير؟

(١) انظر: تفسير الفرقان، وفي ظلال القرآن.

قال: لأن الهدهد يرى الماء في بطن الأرض كما يرى أحدكم الدهن في القارورة^(١).

□ ذكر البعض أقوالاً في عذاب الهدهد، منها: فصله عن أنثاه، أو نتف ريشه، أو وضعه في الشمس، أو طرده من بلاط سليمان ﷺ أو وضعه مع عدوه في قفص واحد^(٢).

التعاليم:

١ - تفقد الأتباع وتفحص أعمالهم والسؤال عن أحوالهم من المبادئ الإسلامية والأخلاقية والاجتماعية والتربوية والإدارية، ﴿وَتَقَفَّذَ﴾.

٢ - لا ينبغي الانشغال بالقضايا الكبرى عن المسائل الصغيرة، ﴿وَتَقَفَّذَ الطَّيْرَ﴾.

٣ - لا يجوز التسرع في الحكم، واتهام المرؤوسين كالجنود، فربما كانت هناك تفاصيل قد فاتت التسرع، ﴿مَالِكٌ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ﴾.

٤ - الفطنة والدقة والسيطرة من الشروط اللازمة للقيادة، ﴿مَالِكٌ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ﴾.

٥ - يجب على الحاكم والقاضي أن يتمتعوا بشروط خاصة، منها:

أ - المحبة والدقة، ﴿وَتَقَفَّذَ الطَّيْرَ﴾.

ب - التواضع، ﴿مَالِكٌ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ﴾.

ج - الصلابة في مواجهة المخالف والمتخلف عن واجبه، ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ... أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾.

د - إعطاء الفرصة للمتهم، ﴿لَيَأْتِيَنِي﴾.

٦ - من الضروري الإشراف الدقيق على حضور القوات وغيابها في الأعمال التنظيمية، ولهذا فإن التمرد على الأنظمة والقوانين وترك مواقع العمل بلا سبب ذنب لا يُغفر، ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْفَآئِينَ﴾.

- ٧ - ليس هناك ما يمنع عقاب الحيوان المرتكب للمخالفة، ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ﴾.
- ٨ - الحيوانات تعرف العقاب، ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ﴾.
- ٩ - إذا كان غياب طائر يمثل هذا التهديد كله فما واجبنا نحن حيال كل هذا الغياب وعدم الحضور؟ ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ﴾.
- ١٠ - يأتي الأنبياء بالقانون ويطبقونه أيضاً، ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ﴾.
- ١١ - يجب وضع عقوبات متنوعة من أجل معاقبة المتخلفين، وذلك لتجنب المفاجآت عند تنفيذ القانون، ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾.
- ١٢ - لا بد من أن يقترن الحسم بقبول العذر، ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ... لِيَأْتِيَنِي﴾.
- ١٣ - ينبغي عدم التساهل في الإدارة والمؤسسات، ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ... لَأَذْبَحَنَّهُ... لِيَأْتِيَنِي﴾، (وجود حرف «اللام» في ثلاث جُمَل دليل على الحسم).
- ١٤ - لا مانع من تحويل التخلف البسيط عن العمل جريمة كبيرة من أجل الحفاظ على النظام وزجر المتخلفين، ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾.
- ١٥ - يتوجب فتح باب الدفاع أمام المتهم، ﴿أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾.
- ١٦ - توفر للحيوانات الفهم والإدراك، لتستطيع أن تُبرر أعمالها وتُقيم الدليل عليها، ﴿لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾.
- ١٧ - حتى سليمان ﷺ يُسَلِّمُ أمام الهدهد عند وجود المنطق وإقامة الدليل، ﴿لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَنٍ﴾.
- ١٨ - لا بد من وجود مسؤول واستئذان، في أية مؤسسة من أجل القيام بأي عمل أو مهمة، ﴿بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾.
- ١٩ - ما الذي يخشاه صاحب الحساب الطاهر من المحاسبة؟ ﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ﴾.
- ٢٠ - قد يستطيع الحيوان أن يصل إلى الشيء الذي لا يصل إليه الإنسان، ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهٖ﴾.
- ٢١ - التجوال والسياحة مفتاح لاكتساب المعلومات الجديدة، ﴿أَحَطْتُ﴾.

٢٢ - تعدُّ حُرِّية التعبير واحدة من خصائص الحكومات الصالحة، ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ﴾.

٢٣ - لا يرتبط العلم والمعرفة بسنٍّ أو جنس أو شكل، ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ﴾.

٢٤ - يخضع الأنبياء أيضاً للتربية الإلهية، فقد كان سليمان يقول: ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾، أي أعطينا من كل شيء، فيقول له طائر من الطيور: أنا أعرف شيئاً لا تعرفه أنت، ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾.

٢٥ - لا وجود للتملق والخوف لدى الرعية في حكم الأنبياء، ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾.

٢٦ - ينبغي على كبار رجال الحكم والمسؤولين ألا يحصروا مصادر معلوماتهم في أفراد أو مجموعات خاصة (الهدهد يقدم تقريراً للسلطان)، ﴿أَحَطْتُ... جَنَّكَ﴾.

٢٧ - يجب ذكر الأخبار الأكيدة والمُحققة في التقارير، ﴿بَيْنَا يَقِين﴾.

٢٨ - لا بد من وجود أفراد أو مؤسسة من أجل جمع الأخبار من المناطق الواقعة خارج حدود البلاد (ليس من أجل التجسس بالتأكيد، ولكن من أجل الدعوة والإرشاد أو الاستعداد الدفاعي)، ﴿مِنْ سَائِلٍ﴾.

٢٩ - أهمية الخبر هو أن يكون مؤكداً، سواء كان ناقله كبيراً أو صغيراً، إنساناً أو حيواناً، ﴿بَيْنَا يَقِين﴾.

٣٠ - على مسؤولي الحكومة أن يعتمدوا على الأخبار الأكيدة، ﴿بَيْنَا يَقِين﴾.

﴿إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَلِيكَهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَمَّا عَرَّشُ عَظِيمٌ ۝٢٣﴾

وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ

السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۝٢٤﴾

التعاليم:

١ - قد تتوفر لبعض الحيوانات معرفة عالية، ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا﴾، فالهدهد يعرف

المرأة والرجل، والتاج والعرش، والحكم والملكية، والتوحيد والشرك، والشمس والسجود، والشيطان وتزيينه للعمل القبيح، والحق والباطل، والهداية والضلال.

٢ - الإنصات لكلام الآخرين دليل على الأدب وشرط من شروط الإدارة، على الرغم من أن المتحدث هنا حيوان، ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا﴾.

٣ - يمكن للمرأة أن تحكم ﴿تَلِيكُهُمْ﴾، ولكن حكم المرأة للمجتمع أمرٌ عجيب حتى لطائر من الطيور، ﴿وَجَدْتُ أَمْرًا... وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا﴾.

٤ - لم يكن حكم سليمان ﷺ حكماً عالمياً في البداية، ﴿أَمْرًا تَلِيكُهُمْ﴾.

٥ - يعود تكوين الأنظمة والحكومات إلى تاريخ قديم، ﴿تَلِيكُهُمْ﴾.

٦ - عوامل الانحراف هي:

أ - القائد الضال، ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ﴾.

ب- البريق والزخرفة، ﴿يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ﴾.

ج - الإمكانات والرفاهية، ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

د - الشيطان وتزييناته، ﴿رَبَّنْ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾.

٧ - إنعام الله بالخيرات الإلهية على الناس ليس دليلاً على قربهم منه أو بعدهم عنه، فالله تعالى يُعطي سليمان ﷺ كما يُعطي المرأة الكافرة، فقد قال سليمان في الآيات السابقة: «أوتينا من كل شيء»، وقال تعالى عن بلقيس: «وأوتيت من كل شيء».

٨ - نعم الله في يد الصالحين فضل مُبين واضح، ﴿وَأُوتِيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْأَمِينُ﴾؛ ولكنها تُصبح في يد الآخرين تاجاً وعرشاً عظيماً، ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾.

٩ - الإنسان عابد بفطرته، ولكنه يسير وراء الباطل إذا لم يعبد الحق، ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ...﴾.

١٠ - يقبل الناس الدين الذي يرتضيه حكامهم وقادتهم (الناس على دين ملوكهم)، ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ﴾.

١١ - يجب أن يُنَاطَ أمر كل مشكلة إلى أهلها (يجب أن يُقدم تقرير الانحراف والشرك إلى سليمان)، ﴿يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ﴾.

١٢ - ترجع عبادة الشمس إلى زمن إبراهيم عليه السلام ﴿قَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾^(١)، وكانت أيضاً في زمن سليمان عليه السلام، ﴿يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ﴾.

١٣ - أفضل وسيلة لإضلال الناس هي تزيين أعمالهم القبيحة، ﴿زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾.

١٤ - الماضي السيئ للأفراد ليس دليلاً على انحرافهم الأكيد في المستقبل (كانت بلبقيس وقومها على ضلال، ولكنهم اهتموا بعد ذلك)، ﴿لَا يَهْتَدُونَ﴾.

١٥ - ينبغي ذكر أصل الخبر في التقارير، وترك أمر التحليل والاستنتاج إلى أهلها، ﴿إِنِّي وَجَدْتُ... فَهَمَّ لَا يَهْتَدُونَ﴾، (الذي أخبر به الهدهد كان صحيحاً، ولكنه قال خلاف ذلك حينما قام بتحليل الخبر، لأنهم اهتموا إلى الحق في ما بعد).

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾

إشارات:

□ كلمة «خَبَاء» تعني المستور والخفي، ويقول الإمام علي عليه السلام: «المرء مخبوء تحت طي لسانه»^(٢)، أي أن قيمة الإنسان وشخصيته تختفيان تحت لسانه. يقول أحد الشعراء ما ترجمته: إن عيب الرجل أو فضله يختفيان مادام لم يتكلم.

□ نمو النباتات ونزول المطر نموذج لإخراج المخبوء المستور في السماوات والأرض، فالسنبلة تكمن داخل الحبة، والقدرة الإلهية هي التي تُخرجها من داخل هذه الحبة، وتصدق هذه الآية ﴿يُخْرِجُ الْخَبَاءَ﴾ على كل شيء يخرج من القوة إلى الفعل.

التعاليم:

- ١ - هدف الشيطان من تزيين أعمال الناس القبيحة هو ألا يسجدوا لله تعالى، ﴿زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ... أَلَّا يَسْجُدُوا﴾.
- ٢ - حتى الحيوان يتقصد من لا يسجد لله، ﴿يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ﴾.
- ٣ - السجود مظهر من مظاهر عبادة الله، ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾.
- ٤ - العوامل الطبيعية أدوات ووسائل تظهر من خلالها قوة الله وقدرته، ﴿يُخْرِجُ الْخَبَاءَ﴾، فعلى الرغم من أن الماء والتراب والنور دور فإن المخرج الحقيقي للنبات هو الله.
- ٥ - العالم هو المكان الذي يتجلى فيه الله تعالى، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾. يقول أحدهم: لا يخفى عن علمه مثقال ذرة، والظاهر والباطن يتساويان عنده.
- ٦ - أسباب سجودنا لله هي قدرته ﴿يُخْرِجُ الْخَبَاءَ﴾ وعلمه ﴿يَعْلَمُ﴾ ووحدانيته ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ وربوبيته وعظمته، ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٢٧)
 أَذْهَبَ يَكْتُمْنِي هَكَذَا فَأَلْفَقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾

إشارات:

□ كان لكتابة الأنبياء للرسائل ومراسلة الكفار والمشركين تاريخ طويل، وكان هذا في سيرة رسول الإسلام ﷺ، فقد أرسل رسائل إلى كسرى وقيصر في إيران وبلاد الروم. ومن سير الأنبياء والرسول إرسال الرسائل والمستشارين الثقافيين

والسفراء والممثلين والسبق في هذه المسائل من أجل الوصول إلى الأهداف الإرشادية والثقافية.

التعاليم:

- ١ - ينبغي عدم التسرع بالتصديق، كما أن رفض كلام الآخرين بدون دليل غير جائز، ﴿سَنْظُرُ﴾، (لا تعتمدوا في القضايا المهمة على تقرير واحد).
- ٢ - يجب ألا تمنع ادعاءات الآخرين ودعاياتهم عن البحث والتحقيق (ادعى الهدهد أن الخبر الذي لديه يقيني، ولكن سليمان قال له: يجب أن ننظر فيه)، ﴿سَنْظُرُ﴾.
- ٣ - التحقق والتأكد لا يقتصران على تقارير الشخص الفاسق، بل لا بد من البحث والتقصي عند الشك أيضاً، ﴿سَنْظُرُ﴾.
- ٤ - لا تصديق ولا تكذيب، بل بحث وتحقيق، ﴿سَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾.
- ٥ - من الأفضل ذكر النقاط الإيجابية قبل النقاط السلبية، ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ...﴾.
- ٦ - الطيور أيضاً مكلفة بتنفيذ أوامر الله تعالى وأوليائه، ﴿أَذْهَبَ يَكْتَنِي﴾.
- ٧ - تعتبر الكتابة من أهم أدوات الهداية والإرشاد، ﴿أَذْهَبَ يَكْتَنِي﴾.
- ٨ - يجب المسارعة إلى إرشاد الآخرين وهدايتهم وإقامة العلاقة الصحيحة والمفيدة معهم، ﴿أَذْهَبَ يَكْتَنِي﴾.
- ٩ - الأولوية عند اختيار الأفراد من أجل القيام بالمهام لمن يمتلك معرفة أكبر وإحساساً أعمق، ﴿أَذْهَبَ﴾.
- ١٠ - ليس هناك مانع من أن يكتب الرجل رسالة للمرأة من أجل الوصول إلى الأهداف الإلهية، ﴿يَكْتَنِي﴾.
- ١١ - يجب أن نبدي رد فعل فورياً ونظهر غيرتنا الدينية بعد سماع التقارير المريرة في مجال القضايا العقائدية، ﴿أَذْهَبَ يَكْتَنِي﴾.
- ١٢ - فلنكن أمناء في نقل الموضوعات والمفاهيم، ﴿يَكْتَنِي هَذَا﴾.

- ١٣ - المعرفة الخفية والمتوارية عن الأعين أعمق أنواع المعارف، ﴿ثُمَّ تَوَلَّى﴾.
- ١٤ - لا يُمكن التعامل ببساطة مع الحكومات والنُظم السياسيّة المُعقدة، ﴿فَالْقَهْ لَئِيْمٌ ثُمَّ تَوَلَّى﴾ وفي ذلك مظهر للحسم.
- ١٥ - من شروط حُسن الإدارة القدرة على الابتكار والتخطيط، ﴿أَذْهَبَ يَكْتَسِبِ... ثُمَّ تَوَلَّى﴾.
- ١٦ - اعطوا للآخرين فرصة للتفكير، ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾.
- ١٧ - التعرف على مواقف الآخرين ومعرفة حالاتهم النفسية شرط من شروط التوفيق في الإرشاد والأمر بالمعروف، ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾.
- ١٨ - لا يكفي التعرف على الفرد وحده، بل يجب أن نأخذ نظامه وأتباعه في الحسبان، ﴿لَئِيْمٌ... عَنْهُمْ... يَرْجِعُونَ﴾.
- ١٩ - يجب أخذ مواقف العدو وأحواله في الحسبان، ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾.

﴿قَالَتْ يَأْأَيُّهَا الْمَلَأُوْا اِنِّىۤ اَلْقِىَ اِلَيْكَ كِتٰبٌ كَرِيْمٌ ﴿٢٩﴾ اِنَّكُمْ مِنْ سُلَيْمٰنَ وَاِنَّكُمْ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ﴿٣٠﴾ اَلَّا تَعْلُوْا عَلٰى وَاَتُوْنِىۡ مُسْلِمِيْنَ ﴿٣١﴾﴾

إشارات:

- توجد احتمالات عديدة حول السبب في قول بلقيس «كِتَابٌ كَرِيمٌ»، ولماذا وصفت رسالة سليمان ﷺ بهذا الوصف، ومنها:
- أ - بسبب الجملة المباركة «بسم الله الرحمن الرحيم».
- ب - لكون الرسالة مختومة بخاتم سليمان.
- ج - نظراً لمحتوى الرسالة الإرشادي.
- د - بسبب مقام سليمان. وربما بسبب هذه الأمور كلها.

التعاليم:

- ١ - كان لبلقيس حاشية ومستشارون، وكانت تعرض عليهم الأخبار والأحداث، ﴿يَأْأَيُّهَا الْمَلَأُوْا﴾.

- ٢ - من المهم معرفة القراءة والكتابة بالنسبة للمرأة، ﴿أَلْفَىٰ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾.
- ٣ - كانت بلقيس حادة الذكاء وذات قوة عالية في المعرفة، ﴿كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾.
- ٤ - من المستحسن تنويع الإرشاد والدعوة بالشفقة والرحمة، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.
- ٥ - علينا أن نكتب جملة «بسم الله الرحمن الرحيم» كاملة، ولا نختصرها حتى عند كتابة كلمات معدودة، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.
- ٦ - التكبر على الأنبياء تكبرٌ على الله تعالى، ﴿أَلَّا تَقْلُوبُوا عَلَيَّ﴾.
- ٧ - البُعد عن التكبر والتعالي من عوامل التسليم للحق، ﴿أَلَّا تَقْلُوبُوا عَلَيَّ وَأَتُوبُ مُسْلِمِينَ﴾.
- ٨ - من الأفضل أن تكون الرسائل بسيطة مختصرة، وأن تُحذف الألقاب وتُوضح الأهداف، وأن يتم تجنب اللعن والإهانة، وأن تسير الرحمة إلى جوار الحسم جنباً إلى جنب، ﴿بِسْمِ اللَّهِ... أَلَّا تَقْلُوبُوا... وَأَتُوبُ﴾.

﴿قَالَتْ يَأْتِيَهَا الْمَلَكُ أَتُونِي فِي أَمْرٍ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾^(٣٢)
 ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾^(٣٣)

إشارات:

□ كلمة «فتوى» و«فتى» من جذر واحد، وكلمة «شاب» تُطلق على أي شاب، لكن كلمة «فتى» تُطلق على الشاب المُدبر الشجاع العاقل الشديد. وكلمة «فتوى» تعني أيضاً الكلام العاقل الناضج الكامل.

التعاليم:

- ١ - كانت بلقيس تُعلي من شأن الحاشية المحيطة بها، وكانت تشاورهم في الأمر، ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾.
- ٢ - تمنع السلطة والإمكانات قبول الحق أحياناً، ﴿نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، (لم تُصب السلطة والمكانة مستشاري بلقيس بالغرور).

٣ - يجب أن تكون الكلمة الأخيرة في قضايا الحكم لفرد واحد، ﴿وَالْأَثَرُ لِيَّكَ﴾، (يُبدى الآخرون رأيهم، ولكن حق اتخاذ القرار لفرد واحد)، ﴿فَأَنْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾.

٤ - كانت بلقيس قائدة القوات المسلحة في عصرها، ﴿تَحْنُ أُولُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَثَرُ لِيَّكَ﴾.

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا
أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (٣٤)

التعاليم:

١ - الاعتراف بعبادات الملوك وخصالهم دليل على شهامة بلقيس (وهي ملكة)، ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ...﴾

٢ - كانت بلقيس تشعر بالقلق من الهزيمة أمام سليمان، كما كان قلبها معلقاً بتعمير بلادها، ﴿أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾

٣ - لا تعتمدوا على قوتكم فقط، وعليكم أن تأخذوا الآخرين في الحسبان (كان المحيطون ببلقيس يقولون: ﴿تَحْنُ أُولُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ ولكن بلقيس حذرتهم وقالت لهم: لا تستهينوا بقوة سليمان)، ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ...﴾

٤ - أسلوب الحكومات غير الإلهية هو إيجاد الفساد والذل في المنطقة وبين الناس، ﴿كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾

٥ - آفة الحكم والسلطة هي الغطرسة وإشعال نيران الحروب والتخريب، ﴿الْمُلُوكَ... أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ ۚ بِمَ رَتِّجُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣٥)

التعاليم:

١ - الحركات التي تقوم بدوافع مادية سرعان ما تهدأ عند بلوغها إلى الماديات، ﴿بِهَدِيَّةٍ﴾، (من خصال الملوك الانخداع بالهدايا).

٢ - الهدية تكون أحياناً رشوة وثمناً للسكوت، ﴿بِهَدِيَّتِهِ﴾.

٣ - قد يختبرنا الأعداء أيضاً بإرسال الهدايا، ﴿مُرْسِلَةً إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّتِهِ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أْتَيْدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَيْنِيهِ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَانَكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِمِثْوَرٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

التعاليم:

١ - الماديات ليست من المغريات لأولياء الله، ﴿أْتَيْدُونَنِي﴾، (رجال الله لا يبيعون أنفسهم بالمال، فهم أمراء الدنيا وسادتها، وليسوا أسرى لها).

٢ - رجال الله أصحاب فطنة وأذكياء وحاسمون، ويرون الدوافع الفاسدة وراء الهدايا، ويفرّون منها، ويوبخون أصحاب تلك الدوافع ويلومونهم عليها، ﴿أْتَيْدُونَنِي بِمَالٍ﴾.

٣ - يستحب قبول الهدايا قبولاً حسناً، والردّ بمثلها، ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَّةٍ فَحِجُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾^(١)، أمّا إذا كانت الهدية على سبيل الرشوة فهي مرفوضة، ﴿أْتَيْدُونَنِي﴾.

٤ - يظن الكافر أنّ الجميع على مذهبه، ﴿أْتَيْدُونَنِي بِمَالٍ﴾.

٥ - مال الدنيا لا قيمة له، ﴿بِمَالٍ﴾ والتنوين في الكلمة من أجل التحقير كما في الاصطلاح الأدبي.

٦ - رجال الله يعلمون أنّ النعم من عند الله تعالى، ﴿فَمَا آتَيْنِي اللَّهُ﴾.

٧ - لا بدّ من أن نظهر قوتنا وقدرتنا أحياناً، ﴿فَمَا آتَيْنِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَانَكُمْ﴾.

٨ - أفضل مؤشر على رفض المال الحرام هو الاهتمام بفضل الله، ﴿أْتَيْدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَيْنِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَانَكُمْ﴾.

٩ - تطمئن نفوس أولياء الله بعطاياه وأفضاله، ﴿فَمَا آتَيْنِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَانَكُمْ﴾،

- أَمَّا الْمَادِّيُونَ فَإِنَّهُمْ يَفْرَحُونَ بِالْمَادِّيَّاتِ، ﴿بَلْ أَنتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾.
- ١٠ - العلم والحكمة أفضل من المال، ﴿فَمَا آتَيْنَاهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَيْنَاكُمْ﴾.
- ١١ - البُعد عن المنطق يعطي الفرصة لإظهار القوة، ﴿فَلَنَأْيِسْنَهُمْ﴾.
- ١٢ - يجب الوقوف بصلافة في مواجهة الذين يعتمدون على قوتهم فقط، ﴿فَلَنَأْيِسْنَهُمْ﴾.
- ١٣ - كان الجهاد معروفاً في الأديان السابقة أيضاً، ﴿فَلَنَأْيِسْنَهُمْ﴾.
- ١٤ - الدعوة والإرشاد لا ينفعان بدون الهجرة والقوة، ﴿فَلَنَأْيِسْنَهُمْ﴾.
- ١٥ - يستطيع مَنْ يتجاوز الماديات أن يتحدث بقوة، وأن يدافع عن الحق، ﴿أَزِجْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْيِسْنَهُمْ﴾.
- ١٦ - يجب على القائد أن يطمئن الاطمئنان الكافي لقواته المسلحة، ﴿يَحْشُرُ لَا قِيلَ لَهُمْ يَهَا﴾.
- ١٧ - يجب أن تكون القوة العسكرية لأهل الحق أكبر من قوة أهل الباطل، ﴿يَحْشُرُ لَا قِيلَ لَهُمْ﴾.
- ١٨ - يجوز تحقير حكومات الكفر والشرك وإذلالها، ﴿أَذَلَّةً لَهُمْ وَهُمْ صَافِرُونَ﴾.
- ﴿قَالَ يَتَابِعُهَا أَلَمْؤُا إِلَيْكُمْ يَأْتِي بِعَرِشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوَنِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِّنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيْ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾

إشارات:

- تكمن معاني الشدة والقوة في كلمة «عِفْرِيت».
- قررت ملكة سبأ أن تذهب بنفسها إلى سليمان ﷺ بعد عودة رُسُلها ومعهم هداياها التي كانت قد أرسلتها إليه، ومعرفتها بأن سليمان ليس ملكاً، وذلك لكي تطلع على الأوضاع عن قرب. وعلم سليمان بتحرك بلقيس فأعد نفسه من أجل استعراض قوته أمامها.

التعاليم:

- ١ - كان المحيطون بسليمان ذوي قوة خارقة تفوق العادة، ﴿أَيُّكُمْ﴾.
- ٢ - يجب فسح المجال للتنافس الصحيح، ﴿أَيُّكُمْ﴾.
- ٣ - ينبغي الاستفادة من قدرات الآخرين في الظروف المناسبة، ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي﴾.
- ٤ - المعيار هو الجدارة والقدرة، وليس الجنس، ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي﴾؛ فعلى الرغم من أن المحيطين بسليمان كانوا من الجن والإنس والطير فإن معيار الأفضلية كان القدرة على إحضار العرش وليس جنس من يحضره.
- ٥ - من السهل أن يستسلم الإنسان إذا سلب منه عرشه وتاجه، ﴿يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾.
- ٦ - القرآن الكريم يقبل مسألة طي الأرض^(١)، ﴿يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ﴾.
- ٧ - يجب أن يتناسب إظهار القوة مع المُخاطب، ﴿بِعَرْشِهَا﴾.
- ٨ - الحث على الانتفاع من إمكانيات الآخرين في إرشادهم وهدايتهم، ﴿بِعَرْشِهَا﴾.
- ٩ - المُتصِر هو السَّبَّاق الذي يُبادر قبل العدو، ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي﴾.
- ١٠ - يجب أن تقترن الأعمال الخارقة بالأهداف العظيمة، ﴿يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا... يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾.
- ١١ - كان لسليمان ﷺ علمٌ بالغيب، ﴿يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾.
- ١٢ - يقتضي اعتماد القوى المتنوعة وعناصرها كلها في النظام الموفق والحكم الناجح، ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾.
- ١٣ - يستطيع الجن أن يساعد الإنسان، ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾.
- ١٤ - أعلنوا عن جدارتكم للآخرين، ﴿أَنَا ءِإَيْكَ﴾.

(١) «طي الأرض» نوع من المعجزات والكرامات، فالأرض تُطوى تحت أقدام صاحب هذه المعجزة أو الكرامة بدلاً من قطع مسافة طويلة، ويصل صاحبها إلى مقصده في مدة قليلة. (قاموس معين الفارسي).

١٥ - السرعة والقوة والأمانة هي شروط القيام بالأعمال الكبرى، ﴿قَبْلَ أَنْ نَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ... لَقَوِيَّ أَمِينٌ﴾.

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾

إشارات:

□ الذي كان عنده علم من الكتاب هو «آصف بن برخيا» وزير سليمان عليه السلام وابن أخته كما نُقل عن الإمام الهادي عليه السلام^(١). وعن الإمام الباقر عليه السلام إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فحُسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس، ثم تناول السرير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين^(٢).

□ وقد قيل حول المقصود بعلم الكتاب إنه علمُ بالكتب السماوية أو النوح المحفوظ أو اسم الله الأعظم.

□ سؤال: كيف نقل «آصف بن برخيا» العرش واستحوذ عليه بدون إذن من صاحبه؟

الجواب: لقد كان هذا الأمر بسبب ولاية الأنبياء على أموال الناس، وأهمية إرشاد بلقيس وشعبها وهدايتهم إلى الحق.

□ الكفر أنواع عدة: كفر إنكار الله تعالى، وكفر النعمة.

□ ينقسم شكر الله إلى عدة أقسام: شكر باللسان، وشكر بالقلب، وشكر بالعمل.

فضائل أمير المؤمنين وأهل البيت عليه السلام

- يقول الله تعالى في الآية التي نتحدث عنها، إن الذي كان عنده علم من الكتاب

(٢) الكافي، ج ١، ص ٢٣٠.

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٩١.

قال: يا سليمان! أنا أحضر لك عرش ملكة سبأ من بلادها إلى هنا قبل أن تطرف عينك. لكن الله تعالى يقول لرسوله في الآية الأخيرة من سورة الرعد: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسَتْ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ أي أن الكفار لا يقبلون رسالتك، فقل لهم: يكفي أن الشاهد بيني وبينكم هو الله والذي عنده علم الكتاب كله. ونقرأ في الروايات أن المقصود بمن عنده علم الكتاب كله هو علي بن أبي طالب عليه السلام. فإذا كان الذي عند علم من الكتاب قد أحضر عرش بلقيس في طرفة عين، فما بالنا بمن عنده علم الكتاب كله، وأي قوة كانت له طوال حياته؟

- ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب، إلا بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر»^(١).
- وورد في الروايات أن الإمام الصادق عليه السلام قال: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آيُكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ قال: ففرج أبو عبد الله بين أصابعه فوضعها على صدره ثم قال: وعندنا والله علم الكتاب كله^(٢).
- ونقرأ في روايات كثيرة أن الأئمة المعصومين عليهم السلام كانوا يتواجدون في أماكن بدون التقيد بالزمان أو المكان، ومن ذلك ما يلي:
ذهب الإمام الجواد عليه السلام من المدينة إلى طوس لحظة استشهاد أبيه.
خرج الإمام الكاظم عليه السلام من سجنه في بغداد، وحضر إلى المدينة.
ذهب الإمام السجّاد عليه السلام إلى كربلاء وقت أسره، ودفن جثمان والده الإمام الحسين عليه السلام.

أخذ الإمام الحسين عليه السلام قبضة من تراب كربلاء قبل استشهاد وأعطائها لأم سلمة في المدينة^(٣).

وبناءً على هذا فإن طي الأرض والحركة السريعة الخاطفة لها وجود عند الأئمة.

(٣) تفسير أطيب البيان.

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٨٨.

(٢) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٩٠.

التعاليم:

- ١ - كانت حكومة سليمان تضم أكثر الشخصيات علماً، ﴿عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾.
- ٢ - يستطيع الإنسان أن يسيطر على الطبيعة والقوانين الطبيعية، ﴿أَنَا ءَايَاكَ﴾.
- ٣ - من الممكن أن تكون قوة الإنسان أكبر من قوة الجن، ﴿عَفِيتُ مِّنَ الْجِنِّ... الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ﴾.
- ٤ - يجب أن نُظهر قدراتنا ونُعلن عنها في بعض المواضع، ﴿أَنَا ءَايَاكَ﴾.
- ٥ - العلم هو مصدر القوة، ويمكن نقل الأشياء والمخلوقات نفسها من مكان إلى آخر بالقوة العلمية بدلاً من سماع الصوت ورؤية الصورة فقط (توجد في الإنسان طاقات وقدرات وأسرار لم تُكتشف حتى الآن)، ﴿أَنَا ءَايَاكَ﴾.
- يقول الشاعر الإيراني: كل مَنْ كان عالماً يكون قادراً، وبالعلم يكون قلب الشيخ شاباً.
- ٦ - المسارعة (سرعة العمل) ميزة عند التكليف بالأعمال والمُهمات، كما أن المزايدة هي عامل المنافسة في البيع، والمناقصة في الشراء، ﴿أَنَا ءَايَاكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾.
- ٧ - يجب على من يدعون العلم والقوة أن يبرهنوا على كلامهم عملياً، ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا﴾.
- ٨ - أولياء الله يعلمون أنَّ النعمة من عنده، ﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾.
- ٩ - علينا ألا نعدَّ النعم الإلهية حقاً من حقوقنا، ﴿فَضْلِ رَبِّي﴾.
- ١٠ - علينا ألا نغتر بعلمنا وقوتنا، ﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾.
- ١١ - علينا أن نذكر النعم الإلهية، ﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾.
- ١٢ - يهدف إنعام الله علينا أو سلبه للنعم منا لهدايتنا وإرشادنا، ﴿رَبِّتْ﴾.
- ١٣ - النعم الإلهية وسيلة للعبودية والابتلاء، وليست من أجل السعادة والاستمتاع، ﴿لِيَلْوِيَ ءَأَشْكُرُ﴾.
- ١٤ - الأنبياء أيضاً يخضعون للاختبار، ﴿لِيَلْوِيَ﴾.

- ١٥ - الإنسان مُخَيَّر وليس مُسَيَّرًا، ﴿وَمَنْ شَكَرَ... وَمَنْ كَفَرَ﴾.
- ١٦ - الإنسان رهين عمله، ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾.
- ١٧ - لا يحتاج الله تعالى إلى شكرنا، ﴿مَنْ شَكَرَ... وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَّبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾.
- فالنعم الإلهية تنبع من فضل الله وكرمه للذين لا نهاية لهما، وحتى إذا لم نشكر وكنا من الجاحدين فإنه تعالى يتفضل علينا بنعمه بمقتضى ربوبيته.
- شكرك النعمة يزيدُها وكفرك بها يفقدك إياها.
- ١٨ - لا يجوز التعلق في الدعوة، ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَّبِّي غَنِيٌّ﴾.
- ١٩ - تربو قيمة الثروة حينما يكون السخاء إلى جوارها، ﴿غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾.
- ٢٠ - لأولياء الله ولاية على أموال الناس، ﴿نَكِرُوا لَهَا﴾.
- ٢١ - يجوز التغيير والتحوير أحياناً من أجل اختبار الذكاء، ﴿نَكِرُوا لَهَا... نَنْظُرْ أَنْتَدِي﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾
 وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾

إشارات:

- يبدو أن جملة ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ﴾ تكملة لكلام بلقيس (وهو ما ذكرناه في شرح الآية)، ومن الممكن أن تكون من حديث سليمان والحاشية المحيطة به، فربما قالوا: لقد أوتينا العلم قبل بلقيس، وكنا مسلمين من قبلها^(١).
- سؤال: لماذا لم تُسارع بلقيس إلى التسليم لسليمان على الرغم من أنها كانت قد علمت أنه على الحق؟
- الجواب: لقد منعها مجتمع الشرك والبيئة الكافرة من الخروج عن الخط المُتبع والتسليم له، وهو ما ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾.

(١) انظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ٢٤، ص ١٩٩.

التعاليم:

- ١ - يجب الاحتفاظ بالكلمة الأخيرة في المواجهات الأولى (لم يقل لها سليمان ﷺ: «هذا عرشك؟» ولم تقل بلقيس: «نعم هو»)، ﴿أَهَكَذَا... كَأَنَّهُ هُوَ﴾.
- ٢ - يحظى المنهج بقيمة حينما يكون على أساس العلم، ﴿وَأَوْثَيْنَا الْعِلْمَ بَيْنَ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾.
- ٣ - البيئة والمجتمع والعقائد الخرافية أمور تمنع الإيمان الحقيقي، ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ﴾.
- ٤ - الماضي السيئ لا يدل على أن لصاحبه مستقبلاً سيئاً، ﴿إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾.

﴿قِيلَ لَمَّا أَذْخِلِ الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «صرح» تعني القصر الكبير أو ساحته، وكلمة «لجة» تعني الماء المتلاطم الغزير. أمّا كلمة «مُمَرَّد» فإنها تعني أملس.

التعاليم:

- ١ - لا يتعارض مقام الرسالة مع الجلال والعظمة والحُكم، ﴿قِيلَ لَمَّا أَذْخِلِ الصَّرْحَ﴾.
- ٢ - ينبغي في الإرشاد والدعوة أن تكون هداية كل إنسان بالأسلوب الذي يُناسبه، ﴿قِيلَ لَمَّا أَذْخِلِ الصَّرْحَ﴾، ولهذا علينا ألا نتعامل مع أهل الترف بالشكل الذي يجعلهم يتخيلون أن الإيمان يعني الفقر.
- ٣ - يجب أن توضع الإمكانات المادية في خدمة الدعوة لدين الله، ﴿قِيلَ لَمَّا أَذْخِلِ الصَّرْحَ﴾.

ويمكننا في وجود الأهداف «السليمانية» أن نستفيد من الصناعات والفنون والإمكانيات المادية من أجل إرشاد الآخرين وهدايتهم.

- ٤ - ينبغي استقبال الضيوف الكافرين بخلق حسن، ﴿قِيلَ لَمَّا أَذْخِلِ الْفَرَجَ﴾.
 ٥ - وجوب حفظ قدر ومكانة الضيوف عند استقبالهم، ﴿قِيلَ لَمَّا أَذْخِلِ الْفَرَجَ﴾.
 ٦ - يرى الإنسان الشيء أحياناً لكنه يُخطيء في تشخيصه (خطأ العين)، ﴿حَسِبْتَهُ لُجَّةً﴾.

٧ - يجب إلزام الكافرين من أهل الشراء بالتواضع عبر مواجهتهم بالابتكارات والفن والترتيب والمنجزات الرائعة، ﴿صَرَخَ مُرَدُّ مِّن قَوَارِيرٍ﴾.

٨ - يعود تاريخ صناعة المرايا والاستفادة من الزجاج في البناء والتعمير إلى زمن سليمان عليه السلام، ﴿صَرَخَ مُرَدُّ مِّن قَوَارِيرٍ﴾.

- ٩ - الاعتراف بالحق دليل على الحرية وليس الضعف، ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾.
 ١٠ - التعلق والارتباط بغير الله وعبادة آلهة من دونه - رجلاً كان أو شيئاً آخر - هو ظلم للذات، ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾.

١١ - التوبة الحقيقية هي أن نُصلح ما كان من أعمالنا بالاعتراف، وأن نسير في طريق المستقبل في نور مصباح الهداية الإلهية، ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾.

١٢ - لا يمنعكم الاسم ولقمة العيش والمنصب والمحيطون بكم عن الاعتراف بالحق وتغيير العقيدة الفاسدة، ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ﴾.

١٣ - للكمال مرحلتان، هما:

المرحلة الأولى: الخروج من الظلمات.

المرحلة الثانية: الدخول في النور، ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾.

١٤ - التسليم هو روح الإيمان، وهو ما يُشير إليه سليمان نفسه في رسالته: ﴿وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ وتقوله ملكة سبأ أيضاً في نهاية الأمر: ﴿أَسْلَمْتُ﴾.

١٥ - الإيمان هو التسليم لخالق الوجود، وليس التسليم للخلق، حتى لو كان سليمان نفسه، ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ﴾.

- ١٦ - المرأة مُستقلة في اختيار عقيدتها والإعلان عنها، ﴿وَأَسْلَمْتُ... لِلَّهِ﴾.
- ١٧ - الإيمان وحده لا يكفي، فضُحِبة الأنبياء والأولياء تحمي الإنسان وتصوره، ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ﴾.
- ١٨ - توجد علاقات إلهية ومقدسة أيضاً في مقابل العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية والأسرية، ﴿مَعَ سُلَيْمَانَ﴾.
- ١٩ - الذهب والزينة لا يرويان ظمأ المُتزهين، بل يُضِلان عن الوصول إلى مصدر الكون ومنبع الوجود، ﴿وَأَسْلَمْتُ... لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
- ٢٠ - الهدف من حُكم الأنبياء هو الدعوة لله تعالى، وليس مجرد فتح البلاد. وقد فهمت ملكة سبأ هذه الحقيقة أيضاً، ولهذا قالت في نهاية كلامها: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فِرْقَانٍ يَخْتَصِمُونَ ٤٥﴾ قَالَ يَتَقَوَّرُوا لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٤٦﴾

إشارات:

□ كان صالح عليه السلام يُخيف قومه من عذاب الله، وكان يُنذره ويحذرهم، ولكنهم كانوا يقولون: ﴿يَصْلِحُ أَثْنًا يَمَّا تَعْدُنَا﴾^(١)، أي أنزل علينا يا صالح العذاب الذي تعدنا به. ويقول صالح في هذه الآية: لماذا تبحثون عن الشر وتطلبونه بدلاً من الخير؟ وذلك على غرار ما فعله الكفار الذين طلبوا تعجيل العذاب من هود عليه السلام، ومن رسول الإسلام ﷺ أيضاً.

□ عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فِرْقَانٍ يَخْتَصِمُونَ﴾ يقول مُصدق ومُكذب، قال الكافرون منهم: أتشهدون أن صالحاً مُرسل من ربه؟ قال المؤمنون: إنا بالذي أرسل به مؤمنون. قال الكافرون منهم: ﴿إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾^(٢).

(١) سورة الأعراف: الآية ٧٧.

(٢) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٩٣.

□ على الرغم من أن الأنبياء جميعاً كانوا يتعاملون مع أقوامهم تعاملًا عاطفيًا وأخويًا، فإننا يمكن أن نستخلص من استخدام كلمة «أخاهم» للبعض منهم دون البعض الآخر أن بعض الأنبياء كان من أقارب القوم، بالإضافة إلى العطف عليهم عند التعامل معهم.

التعاليم:

- ١ - الدعوة إلى التوحيد هي عنوان دعوة الأنبياء، ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾.
- ٢ - لا تنتظروا من الناس أن يقبلوا جميعاً منطقكم، ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ﴾.
- ٣ - النزاع بين الحق والباطل نزاع دائم، ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾.
- ٤ - يجب أن تُشرع أبواب التوبة للتائبين من المجرمين، ﴿لَوْلَا سَتُغْفِرُونَ﴾.
- ٥ - الأنبياء أكثر الناس شفقة ورحمة، ﴿يَقْوَوُ... لَوْلَا سَتُغْفِرُونَ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.
- ٦ - الاستغفار وسيلة جذب الرحمة الإلهية، ﴿سَتُغْفِرُونَ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿قَالُوا أَطِيعْنَا بِكَ وَيَمْنُ مَعَكَ قَالِ طَاعَتُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾
وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ شَعَةٌ رَهْطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾

إشارات:

- تُطلق كلمة «رَهْط» على المجموعة التي توجد بينها علاقة حميمة^(١).
- كلمة «طَيْر» من «طير»، فقد كان العرب يُطلقون طائراً قبل سفرهم، فإذا طار ناحية اليمين (تفاءلوا خيراً بهذا العمل) وسافروا، أما إذا طار ناحية الشمال فإنهم (يتشاءمون) ويؤجلون سفرهم^(٢).
- عدَّ الإسلام التشاؤم (الذي يُعرف بالطيرة) من الشرك. فالفأل السيئ تركُّه للأسباب الأصلية وسيرٌ وراء الخرافات.

(١) التحقيق في كلمات القرآن، مادة: «رَهْط». (٢) تفسير الكشاف.

□ ذكر التشاؤم بالأنبياء في القرآن الكريم عدة مرات، فقد كان الفراعنة يرون أن شقاءهم هو بسبب موسى ﴿وَلِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى﴾^(١). وكان يُقال لرسول عيسى عليه السلام: ﴿إِنَّا نَطَّيَّرْنَا بِكُمْ﴾^(٢). وقال الكفار لصالح عليه السلام في هذه الآية أيضاً: ﴿أَطَّيَّرْنَا بِكَ﴾

□ فُسرَت جملة ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ عدة تفسيرات، منها:

أ - لقد خُدعتم من المخادعين لذا فأنتم تقاومونني على هذا النحو، (بناءً على كون كلمة «فتنة» تعني الخدعة).

ب - أنت تُختبرون بالأحداث المريرة، (إذا كان المقصود من كلمة «فتنة» هو الامتحان والاختبار).

ج - أنتم تُعاقبون بسبب العناد، (إذا كانت كلمة «فتنة» تعني العذاب).

التعاليم:

- ١ - يعلم رسول الإسلام والمسلمون كيف كان الأنبياء السابقون وأتباعهم يتعرضون للازدراء والتحقير، فيتحملون الصعوبات، ﴿قَالُوا أَطَّيَّرْنَا﴾.
- ٢ - للتفاؤل والتشاؤم تاريخ طويل جداً (الذي لا يؤمن بالله والحكمة الإلهية يتجه إلى الخرافات)، ﴿أَطَّيَّرْنَا﴾.
- ٣ - وُصِفَت الشخصيات التي هي سبب البركة بأنها سبب الشقاء والتعاسة في الأنظمة التي لا يهيمن عليها العلم والأدب والمنطق والوحي، ﴿أَطَّيَّرْنَا بِكَ﴾.
- ٤ - تواجد الأنبياء لا يعني القضاء على المشاكل الطبيعية واليومية، ﴿أَطَّيَّرْنَا بِكَ﴾.
- ٥ - للأمور المريرة غير المستساغة أسباب حكيمة وضعها الله تعالى، ﴿مَطَّيَّرَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾.
- ٦ - التعامل مع الأنبياء اختبار إلهي، ﴿تُفْتَنُونَ﴾.

﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ
مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (٤٩)

إشارات:

- كلمة «نُبَيِّتَنَّهُ» من «تبیت» التي تعني الاغتيال والهجوم ليلاً.
- للقَسَم أهمية في الإسلام ولا بد من أن يبرّر الإنسان بقسمه حينما يكون القَسَم على أمر مُباح، ولهذا إذا أقسم أحد على أن يضرب مظلوماً أو أن يحمي ظالماً فإن قَسَمه هذا لا قيمة له من الناحيتين الشرعية والقانونية.
- تُذكرنا هذه الآية بقَسَم كفار مكة حينما قرروا أن يهجموا على بيت رسول الله ﷺ ليلاً، وأن يقتلوه في فراشه وهو نائم، ولكن الرسول الأكرم يجعل الإمام عليّاً عليه السلام ينام في فراشه، وأحبطت مؤامرة الأعداء.

التعاليم:

- ١ - الأقوال الخفية تُكتشف بعد قرون، ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا﴾.
- ٢ - يستفيد العدو استفادة سيئة من المقدّسات الدينية، ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾.
- ٣ - يقبل أكثر الناس إجراماً - وهم الذين يقتلون الأنبياء - بالله في قلوبهم، ويرتبون أفعالهم الشريرة باسمه، ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾.
- ٤ - يتحد الأفراد أو الجماعات من أهل الباطل ويُقسِمون من أجل أهدافهم المُشركة، ﴿تَقَاسَمُوا﴾.
- ٥ - في التاريخ عبر كثيرة (القَسَم بالله على قتل رسول الله!)، ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾، وهكذا ضربَ الخوارج وليّ الله في بيت الله وفي شهر الله وهو يتعبد إلى الله بنية التقرب إلى الله في ليلة القدر وسحر يوم التاسع عشر من رمضان، فلقي الشهادة في سبيل الله.
- ٦ - ترجع الاستفادة من ظلمة الليل في القيام بالمؤامرات إلى زمن طويل، ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾.

٧ - كان الأنبياء وأتباعهم يتعرضون لأشد المؤامرات وأفساها، ﴿لَنَبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾.

٨ - قسوة البشر لا حدود لها (قتل الرسول، وقتل أقارب الرسول والهجوم عليهم ليلاً)، ﴿لَنَبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾.

٩ - القصاص قانون عقلي، وكان موجوداً أيضاً في الديانات السماوية كلها، ﴿لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾.

١٠ - يخفي المجرم جريمته بالتظاهر والتبرير، ﴿مَا شَهِدْنَا﴾.

١١ - لا ينبغي الركون إلى كل من يدعي الصدق ويرفع شعاره، ﴿لَنَقُولَنَّ... وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.

١٢ - حتى قتلة الأنبياء يعدّون الصدق شرفاً وقيمة، ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.

﴿وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا وَمَكْرَنًا مَّكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾
فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُهُمْ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمِينَ ﴿٥١﴾

إشارات:

□ وصف هلاك قوم ثمود في القرآن الكريم بعدة صفات:

أ - الزلزلة، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾^(١).

ب - الصاعقة، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾^(٢).

ج - الصيحة، ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾^(٣).

ولا شك في أنه لا يوجد ما يمنع من أن تكون هذه الأنواع الثلاثة من العذاب قد وقعت في وقت واحد.

□ الإمهال والإنعام على المجرمين مثال من أمثلة المكر (التدبير) الإلهي، وذلك

(١) سورة الأعراف: الآية ٧٨.

(٣) سورة هود: الآية ٦٧.

(٢) سورة الذاريات: الآية ٤٤.

لكي ينشغلوا، فإذا ما طفع الكيل إلى حافته أخذهم الله تعالى بالعذاب على حين غرة.

التعاليم:

- ١ - تتناسب العقوبات الإلهية مع ما يرتكبه الإنسان من جرائم، ﴿مَكْرُوا... وَمَكْرْنَا﴾.
- ٢ - يقف الذين يتآمرون على أولياء الله في مواجهة الله تعالى، ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرْنَا مَكْرًا﴾.
- ٣ - يجب عليكم أن تكونوا أهل تدبير وتخطيط في مواجهة خطط الكفار، ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرْنَا مَكْرًا﴾.
- ٤ - يعرف الله تعالى تدبير الناس، لكن الناس لا يعرفون تدبيره، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.
- ٥ - ثمة تعبير يقول إن «عصا الله تضرب بلا صوت» (الله يُمهّل ولا يُهمّل)، ﴿وَمَكْرْنَا... وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.
- ٦ - يقوم التاريخ على قوانين محددة وسُنن معينة، ومن المفيد النظر فيه بدقة للعبور والأزمان المتعاقبة الأخرى، ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾.
- ٧ - جرت السُنّة الإلهية على انتصار الحق وإزهاق الباطل، ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾.
- ٨ - يجب عدم التسرع في إصدار الأحكام، أو الانخداع بما يصيبه البعض من نجاح بسبب المكر، المهم الاطلاع على عاقبة أمرهم، ﴿عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾.
- ٩ - يؤدي سلوك أعداء الله وارتكابهم الجرائم إلى غضب الله عليهم وتعذيبه إياهم على الرغم من عدم بلوغهم أهدافهم الخسيسة (الأعداء يتقاسمون على أن يقتلوا الرسول، ووقفوا له بالمرصاد، ولكنهم لم يقتلوه، بل هم الذين هلكوا)، ﴿دَمَرْنَاهُمْ﴾.
- ١٠ - اتّباع المفسدين له عقاب، ﴿دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ﴾.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾
 وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُ ﴿٥٣﴾

إشارات:

□ كلمة «خاوية» تعني السقوط والفناء والخراب، كما تعني خلو المكان من ساكنيه.

التعاليم:

- ١ - يجب الحفاظ على الآثار القديمة كي نأخذ منها العظة والعبرة وكذلك لإفادة الأجيال القادمة، ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ﴾.
- ٢ - لا يقتصر العقاب على الآخرة، فقد يصيب الظالمين عذاب في الدنيا أحياناً، ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾.
- ٣ - العِظَات والمعجزات لا تكفي وحدها، بل لا بدّ من وجود دافع داخل الإنسان للاتعاظ والاعتبار، ﴿لَّآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.
- ٤ - يرتهن مصير كل إنسان بأعماله، ﴿خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا... وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.
- ٥ - لا يأتي الغضبُ الإلهي على الأخضر واليابس، ولهذا فالمُتقون مُستثنون من العذاب، وسوف يجدون النجاة منه، ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُ﴾.
- ٦ - لا تختص آثار الإيمان والتقوى بالآخرة فقط، فأهل التقوى قد يرون نتيجة أعمالهم في الدنيا، ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُ﴾.
- ٧ - أكثر ما ينفع الإيمان صاحبه، حينما يقترن بالتقوى الدائمة، ﴿ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُ﴾.

﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾
 أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ ﴿٥٥﴾﴾

إشارات:

□ كان قوم لوط يمارسون اللواط على مرأى ومسمع من الجميع، وفي مجالسهم العلنية. ونحن نقرأ قوله تعالى في الآية ٢٩ من سورة العنكبوت: ﴿أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَكَاحِكُمُ الْمُنْكَرَ﴾، أي أنكم تأتون الأفعال المنكرة في مجالسكم. وقد قال تعالى في هذه الآية أيضاً: ﴿وَأَنْتُمْ بُصِيرُونَ﴾، أي ترتكبون هذه الكبيرة أمام أعين الآخرين، أو ترتكبونها على بصيرة وعلم.

□ اللواط كبيرة من الكبائر، ولهذا جاء في الآيات التالية أنه يتسبب في العذاب الإلهي.

□ جاء في الآيات الأخرى في القرآن الكريم أن الزوجة للسكينة وتربية الأبناء والتعاون في الحياة، ولكن مسألة الشهوة هي التي ذكرت هنا فقط، وذلك لأن قوم لوط لم يكن لديهم هدف غير الشهوة، ﴿شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾.

التعاليم:

١ - يكافح الأنبياء وقادة المجتمع المصلحون الذنوب والآثام الشائعة في زمانهم بشدة، ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾.

٢ - يجب إثارة الوجدان بالأسئلة الانتقادية، ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾.

٣ - مكافحة المنكرات والتصدي لها من وظائف الأنبياء، ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾.

٤ - تحريم اللواط ليس خاصاً بالإسلام وحده، ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾.

٥ - إذا ارتكب الذنب العلني عن علم ودراية فإنه يرتب تقبيحاً وعقاباً وانتقاداً أكبر، ﴿وَأَنْتُمْ بُصِيرُونَ﴾.

٦ - يتضح جلياً قبح اللواط لجميع الناس، ﴿وَأَنْتُمْ بُصِيرُونَ﴾.

- ٧ - يجب تعقب المُنكرات العلنية عند النهي عن المنكر، ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾.
- ٨ - يجب أن يتم إشباع الشهوة بالطرق المشروعة، ﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً...﴾.
- ٩ - يدلُّ الانحراف عن المسار الطبيعي والشرعي في الأمور الجنسيّة عن جهل وحماقة، ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.
- ١٠ - تتبع المثلية الجنسيّة من الجهل، والعلم والمعرفة اللذان لا يمنعان صاحبهما من إتيان الذنوب فهما بمثابة الجاهل، ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ...﴾.

الجزء ٢٠

﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ
مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَنْطَهُرُونَ﴾ (٥٦)

التعاليم:

- ١ - يستعين المجرمون بالقوة في مواجهة الأنبياء لأنهم لا يملكون المنطق، ﴿أَخْرِجُوا﴾.
- ٢ - يُعدُّ الطهر والعفة جريمةً في البيئة الملوثة بالذنوب والمفاسد، ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ... إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَنْطَهُرُونَ﴾.
- ٣ - ضريبة النهي عن المنكر هي النفي والإبعاد في بعض الأحيان، ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ﴾.
- ٤ - يتوجب عدم السكوت عند رؤية الذنب، ولا أقل من أن نُضَيِّقَ الخناق على المُنذِب، ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ﴾.
- ٥ - تعود حرّية اقتراف الذنوب إلى فكر قوم لوط، ﴿أَخْرِجُوا﴾.
- ٦ - يرجع تاريخ نفي رجال الله إلى زمن إبراهيم ولوط عليهما السلام، ﴿أَخْرِجُوا﴾.
- ٧ - يرى المُجرم نفسه مُجرماً والآخريّن أظهاراً؛ لأن فطرته طاهرة رغم فساد مسلكه، ﴿إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَنْطَهُرُونَ﴾.

٨ - البيئة المحيطة الفاسدة لا تُجبر الإنسان على الوقوع في الذنب، لأن هناك جماعة من الأطهار يعيشون في زمن شيوع الفاحشة أيضاً، ﴿أَنَاسٌ يَنْظَهُونَ﴾.

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَايِبِينَ﴾ (٥٧)
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٥٨﴾

إشارات:

□ كلمة «غابرين» تعني الباقين الهالكين في العذاب، وقد استخدمت هذه الكلمة سبع مرات في القرآن الكريم، وكانت المرات السبعة كلها حول زوجة لوط عليه السلام.

□ المقصود بالمطر هنا هو الحجارة من طين مُتصلَّب، وذلك بدليل الآية التي يقول فيها تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ﴾^(١).

□ وعد الله تعالى مرات عديدة بنجاة المؤمنين وحسن عاقبة المتقين، وقد اتضح تحقق هذه الوعود في تاريخ الأنبياء والأمم، ومن ذلك قوله:

أ - ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٢)، أي لا شك في أننا سوف ننصر رسلنا والذين آمنوا بهم واتبعوهم.

ب - ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣)، أي لا بد لنا من أن ننجي أهل الإيمان.

التعاليم:

- ١ - من ثمار التقوى والعفة في الدنيا النجاة من العذاب الإلهي، ﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾.
- ٢ - تتحقق النجاة الإلهية من طريق الأسباب الطبيعية (خرج لوط من المنطقة بأمر الله حتى ينجو ومن معه)، ﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾.

(٣) سورة يونس: الآية ١٠٣.

(١) سورة الحجر: الآية ٧٤.

(٢) سورة غافر: الآية ٥١.

- ٣ - يحظى المرسلون بحماية الله تعالى ورعايته، ﴿فَأَجْنَحْنُهُ﴾.
- ٤ - المرأة حُرّة في اختيار عقيدتها، ولا يُجبرها النظام الأسري ومحيط نحية والتبعية الاقتصادية للزوج على اختيار عقيدة والعمل بها، ﴿إِلَّا أَمْرَاتُهُ﴾.
- ٥ - ليس النسب والأسرة من عوامل النجاة، بل لا بدّ من الجدارة والاستحقاق لهذه النجاة، ﴿إِلَّا أَمْرَاتُهُ﴾.
- ٦ - لا تجوز مراعاة الروابط العائلية عند معاقبة المخالفين ومجازاتهم، ﴿وَلَا أَمْرَاتُهُ﴾.
- ٧ - علينا أن ننظر في وضع كل إنسان على حده في تعاملاتنا، فانهراف الزوجة لا يُلحق الضرر بطهارة الزوج (من الممكن أن تكون زوجة الرسول من أهل الجحيم)، ﴿فَأَجْنَحْنُهُ... إِلَّا أَمْرَاتُهُ﴾.
- ٨ - قد تكون الزوجة أحياناً سبباً من أسباب تسلط المنافقين والكفار (كانت هذه المرأة تُخبر الناس إذا توفرت الفرصة للواط وترضى بما يفعلون، كنّ تخبرهم مثلاً بمجيء ضيوف حسان إلى بيت لوط عليه السلام)، ﴿إِلَّا أَمْرَاتُهُ﴾.
- ٩ - تتعلّق المقدرات الإلهية بعمل الإنسان نفسه، ﴿فَقَرَنَاهَا﴾.
- ١٠ - يتسبّب قطع المنحرفين النسل باللواط بقطع نسلهم وذلك برجمهم بالحجارة، ﴿وَأَمْطَرْنَا﴾.
- ١١ - يؤدي تحويل مسار الزواج إلى المثلية الجنسية وتغيير قانون الخليفة في تحول شآبيب الرحمة إلى مطر عذاب، ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾.
- ١٢ - تُفرض العقوبات الإلهية بعد إقامة الحجّة على المُعذّبين، ﴿مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ﴾ (٥٦)

التعاليم:

- ١ - إنّ معاقبة المجرمين ونجاة المؤمنين هما من فضل الله على المؤمنين الذين يجب أن يشكروه على فضله، ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ... قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

- ٢ - يجب أن نتعلم طريقة الشكر من الله تعالى، ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.
- ٣ - يُطرح مديح عباد الله والسلام عليهم بالتلازم مع حمد الله والثناء عليه، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ﴾.
- ٤ - يجب أن نواظب على ذكر الله ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حتى يُحيي الله تعالى ذكرنا، ﴿وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ﴾.
- ٥ - علينا ألا ننسى ذكر أولياء الله تعالى، ﴿وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ﴾.
- ٦ - يتضح أنّ أولياء الله أحياء، ويتلقون سلامنا عليهم، ﴿وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ﴾.
- ٧ - علينا أن نسلم قلوبنا لله ونصبح من عباده كي ننلقى سلام الله تعالى ورسوله، ﴿وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ﴾.
- ٨ - عبودية الإنسان هي معيار الاختيار الإلهي، ﴿عِبَادِهِ الَّذِينَ اسْطَفَى﴾.
- ٩ - يجب إثارة وإحياء الوجدان بالسؤال، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ
بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾

إشارات:

□ كلمة «حدائق» جمع «حديقة»، وهي البستان الذي تُحيط به الأسوار كحدقة العين.

التعاليم:

- ١ - التفكير في الخلق هو أفضل السبل للوصول إلى الله تعالى، ﴿أَمَّنْ خَلَقَ﴾.
- ٢ - كل نبات ينمو في رعاية الله وبإرادته، ﴿فَأَنْبَتْنَا﴾.
- ٣ - تتحقق القدرة الإلهية عن طريق الأسباب العادية، ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ﴾.
- ٤ - يحظى الجمال الذي يبهج القلب بقيمة من القيم، ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾.
- ٥ - يجب التخاطب ببساطة وبالطريقة التي يفهمها الجميع (لا يفهم الجميع

خواص النباتات وأسرارها، ولكن الجميع يرى نضارة الخضرة والورود وجمالها)، ﴿حَدَّائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾.

٦ - عندما نطلع على قدرة الله تعالى ندرك حقيقة ضعفنا (وعجزنا حتى عن إنبات شجرة واحدة)، ﴿مَا كَانَتْ لَكُمُ أَنْ تَنْبِتُوا﴾.

٧ - يجب إثارة الوجدان بالأسئلة الهادفة، ﴿أَمْ أَنْ خَلَقَ... أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾.

٨ - يجب التصدي للشبهات ومنعها، فليس هناك من يدعي خلق السماوات والأرض، ولكن هناك من يدعي أنه يزرع، فيقول البعض: لقد خَضَرَت المنطقة وعمرتها، ولهذا يقول الله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لَكُمُ أَنْ تَنْبِتُوا﴾ ويقول في موضع آخر: ﴿ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾^(١)، أي: هل أنتم تزرعون هذا النبات أم نحن الذين نزرعه؟

٩ - التوحيد طريق مستقيم، والشرك طريق منحرف، ﴿يَعْدِلُونَ﴾.

﴿أَمْ أَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَادًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمْ أَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾

إشارات:

□ لم نر في الروايات والتفسير أن لقراءة الآية ٦٢ من هذه السورة دوراً في الاستجابة للدعاء، لكن الناس يقرأون هذه الآية تبركاً بسبب مضمونها، ولا مانع من ذلك.

□ من الضروري والمستحسن مُناجاة الله سبحانه وتعالى والتضرع إليه، والدعاء له ﷻ وطلب حل المشكلات للجميع خاصة عند العجز والاضطرار.

يقول جلال الدين الرومي:

«إن تضرع مريم وألمها هو الذي جعل طفلاً كهذا يبدأ في الكلام. وحيثما يكون الألم يكون الدواء، وحيثما يكون الفقر يكون الثَّوْت والزاد. وحيثما تكون المشكلة يكون الجواب المتوجه إليها، ويجري الماء إلى حيث يكون الانحدار.

فتوجه إلى الحق بالتضرع من باب الحاجة أفضل من قضاء العمر في السجود والصلاة.

دعك من القوة، وتمسك بالتضرع والأنين، فالرحمة تنزل عند التضرع أيها الفقير^(١).

□ وجاء في الروايات أن الْمُضْطَرَّ الحقيقي المذكور في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا...﴾ هو إمام الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، وهو الْمُضْطَرُ إذا صلى في المقام ركعتين ودعا إلى الله ﷻ، فيجيبه ويكشف السوء ويجعله خليفة في الأرض. وأن أسوأ السوء هو سلطة الكفار ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ التي تزول في زمن هذا الإمام، أمّا النموذج الذي يصدق عليه قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ فهو حكومة الصالحين في ذلك الوقت^(٢).

□ تعود عدم استجابة الدعاء لأسباب عديدة، منها ما يلي:

أ - إذا لم يكن الدعاء طلباً للخير، أو الظن أنه خير، (لأن الدعاء يعني طلب الخير).

ب - إذا لم تكن طريقة الطلب جدية ومقتربة بالاضطرار والعجز.

ج - إذا لم تُخلص في الدعاء، أي إذا توجهنا إلى أعتاب الله ونظرنا في الوقت نفسه إلى الآخرين نظرة أمل ورجاء.

□ إجابة المضطر شأن إلهي، ولكنها لا تُغير السُّنَّة الإلهية. فقد جرت سُنَّة الله تعالى على سبيل المثال على أن الناس يجب أن يرحلوا عن هذه الدنيا بشكل من الأشكال، والناس كلهم مُضطرون في لحظات الاحتضار، وإذا أجاب الله تعالى دعاء الجميع لوجب أن يُلغي عندئذ قانون الموت.

(٢) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٩٤.

(١) جلال الدين الرومي، مثنوي معنوي.

أصل الإيمان بالله

□ العقل والفطرة هما أصل الإيمان بالله، ولكن الماديين يقولون إن أصل الإيمان بالله هو الخوف. أي أن الإنسان يتخيل قوة في مخيلته ويلجأ إليها عندما يرى نفسه عاجزاً في مواجهته للأحداث وعند ظهور حادثة قاسية مريرة.

والماديون يرون بقولهم هذا أن الإيمان وليد الخوف، لكن الخطأ الذي وقع فيه هؤلاء هو أنهم لا يفهمون الفرق بين التوجه إلى الله ومبدأ الإيمان. فعندما نرى كلباً، على سبيل المثال، ونشعر بالخطر فإننا نبحث عن حجر، لكن هل يمكن القول إن ظهور الحجر كان بسبب الكلب؟ هكذا نتجه إلى الله تعالى عند الاضطرار والخوف، فهل يمكن القول إن أصل الإيمان بالله وليد الخوف؟

بالإضافة إلى ذلك يجب أن يكون الشخص الأكثر خوفاً هو الأكثر إيماناً إذا كان الخوف هو مصدر الإيمان، في حين أن المؤمنين الحقيقيين كانوا أكثر الناس شجاعة في عصرهم. كما يفترض أن يفقد الإنسان إيمانه في اللحظات التي لا يشعر فيها بالخوف، في حين أننا نقبل الله تعالى بدليل العقل والفطرة في اللحظات التي لا نخاف فيها. إن الخوف والاضطرار يكشفان في الحقيقة ستار الغفلة، ما يتيح لنا أن نتجه إلى الله، ولهذا فإن الملحدين الذين ينكرون الله يأملون من أعماق روحهم في قوة تنجيهم، إذا ركبوا طائرة مثلاً وشعروا بسقوطها أو سافروا في سفينة وأحسوا بغرقها، وتأكدوا أنه لا توجد أية قوة تنقذهم من الهلاك. إن هؤلاء تتعلق قلوبهم عندئذٍ بنقطة أو قوة غيبية، وهذه النقطة هي قوة الله سبحانه وتعالى.

التعاليم:

- ١ - من طرق معرفة الله ووحدانيته الاهتمام بقدرة الله المُنجية وقطع العلاقة مع القوى والوسائل الأخرى وقت الاضطرار، ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ﴾.
- ٢ - شرط استجابة الدعاء وقطع الإخلاص الأمل في الآخرين، ﴿يُجِيبُ الْمُضْطَرُّ﴾.

- ٣ - إِنَّ أَوْلَٰئِكَ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ حَاجَتَهُمْ مِنْ اللَّهِ بِصَمْتٍ، يَعْلَمُ اللَّهُ حَالَهُمْ، وَلَكِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِ طَالِبِينَ حَاجَتَهُمْ، ﴿إِذَا دَعَا﴾.
- ٤ - يَسِيطِرُ الْإِنْسَانُ عَلَى الطَّبِيعَةِ وَيَتَحَكَّمُ فِيهَا، ﴿وَيَجْمَعُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾.
- ٥ - هَلْ مِنْ الْمَفِيدِ التَّوَجُّهُ إِلَى الْقُدْرَاتِ الْمَادِّيَةِ وَالْإِهْتِمَامِ بِهَا عِنْدَ الْإِضْطِرَارِ؟! ﴿أَوَلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾.

﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّحَ
بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَوَلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٣)

إشارات:

□ ربما كان المقصود من الهداية في ظلمات البر والبحر هو الهداية عن طريق النجوم، لأننا نقرأ في موضع آخر قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَا وِبَالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(١).

التعاليم:

- ١ - أفضل سبيل لمعرفة الله هو الاهتمام بمشاكل الحياة وتعقيداتها والعثور على طريق للحل ونافذة أمل بفضل الله، ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ... وَمَنْ يُرْسِلُ﴾.
- ٢ - تسيير حركة الرياح بتدبير من الله، ﴿يُرْسِلُ الرِّيَّحَ﴾.
- ٣ - إِذَا حَكَّمْنَا وَجَدَانَا سَنَدْرِكُ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ، ﴿أَوَلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾.
- ٤ - كل شكل من أشكال الشرك مُدَانٌ ومرفوض، ﴿عَمَّا﴾.
- ٥ - إِنَّ اتِّخَاذَ شَرِيكَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى إِهَانَةً لِلْمَقَامِ الْإِلَهِيِّ، ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكَ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

إشارات:

□ جاءت جُملة «إِلَهُ مَعَ اللَّهِ» خمس مرات متتابعة من الآية الستين حتى هذه الآية، وذلك لإبطال الشِّرك ورفض الألَّهة المكذوبة.

□ يكون رزق الإنسان من السماء أحياناً، كالنور والهواء والمطر. ويكون من الأرض في أحيان أخرى، كالخضار والفاكهة. كما أنه يكون من الحيوانات التي تستفيد من الأرض وتنمو منها بشكل غير مباشر، وقد يكون هذا الرزق من المعادن التي تستقر في باطن الأرض أيضاً^(١).

□ لا ينقُض أي مخلوق من وجهة نظر القرآن، وإنما يُفقد من وجهة نظرنا نحن، فالمعاد ليس إعادة للشيء من العدم، كي يظن البعض أنه عمل مُحال، بل هو رجوع المخلوقات إلى صورتها الأولى بعد أن لحق بها تغيير في الشكل.

□ تأتي الآيات المُكررة في القرآن الكريم مصحوبة بنوع من التجديد، فقد تكررت جُملة «إِلَهُ مَعَ اللَّهِ» من الآية ٦٠ حتى الآية ٦٤، لكنها جاءت مصحوبة بجُملة جديدة في كل مرة:

- نقرأ في الآية ٦٠: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ أي أن المشركين ينحرفون عن الحق.
- نقرأ في الآية ٦١: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي أن انحرافهم بسبب جهلهم.
- نقرأ في الآية ٦٢: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي أنكم قليلاً ما تتذكرون لأنكم جاهلون.

- نقرأ في الآية ٦٣: ﴿تَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي أن الله مُنزه عن شركهم.
- نقرأ في الآية ٦٤: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي أن هؤلاء انقادوا للشِّرك بدون دليل أو برهان.

التعاليم:

- ١ - القوة التي خلقت الخلق في البداية هي نفسها التي يُمكنها أن تُعيده مرة ثانية، ﴿يَبْدُؤُا... يُعِيدُهُمْ﴾.
- ٢ - المَعَاد مَعَاد جسماني، ﴿يُعِيدُهُمْ﴾.
- ٣ - يجب إثارة وتنبيه الوجدان بالسؤال، ﴿أَمَّنْ يَبْدُؤُا الْخَلْقَ... مَنْ يَرْزُقُكُمْ... أَوَّلَهُ﴾.
- ٤ - يفترض قبول برهان المُخالفين إذا امتلكوا الدليل والبرهان، ﴿قُلْ هَآئُوا﴾.
- ٥ - الإسلام دين البرهان، ويطلب من مخالفيه الأدلة والبراهين، ﴿قُلْ هَآئُوا رُفَعْنَاكُمْ﴾.

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾^(١٥)
 بَلْ أَذْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ^(١٦)
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَبْنَاءَ لَمُخْرَجُونَ^(١٧)
 لَقَدْ وَعَدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ^(١٨) ﴿﴾

إشارات:

- الغيب نوعان: نوع يُعلمه الله تعالى لأنبيائه ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ﴾^(١)، أمَّا الآخر فهو من قبيل العلم بزمان وقوع القيامة، وهو خاص بالذات الإلهية.
- تأتي كلمة «مَنْ» للمخلوقات العاقلة، وبناءً على هذا فإن هناك الكثير من المخلوقات العاقلة التي توجد في السماوات بالإضافة إلى الملائكة، وسوف تُبعث يوم القيامة كما يُبعث البشر.
- جملة «بَلْ أَذْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ» تُشبه قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾^(٢).

(١) سورة هود: الآية ٤٩.

(٢) سورة النبأ: الآيات ٤ - ٥.

□ كلمة «ادارك» من «تدارك» التي تعني الاتصال والتصاق الأجزاء بعضها ببعض. أي أن المشركين منقادون لتشتت الأفكار في الدنيا، ولكن سوف يحصلون معلوماتهم ويصلون إلى العلم في الآخرة، ولكن ما فائدة ذلك يومها؟! □ كلمة «أساطير» جمع «أسطورة» التي تعني الخرافة. فقد كان الكافرون يهتمون الرُّسل والأنبياء بأن ما يقولونه حول الآخرة والقيامة مسائل لا أساس لها، وأنهم يذكرونها لإشغال الناس بها.

التعاليم:

- ١ - إنكار المَعَاد كفر، ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.
- ٢ - عدم قبول حقيقة من الحقائق ليس دليلاً على أنها لن تقع أو أنها ليس لها وجود، ﴿أَوَدَا كُنَّا﴾.
- ٣ - من علامات الإنكار تكرار السؤال المقترن بعدم التصديق، ﴿أَوَدَا... أَيْتَا﴾.
- ٤ - يصنف بثُّ الشكوك في القضايا العقائدية عملاً من أعمال الأعداء، ﴿أَيْتَا لَمُخْرَجُونَ﴾.
- ٥ - قدم الكلام ليس دليلاً على ضعفه، ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَٰذَا... مِنْ قَبْلُ﴾.
- ٦ - كان الأنبياء جميعاً يعدون بالمعاد، ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾.
- ٧ - يبحث المجرم عادةً عن شريك له في الجريمة، ﴿نَحْنُ وَآبَاؤُنَا﴾.
- ٨ - استعمل الكفار في ردهم سلاحاً من قبيل وصف أقوال الأنبياء بالأساطير، ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٦٩)

وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

إشارات:

□ حث القرآن الكريم الناس على السير في الأرض وشجعهم على التجوال فيها مرات عديدة بقوله: «سيروا» أو «أفلم يسيروا»، وكان ذلك في أكثر المواضع من أجل الإنذار والتحذير وأخذ العبرة من حياة المُجرمين.

التعاليم:

- ١ - تعدُّ زيارة الآثار التي خلفها الظالمون الذين عُرفوا في التاريخ واحدة من وسائل الرشد والتربية، ﴿سِيرُوا... فَأَنْظُرُوا﴾.
- ٢ - إنّ للتاريخ الإنسانيّ مبادئ وقوانين وسُننًا، ويمكن أن تكون العبر والمواظ السابغة دروساً للناس في أيامنا هذه استناداً إلى هذه المبادئ، ﴿سِيرُوا... فَأَنْظُرُوا﴾.
- ٣ - يجب أن يكون السفر هادفاً، ﴿سِيرُوا... فَأَنْظُرُوا﴾.
- ٤ - لا بدّ من المحافظة على آثار السابقين من أجل أن يتعظ بها أبناء المستقبل، ﴿فَأَنْظُرُوا﴾.
- ٥ - المناطق التي هلكت بالعذاب الإلهي هي بلاد منتشرة، ويجب أن تكون زيارتها متاحة للجميع، ﴿سِيرُوا... فَأَنْظُرُوا﴾.
- ٦ - للمُجرمين عاقبة سيئة (ارتكاب الجرائم المرة تلو الأخرى يتسبّب في الكفر والتكذيب)، ﴿عَقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾.
- ٧ - للذنوب عقاب دنيوي وآخر أخروي (انظروا على سبيل المثال إلى العذاب الدنيوي حتى تدركوا طبيعة العذاب الأخروي)، ﴿عَقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾.
- ٨ - يجب عدم الحزن على المُجرمين عندما تكون عاقبتهم هي الهلاك والدمار لأن عنادهم وإنكارهم هما سبب هذه العاقبة، ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾.
- ٩ - كان الرسول يُشفق على الجميع رغبةً في هدايتهم، وشمل ذلك الأعداء الذين يمكنهم به، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ... يَمْكُرُونَ﴾.
- ١٠ - يحظى الرُّسل والأنبياء بالحماية الإلهية، فالله تعالى يواسي رسوله بقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ... وَلَا تَكُنْ﴾.

يقول الشاعر ما ترجمته:

لا تحزن، فأنا الذي يتعاطف معك ويزيل همومك، وأنا الذي يحفظك من الشرور كلها وإذا أعرض عنك الأغيار فأنا نصيرك في الدنيا والآخرة.

١١ - قدرات الإنسان وطاقاته محدودة، حتى لدى النبي، ﴿فِي صَبِيحٍ﴾، فقد كان ضيق رسول الإسلام وقلقه من تأثير حيلة الكفار وانعدام تأثير دعوته، ولهذا يطمئنه الله تعالى ويواسيه فيقول له: ﴿وَلَا تَكُنْ فِي صَبِيحٍ﴾.

١٢ - يشغل أعداء الإسلام دائماً بتدبير الحيل والمؤامرات، ﴿بِمَكْرُورٍ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٧١) قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾

إشارات:

□ كان الناس يسألون الأنبياء في أزمانهم عن موعد يوم القيامة عندما كان هؤلاء الأنبياء ينذرونهم ويحذرونهم منها أو من الغضب الإلهي، ولكن لما كان يوم القيامة لا يعلمه إلا الله، فإن الأنبياء كانوا لا يجيبونهم، وكانوا يحذرونهم فقط من العذاب الإلهي، ولا يقولون لهم شيئاً عن زمن وقوعها.

□ جاء ذكر ما في الصدور ﴿مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ قبل الأعمال العلنية ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾، ويمكن أن يكون هذا لأسباب عدة:

أ - الأفكار والنوايا الداخلية هي الدافع للأعمال الخارجية، ولهذا قدمت عليها.

ب - العلم بباطن الأفراد أهم من العلم بظاهرهم.

ج - يشكّل علمُ الله تعالى بالأهداف والمقاصد الخفية تهديداً كبيراً لمنكري المَعَاد.

التعاليم:

١ - كان الكفار يسخرون من العذاب ويتحدّون وقوعه، ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

٢ - إنَّ عدم معرفة تفاصيل حقيقة من الحقائق ليس دليلاً على إنكار أصلها (لا ينبغي لنا تكذيب أصل القيامة حتى لو كنا لا نعرف شيئاً عن زمن وقوعها)، ﴿مَنْ هَذَا الْوَعْدُ﴾.

٣ - يرمي السؤال عن زمن وقوع القيامة إلى الشك في النبوة، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

٤ - لا يلزم أن يكون هناك رد على كل سؤال (كان الكفار يطلبون من الرسول أن يُحدد لهم وقت العذاب، ولكنه لم يكن يحدده لهم)، ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾.

٥ - قد يستعجل الناس نزول العذاب على الكافرين وهذا لا يُغير حكمة الله تعالى، ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ... الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

٦ - الدنيا قد لا تكون مكاناً للعقاب الكامل، ﴿بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

٧ - العقوبات الإلهية لها نظام وتوقيت ومراحل متتابعة، ﴿رَدِفَ لَكُمْ﴾.

٨ - الخوف والرجاء ينفعان حينما يكون أحدهما إلى جوار الآخر، ﴿رَدِفَ لَكُمْ... وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ﴾.

٩ - ليس من المحتمل نزول العذاب الإلهي على الكفار، فهؤلاء يستطيعون النجاة بالتوبة وتغيير موقفهم، ﴿عَسَى﴾، (كلمة «عسى» تعني انفتاح الطريق للعودة والتوبة).

١٠ - يمكن أن يكون تذوق بعض العذاب الدنيوي وسيلة من وسائل إيقاظ الوعي والتوبة ونوعاً من الفضل الإلهي، ﴿رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

١١ - تأخير العقاب أسلوب من أساليب التربية، ودليل على لطف الله، وفرصة من أجل التوبة، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ﴾.

١٢ - لا تغيّر الأثرة الجاحدة مسار فضل الله تعالى ولطفه، ﴿لَذُو فَضْلٍ... أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

١٣ - لا يجوز الشك في علم الله، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ﴾.

١٤ - يجب تجنّب الذنب والنفاق لأن الله تعالى يعلم كل شيء، ﴿لَيَعْلَمَ مَا تَكْنُ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

١٥ - المعرفة الكاملة من لوازم ربوبية الله تعالى، ﴿رَبِّكَ لَيَعْلَمُ﴾.

١٦ - يضمن علم الله بالظاهر والباطن تحقيق وعوده، فلا داعي للاستعجال، ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ... تَسْتَعْجِلُونَ... وَلَئِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ﴾.

﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾

إشارات:

□ حرف «التاء» في كلمة «غائب» إمّا للمبالغة كما في كلمة علامة، أي الأشياء شديدة السرية والخفية، أو من أجل التأنيث، على اعتبار أن كلمة «غائبة» صفة لكلمة «أشياء» أو «خصال» التي حذفت تقديرًا^(١).

□ يشتمل غيب السماوات والأرض على أعمال الإنسان الخفية كلها، والنوايا، وزمن وقوع يوم القيامة، وزمن نزول الرحمة أو العذاب، وغير ذلك من الأسرار.

□ ربما كان المراد من قوله تعالى: ﴿كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هو اللوح المحفوظ أو علم الله الذي لا نهاية له.

التعاليم:

١ - هناك العديد من الأمور التي تعجز حواس الإنسان عن إدراكها، ﴿غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾.

٢ - يخضع الكون كله لرعاية الله وإشرافه، وله نظام وترتيب، ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ... إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُضَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٧٦)

إشارات:

□ يتضح من هذه الآية أن التوراة والإنجيل لم يكونا قادرين على إنهاء الاختلافات بين أهل الكتاب في زمن الرسول ﷺ، وأن القرآن وحده هو المهيمن على الكتب السماوية السابقة، ولديه القدرة على حسم النزاع.

التعاليم:

١ - تولى الرسول ﷺ إزالة الاختلافات الفكرية المتأصلة وهو الذي لم يدرس ولم يذهب إلى مدرسة، وهذا دليل على إعجاز القرآن الكريم وأحققيته، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ...﴾.

يقول الشاعر الإيراني:

حبيبي الذي لم يذهب إلى المدرسة ولم يكتب الخطوط صار يُعلم المسائل
لمائة مدرس بغمزة منه.

٢ - حل الاختلافات ورفعها بركة من بركات القرآن الكريم، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ... يَخْتَلِفُونَ﴾.

٣ - إن الأديان الإلهية لا تختلف وإنما نشأت الاختلافات بما كسبت أيدي الناس، ﴿هُم فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿وَإِنَّهُ لَمُدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٧٧) ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ (٧٨)
﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ (٧٩)

التعاليم:

١ - القضاء على الاختلاف نموذج واضح من نماذج الهداية والرحمة الإلهيتين، ﴿لَمُدَىٰ وَرَحْمَةٌ... إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي﴾.

٢ - الإيمان سبب من أسباب تلقي الرحمة الإلهية، ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

- ٣ - يواسي الله تعالى رسوله ويشد من أزره، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي﴾.
- ٤ - القضاء شأن من شؤون الربوبية، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي﴾.
- ٥ - أحكام الله تعالى تختص بذاته المقدسة، لأن الجهل والخوف وانغراس الأحداث لا تؤثر فيه، لذا فهي عادلة مائة في المائة، ﴿يَحْكُمُ﴾.
- ٦ - يشترط العلم في القضاء أيضاً مضافاً إلى العدل، ﴿يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾.
- ٧ - التوكل على الله شرط من شروط نجاح القائد، ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.
- ٨ - الانتباه إلى أحقية الطريق والإيحاء بذلك يحفظان الإنسان ويحميانه في مواجهة الحوادث العابرة، ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾.
- ٩ - لم يكن سبيل الرسول غامضاً؛ ولكن معارضيهِ كانوا يختلقون الأعداء والحجج، ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾.
- ١٠ - التوكل على الله له معنى وثمرة حينما يكون على طريق الحق فقط، وليس في سبيل الباطل، ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾.
- ١١ - يجب على القائد أن يؤمن بأن منهجه هو طريق الحق، ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾.

﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتِ وَلَا تَسْمِعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدْيَنَ ۖ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ صَلَاتِهِمْ ۖ إِنَّ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْمِعُونَ﴾ (٨١)

إشارات:

□ تُطلق كلمتا الموت والحياة في المعجم القرآني على الموت والحياة الطبيعيين والماديين، كما تُطلقان على الموت والحياة المعنويين.

والقرآن الكريم يصف الذين لا يصغون إلى كلام الحق بأنهم موتى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتِ﴾، وهكذا يقول مراراً وتكراراً: لا تظنوا أن الشهداء أموات، بل أحياء وسعداء، ويُبشر الواحد منهم الآخر، ويستمتعون برزق الله. وبناءً على هذا،

فإن الأحياء من المعاندين وقساء القلوب هم في الحقيقة موتى، بينما الشهداء الذين رحلوا عن هذه الدنيا هم أحياء. ولعل من الأفضل أن نُفصل القول في هذه المسألة ونوضحها قليلاً:

مراحل الحياة

□ للحياة مراحل عديدة، وهي على النحو التالي:

- ١ - الحياة النباتية. يقول القرآن: ﴿يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(١)، أي أن الله تعالى يُحيي الأرض بعد موتها عن طريق الأمطار التي تسقط عليها.
- ٢ - الحياة الحيوانية. يقول القرآن: ﴿يُحْيِيكُمْ﴾^(٢)، أي أننا وهبناكم الحياة.
- ٣ - الحياة الروحية. يقول القرآن: ﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾^(٣)، أي ليُنذر الأحياء، أولئك الذين لديهم عقل سليم وفطرة نقية. ويقول أيضاً إن دعوة الأنبياء من أجل حياتكم: ﴿دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(٤).
- ٤ - الحياة السياسية والاجتماعية، ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾^(٥)، أي أن المجتمع يحيا حينما تتوطد العدالة بتنفيذ حكم القصاص (وإذا لم يحدث هذا فإن مجتمعكم ميت).
- ٥ - الحياة الأخروية، ﴿بَلَّغْتَنِي فِدَمْتُ لِحَيَاتِي﴾^(٦)، أي ليتني ادخرت شيئاً من أجل حياتي الحقيقية في الآخرة.

إشكال ورد

□ جاء في تفسير نمونه^(٧) أن الوهابيين يجعلون من الآية القائلة: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ ذريعة لتصوّرهم الخاطئ، فيقولون إن النبي الأكرم قد رحل عن هذه

(٥) سورة البقرة: الآية ١٧٩.

(٦) سورة الفجر: الآية ٢٤.

(٧) تفسير نمونه، ج ١٥، ص ٥٤٣.

(١) سورة الروم: الآية ٥٠.

(٢) سورة الجاثية: الآية ٢٦.

(٣) سورة يس: الآية ٧٠.

(٤) سورة الأنفال: ٢٤.

الدنيا، وأنه لا يسمع أي قول أو حديث، وبناءً على هذا فلا معنى لأن نزور الرسول ونوجه له الخطاب ونشرح له ما نريد من موضوعات.

والرد على الفرقة المذكورة هو أن الآية في مقام تشبيه إجمالي، كتشبيها لغلاظ القلوب بالحجر في عدم تأثرهم ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾^(١)، وليس لأن قلوبهم مثل الحجر في كل شيء، لأن القرآن الكريم أقر بالحياة البرزخية للشهداء، وقد نُقلت روايات عن الشيعة والسنة في هذا المجال:

١ - يقول محمد بن عبد الوهاب في صفحة ٤١ من كتاب الهدية السنية إن الرسول يحيا بعد وفاته حياة برزخية أعظم من حياة الشهداء، ويسمُ سلام من يسلمون عليه.

٢ - وردت روايات كثيرة في كُتب الشيعة وأهل السنة في هذا المجال، ومنها ما يفيد أن الرسول ﷺ والأئمة ﷺ يسمعون كلام من يُسلم عليهم من بعيد أو قريب، ويردون ﷺ، وحتى أعمال الناس تُعرض عليهم^(٢).

٣ - نحن أنفسنا شهودٌ على آلاف النماذج والأمثلة من التوسلات التي تحققت كما طلبها المتوسلون تماماً.

٤ - ورد في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ كان يُخاطب الكفار الهالكين في غزوة بدر، فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»^(٣).

٥ - سار الإمام علي عليه السلام بعد انتهاء حرب الجمل في القتلى يستعرضهم، فمرَّ بكعب بن سور قاضي البصرة وهو قتيل، فقال: أجلسوه فأجلس، فقال له: ويل أمك كعب بن سورا لقد كان لك علم لو نفعك، ولكن الشيطان أضلك فأزلك، فعجلك إلى النار^(٤).

(١) سورة البقرة: الآية ٧٤.

(٢) كشف الارتباب، ص ١٠٩.

(٣) صحيح البخاري، ج ٥، ص ٩٧.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٤٨.

التعاليم:

١ - يجب تسليم أمر أصحاب القلوب العمياء إلى الله تعالى، ﴿فَتَوَكَّلْ... إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾.

٢ - لن يؤثر كلام الحق في المستمع القاسي القلب على الرغم من أن قائله طاهر ويستحق التقدير أيضاً. نعم، فالمصباح المحترق لا يضيء ولو اتصل به تيار الكهرباء، ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ... إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾.
يقول الشاعر:

ما فائدة التلاوة والوعظ للقلب الأسود، إن المسمار الحديدي لا يخترق الحجر.

٣ - لا يعود عدم تأثير دعوة الأنبياء إلى الغموض في دعوتهم، وإنما بسبب عمى قلوب المنكرين، ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ... إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾.

٤ - الإيمان بالنسبة للإنسان بمثابة الروح للجسد، والذين لا يؤمنون مع رؤية المعجزة وسماع المنطق كجثة الميت التي لا روح فيها، ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾، نعم، إن سماع الحق وقبوله دليل على سلامة الروح.

٥ - لا يؤثر إعراض الناس في الإنسان إذا وصل إلى اليقين، ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ... وَلَوْ أُمِّدَّيْنِ﴾.

٦ - يستطيع الضم أن يفهموا عن طريق الإشارة، لكن أصحاب السمع الذين أعرضوا عن الحقيقة وابتعدوا عن أهل الحق لا يفهمون حتى الإشارات، ﴿وَلَوْ أُمِّدَّيْنِ﴾.

٧ - المداومة على الإعراض أسوأ من الإعراض نفسه، ﴿وَلَوْ أُمِّدَّيْنِ﴾.

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ

تَكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾

إشارات:

□ يبدو أن هذه الآية تتعلق بالأحداث التي تقع قبل يوم القيامة، فالله تعالى يخرج بقدرته مخلوقاً حياً من الأرض إذا صار العذاب الإلهي حتمياً واقترب من

الناس وقوعه. فُحِذَّتْ الناس، ويكون كلامه هو: إن الناس لا يؤمنون.

□ على الرغم من أن كلمة «دَابَّة» في العرف تُطلق على الحيوان، ولكنها في اللغة تدل على من يمشي على الأرض وقد استخدمت في القرآن الكريم مرات عدة في هذا المعنى أيضاً. ويجب القول إن المقصود بالدابة «شخصية مهمة» لأنه ينبغي أن يكون كلامها للكفار في وقت من الأوقات سنداً ووثيقة، وقد قيل في الروايات إنها علي بن أبي طالب عليه السلام.

□ ربما تشمل هذه الآية أيضاً كل أولياء الله الذين يقومون في آخر الزمان ويشيرون ثورة خارقة، ويفرقون بين الحق والباطل، والمؤمن والكافر. «والله أعلم»

ما هي الدابة وكيف تكون؟

□ في الآية أدلة تشير إلى أن هذه الدابة مخلوق مهم جداً لأنه:

- ١ - تظهر على مشارف العذاب الإلهي، ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾، الكلام المهم يقتضي أن يصدر من مصادر مهمة.
- ٢ - تظهر على نحو استثنائي، ﴿أَخْرَجْنَا... مِنْ الْأَرْضِ﴾.
- ٣ - تتكلم ﴿تَكْلِمُهُمْ﴾ وتقضي بينهم، وتخبر عن مستقبل الناس، ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا...﴾.
- ٤ - كلامها هو الكلمة الأخيرة كصور إسرائيل، ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ﴾.
- ٥ - كلمة «دَابَّة» تنتهي بالتين، وهي إشارة إلى عظمة هذا المخلوق.
- ٦ - الآية التالية تتعلق بالرجعة، حيث يحيا أولياء الله قبل القيامة.
- ٧ - لا تقول الآية: «بآيات الله»، وإنما تقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، والمقصود أنها هي نفسها آيات الله.

إن الجمع بين هذه الأدلة والقرائن التي تبدو من ظاهر الآية والروايات العديدة التي وردت في كتب التفاسير يوصلنا إلى الحقيقة التي مفادها أن المراد من قوله تعالى: «دَابَّةٌ مِنَ الْأَرْضِ» هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. فهو الجدير بقول الكلمة الأخيرة، ووسم جبين البعض بخاتم عدم الإيمان، والإخبار عن مستقبل الضالين المشؤوم.

□ سؤالان:

١ - أليست كلمة «دابة» خاصة بالدواب غير الإنسانية؟

الجواب: فقد استخدمت كلمة دابة في القرآن الكريم مرات عدة، وكانت تشمل الإنسان أيضاً، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾^(١).

٢ - ألا يمثل إطلاق كلمة «دابة» على الإمام علي عليه السلام إهانة لشخصه؟

الجواب: أبداً، وذلك كإطلاق كلمة «إنسان» أو «بشر» على الرسول، وليس فيها إهانة له، وجواز إطلاق كلمات «شيء»، «عالم»، «نور»، «وجود» على الله تعالى مع وجود الفرق بين علم الله ونوره ووجوده والآخرين.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَازَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾

إشارات:

□ إذا لاحظنا أنَّ الناس جميعاً سوف يُحشرون يوم القيامة ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٢)، وأنَّ الآية التي نتحدث عنها (النمل، ٨٣) تقول: سوف نحشر جماعة فقط من كل أمة، يتضح أنَّ هذه الآية لا تتعلق بيوم القيامة، وإنما تتعلق بالرجعة حيث تحيا جماعة قبل القيامة.

□ وردت في القرآن الكريم نماذج وأمثلة عن الإحياء في الدنيا، ومن بينها ما ورد في سورة البقرة، حيث نقرأ أنَّ الله تعالى قد قضى على مجموعة من الناس بالموت، ثم أحياهم مرة ثانية ﴿فَقَالَ لَهُمْ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾^(٣). ويقول الله تعالى في موضع آخر: لقد أحييناكم في هذه الدنيا بعد الموت ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾^(٤). ويقول الله تعالى لعيسى عليه السلام: تحيي الموتى وتخرجهم من القبور

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٤٣.

(١) سورة هود: الآية ٦.

(٤) سورة البقرة: الآية ٥٦.

(٢) سورة الكهف: الآية ٤٧.

بإذني ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾^(١). ويقول تعالى عن أحد أولياء الله: لقد أمته مائة عام ثم أحْيَيْتَهُ بعد هذه المدة ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾^(٢). وجاء كذلك في روايات كثيرة أنَّ بعضاً - ممن يبرزون في الإيمان أو الكفر - يحيون بإرادة الله تعالى قبل يوم القيامة، ويعيشون مدة من الزمن مع حكم أهل الحق، ويُعاقب قادة الكفر.

التعاليم:

- ١ - يكون الحشر العام للناس يوم القيامة، أمّا حشر جماعة خاصة من الكفار فيكون في هذه الدنيا، ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾.
- ٢ - كان التضاد بين الإيمان والكفر موجوداً في الأمم كلها، ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ﴾.
- ٣ - يختص الحشر قبل القيامة بالكافر كفراً مطلقاً (جاء في الروايات أيضاً أن الرجعة خاصة بكبار المؤمنين والكافرين)، ﴿مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾.
- ٤ - لا ينبغي تكذيب أي أمر بدون علم واطلاع (يجب أن تقوم العقائد على أساس الدليل القطعي)، ﴿أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَرَّ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾.
- ٥ - يعكس عمل كل إنسان عقائده وأفكاره (يأتي التكذيب أولاً ثم الأعمال المخالفة)، ﴿أَكْذَبْتُمْ... أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.
- ٦ - يخضع الكفار خاصة للرقابة بعد إحيائهم في الدنيا إلى حين محاكمتهم، ﴿يُؤْزَعُونَ... حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا﴾.
- ٧ - يُساءل الكفار في مرحلة الرجعى (الإحياء في هذه الدنيا) على عقائدهم، كما يُوبخون على سلوكهم أيضاً، ﴿أَكْذَبْتُمْ... أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.
- ٨ - يجب أن يرد الجميع في حضور الله، ﴿أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي... أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٨٥) أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ
وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾

إشارات:

- تؤثر ظلمة الليل في هدوء الأعصاب والنور في نشاط الإنسان وهذا من المسائل العلمية الثابتة اليوم^(١).
- ربما كان لطرح مسألة النوم واليقظة بعد مسألة الرجعى والمعاد رسالة مضمونها: لا تتعجبوا من الرجعة والمعاد لأنهما مثل النوم واليقظة.
- الليل هو نموذج لرحمة الله للناس، ودليل على حكمته وقدرته، وغض الطرف عن دور الليل هو نموذج من تكذيب الجاهلين الذي طرح في الآية السابقة.

وسائل الراحة

- ذكرت بعض الأمور في القرآن الكريم كوسيلة من وسائل الراحة والسكينة، ومنها:

- ١ - ذكر الله، ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ قَطْمِينَ الْقُلُوبِ﴾^(٢).
- ٢ - المدد الغيبي، ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).
- ٣ - الآثار والأشياء المقدسة، ﴿أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾^(٤).
- ٤ - تشجيع أولياء الله، ﴿إِنَّ صَلَوتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾^(٥).
- ٥ - الملاذ والمنزل، ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن يُّؤْتِيَكُم سَكَنًا﴾^(٦).
- ٦ - الزوجة، ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾^(٧).
- ٧ - الليل، ﴿أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ﴾^(٨).

(٥) سورة التوبة: الآية ١٠٣.

(٦) سورة النحل: الآية ٨٠.

(٧) سورة الروم: الآية ٢١.

(٨) سورة النمل: الآية ٨٦.

(١) تفسير نمونه.

(٢) سورة الرعد: الآية ٢٨.

(٣) سورة الفتح: الآية ٤.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٤٨.

وجدير بالقول إن الليل هو وقت نزول القرآن ومعراج النبي ﷺ، وهو وقت الدعاء والمناجاة، على الرغم من أن بعض المنحرفين يستفيدون من نعمة الليل وظلمته أسوا استفادة، ويرتكبون فيه الذنوب والجرائم والعيوب.

- إنَّ عصرنا الحالي يبحث عن الراحة في أماكن أخرى، ولهذا لم يصل إلى نتيجة، فقد تعلّق العالم اليوم بالتقنية والسلاح والثروة والسلطة والعلاقات الديبلوماسية، ولا يذوق طعم الراحة بسبب فقدانه المعنويات. وما أكثر الذين تلوثوا بالمخدرات والخمور والشهوة... وغرقوا في الذنوب والآثام، ويكفي أن نرجع إلى إحصائيات الجرائم في العالم كي ندرك الحقيقة.

التعاليم:

- ١ - إنَّ عذاب الظالمين واقع حتماً، ﴿وَقَعْ﴾.
- ٢ - صدر الوعد بالعذاب الإلهي للظالمين من قبل، ﴿أَلْقَوْلْ﴾.
- ٣ - السبب في شقاء الإنسان هو الإنسان نفسه، ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾.
- ٤ - إنَّ تكذيب تحذيرات الأنبياء الجدية والتمرد عليهم ظلم للنفس، ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾.
- ٥ - ليس للظالم كلام يقوله يوم القيامة، ﴿لَا يَتُكَلِّمُونَ﴾.
- ٦ - يتعرض الذين لا يعتبرون من تعاقب الليل والنهار للانتقاد، وأكثر انتقادات القرآن لأولئك الذين يعيشون حياة غافلة، ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾.
- ٧ - يتناسب نظام الخلق مع احتياجات البشر، وهذا التناسب دليل على وجود مدبر واحد حكيم، ﴿لَيْسَكُونَا﴾.
- ٨ - يجب أن يخصص الليل للراحة في برنامج الحياة، ﴿لَيْسَكُونَا فِيهِ﴾.
- ٩ - دور الإيمان والفكر الديني هو أن يرى في الكون معنى وهدفاً، وينظر إليه على أنه دليل على القوة والحكمة، ﴿لَيْسَكُونَا... مُبْصِرًا... لَا يَتَذَكَّرُونَ﴾.
- ١٠ - يجب أن تكون الراحة مقدمة للعمل والسعي، ﴿لَيْسَكُونَا... مُبْصِرًا﴾ فنور النهار للعمل كما يقول الله تعالى في الآية ١٢ من سورة الإسراء: ﴿وَجَعَلْنَا

آيَةَ النَّارِ مُبِصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴿٨٧﴾ أَي لَتَبْحَثُوا عَنْ فَضْلِ رَبِّكُمْ (وتقوموا بالعمل والسعي) ..

١١ - أهل الإيمان هم وحدهم الذين يعتبرون من الآيات الإلهية، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ
إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَخِيرِينَ ﴿٨٧﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «دخور» تعني الذل والصغار.

□ دار الحديث في القرآن الكريم عن نفختين في الصور، الأولى هي النفخة التي تسبب في موت الجميع، والأخرى هي النفخة التي تسبب في البعث والحياة. ونحن نقرأ في الآية ٦٨ من سورة الزمر قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ أي أن «إسرافيل» ينفخ في الصور فتموت المخلوقات السماوية والأرضية كلها، إلا أولئك الذين يريد لهم الله ألا يموتوا، ثم ينفخ في الصور مرة ثانية فإذا بالخلائق كلها تقوم وتنتظر الحساب والجزاء.

وقد يكون المقصود بالنفخة في هذه الآية هو النفخة الأولى، بدليل كلمة «فزع»، أو النفخة الثانية، بدليل كلمة «أتوه»، أو النفختان معاً، بدليل كلتا الكلمتين. «والله أعلم».

□ جاء في الروايات أن المسؤول عن النفخ في الصور ملاك يسمى إسرافيل، ونحن نقرأ في دعاء أم داود قولها: «اللهم صلّ على إسرافيل حامل عرشك وصاحب الصور»^(١).

□ هناك جماعة في أمنٍ من الوحشة والخوف عند بداية القيامة ﴿إِلَّا مَن شَاءَ

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ١٠٢.

اللَّهُ، وقد عُرِفَتْ هذه المجموعة في الآيتين التاليتين: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِئُونَ﴾ كما نقرأ في موضع آخر قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾^(١)، أي أنهم لا يحزنهم الهول العظيم في ذلك اليوم.

التعاليم:

- ١ - يحدث انهيار نظام الكون وموت البشر وبداية القيامة بانطلاق صوت مروع (النفخ في الصور)، ﴿يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾.
- ٢ - توجد في السماوات مخلوقات حيّة ومسؤولة، وهذه المخلوقات لها حشر وقيامة، ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ... وَكُلُّ أُنْثَى ذَخِيرٍ﴾.
- ٣ - يشعر الجميع في أنفسهم بالصغار يوم القيامة، ﴿ذَخِيرٍ﴾.

﴿وَرَوَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ
الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾

إشارات:

□ كلمة «صنع» من الصنعة، وتُطلق على العمل الذي يتم على أساس العلم والدقة والمهارة.

□ أول مَنْ اكتشف حركة الأرض هما «جاليليو» الإيطالي و«كوبرنيكوس» البولندي اللذان كان يعيشان في أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر الميلادي. وقد تراجع جاليليو عن أقواله في الظاهر تحت ضغط الكنيسة. لكن القرآن الكريم كان قد أخبر قبل أكثر من ألف عام عن حركة الأرض في آيات كثيرة^(٢).

ولا شك في أنَّ بعض المفسرين كانوا يرون أنَّ حركة الجبال كناية عن

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٣.

(٢) تفسير نمونه.

انهيارها وتلاشيها بعد النفخ في الصور، وهو ما ورد في الآية السابقة. وبناءً على هذا المعنى، فإن هناك رسائل أخرى يمكن استخلاصها من الآية الشريفة.

التعاليم:

- ١ - الكون في حالة حركة دائمة، حتى الجبال التي تبدو لنا ساكنة تتحرك، ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ﴾.
 - ٢ - الإخبار عن تحرك الجبال من المعجزات العلمية في القرآن الكريم، ﴿تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾.
 - ٣ - حركة الجبال تختلف عن حركة الأرض التي تتحرك أيضاً، ﴿تَمُرُّ﴾.
 - ٤ - تتحرك الجبال بسرعة تشبه سرعة السحاب، ﴿مَرَّ السَّحَابِ﴾.
 - ٥ - حركة الجبال دليل على القدرة الإلهية الحكيمة، ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾.
 - ٦ - كل شيء متقن ومثبت في مكانه في الرؤية الإلهية، ﴿أَنفَنَ كُلِّ شَيْءٍ﴾.
- ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾

إشارات:

- كلمة «كُبَّت» تعني قُلبت وألقيت على وجهها.
- سوف تتحول الملذات والتمردات والتطرفات التي تظهر في الدنيا بسبب الذنب إلى ذل وخزي بالحرق في النار يوم القيامة.
- من بركات القرآن الكريم أنه فتح الطريق من أجل رشد الجميع وسعادتهم، وقال إن كل من يقوم بالعمل الصالح سوف يُجازى خيراً منه، وذلك بدون النظر إلى السن والعرق والجنس.
- ذكرت «الحسنة» مُطلقة أيضاً، كي تشمل كل الحسنات، وقبول زعامة الحق وطريقه وكلامه وعمله واختياره... وقد وردت الإشارة إلى بعض هذه النماذج في الروايات، لكن أي عمل صالح يضيع إذا دخله الرياء والغرور وخالطه

العجب والذنب مهما كان صاحبه، أمّا العمل الصحيح فإنه يصل إلى مقصده ويُضاعف له الجزاء، ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾.

□ قرأنا في الآيتين السابقتين أن الجميع يفرعون بعد النفخة الأولى، إلا من يشاء الله. وتقول هذه الآية إن الله تعالى يحفظ أناساً من الخوف والفرع، وهم الذين أحضروا حسناتهم معهم إلى ساحة القيامة.

التعاليم:

- ١ - إن علم الله بأعمالنا الصالحة هو من عوامل التشجيع على القيام بفعل الحسنات، ﴿إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾.
- ٢ - الأهم من القيام بالعمل الصالح في الدنيا هو حملها إلى ساحة القيامة، ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾.
- ٣ - النتائج في المستقبل مرهون بأعمالنا (لكل فعل رد فعل)، ﴿مَنْ جَاءَ... فَلَهُ...﴾.
- ٤ - علينا أن نطرح الحسنات قبل السيئات، فقد قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ ثم قال: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾.
- ٥ - يُستحسن تشجيع الصالحين من أجل زيادة الحسنات، ﴿مَنْ جَاءَ... فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾.
- ٦ - يتلازم التشجيع مع التهديد وهذا يحدث التأثير الأكبر، ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ... وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾.
- ٧ - يربو ويزيد الجزاء الإلهي على العمل؛ فجزاء بعض الأعمال الضعيف ﴿لَهُمْ جَزَاءُ أَضْعَافٍ بِمَا عَمِلُوا﴾^(١)، والبعض الآخر عدة أضعاف ﴿فَيُضَاعَفُهُ لَهُمْ أَضْعَافًا﴾^(٢)، وهناك من الأعمال ما جزاؤه عشرة أضعاف ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾^(٣) ويزيد إلى سبعمائة ضعف أو أكثر، ويأتي قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ مِنْهَا﴾ ليشملها كلها.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٦٠.

(١) سورة سبأ: الآية ٣٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٤٥.

٨ - عمل الحسنات من المُنجيات يوم القيامة، ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ... مِنْ فَجَعِ يَوْمِذِ
مَأْمُوتٍ﴾.

٩ - أفضل جزاء عند الله ما كان مطلقاً، فهو أبدي من الناحية الزمنية، وهو كذلك
أضعاف ما نقوم به من عمل من ناحية المقدار، ﴿خَيْرٌ مِنْهَا﴾.

١٠ - إِنَّ ذَلَّ الإنسان أشد أثراً من العذاب نفسه، ﴿فَكَبَّتْ وَجُوهُهُمْ﴾.

١١ - العقوبات الإلهية إنعكاس للأعمال وتجسيم لها. نعم، فهؤلاء الذين يُحولون
وجوههم عن الحق بعد سماعه يُلقون على هذه الوجوه في الجحيم يوم
القيامة، ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ﴾.

١٢ - ثواب الله مضاعف ﴿خَيْرٌ مِنْهَا﴾ أمّا عقوباته فإنها مساوية للعمل وعادلة، ﴿مَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

١٣ - المعاد معادٌ جسماني، ﴿وَجُوهُهُمْ﴾.

١٤ - تتجسم أعمال الإنسان يوم القيامة، وتُحيط به، ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبِّي هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا
وَلَمْ يَكُنْ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾

إشارات:

□ دخل رسول الله ﷺ الكعبة حينما فُتحت مكة على يد المسلمين، وحطم
الأصنام، ووقف بعدها على أعتاب باب الكعبة وقال: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ»^(١).

التعاليم:

١ - ياتمر الرسول بالأمر الإلهي، ﴿أَمَرْتُ... وَأَمَرْتُ﴾.

- ٢ - يجب على الداعية أن يُبلغ للناس بقوة وحسم قائلاً: سواء آمنتم أم كفرتم - فسوف أواصل المسير على طريق الله، ﴿أُمِرْتُ... وَأُمِرْتُ﴾.
- ٣ - لا غنى لأحد حتى الرسول ﷺ عن العبادة تحت أي ظروف، ﴿بَشِّرْ مَنْ أَعْبَدَ﴾.
- ٤ - يجب أن تكون العبادة بأمر من الله، لا أن تكون مصطنعة ومن نسج الإنس. ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ﴾.
- ٥ - الذين لهم الحق في دعوة الناس هم أولئك السَّابِقُونَ أنفسهم، ﴿أُمِرْتُ﴾.
- ٦ - يجب أن تفتن العبودية بالتسليم القلبي، ﴿أَعْبُدْ... مِنْ الْمُسْلِمِينَ﴾.
- ٧ - فلسفة العبودية لله هي ربيوته وملكيته، ﴿أَعْبُدْ رَبَّ... وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾.
- ٨ - يجب البلوغ بالذات إلى الكمال للحاق بالكاملين، ﴿أَعْبُدْ... مِنْ الْمُسْلِمِينَ﴾.
- ٩ - كل شيء يخضع لرعاية الله تعالى، ﴿رَبِّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ﴾.
- ١٠ - لمكة المكرمة احترام خاص ومقام عظيم، ﴿حَرَمَهَا﴾.

﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ فَلَيْسَ مِنْكُمْ﴾
وَمَنْ صَلَّى فَقَدْ إِتْمَأَّأَ مِنَّا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿٩٧﴾

إشارات:

□ كانت بداية هذه السورة حول أهمية القرآن الكريم، ودارت نهايتها أيضاً عن القرآن.

يقول القرآن حول تلاوته: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾^(١)، أي أننا نشهد على ثلاثة أشياء أيها الرسول:

أ - على كمال أعمالك.

ب - على تلاوتك للقرآن.

ج - على الأعمال التي يقوم بها الناس.

أي أن شؤون النبي وأعماله وأعمال الناس كلها قد وُضعت في كفة، ووضعت تلاوة النبي للقرآن في الكفة الثانية، وهذا يدل على الأهمية الكبيرة جداً لتلاوة القرآن.

التعاليم:

- ١ - الأحرى بالذي جاء بالقرآن أن يكون نفسه من أهل تلاوته أيضاً، ﴿أَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾.
- ٢ - أبرز مهمة للرسول الأكرم ﷺ بعد التوحيد هي تلاوة الآيات الإلهية على الناس، ﴿أَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾.
- ٣ - يجب أن يكون القرآن هو محور الدعوة، ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَى﴾.
- ٤ - وظيفة الداعية هي إيصال الحقائق إلى الناس، ولا شأن له بقبولهم أو رفضهم، ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَى... وَمَنْ ضَلَّ﴾.
- ٥ - تلاوة القرآن هي مقدمة الهداية، ﴿أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَى﴾.
- ٦ - يعود النفع والضرر من إيمان الناس أو كفرهم إلى الناس أنفسهم، ﴿لِنَفْسِهِ﴾.
- ٧ - لا يتحمل الرسول مسؤولية ضلال من يضل من الناس، ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيَرْكَبُهُ عَذَابُكُمْ فَتَعْرِفُونَهَا﴾

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٦)

إشارات:

□ «الحمد لله» أفضل جملة من أجل حمد الله والثناء عليه، وقد أمر الرسول الأكرم ﷺ أن يقولها، ويجب أن يرددها المسلمون كل يوم أيضاً في سورة الحمد.

□ يقول الشاعر سعدي الشيرازي عن غفلة الإنسان عن عاقبة عمله:

يجب أن تستيقظ الآن أيها النائم، ما فائدة نومك إذا داهمك الموت.

أنت غافل وتفكر في المنفعة والمال، في حين أن رصيد عمرك قد ضاع.

فلتسع الآن حيث لم يتجاوز الماء خصرك، وليس عندما يتجاوز السيل

رأسك.

ها هو الإسكندر الذي حكم العالم قد تركه حينما داهمه الموت.

ولم يتيسر له أن يُتزع منه العالم ويُمهل لحظة واحدة.

التعاليم:

١ - الرسالة الإلهية فضل من الله يجب أن نشكره عليه، ﴿إِنَّمَا أُرِيتُ... وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

٢ - يخاطب الله عباده قائلاً: إِنَّ ما رأيتموه من الآيات الإلهية حتى الآن هو بعض منها، وسوف تُعرض عليكم آيات أخرى أيضاً في المستقبل، ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾.

٣ - يجب ألا يُعدَّ الإمهال الإلهي غفلة من الله سبحانه، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ﴾.

٤ - رقابة الله الدائمة شأن من شؤون ربوبيته، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ﴾.

٥ - يتحمل كل إنسان مسؤولية أعماله، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

٦ - يجب عدم الخوف من كفر المخالفين وشركهم، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

«اللهم صل على محمد وآل محمد وعجل فرجهم»

الفهرس

٦٦ - ٥	سورة الحج
١٢٠ - ٦٧	سورة المؤمنون
١٩٩ - ١٢١	سورة النور
٢٦٩ - ٢٠١	سورة الفرقان
٣٥٩ - ٢٧١	سورة الشعراء
٤٤٣ - ٣٦١	سورة النمل